



الجمهورية العربية السورية
جامعة دمشق
كلية الآداب والعلوم الإنسانية
قسم التاريخ

أثر الخلاف الكنسي بين روما والقسطنطينية على العلاقات السياسية والعسكرية بين بيزنطة

والصليبيين بين عامي (474-601هـ/1081-1204م)

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في تاريخ العرب والإسلام

إعداد الطالبة

ولاء نبيل عزام

إشراف الدكتورة

حليمة عبد الهادي

1443هـ/2022م

كلمة شكر:

أشكر الله عز وجل وأحمده على توفيقه لي في إنجاز هذا العمل المتواضع.

الشكر الجزيل والامتنان الكبير للأستاذة المشرفة على هذه الرسالة:

الدكتورة حليلة عبد الهادي

التي تكرمت بالإشراف على هذه الرسالة، وكانت بجانبني دائماً، تقدم لي النصح، وترشدني إلى الصواب،

وتوجهني نحو دروب العلم والمعرفة، فلها مني كل الاحترام.

والشكر موصول أيضاً إلى الأساتذة أعضاء لجنة المناقشة الذين تفضلوا بقراءة هذا البحث وتقويمه للارتقاء

به نحو الأفضل.

والشكر موصول أيضاً للدكتور عبد العزيز رمضان الذي أمدني من مكتبته الخاصة بأندر المصادر

اللاتينية والبيزنطية التي أفادت البحث

وتحية تقدير مني لكل من ساهم في إمدادي بالمراجع والمصادر التي لم أستطيع الحصول عليها من

مكاتبنا الوطنية ومنهم الدكتور محمد سيف، والدكتور ياسر والدكتور أحمد خليفة.

الصفحة	فهرس المحتويات
و	ملخص الرسالة
ح	دلالة الرموز المستخدمة في هذا البحث
ط	المقدمة
ت	التعريف بأهم مصادر البحث ومراجعته
1	الفصل التمهيدي
	الفصل الأول الخلاف الكنسي بين كنيسة روما وكنيسة القسطنطينية خلال النصف الثاني من القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي وأثره على العلاقات السياسية والعسكرية بين بيزنطة والغرب الأوروبي عام (446-488هـ/1054-1095م)
26	1- الشقاق العظيم بين كنيسة روما وكنيسة القسطنطينية (446هـ/1054م)
41	2- أثر الخلاف الكنسي على العلاقة بين بيزنطة والبابوية والغرب الأوروبي (446-480هـ/1054-1088م)
54	3- أثر الخلاف الكنسي في الدعوة للحملات الصليبية التي بدأت عام (488هـ/1095م)
	الفصل الثاني أثر الخلاف الكنسي على العلاقات السياسية والعسكرية بين بيزنطة وقادة الحملة الصليبية الأولى (490-1099م)
65	1- موقف الإمبراطور البيزنطي ألكسيوس كومنين من الحملة الشعبية عام (490هـ/1096م) وأثر الخلاف الكنسي فيه
78	2- موقف الإمبراطور البيزنطي ألكسيوس كومنين من قادة الحملة الصليبية الأولى عام (490هـ/1096م) وأثر الخلاف الكنسي فيه
95	3- أثر الخلاف الكنسي على التعاون البيزنطي الصليبي في الحملة الصليبية الأولى
103	4- انهيار التعاون البيزنطي الصليبي أمام أنطاكية وأثر الخلاف الكنسي فيه

115	5- تأسيس إمارة انطاكية الصليبية وإسقاط ادعاء الإمبراطور البيزنطي فيها وأثر ذلك في تحريض بوهمند البابوية للتبشير بحملة صليبية ضد بيزنطة عام (501هـ/1107م)
الفصل الثالث أثر الخلاف الكنسي على العلاقات السياسية والعسكرية بين بيزنطة والصليبيين خلال الحملة الصليبية الثانية (542-544هـ/1147-1149م)	
125	1- علاقة بيزنطة مع الإمارات اللاتينية الصليبية في الشرق قبيل الحملة الصليبية الثانية بين عامي (512-539هـ/1118-1145م) وأثر الخلاف الكنسي عليها
137	2- علاقة بيزنطة مع البابوية قبيل الحملة الصليبية الثانية وأثر الخلاف الكنسي عليها
142	3- التقارب البيزنطي الألماني قبيل الحملة الصليبية الثانية وأثر الخلاف الكنسي فيه
146	4- موقف بيزنطة من الحملة الصليبية الثانية ومشاركة الإمبراطور الألماني كونراد الثالث فيها
152	5- أثر الخلاف الكنسي على علاقة الإمبراطور البيزنطي مانويل كومنين والإمبراطور الألماني كونراد الثالث في أثناء عبوره الأراضي البيزنطية
159	6- أثر الخلاف الكنسي على علاقة الإمبراطور البيزنطي مانويل كومنين والملك الفرنسي لويس السابع في أثناء عبوره الأراضي البيزنطية.
171	7- إخفاق الحملة الصليبية الثانية وأثر الخلاف الكنسي في ردود أفعال الغرب اللاتيني الكاثوليكي على هذا الإخفاق
الفصل الرابع أثر الخلاف الكنسي على العلاقات السياسية والعسكرية بين بيزنطة والصليبيين خلال الحملة الصليبية الثالثة (584-587هـ/1188-1191م)	

178	1-علاقة بيزنطة مع الإمارات اللاتينية الصليبية في الشرق قبل الحملة الصليبية الثالثة وأثر الخلاف الكنسي فيها
195	2-علاقة بيزنطة مع البابوية قبل الحملة الصليبية الثالثة وأثر الخلاف الكنسي فيها
204	3-علاقة بيزنطة مع الغرب اللاتيني قبل الحملة الصليبية الثالثة
219	4-علاقة الإمبراطور البيزنطي إسحق الثاني أنجيلوس مع الإمبراطور الألماني فردريك بربروسا في أثناء عبوره الأراضي البيزنطية عام(585-586هـ/1189-1290م)
223	5-أثر الخلاف الكنسي على علاقة الإمبراطور البيزنطي إسحق الثاني أنجيلوس والملك الإنكليزي ريتشارد قلب الأسد في أثناء عبوره الأراضي البيزنطية عام(587هـ/1291م)
227	6-موقف الإمبراطور البيزنطي إسحق الثاني أنجيلوس من حملة الإمبراطور الألماني هنري السادس عام (592-593هـ/1196-1197م) وتأثيراته الكنسية
الفصل الخامس	
أثر الخلاف الكنسي على العلاقات السياسية والعسكرية بين بيزنطة والصليبيين خلال الحملة الصليبية الرابعة وسقوط القسطنطينية عام (601هـ/1204م)	
232	1-موقف البابوية من الإمبراطورية البيزنطية وكنيستها قبل الحملة الصليبية الرابعة
242	2-دور الخلاف الكنسي في خطط الصليبيين في بيزنطة إبان الحملة الصليبية الرابعة
255	3-دور الخلاف الكنسي في حرق مسار الحملة الصليبية الرابعة إلى القسطنطينية
265	4-الحكم اللاتيني في القسطنطينية ومظاهر الخلاف الكنسي فيها
273	5-مسؤولية البابا أنوسنت الثالث في الاستيلاء على القسطنطينية
287	6-موقف حكومة نيقية البيزنطية من اللاتين
296	الخاتمة
305	الملاحق

332	قائمة المصادر والمراجع
362	Abstract

ملخص الرسالة

بسم الله الرحمن الرحيم

شهد القرن الرابع الميلادي ظهور خلاقات مذهبية بين الغرب اللاتيني الكاثوليكي والشرق الإغريقي الأرثوذكسي وتطور الخلاف حتى أدى إلى خلاقات كنسية خطيرة في القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي أبرزها الشقاق الديني العظيم ما بين كنيسة روما وكنيسة القسطنطينية وبالتالي استقلت كنيسة القسطنطينية تماماً عن كنيسة روما ولم يعد للمركز البابوي في روما أي سلطة أو تأثير على كنيسة القسطنطينية التي باتت سيادتها مستقلة وبات كل من الطرفين ينعت الآخر بالهرطقة ويرى الآخر منحرفاً عن طريق العبادة الصحيحة هذا ولد مشاعر من الكره والحقد لدى الطرفين وهذه المشاعر أثرت على طبيعة العلاقات السياسية والعسكرية بين الصليبيين والبيزنطيين إبان الحملات الصليبية الأولى والثانية والثالثة حتى انتهت بانتقام اللاتين من البيزنطيين واحتلال مدينة القسطنطينية وتعيين بطريرك لاتيني في كنيستها في الحملة الصليبية الرابعة عام (601هـ/1204م) وكان أثر الشقاق الديني العظيم واضحاً في محاولات الغرب اللاتيني مهاجمة الإمبراطورية البيزنطية في أكثر من مناسبة، وذلك بتأييد البابوية، غير أن بيزنطة آنذاك صمدت بفضل جهود الأباطرة الذين جلسوا على عرش قسطنطين العظيم، إلى أن حانت فرصة الكنيسة الغربية لتنتقم وتسيطر على بيزنطة وكنيستها المسكونية عام (601هـ/1204م) والمنهج المتبع في هذه الدراسة تتلخص في أن العلاقات السياسية والعسكرية بين الصليبيين والبيزنطيين والعدوان اللاتيني على بيزنطة وشعبها منذ بداية الحملة الصليبية الأولى وفكرة الهجوم على القسطنطينية المسيحية في الحملتين الثانية والثالثة حتى الاستيلاء عليها وتأسيس حكم لاتيني فيها عام (601هـ/1204م) كان متأثراً بالشقاق الديني العظيم بين كنيسة روما وكنيسة القسطنطينية الذي حصل عام (446هـ/1054م) .

فبالتالي غزو اللاتين للقسطنطينية في الحملة الصليبية الرابعة عام (601هـ/1204م) لم يكن وليد المصادفة وإنما نتيجة لمخطط ساهمت فيه البابوية بدور كبير لذا كان من المفروض العودة إلى جذور الخلاف المذهبي وذلك لتقصي الحقائق الكامنة وراء طبيعة العلاقات السياسية والعسكرية بين الصليبيين والبيزنطيين التي انتهت بسقوط مدينة قسطنطين العظيم في أيدي جنود البابا أنوسنت الثالث التي توضح أثر الخلاف الكنسي الذي كان له دور

كبير لفهم العلاقات السياسية والعسكرية بين الصليبيين والبيزنطيين بين عامي (474_601هـ/1081_1204م)

ومن هنا تكمن أهمية الموضوع الذي تم اختياره للبحث

دلالة الرموز المستخدمة في هذا البحث	
إقتباس	" "
ت	توفي
تح	تحقيق
تر	ترجمة
تع	تعريب
ج	جزء
د.ت	دون تاريخ
د.م	دون مكان
ط	الطبعة
م	ميلادي
مج	مجلد
مرا	مراجعة
هـ	هجري

المقدمة:

يعد القرن الرابع الميلادي بداية مرحلة هامة بالنسبة للتاريخ الكنسي، وأبرز ما يميزها اعتراف السلطات الرومانية بشرعية وجود الديانة المسيحية، وما تبع ذلك من ظهور بداية الخلاف الكنسي ما بين الغرب اللاتيني والشرق الإغريقي، الذي تطوّر في القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي إلى أحداث كنسية خطيرة أبرزها: الشقاق العظيم بين كنيسة روما وكنيسة القسطنطينية، وما تبعه من أثر هذا الشقاق على طبيعة العلاقات البيزنطية والصليبية بين عامي (447-601هـ/1081-1204م).

إن بحث العلاقات بين كنيستين مسيحيتين عظيمتين -الكنيسة الغربية الكاثوليكية والكنيسة الشرقية الأرثوذكسية، وأثرها على العلاقات بين بيزنطة والصليبيين، ومحاولة تحديد هذه العلاقات في تباين الممارسات والطقوس بين الكنيستين في اختلاف التنظيمات الكنسية بين روما والقسطنطينية، ليس بالمهمة السهلة وخاصة إنها أثرت على طبيعة العلاقات بين البيزنطيين والصليبيين.

تعدّ العلاقات الكنسية بين كنيسة روما الكاثوليكية والكنيسة البيزنطية الأرثوذكسية من أهم سمات التاريخ البيزنطي، تلك العلاقات التي اتسمت في غالبيتها بالشد والجذب على المستوى اللاهوتي والعقائدي، ووصلت في بعض الأحيان إلى حد الصراع، هذا الصراع الذي حاولت فيه الكنيسة الرومانية فرض سيادتها على الكنيسة البيزنطية، مستندة في ذلك على ما أسمته هي نظرية إمارة بطرس الرسول على الكنيسة العالمية.

والأهم من ذلك محاولة فرض رؤيتها للطقوس الديانة المسيحية، وخاصة في قضية انبثاق الروح القدس من الابن، واستخدام الخبز غير المختمر (الفطير) في تناول، وقد وقفت الكنيسة البيزنطية في وجه هذا الفكر البابوي

وفي الواقع أسهمت الأوضاع السياسية والعسكرية، وتدهور النفوذ البيزنطي في الجنوب الإيطالي بدور هام في محاولات إزالة أسباب الخلاف والشقاق، وتحقيق الوحدة بين الكنيستين البيزنطية والرومانية؛ إلا أن هذه المحاولات

ظلت على شكل مفاوضات وكلام على ورق ولم تتفد، وذلك لعدم ثبات الأوضاع السياسية والعسكرية في الشرق والغرب آنذاك، وتمسك الكنيسة البيزنطية وكنيسة روما بموقفها فيما يخص نقاط الخلاف العقائدي اللاهوتي

وفي الواقع إن التطورات السياسية والعسكرية في الشرق العربي الإسلامي، وما ترتب عنها من هزيمة الإمبراطورية البيزنطية في معركة ملاذكرد (473م/1071م)⁽¹⁾ هذه التطورات أجبرت الإمبراطور البيزنطي ألكسيوس كومنين (474-512م/1081-1118م)⁽²⁾ على طلب المساعدة من الغرب الأوروبي ضد التوسع السلجوقي. لكن في الحقيقة الانشقاق الديني بين الكنيستين، جعل من الصعوبة وجود قاعدة عمل مشترك مع الغرب الأوروبي. والجدير بالذكر أنه ومنذ البداية أعلنت الإمبراطورية البيزنطية دهشتها بالأعداد المشاركة بالحملة الصليبية الأولى، وتحولت الدهشة إلى شك في أهدافها ونواياها حتى اضطرت إلى مقاومتها.

في الواقع كانت الحركة الصليبية البداية الحقيقية لأزمة العلاقات الدينية والسياسية والعسكرية التي تفجرت بين روما والقسطنطينية وقادة الصليبيين، فأهداف الإمبراطور البيزنطي ومصالح دولته تتعارض مع أهداف البابوية والحركة الصليبية.

وهكذا شكلت الحركة الصليبية خطراً على العالم المسيحي بشقيه الشرقي والغربي، فعمقت الانشقاق والقطيعة بين الكنيستين، وكشفت عن مدى التباين والاختلاف والكراهية المتبادلة بين اللاتين الكاثوليك والبيزنطيين الأرثوذكس؛ لتحسم النزاع بين كنيسة روما والكنيسة البيزنطية، وهنا كان الدور المهم والفعال للبابا أنوسنت الثالث لحرف الحملة صوب القسطنطينية، لتحقيق سياسته الكنسية في إخضاع الكنيسة الشرقية بإدارته وسلطته الدينية، فما قام به اللاتين بحق شعب مدينة القسطنطينية وكنائسها وأديرتها، لا يمكن أن يغفره البيزنطيون.

1- إشكالية البحث وتساؤلاتها:

إن جذور العداء التقليدي بين الشرق البيزنطي والغرب اللاتيني قديمة جداً، ويعدّ الصراع الكنسي بينهما أحد جوانب هذا العداء؛ حيث كانت بدايته الأولى منذ القرن الرابع الميلادي، ووصل إلى أوجه في القرنين الخامس

1 - ورد تعريف لمعركة ملاذكرد في الصفحة رقم 44

2 - ورد تعريف لألكسيوس كومنين في ص 50

والسادس الهجريين/الحادي عشر والثاني عشر الميلاديين، مما أثر بشكل سلبي على علاقة البيزنطيين مع الصليبيين؛ ومن هذا المنطلق تتمحور إشكالية البحث في توضيح أسباب الشقاق الديني بين كنيسة روما وكنيسة القسطنطينية، ودور هذا الشقاق في السيطرة على سياسة الغرب اللاتيني والشرق البيزنطي حيال بعض، وإبراز طبيعة ومسوغات العداء التقليدي بين روما وبيزنطة مع التركيز على إيضاح انعكاس العداء الكنسي بينهما على علاقتهما خلال الحملات الصليبية الأولى والثانية والثالثة والرابعة. كما تحاول الدراسة الإجابة عن التساؤلات الآتية:

1- ما الأسباب الجوهرية التي أدت لزراعة الكره والخلاف بين شقي العالم المسيحي الشرقي والغربي؟

2- إلى أي مدى أثر الشقاق الديني العظيم على مسألة تعاون الصليبيين والبيزنطيين إبان الحملة الصليبية الأولى والثانية والثالثة؟

3- هل كان للشقاق الديني العظيم أثر فعال ومحرك لتوجيه الغرب اللاتيني سياسته العدوانية للانتقام من الإمبراطورية البيزنطية، وهل دعم البابوية المتكرر لأي مشروع عدائي ضد الإمبراطورية البيزنطية مدفوع بأثر الشقاق الديني؟

4- إلى أي مدى أسهمت البابوية في فرض سياستها الكنسية على القسطنطينية الأرثوذكسية وهل كانت هي المحرك الفعال لجيوش وقادة الصليبيين لاحتلال القسطنطينية وفرض سلطتها الروحية بتوحيد الكنيستين الشرقية والغربية؟

5- هل حققت البابوية خلال هذه الحقبة نصرها المؤزر بإخضاع كنيسة القسطنطينية، وهل أخدمت نيران هذا الصراع الكنسي؟.

2- مسلمات البحث:

1- تباين الطقوس والأعراف الدينية بين اللاتين والبيزنطيين.

2- حلم البابوية في زعامة كنائس العالم المسيحي أجمع.

3- رفض البابوية لفكرة استقلال كنيسة القسطنطينية، وخروجها عن سلطة كنيسة روما.

4- محاربة كنيسة القسطنطينية عن استقلالها الديني والروحي.

3- أهداف البحث:

تتجلى أهداف هذا البحث بعدم التركيز على مجريات الحملات الصليبية الأولى والثانية والثالثة والرابعة وتفاصيلها، بل تتركز بتسليط الضوء على انعكاس الخلاف الكنسي بين روما وبيزنطة على طبيعة العلاقات بين الصليبيين والبيزنطيين خلال هذه الحملات، كما يهدف بشكله الأساسي إلى إظهار أثر الشقاق الديني العظيم بين كنيسة روما وكنيسة القسطنطينية، على توجيه تصرفات، وكل طرف حيال الثاني وسياسته، لكن الوصول إلى هذا الهدف الرئيس يكون من خلال مجموعة من الأهداف الفرعية على النحو الآتي:

1- توضيح دور الشقاق الديني العظيم على علاقة البيزنطيين مع الغرب الأوروبي والبابوية قبيل الحملة الصليبية الأولى والثانية والثالثة والرابعة.

2- توضيح مدى تأثير الشقاق الديني العظيم بين كنيسة روما وكنيسة القسطنطينية على العلاقات التي جمعت الأباطرة البيزنطيين بالإمارات الصليبية بالشرق، ومدى تحكم هذا الشقاق في سياسة التقارب أو التنافر بين أمراء الممالك الصليبية والأباطرة البيزنطيين.

والهدف الأهم يتوضح بصورته الجلية في الدور الذي أسهم به بابا روما في حرف الحملة الرابعة صوب القسطنطينية، ودوره في دمج الكنيستين الشرقية والغربية تحت سيادته.

4- أهمية البحث:

إن موضوع أثر الخلاف الكنسي بين روما والقسطنطينية على العلاقات السياسية والعسكرية بين بيزنطة مع الصليبيين بين عامي 474-601م/1081-1204م يعدّ من الموضوعات الشائكة والهامة في تاريخ الحروب البيزنطية والتاريخ البيزنطي، وذلك لأن أطراف النزاع فيه متداخلة مع بعضها البعض، بحيث تفرض على الباحث

بذل جهد للإلمام بكل أطرافه، لتوضيح العداء التقليدي بين الكاثوليك والأرثوذكس، وأثر هذا العداء على الصراعات بين البيزنطيين والغرب الأوروبي كما تكمن أهمية البحث في كونه يركز على

1- دراسة البدايات الأولى للخلافات الدينية والكنسية بين شطري العالم المسيحي الشرقي والغربي لأنها سوف تمهد لفهم الشقاق الديني العظيم الذي حدث بين كنيسة روما وكنيسة القسطنطينية، والذي سينعكس على طبيعة العلاقات السياسية والعسكرية بين البيزنطيين والصليبيين إبان الحروب الصليبية.

2- دراسة موقف البابوية من احتلال اللاتين للقسطنطينية والذي يؤكد تأثير البابوية بالخلاف الكنسي بين كنيسة روما وكنيسة القسطنطينية.

5- مبررات البحث:

تقديم دراسة جديدة شاملة وواقية عن الدور الذي شغله أثر الشقاق الديني العظيم بين كنيسة روما وكنيسة القسطنطينية وأثره على طبيعة العلاقات السياسية والعسكرية بين البيزنطيين والصليبيين بشكل مفصل، فهو لم يدرس بشكل مستقل، وإنما درست الخلافات الدينية والكنسية بشكل عام، ودرست الحملات الصليبية بتفصيل سياسي والاقتصادي والديني منذ بداياتها والدعوة لها حتى وصولها إلى وجهتها دون التطرق لأثر الخلافات الدينية والشقاق الديني الكبير على علاقة البيزنطيين والصليبيين خلال احتكاك الطرفين إبان الحملات الصليبية الأربعة الأولى، فاختيار البحث كان الخطوة الأولى لكشف النقاب عن قضايا متعددة ذكرت بشكل عام بدراسات سالفة، لكنها لم تتطرق لموضوع أثر الشقاق الديني العظيم على العلاقة بين البيزنطيين والصليبيين خلال الحملات الصليبية الأولى والثانية والثالثة والرابعة؛ لذا كان السعي جاداً إلى الوصول لتفاصيل دقيقة، وعرض القضايا الرئيسة للموضوع بنظرة شمولية وموضوعية عن طريق الرجوع إلى مجموعة من المصادر الإغريقية واللاتينية، وبعض الدراسات الأوروبية.

6- مصطلحات البحث:

1- الشقاق الديني العظيم عام (446هـ/1054م):

هو انقسام أصاب الكنيسة المسيحية إلى ما يسمى الكنيسة الكاثوليكية في روما، والكنيسة الأرثوذكسية الشرقية في القسطنطينية، وكان هذا الانقسام نتيجة لخلافات مذهبية واختلافات لاهوتية تخص عقائد دينية. فقد سلف الشقاق العظيم الذي وقع بشكل رسمي في عام (446هـ/1054م) العديد من الخلافات الكنسية والنزاعات الدينية بين الشرق الإغريقي والغرب اللاتيني، وكان أبرز هذه الخلافات مسألة انبثاق الروح القدس، ومسألة استعمال الخبز المخمر أم لا، وأحقية ادعاء بابا روما بالزعامة على سائر العالم المسيحي. كل ما سلف كان مقدمة لحصول الشقاق الديني العظيم عام (446هـ/1054م) والذي أنتهى بجملة من الشتائم والاتهامات المتبادلة بين الطرفين، وحرمان البابوية كنيسة القسطنطينية وبطريركها من رحمة كنيسة روما، وتفضيل كنيسة القسطنطينية استقلالها الكامل والتام عن كنيسة روما وبابواتها.

2- المجامع المسكونية Ecumenical Councils:

هو اجتماع رجال الكنيسة والأساقفة من جميع جهات العالم لمناقشة أمر يخص الإيمان المسيحي، والنظر في مسائل العقيدة المسيحية، بهدف حفظ النظام وسلامة العقيدة بين المسيحيين في شتى أنحاء العالم، ويقترب هذا المصطلح من تعبير "مؤتمر دولي"، ولكنه لا يخص الدول، بل الكنائس المسيحية في البلدان المختلفة. تم عقد سبع مجامع مسكونية وتم تسليط الضوء عليهم ضمن مدخل الدراسة، وكان أهمها مجمع خلقيدونية عام (451م) الذي نص على مساواة كنيسة القسطنطينية وبطريركها مع كنيسة روما وبابواتها في المنزل والمكانة، مع احتفاظ كنيسة روما بميزة القدم فقطك، مما يفتح باب المنافسة بين كنيسة روما وكنيسة القسطنطينية على الزعامة والمكانة المتقدمة، بالتالي كان مجمع خلقيدونية المسكوني هو بداية الأولى للصراع بين كنيسة روما وبابواتها مع كنيسة القسطنطينية وبطريركيتها على زعامة العالمية للعالم المسيحي.

3- النظرية الهدبرانية The Heldebrane Theory:

نسبة إلى هلدبراند بابا روما الملقب بغريغوري السابع فقد كان له تعاليم وفلسفة خاصة به، رفعت من مقام السلطان البابوي وأصبحت هذه التعاليم بمثابة نظرية نادى بها البابوات الذين جاءوا بعد غريغوري السابع وأهم هذه التعاليم "أن الكنيسة مثل جسد الإنسان لها رأس واحد، بالتالي الكنيسة لها زعامة واحدة وهي كنيسة روما وبابواتها، وهددت هذه النظرية استقلال كنيسة القسطنطينية ووجودها، ولأسيما بعد ما نادى البابوات بعد غريغوري السابع بهذه النظرية وسعوا جاهدين للقضاء على كنيسة القسطنطينية واستقلالها.

4- الحركة الصليبية(حروب الفرنجة):

إن هذا المصطلح لا يعكس حقيقة الحملات الأوروبية الغربية التي اتخذت الدين ستارة لأهدافها الاقتصادية والسياسية والدينية، وإنما هي حملات عسكرية منظمة شنّها الغرب الأوروبي على الشرق العربي الإسلامي بدعم ورعاية من الكنيسة الكاثوليكية، وكان سببها الظاهري هو تحرير بيت المقدس من المسلمين، بينما كانت في حقيقتها حركة استعمارية موجهة ضد المسلمين والمسيحيين الأرثوذكس على حدٍ سواء، كما تعد الحروب الصليبية من الحركات الهامة في تاريخ العصور الوسطى ظاهرها الخلاص والرحمة والدين، وباطنها الأهواء والأطماع، كانت الحروب الصليبية من أطول الحروب العالمية الخطيرة التي عانى منها الوطن العربي قرابة قرنين من الزمن، فقد جرى تحديد المدى الزمني للحركة الصليبية في كتب التاريخ بين سنتي (488-690هـ/1095-1291م) ولكن هذا التحديد يعني فقط المرحلة الفعلية لهذه الحروب، لكن في الحقيقة كان للحروب الصليبية جذور تمتد إلى ما قبل عام (488هـ/1095م)، كما استمر الاعتداء الأوروبي على الوطن العربي إلى ما بعد عام (690هـ/1291م) في الواقع اختلف المؤرخون في تعريف الحركة الصليبية فمنهم من عدها حلقة من حلقات الصراع التقليدي القديم بين الشرق والغرب، كالصراع بين الفرس واليونان ثم بين الفرس والرومان. وفريق آخر عدها وسيلة استخدمها الغرب الأوروبي للتخلص من الانحطاط السياسي والديني والاقتصادي التي كانت تعاني منه أوروبا والبحث عن مكاسب سياسية ومادية ودينية في الشرق، في الواقع قامت الحركة الصليبية تحت قناع الدين وباسمه لتحقيق أطماعها التوسعية البعيدة المدى، سواء في العالم الإسلامي، أو في الإمبراطورية البيزنطية.

5- الهرطقة Hersy:

هي البدع المخالفة لأصول الدين، وهي تميز في عقيدة أو منظومة معتقدات مستقرة، وإدخال معتقدات جديدة عليها.

7- حدود البحث:

1- حدود موضوعية:

أثر الشقاق الديني العظيم ودوره في توجيه أفعال البيزنطيين والصليبيين وسياساتهم خلال الحملات الصليبية الأولى والثانية والثالثة والرابعة.

2- حدود زمنية:

تشمل دراسة أثر الخلاف الكنسي بين روما والقسطنطينية على العلاقات السياسية والعسكرية بين بيزنطة والصليبيين بين عامي (474-601هـ/1081-1204م) وذلك لغنى هذه الحقبة بالمصادر اللاتينية والبيزنطية التي أغنت البحث بمعلومات هامة، وتبدأ المرحلة التي يعالجها البحث عام (474هـ/1081م) وهو العام الذي بدأ فيه حكم الإمبراطور البيزنطي ألكسيوس كومنين الذي عاصر قدوم أول حملة صليبية، وبنى علاقات مع قادتها بغية التعاون المشترك؛ ليحقق كل طرف أهدافه المرجوة من هذا التعاون الذي باءت بالإخفاق بسبب تباين أهداف الطرفين، بينما تنتهي المرحلة التي يعالجها البحث عام (601هـ/1204م) وهو العام الذي استطاع فيه الصليبيون بدعم من البابوية غزو القسطنطينية والاستيلاء عليها.

3- حدود جغرافية:

الإمبراطورية البيزنطية، والغرب الأوروبي اللاتيني، والإمارات الصليبية في الشرق.

8- منهجية البحث وأدواته:

هو المنهج التاريخي المعتمد على جمع المادة العلمية، ثم تحليلها، واستقراء كافة المعلومات الواردة في المصادر الأصلية، ونقد الآراء التي كتبت حول موضوع الدراسة بشكل بناء لاستنباط رؤية جديدة لتطور العلاقات السياسية والعسكرية بين روما والقسطنطينية بين عامي 474-601هـ/1081-1204م. ولا بد من الإشارة إلى المصادر والمراجع التي اعتمدتها الدراسة، ويأتي في مقدمتها المصادر البيزنطية المعربة وغير المعربة والمصادر اللاتينية المعربة وغير المعربة والمصادر العربية والمراجع العربية والمعرّبة والرسائل الجامعية والمقالات والدوريات.

9- صعوبات البحث:

كان من أهم صعوبات البحث على الإطلاق عدم توفر مصادر بيزنطية تهتم بموضوع البحث ضمن المكتبات الوطنية، وإن توفرت عن طريق البحث الحثيث ضمن مواقع متعددة على الانترنت، فإنها كانت باهظة الثمن، بالإضافة لتوفرها باللغة الإغريقية والأجنبية، مما أدى إلى جهد مضاعف لترجمة هذه المصادر للاستفادة منها بالبحث؛ علاوة على ذلك كان هناك صعوبة في تعريف الكثير من المصطلحات والأعلام والأماكن الجغرافية، بسبب عدم وجود تعريف لها ضمن المراجع المتاحة، بالإضافة لورود مراجع أجنبية معربة بدون اسم مترجم.

10- الدراسات السالفة: بعد البحث والتقصي لم يتم التمكن من العثور في المكتبات الوطنية، ولا في فهارس المكتبات الأخرى المتاحة على الخط المباشر (on line) على دراسات أكاديمية سالفة حول موضوع الخلاف الكنسي بين روما والقسطنطينية وأثره على علاقة بيزنطة مع الصليبيين بين عامي (474-601هـ/1081-1204م).

لكن وجدت بعض الدراسات العربية التي تناولت البحث بشكل عام، ولا تتعلق مباشرة بموضوع البحث المطروح وهي:

1- علي، ثورة خطاب (2002م): موقف بيزنطة من الغزو الصليبي (489-601هـ/1095-1204م) رسالة

لنيل دراسة الماجستير، إشراف طلب الجنابي، جامعة تكريت.

يتحدث البحث عن سياسة الأباطرة البيزنطيين في التعامل مع التحرك الصليبي نحو الشرق والذي نتج عنه كثير من الدمار والخطر على الإمبراطورية البيزنطية ووجودها، ومواجهة الإمبراطورية البيزنطية وأباطرتها هذه الأخطار وعن دوافع القوى الأوروبية وراء الحركة الصليبية ونشاط هذه الحركة وحروبها، وتضمنت موقف الإمبراطورية البيزنطية من ذلك الغزو كما شملت أحداث الحقبة التاريخية الممتدة من قبل الغزو الصليبي وطبيعة العلاقات بين شطري المسيحية الشرقية والغربية، كما بحث في موقف القادة الصليبيين من اتفاقية القسطنطينية، وموقف البيزنطيين من تأسيس إمارات صليبية في الشرق، وتضمنت هذه الدراسة أيضاً موقف بيزنطة من الحملتين الصليبيتين الثانية والثالثة ، كما شملت موقف القوى الأوروبية من الحملة الصليبية الرابعة وسقوط القسطنطينية على يد الصليبيين عام (1204هـ/1204م).

2- عبد الهادي، حليلة.(2011): الاستيلاء الصليبي(الفرنجي) على القسطنطينية وإقامة الحكم اللاتيني فيها (601هـ-1204م/660هـ-1261م)، إشراف سهيل زكار، جامعة دمشق.

بحثت هذه الدراسة في تفاصيل الدعوة للحملة الصليبية الرابعة والظروف التي نتجت لتوجيهها نحو القسطنطينية، وغزوها، كما بينت دور كل طرف مشترك بالحملة في سعيه لتحقيق أهدافه من وراء توجيه الحملة نحو القسطنطينية وإبعادها عن هدفها الأساسي وهو مصر فسلط الضوء على تفاصيل الاستعداد للحملة الصليبية الرابعة وتنظيمها وتمويلها وتحديد أهدافها، كما بحثت في انحراف الحملة الصليبية الرابعة نحو مدينة زارا المسيحية وركزت على التفاصيل التي حثت الصليبيين لحرف الحملة الصليبية الرابعة نحو زارا، وبينت بالتفصيل قضية تحول الحملة الصليبية الرابعة صوب القسطنطينية والنظريات المتعلقة بها كما ضمت تفاصيل عن خط سير الحملة الصليبية الرابعة من مدينة زارا إلى القسطنطينية وكيفية استرداد العرش البيزنطي لإسحق الثاني أنجيلوس، وشملت الدراسة البدايات الأولى لقيام حكم لاتيني وتأسيس إمبراطورية لاتينية في القسطنطينية حتى سقوط هذه الإمبراطورية واسترداد القسطنطينية عام (660هـ/1261م) ونهاية الوجود اللاتيني في القسطنطينية.

التعقيب على الدراسات السالفة:

تختلف دراسة أثر الخلاف الكنسي بين روما والقسطنطينية على العلاقات السياسية والعسكرية بين بيزنطة والصليبيين بين عامي (474-601هـ/1081-1204م). عن الدراسات التي سلف ذكرها كونها لم تكتف بعرض التطور والتسلسل التاريخي والسياسي للحملة الصليبية الأولى والثانية والثالثة والرابعة، ومرورها عبر الأراضي البيزنطية، بل تطرقت لتوضيح أثر الشقاق الديني العظيم على تصرف الصليبيين وأهدافهم عند عبورهم الأراضي البيزنطية، وتوضيح هذا الأثر على سياسة الأباطرة البيزنطيين بالتعامل مع الصليبيين القادمين من الغرب، والصليبيين الذين أسسوا إمارات صليبية في الشرق، وتأكيد على دور الشقاق الديني العظيم في التحكم بسياسة ومواقف كل من الصليبيين والبيزنطيين حيال بعضهم، ودور البابوية في تنفيذ أهدافها في بسط سيطرتها على كنيسة القسطنطينية، التي سعت لتحقيق هذا الحلم من خلال الحملة الصليبية الرابعة الأمر الذي لم تتطرق له الدراسات السابقة.

11- محتوى البحث:

بعد المقدمة تم التعريف بأهم المصادر العربية والإغريقية واللاتينية التي تم الاعتماد عليها في إنجاز هذا البحث، وجرى كذلك الإشارة إلى أهم المؤلفات الأجنبية المختصة بالدراسات البيزنطية والمتعلقة بالحروب الصليبية.

وقامت هذه الدراسة على مدخل وخمسة فصول

المدخل: لمحة تاريخية عن جذور الخلاف الكنسي بين كنيسة روما وكنيسة القسطنطينية منذ القرن الرابع الميلادي حتى القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي.

كان لابد من التطرق لبدايات هذا الخلاف بين اللاتين والإغريق، ومحور الصراع القديم ضمن المجامع المسكونية، وأهم قوانينها، وموقف الأباطرة البيزنطيين والبابوية من هذه المجامع.

الفصل الأول: الخلاف الكنسي بين كنيسة روما وكنيسة القسطنطينية خلال النصف الثاني من القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي وأثره على العلاقات السياسية والعسكرية بين بيزنطة والغرب الأوروبي.

وسيتمحور هذا الفصل حول أحداث الشقاق الديني العظيم، وعلاقة بيزنطة بالبابوية قبيل الحملة الصليبية الأولى عام (446هـ/1054م)؛ فبدأ الفصل بشرح أسباب الشقاق الديني العظيم بين روما والقسطنطينية عام (466هـ/1054م) وأحداثه، ومن ثم سيتم عرض طبيعة العلاقات البيزنطية مع الغرب اللاتيني والبابوية قبيل الحملة الصليبية الأولى، كما سيتم الحديث عن أثر الخلاف الكنسي في الدعوة للحملة الصليبية.

الفصل الثاني: أثر الخلاف الكنسي على العلاقات السياسية والعسكرية بين بيزنطة وقادة الحملة الصليبية الأولى (490-493هـ/1096-1099م)

يتضمن هذا الفصل: موقف الإمبراطور البيزنطي ألكسيوس كومنين من قادة الحملة الصليبية الأولى، كما يوضح أثر الشقاق الديني العظيم على تصرفات اللاتين العدوانية بحق البيزنطيين في أثناء مرورهم عبر الأراضي البيزنطية، كما يتطرق إلى موقف القادة الصليبيين من الإمبراطور البيزنطي ألكسيوس كومنين بعد دخول نيقية عام (491هـ/1097م)، كما يتضمن إلى المسألة الأنطاكية، وتأثير الشقاق الديني وسياسة بوهمند بعد السيطرة عليها، والأهم من ذلك الحديث عن دور البابوية في الحملة التي وجهها بوهمند ضد القسطنطينية (501هـ/1107م)، التي تبرهن على أثر الشقاق الديني العظيم في موقف البابوية المؤيد لبوهمند.

الفصل الثالث: أثر الخلاف الكنسي على العلاقات السياسية والعسكرية بين بيزنطة والصليبيين خلال الحملة الصليبية الثانية (540-544هـ/1146-1149م): ويتضمن هذا الفصل: علاقة بيزنطة مع الإمارات الصليبية في الشرق قبيل الحملة الصليبية الثانية، وأثر الشقاق في تكوين هذه العلاقات بين الطرفين. والأهم من ذلك يشمل وضوح أثر الشقاق الديني في موقف قادة الحملة الصليبية الثانية، وخاصة حملة ملك فرنسا لويس السابع، وطرح رجال الدين عليه قتل البيزنطيين دون تأنيب ضمير، لأنهم لا يملكون من المسيحية سوى الاسم، كما تتضمن أثر الخلاف الكنسي على ردود فعل الغرب اللاتيني على إخفاق الحملة الصليبية الثانية، الذين عدّوا البيزنطيين هم المسؤولين عن هذا الإخفاق.

الفصل الرابع: أثر الخلاف الكنسي على العلاقات السياسية والعسكرية بين بيزنطة والصليبيين خلال الحملة الصليبية الثالثة عام (585-587هـ/1189-1192م) ويتضمن هذا الفصل: علاقة بيزنطة مع الإمارات الصليبية في الشرق قبل الحملة الصليبية الثالثة، وأثر الشقاق في تكوين هذه العلاقات بين الطرفين، كما يشمل موقف الإمبراطور البيزنطي إسحق الثاني أنجيلوس من الإمبراطور الألماني فردريك بربروسا وابنه هنري السادس، لذا حاولا الاعتداء على القسطنطينية. كما أشار إلى أثر الشقاق الديني على صليبية ريتشارد قلب الأسد، الذي قام بالاعتداء على الأراضي التابعة للإمبراطورية البيزنطية، واحتل قبرص عام (587هـ/1191م).

الفصل الخامس: أثر الخلاف الكنسي على العلاقات السياسية والعسكرية بين بيزنطة والصليبيين خلال الحملة الصليبية الرابعة وسقوط القسطنطينية عام (601هـ/1204م):

يعد هذا الفصل من أهم فصول هذا البحث؛ كونه يعكس بوضوح أثر الخلاف الكنسي في كره اللاتين للبيزنطيين، فهو يعرض سياسة البابا أنوسنت الثالث العدوانية في كنيسة القسطنطينية قبل الحملة الصليبية الرابعة، كما يلقي الضوء على دور الخلاف الكنسي في خطط الصليبيين في بيزنطة إبان الحملة الصليبية الرابعة، ويشمل أيضاً دور الخلاف الكنسي في حرف مسار الحملة الصليبية الرابعة نحو القسطنطينية، ويركز على الحكم اللاتيني في القسطنطينية ومظاهر الخلاف الكنسي فيها، وتعيين بطريرك لاتيني في كنيستها، كما يوضح دور البابا أنوسنت الثالث في الاستيلاء على القسطنطينية، وتحقيق حلم البابوية في إخضاع كنيسة القسطنطينية، كما يبين موقف حكومة نيقية البيزنطية من اللاتين.

الخاتمة: في خاتمة هذا البحث سيتم الإشارة بصورة مختصرة إلى الأهداف المقصودة من هذا البحث، وذكر النتائج والمقترحات التي توصل إليها البحث، كما سيتم رفع البحث ببعض الخرائط والملاحق والصور، ثم قائمة أسماء المصادر والمراجع التي اعتمد عليها في إنجاز البحث، وخُتمت الرسالة بملخص عن الدراسة باللغة الأجنبية.

التعريف بأهم مصادر البحث ومراجعته:

أولاً: المصادر البيزنطية:

1-مصادر بيزنطية غير معربة

2-مصادر بيزنطية معربة

1- مصادر البيزنطية غير معربة:

تم الاعتماد على مصادر بيزنطية غير معربة، وقد أفادت البحث بشكل كبير، ويأتي في مقدمتها من حسب الأهمية بالنسبة للبحث:

1. Nicetas choniates نيكيتاس الخونياتس:

O City of Byzantium Annals of Niketas Choniates: مدينة بيزنطة في حولية

نيكيتاس الخونياتس:

ولد هذا المؤرخ في إحدى مدن مقاطعة فريجيا Phrygia بآسيا الصغرى في أوسط القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي، لقد تسلم نيكيتاس وظائف عدة فعمل أستاذاً ومؤرخاً وقاضياً، إلا أن أهم منصب وصل إليه، منصب مساعد وكاتب للإمبراطور مانويل كومنين، وتحمل مسؤولية تسجيل القرارات، وكتابة المراسيم الإمبراطورية، كما كان أهم عضو من أعضاء مجلس الشيوخ البيزنطي؛ وعندما سقطت القسطنطينية بيد اللاتين عام (601هـ/1204م)، توجه نيكيتاس إلى الإمبراطور البيزنطي ثيودور لاسكاريس في مدينة نيقية حيث عاش فيها حتى مماته عام (613هـ/1215م)، وكتاب المؤرخ المعاصر نيكيتاس الخونياتس (O City of Byzantium Annals of Niketas Choniates) من أهم كتب المصادر البيزنطية لتاريخ الحملة الصليبية الرابعة، وتكمن أهمية المؤرخ نيكيتاس في سعة ثقافته، وعدم تحيزه، وموضوعيته⁽¹⁾؛ ضم كتاب نيكيتاس عشرة أقسام، كل قسم وضع في كتاب

¹ - - نيكول، دونالد(2003م): معجم التراجم البيزنطية، تر: حسن حبشي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ط، ص230-236.

خاص فيه ضم الكتاب الأول أحداثاً مختصرة عن عهد الإمبراطور يوحنا كومنين (512-538 هـ / 1118-1143 م)، وفي الكتاب الثاني سرد أحداث حكم مانويل كومنين (538-575 هـ / 1143-1180 م). وفي الكتاب الثالث تطرق لمدة حكم ألكسيوس الثاني ابن مانويل كومنين (575-579 هـ / 1180-1183 م)، وتناول في الكتاب الرابع عهد أندرونيكوس كومنين (579-580 هـ / 1183-1185 م)، وضم الكتاب الخامس عهد إسحق الثاني أنجيلوس (580-592 هـ / 1185-1195 م)، تناول في الكتاب السادس عهد ألكسيوس الثالث أنجيلوس (592-600 هـ / 1195-1203 م)⁽¹⁾، وخصص الكتاب السابع للحديث عن الأحداث التي حصلت في الحقبة القصيرة التي عاد فيها إسحق الثاني أنجيلوس إلى العرش مع ابنه ألكسيوس الرابع (600 هـ / 1203 م)، وتناول في الكتاب الثامن مدة حكم ألكسيوس الخامس دوكاس مورزوفلوس في بداية عام (601 هـ / 1204 م)، بينما سرد بشيء من التفصيل عن أحداث الحملة الصليبية الرابعة واستيلاء اللاتين على القسطنطينية عام (601 هـ / 1204 م) في الكتابين التاسع والعاشر، وكانت مصدر معلومات نيكيتاس دقيقة، كونه كان شاهد عيان على جزء كبير من الأحداث، أو من أشخاص كانوا شهود عيان⁽²⁾. وكانت الإفادة بالغة من هذا الكتاب، ولا سيما فيما يتعلق بعهد يوحنا كومنين ومانويل كومنين وعلاقاتهم مع الغرب اللاتيني والإمارات الصليبية بالشرق، وسعيهم الحثيث لبسط نفوذهم وسيطرتهم على إمارة أنطاكية، بالإضافة إلى أحداث الحملة الصليبية الرابعة بالتفصيل وعهد ألكسيوس الرابع، والاستيلاء على القسطنطينية وتأسيس حكم لاتيني فيها.

2. Michel psellos ميخائيل باسيللوس:

:Chronoquaphie on Hiistorire d'un siecle de Byzance

ولد باسيللوس في مدينة القسطنطينية عام (409 هـ / 1018 م) وتوفي عام (471 هـ / 1078 م)، يعد واحداً من أشهر المؤرخين البيزنطيين، فقد كان لاهوتياً وفيلسوفاً ومؤرخاً رياضياً وطبيباً ومدرساً للفلسفة في القسطنطينية،

¹ - سيتم التعريف بيوحنا كومنين ومانويل كومنين وأندرونيكوس كومنين وإسحق الثاني أنجيلوس وألكسيوس الثالث أنجيلوس وألكسيوس الرابع ومورزوفلوس لاحقاً.

² - زيتون، عادل (1980م): العلاقات السياسية والكنسية بين الشرق البيزنطي والغرب اللاتيني في العصور الوسطى، دار دمشق، ط1، ص26.

من أهم الوظائف التي تسلمها: وظيفة تعليم أولاد الإمبراطور البيزنطي⁽¹⁾ قسطنطين العاشر دوкас وتربيتهم (451-460هـ/1059-1067م)⁽²⁾، وهو مربي ومعلم للإمبراطور ميخائيل السابع دوкас (464-471هـ/1071-1078م)⁽³⁾ وتكمن أهمية كتاب باسيللوس أنه كان شاهد عيان على الأحداث الذي دونها، وكما كان بحكم وظيفته كمربي ومعلم لأبناء الإمبراطور، قريباً جداً من البلاط الإمبراطوري وقراراته السياسية، مما جعله على علم بالأحداث وتفاصيلها وحقيقتها بشكل مباشر وتمت الإفادة من هذا المصدر في البحث فيما يتعلق بأحوال الإمبراطورية البيزنطية قبيل تسلم ألكسيوس كومنين عرش الإمبراطورية عام (474هـ/1081م).

3. John lydos جون ليدوس: The Roman past ماضي الرومان:

لُقّب بليدوس نسبةً إلى مدينة ليدا -غرب آسيا الصغرى-، حيث ولد هناك عام (490م)، كتب عن حروب جستنيانوس الذي عاصر أحداثها، لا يعد كتاب ليدوس -تاريخ الرومان- كتاباً كنسياً لأنه حوى تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، وحروب جستنيانوس وأعماله السياسية والتوسعية والدينية⁽⁴⁾

كانت الإفادة من هذا الكتاب بما يتعلق بالجانب الديني لسياسة جستنيانوس الأول الكبير I Justenianus وثيودورا Theodora، وعن طرح جستنيانوس لنظرية الفصول الثلاثة.

4. Patrologia Graeca: الباترولوجيا الاغريقية: وهي موسوعة لاهوتية دينية حوت مجموعة من

الرسائل، والمقالات الدينية التي تخص شؤون الكنيسة الأرثوذكسية وطقوسها وتنظيمها، ولها أهمية كبيرة بالنسبة للباحثين المختصين بدراسة العلاقات الكنسية وتطوراتها بين الكنيستين في العصور الوسطى، وتتألف من 166 مجلد، تم نشرها من قبل ج.ب. ميغن. J.p.Migan ما بين عام (1274-1283هـ/ 1857-1866م) في اللغتين اليونانية واللاتينية في باريس⁽⁵⁾، وكانت الإفادة من هذه الموسوعة بالغة في عرض رسائل فوتيوس -بطريرك القسطنطينية- حول طقوس العقيدة المسيحية الصحيحة، وذلك في أثناء الحديث عن قطيعة فوتيوس، كما تم الإفادة

¹ - زيتون. (1980م): العلاقات السياسية والكنسية، ص 29؛ نيكول. (2003م): معجم التراجم البيزنطية، ص 241

² - ورد تعريف للإمبراطور قسطنطين العاشر دوкас و ميخائيل السابع دوкас في الصفحات التالية، ص 43-44

³ - زيتون. (1980م): العلاقات السياسية والكنسية، ص 29؛ نيكول. (2003م): معجم التراجم البيزنطية، ص 241.

⁴ - ورد تعريف لجستانيوس الأول وثيودورا في صفحات التالية، ص 9-10

⁵ - زيتون. (1980م): العلاقات السياسية والكنسية، ص 29.

أيضاً من رسائل ميخائيل كريلولاريوس- بطريرك القسطنطينية في أواسط القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي- في الحديث عن الشقاق الديني العظيم بين الكنيستين الشرقية والغربية عام(446هـ/1054م).

ومن المصادر البيزنطية التي أمدت البحث بمعلومات جزئية وبسيطة جداً حول أهم أعمال بعض الأباطرة والبطاركة البيزنطيين الذين عاصروا أصحاب هذه المصادر ونذكر منها:

1- Georgii cedreni: Compendium historiarum

جورج كيدرنيوس: حولية جورج كيدرنيوس

2- Iohana Malalas: Chronographi

يوحنا مالالاس

3- Iohana Zonarae: Annalium

يوحنا زونارا: الحوليات

4- Nicephri Bryenni: Historiam

نقفور برينوس: التاريخ

5- Nikephoros potriarch of constantinople: short history

نقفور بطريرك القسطنطينية: التاريخ المختصر

6- theophanse: the choronicle of the theophanes

ثيوفانس : حولية ثيوفانس

7- Michael Attaleates : the history

ميخائيل أتايتس: التاريخ

8- theophylact simocatta: the history the theophylact

ثيوفلاكت سموكاتس: تاريخ ثيوفلاكت سموكاتس

9- Mannssis: Sacrorum conciliorum

مانسي: المجامع المقدسة

10- John skylitzes: Asynopsis of Byzantine history

جون سكيلتز: التاريخ البيزنطي

2- مصادر بيزنطية معربة:

أغنت المصادر اليونانية البحث في الكثير من الأحداث الهامة المتعلقة بالدولة البيزنطية، ويأتي في مقدمتها من حسب الأهمية بالنسبة للبحث

1. آنا كومينا Anna commanena: الألكسياد the Alexiad:

آنا هي ابنة الإمبراطور البيزنطي ألكسيوس كومنين (460-512هـ/1081-1118م)، الذي كان على عرش القسطنطينية خلال الحملة الصليبية الأولى، وكان له دور كبير في أحداثها، وبعد موت ألكسيوس كومنين سنة (512هـ/1118م)، حاولت آنا جاهدة دون جدوى لمنع وصول أخيها يوحنا إلى العرش، فلما أخفقت مساعيها، فضلت اعتزال الناس، وفرغت وقتها وجهدها لكتابة كتابها المشهور الألكسياد، الذي دونت فيه مدة حكم أبيها، الذي يعدّ واحداً من أهم كتب الأدب اليوناني. وقد اعتمدت في كتابها على أسلوب مثير وشيق كلاسيكي، مليء بالمعلومات والتفاصيل المهمة والشيقة، تميزت آنا كومينا بثقافتها الواسعة، ولقد انتهت آنا من تأليف كتابها الألكسياد

بعد سنة (543هـ/1148م)⁽¹⁾، ويعد كتابها مصدراً هاماً ومميزاً بالنسبة للتاريخ البيزنطي من جهة، ولتاريخ الحروب الصليبية من جهة أخرى، ورفع بعض المؤرخين كتاب أنا كومنيناً إلى درجة الوثائقية، ولا سيما في الحقبة التي تناولها، ويؤخذ على أنا: إفراطها في مدح والدها، كما تحكمت فيها عاطفتها في شرح بعض الأحداث، وتجاهل بعض الأخطاء⁽²⁾؛ وقد جزأت هذه المؤرخة مؤلفها إلى خمسة عشر كتاباً، وتم الاستفادة من الكتب الثلاثة الأولى في الأحداث التي تخص تسلم ألكسيوس كومنين عرش الإمبراطورية البيزنطية، بما فيها أوضاع الإمبراطورية البيزنطية في بداية القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي، كما تم الاستفادة من الكتاب الرابع والخامس والسادس من الألكسياد في أحداث الحرب النورماندية التوسعية ضد الإمبراطورية البيزنطية، ودعم البابوية لهذه الحروب، بينما الكتاب السابع حتى نهاية الحادي عشر أفاد في تسليط الضوء على الحقائق والوقائع - من وجهة النظر البيزنطية - المتعلقة بعلاقة بيزنطة بالحملات الصليبية الأولى، واستيلاء بوهمند على أنطاكية، وعدم تسليمها للإمبراطور البيزنطي، وسياسة التوسع على حساب بيزنطة التي اتبعها⁽³⁾ بوهمند وتانكريد⁽⁴⁾، أما الكتابان الثاني عشر والثالث عشر، فكانت الإفادة منهما بالغة عن حملة بوهمند ضد الإمبراطورية البيزنطية عام (501-502هـ/1107-1108م)، أما الكتابان الرابع عشر والخامس عشر، أفيد منهما في الحديث عن الجهود والمحاولات التي بذلها الكسيوس في أواخر حياته لإعادة أنطاكية من النورمان.

2. حنا كيناموس john kinnamos: أعمال يوحنا ومانويل كومنينوس:

لا يوجد تاريخ محدد ودقيق لسنة ولادته، أو وفاته، لكنه ولد في بداية العقد الرابع من القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي، كان المرافق الدائم للإمبراطور مانويل كومنين (538-575هـ/1143-1189م)، وعمل كاتباً في القصر الإمبراطوري، وكان شاهد عيان على أغلب حروب مانويل كومنين في آسيا الصغرى وأوروبا، كونه كان برفقته بشكل دائم، ومركزه هذا أعطى معلوماته قيمة كبيرة وأهمية بالغة، فقد كانت وثائق الدولة السياسية والعسكرية هي مصدر معلوماته، تميز كيناموس بالدقة العلمية الفائقة، والصدق في ذكر مصدر معلوماته،

1 - نيكول. (2003م): معجم التراجم البيزنطية، ص 185.

2 - زكار، سهيل. جوني، وفاء. إسماعيل، اكتمال. (2011م): حروب الفرنجة (الصليبية)، جامعة دمشق، دط، ص 20.

3 - زيتون. (1980م): العلاقات السياسية والكنسية، ص 24.

4 - ورد تعريف لبوهمند في صفحة رقم 51 وتعريف لتانكريد في صفحة رقم 86.

فيما إذا كان شاهد عيان على الحدث، أو نقله من أشخاص كانوا شهود عيان. يؤخذ على كيناموس تعصبه الواضح للإمبراطور البيزنطي مانويل كومنين، فقد كان يسوغ له كل الأخطاء والهزائم التي لحقت به، كما كان متحيزاً لبني جلدته- الإغريق- وشعبه عموماً وبلاده خصوصاً؛ وتناول كتاب كيناموس: أعمال الإمبراطور مانويل كومنين، ولهذا أهمية بالغة، لأنه يكمل ما انتهت إليه المؤرخة آنا كومنينا، ويصل بسرده للأحداث حتى أواخر عهد الإمبراطور مانويل⁽¹⁾؛ وقد قسم كيناموس كتابه إلى سبعة كتب: تناول في الكتاب الأول أعمال الإمبراطور يوحنا كومنين، بينما خصص الكتب الستة التالية للحديث عن أعمال الإمبراطور مانويل كومنين، وأوضاع الإمبراطورية في عهده وعلاقته مع الغرب اللاتيني والقوة الإيطالية. وتمت الإفادة منه بشكل كبير وخاصة فيما يتعلق بعلاقة بيزنطة مع الغرب اللاتيني وإيطاليا قبيل الحملة الصليبية الثانية وحتى وفاة مانويل كومنين عام (575هـ/1180م).

3. حوليات تواريخ المورة Chronique de moree:

في الواقع إن كاتب هذه الحولية لا يزال مجهولاً إلى هذا اليوم، هناك عدة آراء حول أصله، فقد اعتقد بعضهم أن كاتب الأصل هو رجل إيطالي، بينما اعتقد آخرون أن الأصل كتب بالفرنسية، وقد تميز الكاتب بتعصبه الأعمى ضد البيزنطيين، وميله وتحيزه لصالح اللاتين والكنيسة الرومانية؛ ويؤخذ عليه أيضاً وقوعه في أخطاء في سرده لأحداث الحملة الصليبية الرابعة؛ على رغم من ذلك فإن المصدر أهمية بالغة، فهو النسخة اليونانية الوحيدة التي نملكها، بصرف النظر عن أصل الكاتب⁽²⁾، ولقد تمت الإفادة من هذا الكتاب بمعلومات عن الحملة الصليبية الرابعة، وشكل الحكم اللاتيني في القسطنطينية، فضلاً عن ذكر المراسلات بين البابا أنوسنت الثالث⁽³⁾ وملك بلغاريا قبيل الحملة الصليبية الرابعة لإخضاع كنيسة بلغاريا لسلطة روما.

واعتمد على عدد من المصادر الإغريقية المختصة بالتاريخ الكنسي ومنها:

¹ - زيتون. (1980م): العلاقات السياسية والكنسية، ص 24-25

² - زيتون. (1980م): العلاقات السياسية والكنسية، ص 26.

³ - ورد تعريف للبابا أنوسنت الثالث في صفحة رقم 232

4. لايفاجريوس Levagrius (536-600م): التاريخ الكنسي:

هو مؤرخ كنسي وقد تعلم دروس الفلسفة والبلاغة، تنتقل ما بين أنطاكية والقسطنطينية، حيث ترقى في عدة وظائف، وإن كتابه التاريخ الكنسي يعد مصدراً هاماً في تاريخ الكنيسة، وقسم المؤرخ كتابه ستة أجزاء، وهو يشمل تواريخ سقراط وسوزومين، ويتناول الأحداث من سنة (431م-حتى سنة 593م)⁽¹⁾، وكانت الإفادة من هذا الكتاب فيما يتعلق بسياسة جستنيانوس الأول الكبير الدينية والمجمع المسكوني الخامس الذي عقد في القسطنطينية عام (573م).

5. سوزومين Sozomen: تاريخ الكنيسة:

ولد عام (400م) في فلسطين، ومات عام (450م)، انتقل إلى القسطنطينية وعمل فيها محامياً، وهناك كتب كتابه _تاريخ الكنيسة_ منذ أيامها الأولى حتى سنة (439م)، وبعد انتهائه من وضع الكتاب قدمه هدية للإمبراطور⁽²⁾ ثيودوسيوس الثاني Theodosius II⁽³⁾، وتكمن أهمية كتاب سوزومين _تاريخ الكنيسة_ كونه يعد مصدراً فريداً لكثير من الأحداث المبكرة الأولى لتاريخ الكنيسة⁽⁴⁾، وكانت الإفادة من هذا الكتاب فيما يتعلق بالخلافات الدينية بين اللاتين والإغريق وأحداث المجمع المسكوني الثالث الذي عقد في مدينة أفسس Ephesus عام (431م).

6. يوسابيوس القيصري Eosubius: تاريخ الكنيسة:

من أقدم المؤرخين البيزنطيين، لقب بلب التاريخ الكنسي، على الرغم من وجود الكثير من المؤرخين الكنسيين الذين أهتموا بتدوين الأحداث الكنسية من قبله، لكن لكتاب يوسابيوس أهمية بالغة، من خلال اقتباسه من

1 - خليفة، أحمد علي عطية (2018م): أحوال الإمبراطورية البيزنطية في ضوء حولية ثيوفانس المعترف، رسالة لنيل درجة الماجستير في تاريخ وحضارة أوروبا بالعصور الوسطى، إشراف إبراهيم خميس إبراهيم، هبة إبراهيم عطية، الإسكندرية، ص20.

2 - نيكول. (2003م): معجم التراجم البيزنطية، ص241

3 - ورد تعريف للإمبراطور ثيودوسيوس الثاني في صفحة رقم 6

4 - نيكول. (2003م): معجم التراجم البيزنطية، ص241

المؤرخين الكنسيين الذين سبقوه، التي ضاعت كتاباتهم ولم يعرف عنها شيء سوى ما اقتبسها يوسابيوس، وهذه الحقيقة وحدها كافية أن تعطي لتاريخ يوسابيوس أهمية بالغة⁽¹⁾، وكانت الإفادة من هذا الكتاب فيما يتعلق عن بداية المسيحية، ومرسوم ميلان عام (324م)، وعن المجمع المسكوني الأول الذي عقد في نيقية عام (345م) وقوانينه.

واعتمد على عدد آخر من المصادر البيزنطية التي أمدت البحث بمعلومات جزئية منها مثلاً:

7. بروكوبيوس Procopius: التاريخ السري the secret: الحروب القوطية:

ولد عام (500م) في مدينة فلسطين، وعمل بروكوبيوس مساعداً للقائد بليزاريوس Belisarius، دون بروكوبيوس عدة كتب أهمها تاريخ الحروب history of the wars، وقد خصص بروكوبيوس كتابين عن الحروب الفارسية، واثنين عن حروب الوندالية، وأربعة عن الحروب القوطية، وتكمن أهمية كتاب بروكوبيوس -الحروب- إلى أنها شاهد عيان على حروب جستنيانوس الكبير، ومعظم المعلومات التي سجلها بروكوبيوس سجلها كشاهد عيان، أو من أشخاص كانوا شهود عيان على الأحداث، كما وضع بروكوبيوس كتاب المنشآت المعمارية، ودون فيه المباني المعمارية التي أنشأها جستنيانوس، أو أعاد ترميمها وبناءها، أما العمل الثالث لبروكوبيوس هو -التاريخ السري- وكتب فيه كل المعلومات التي لم يستطع كتابتها في تاريخ الحروب، وتناول في هذا الكتاب عن أصل جستين الأول Justin I، وفساد إدارة جستنيانوس⁽²⁾، في الحقيقة وضع بروكوبيوس هذا الكتاب لتشويه صورة وسمة ثيودورا على وجه الخصوص، لكنه أساء لنفسه أكثر مما أساء إلى ثيودورا، ولعل ذلك عائد إلى غضب بروكوبيوس من جستنيان وثيودورا بسبب عدم ترقيته بالمناصب الحكومية، فلربما حال نفوذ الإمبراطورة ثيودورا دون تحقيق ذلك. وتم الإفادة من كتب بروكوبيوس الحروب والتاريخ السري فيما يتعلق بحياة جستنيان وثيودورا الدينية.

1 - يوسابيوس القيصري (د.ت): تاريخ الكنيسة، تر: مرقس داود، دط، مقدمة المترجم، ص5
2 - خليفة (2018م): أحوال الإمبراطورية البيزنطية في ضوء حولية ثيوفانس، ص25-26؛ نيكول. (2003م): معجم التراجم البيزنطية، ص201.

ثانياً: المصادر اللاتينية: تعد المصادر اللاتينية من أهم المصادر التاريخية في تنوعها ووفرة معلوماتها التاريخية الغنية بموضوع البحث، وهي قسمان.

1- مصادر لاتينية غير معربة

2- مصادر لاتينية معربة

1- مصادر لاتينية غير معربة:

اعتمد على مصادر لاتينية غير معربة وقد أفادت البحث بشكل كبير ويأتي في مقدمتها من حسب الأهمية بالنسبة للبحث.

1. Oudo of dual أودو أف دويل: تاريخ الأعمال المنحزة فيما وراء البحار:

هو الراهب والمرافق الخاص للملك الفرنسي لويس السابع Louis VII⁽¹⁾، كان من ضمن المشاركين بالحملة الصليبية الثانية التي توجهت إلى الشرق عام (542-544هـ/1147-1149م)، وتكمن أهمية هذا الكتاب من خلال المعلومات الرسمية والوثائقية الموجودة فيه، لكن يؤخذ عليه وجود بعض الثغرات وتجاهل بعض التفاصيل والأحداث⁽²⁾، وكانت الإفادة من هذا الكتاب كبيرة وقيمة جداً، وخاصة فيما يتعلق بوضوح الكره والحقد اللاتيني حيال البيزنطيين، الذي يؤكد أثر الشقاق الديني على تحريض دويل ورجال الدين اللاتين الملك الفرنسي لويس السابع للهجوم على القسطنطينية وقتل أهلها دون تأنيب ضمير.

2. مؤرخ مجهول Anonymous historian: صليبية ريتشارد قلب الأسد

:The crusde of Retshard

¹ - ورد تعريف للويس السابع في صفحة رقم 146

² - زكار، سهيل. (1995م): الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية، دمشق، د.ط، ج7، ص3-4.

يقدم هذا الكتاب معلومات هامة عن صليبية ريتشارد، منذ إبحار أسطوله من الغرب الأوروبي نحو الشرق عام (587هـ/1191م)، وكان المؤرخ المجهول مرافقاً لريتشارد قلب الأسد⁽¹⁾، وشاهد عيان لكل أحداث صليبيته، وخاصة حروبه في قبرص. وكانت الإفادة من هذا الكتاب بالغة، وخاصة فيما يتعلق باحتلال ريتشارد قلب الأسد لجزيرة قبرص التابعة للبيزنطيين، وبيعها لمنظمة الداوية.

2- مصادر لاتينية معربة: يأتي في مقدمتها من حسب الأهمية بالنسبة للبحث

1- المؤرخ المجهول Anonymous historian: أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس:

هو شخص لاتيني رافق بوهمند وكان مع جيشه، ووضع كتابه خلال سنوات التالية (489-493هـ/1095-1099م)، وقد اختلف المؤرخون حول عمله ومكانته الاجتماعية، فبعضهم رأى أنه من أحد الفرسان، وعضو في مجلس النبلاء، وقريب جداً من مصدر القرارات، وآخرون رأوا أنه كان عضواً في المجلس الاستشاري لكبار القادة، وبعضهم رأى أنه رجل دين عادي كان محباً لبوهمند ورافقه وأرخ له، وكان متحيزاً جداً لبوهمند، ويسوغ له كل أفعاله، ويمدحه بشكل كبير، لكن بعد توجه الحملة الصليبية إلى بيت المقدس، ذهب معها وترك أنطاكية وبوهمند، ورافق تانكريد ابن أخت بوهمند وأرخ له حتى سنة (493هـ/1099م)⁽²⁾؛ وقد أفاد البحث بمعلومات قيمة وغزيرة عن خروج الحملة الصليبية الأولى، وطبيعة العلاقات بين بيزنطة وقادة الحملة الصليبية الأولى، وخاصة علاقة بوهمند والإمبراطور البيزنطي ألكسيوس كومنين.

2- فولتشر اف تشارترز Fultcher of chartres: تاريخ الحملة إلى القدس.

شارك فولتشر في الحملة الصليبية الأولى، وسرد أخبارها، وكان شاهد عيان على أحداثها، وأرخ للقائد⁽³⁾ جودفري دوق اللورين Godefrroi⁽⁴⁾، الذي وصل إلى الشرق برفقة أخيه بلدوين قبل حصار انطاكية، توجه مع

¹ - ورد تعريف ريتشارد قلب الأسد في صفحة رقم 223

² - زكار، جوني، إسماعيل. (2011م): حروب الفرنجة، ص20؛ علي، ثورة خطاب. (2002م): موقف بيزنطة من الغزو الصليبي 489-1204-1095-1095م، رسالة نيل درجة الماجستير في التاريخ الاسلامي، أشراف طلب الجنابي، جامعة تكريت، ص26.

³ - زكار. (1995م): الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية، ج6، ص7-8.

⁴ - ورد تعريف جودفري في صفحة رقم 80

بلدوين إلى الرها وأرخ لبلدوين وإمارته الصليبية في مدينة الرها، وعندما أصبح بلدوين ملكاً على القدس رافقه فولتشر في حروبه وأرخ أحداثها، ولعله عمل مستشاراً له، فجاء تاريخه غنياً بالمعلومات الدقيقة والمفصلة، وذلك بسبب وجوده كشاهد عيان على كل الأحداث التي أرخ لها، وقريب من مركز القرارات السياسية، أنقسم كتابه إلى ثلاثة أقسام: بدأ أولها بأخبار البابا⁽¹⁾ أوربان الثاني Urbain II ومجمع كليرمونت Clermont⁽²⁾، وانتهى بموت جودفري في القدس، وتناول الثاني أخبار حكم بلدوين الأول حتى وفاته، أما الثالث فتضمن الأحداث التي حصل في عهد بلدوين الثاني حتى عام (522هـ/1127م)، ولعله تاريخ وفاة المؤلف⁽³⁾، وكانت الإفادة من هذا الكتاب كبيرة جداً، وخاصة فيما يتعلق بأحداث العلاقات ما بين الإمبراطور البيزنطي الكسيوس كومنين وجودفري دوق اللورين وأخيه بلدوين.

3- وليم الصوري Wiliam of Tyre: تاريخ الأعمال المنجزة فيما وراء البحار:

ولد في القدس عام (525هـ/1130م)، على الأغلب أن والديه من اللاتين الذي قدموا من الغرب الأوروبي نحو بيت المقدس، ترعرع في القدس، وكان متقناً لعدة لغات مختلفة، منها اللغة اللاتينية والعربية، واليونانية، والعبرية، والفارسية، ودخل في سلك الرهبنة، وتدرج في وظائفها الكنسية ولاسيما بعد إتمام تخصصه العلمي في فرنسا، أهم الوظائف التي تقلدها: التأريخ لملك بيت المقدس⁽⁴⁾ عموري الأول Amore I⁽⁵⁾ الذي قرر احتلال مصر، ورغب بتأريخ هذا الحدث الهام، بناءً على هذا عين وليم رئيساً لأساقفة صور، وعهد إليه وظيفة التأريخ، ونتج عن ذلك خلق جو من التقارب والمودة بين وليم وبلاط القدس، تقسم موارد كتاب وليم إلى قسمين: قسم اعتمد في جمع معلوماته من عدة مصادر مختلفة بعضها عربية وأغلبها لاتيني، أما معلومات القسم الثاني، فقد كان وليم الصوري شاهد عيان على أحداثها، كما كان مشاركاً لهذه الأحداث أيضاً وبذلك يرقى هذا القسم إلى درجة الوثائقية. إن تاريخ وليم الصوري يعد أكثر مصدر لاتيني كامل أرخ للحروب الصليبية، حتى قبيل حطين، لأنه مات عام

1 - زكار. (1995م): الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية، ج6، ص7-8.

2 -ورد تعريف البابا أوربان الثاني Urbain II ومجمع كليرمونت في صفحة رقم53-60

3 - زكار. (1995م): الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية، ج6، ص7-8.

4 - زكار. (1995م): الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية، ج7، ص3-4..

5 - ورد تعريف عموري الأول في صفحة رقم187

(1185هـ/1185م) ولقب بالمؤسس الغربي لتأريخ للحروب الصليبية لهذا السبب قام الذين أرخوا للأحداث بعد وليم بالتذيل على كتابه⁽¹⁾، وكانت الإفادة من هذا الكتاب كبيرة جداً، وخاصة فيما يتعلق بأحداث الحملة الصليبية الثانية، بالإضافة للعلاقات التي جمعت الإمبراطور البيزنطي مانويل كومنين مع أمراء بيت المقدس، وبالتحديد علاقتهم إبان التجهيز للحملة على مصر وفي أثناء الحملة، كما أفاد البحث بمعلومات عن علاقة بيزنطة مع الإمارات اللاتينية الصليبية في الشرق قبيل الحملة الصليبية الثانية، بالإضافة إلى معلوماته عن أحداث العنف التي قامت بالقسطنطينية ضد اللاتين عام (1182هـ/1182م).

4- أوتو فريزنغ Out freezing: تاريخ أوتو فريزنغ:

هو مؤرخ ألماني، ولد عام (1110هـ/1110م)، ومات عام (1158هـ/1158م)، أي قبل وفاة بربروسا بمدة طويلة، تمتع بمكانة شعبية هامة ومميزة بين الألمان، وينتمي إلى أهم الأسر الإقطاعية الحاكمة في ألمانيا، دخل السلك الكهنوتي منذ صغره، وأكمل تخصصه العلمي في فرنسا، وفي عام (1137هـ/1137م)، تسلم منصب أسقف مدينة فريزنغ، وظل في منصبه حتى وفاته عام (1158هـ/1158م) وقد ساعده على تسلم هذا المنصب النفوذ الكبير التي تملكه أسرته، وتكمن شهرة أوتو في مجال كتابة التاريخ من خلال كتابه (المدينتان) وقد أرخ به للعالم حتى سنة (1146هـ/1146م)، وقسمه إلى ثمانية أقسام، وله كتاب آخر عن حياة فردريك بربروسا، جاء التأريخ لحياة فردريك بسيط بسبب وفاته قبل⁽²⁾ فردريك بربروسا⁽³⁾، وكان أوتو قريباً مع كونراد الثالث، ورافقه في أثناء الحملة الصليبية الثانية، وانعكس إخفاق الحملة الصليبية الثانية على مشاعر أوتو، مما جعله يبتعد عن ذكر وكتابة تفاصيلها وأحداثها، ولا سيما حصارها لدمشق، وأسباب إخفاقها⁽⁴⁾؛ وكانت الإفادة من هذا الكتاب كبيرة، وخاصة عند الإشارة إلى علاقة الإمبراطورية البيزنطية مع الإمبراطور الألماني كونراد الثالث، قبيل الحملة الصليبية الثانية ومشاركة كونراد الثالث بالحملة.

1 - زكار. (1995م): الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية، ج7، ص4-3.

2 - زكار. (1997م): الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية، ج28، ص4.

3 - ورد تعريف فردريك بربروسا في صفحة رقم 195.

4 - زكار. (1997م): الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية، ج28، ص4.

5- تواريخ أسرة بلانتغنت: Plantagenet:

نشر لأول مرة في لندن عام (1416هـ/1995م)، وقام الدكتور سهيل زكار بترجمته ونشره في الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية، ج30، وفي هذا المصدر من معلومات هامة لم ترد في مصدر آخر، وهو يحتوي خلاصة تواريخ أسرة بلانتغنت، التي تشمل عدة شخصيات تاريخية هامة لها، منها فولك الأنجوي ملك بيت المقدس، وهنري الثاني ملك انكلترا، ومن بعده ابنه ريتشارد قلب الأسد، وغطى هذا المصدر بشيء من التفصيل عن أحوال كل من انكلترا وفرنسا قبيل الحملة الصليبية الثالثة، وعن نوع العلاقات التي كانت تجمع بين الأسر الحاكمة والإقطاعية، وأوضحت معلومات هذا المصدر التباين في المستوى الحضاري ما بين الشرق والغرب، كما أوضحت التباين في مستوى تفكير وأهداف ومساعي رجال الدين والكنيسة، ورجال السلطة، وكيف تجاهلوا هذا التباين حين تعلق الأمر بالصليبيات⁽¹⁾، وتمت الإفادة من هذا المصدر بمعلومات هامة عن ريتشارد قلب الأسد، واحتلاله لجزيرة قبرص التابعة للبيزنطيين.

6- جيوفري فيلهاردن Geoffrey villehardouin: الاستيلاء على القسطنطينية:

هو مؤرخ لاتيني ينتمي لعائلة من نبلاء شامبانيا، ولد عام (545هـ/1150م)، وتوفي في عام غير معروف بين (609-615هـ/1212-1218م)، وأرخ بأسلوب جيد، وبنوع من التفصيل والتميز أحداث الحملة الصليبية الرابعة، الذي كان شاهد عيان على أحداثها، ومشاركاً فيها، ودونها يوماً بيوم بشكل واضح وشيق، كان فيلهاردن عندما بدأ بتأليف كتابه عن استيلاء القسطنطينية في عمر الستين في عام (604هـ/1207م)، وأنهى حوليته فجأة لموت صديقه قائد الحملة الصليبية الرابعة بونيفاس مونتفرات⁽²⁾، اسهم فيلهاردن بدورٍ فعالٍ في إعداد الحملة الصليبية الرابعة، وكان من ضمن القادة والبارونات المرسلين إلى البندقية للتفاوض بشأن نقل الصليبيين إلى مصر،

¹ - زكار. (2011م): حروب الفرنجة، ص24.

² - زيتون. (1980م): العلاقات السياسية والكنسية، ص28.

كما كان له دور بارز ومساهم في مجالس القادة⁽¹⁾، ولكتاب فيلهاردين أهمية بالغة، كونه أول مؤلف تاريخي كتب بلغة فرنسية قديمة بشكل دقيق وخال من التزلف، بالإضافة إلى قرب كاتبه من مركز القرارات السياسية، وعلى صلة مباشرة مع قادة الحملة الصليبية الرابعة، وقد تميز فيلهاردين: بالبساطة ووضوح الفكر في عمله وتميزت كتاباته بخلوها من التحليل الشخصي، الذي يغلب عليه الخيال، مثل⁽²⁾ روبرت دي كلاري Robert de clari⁽³⁾ الذي بلغ التفسير والخيال على أحداثه وكتاباته، من سلبيات فيلهاردين: تعصبه الأعمى للغرب اللاتيني، الذي جعله يتجاهل بعض الأحداث والحقائق المعروفة، ومثال ذلك تجاهله تفاصيل الأحداث التي حصلت إبان توجه الصليبيين لاحتلال مدينة زارا Zara، ثم نحو القسطنطينية، بل ذكرها بشكل عابر وسريع⁽⁴⁾، كما أظهر فيلهاردين ميلاً وأعجاباً واضحاً للبنادقة، ولهنري داندلو دوق البندقية. وكانت الإفادة من هذا الكتاب كبيرة، وخاصة فيما يتعلق بالحملة الصليبية الرابعة، والاستيلاء على القسطنطينية، وكيفية تنظيم الإمبراطورية اللاتينية في القسطنطينية.

7- روبرت دي كلاري Robert de clari: سقوط القسطنطينية بيد الصليبيين:

هو جندي عادي، شارك في الحملة الصليبية الرابعة، انضم إلى الجيش الصليبي عام (599هـ/1202م)، ولم يستلم أية مهمة قيادية أو سياسية في الدولة اللاتينية، توفي عام (613هـ/1216م)، وهو آخر تاريخ يختم به مدونته التاريخية، وضع روبرت دي كلاري كتابه عام (602هـ/1205)، وذلك فور عودته إلى بلده، ويعد كتابه وتفاصيله متممة لأحداث فيلهاردين، وكان روبرت دي كلاري شاهد عيان أيضاً على أحداث الحملة الصليبية الرابعة، وعلى بداية الحكم اللاتيني فيها، يؤخذ عليه عدم دقته في تحديد تواريخ أحداثه، كما غلب على أسلوبه البساطة والجهل⁽⁵⁾، وقد تمت الإفادة من هذا الكتاب بشكل كبير، ولا سيما بشأن الحملة الصليبية الرابعة، واحتلال القسطنطينية، والهجوم عليها، ونهبها على يد اللاتين.

¹ - زيتون. (1980م): العلاقات السياسية والكنسية، ص36.

² - زكار. (1995م): الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية، ج10، ص13.

³ - ورد تعريف روبرت دي كلاري في الصفحة المرقمة أبجدياً زز.

⁴ - زكار. (1995م): الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية، ج10، ص13.

⁵ - زيتون. (1980م): العلاقات السياسية والكنسية، ص29.

ثالثاً: المصادر العربية:

تعد المصادر العربية من أهم المصادر الكتابية التي اهتمت بموضوع البحث، وتطرق إلى جوانب متعددة منه، وقدمت تفاصيل هامة لم ترد في المصادر البيزنطية واللاتينية الأساسية؛ وتقسم المصادر العربية إلى عدة مجموعات:

1- كتب المعارف التاريخية

2- كتب التراجم

3- الكتب الجغرافية والرحلات

1- كتب المعارف التاريخية:

أ- الأنطاكي: (يحيى بن سعيد بن يحيى الأنطاكي ت 458هـ/1061م): تاريخ الأنطاكي:

ولد في مدينة الإسكندرية عام (403هـ/1012م)، وقد ألف كتابه المذكور بناءً على طلب من أحد أصدقائه المقربين، وبعد انتقاله إلى أنطاكية أعاد تأليف كتابه من جديد، وعدل عليه بعض الإضافات، حيث أستفاد من مصادر جديدة، وشاهد أحداثاً جديدة بشكل مباشر⁽¹⁾، ويعد كتاب تاريخ الأنطاكي من أهم الكتب التاريخية الذي أرخ فيها بشكل مفصل للقرنين الرابع والخامس الهجريين/ العاشر والحادي عشر الميلاديين، حيث كان الأنطاكي معاصراً للأحداث وشاهد عيان عليها. وكانت الإفادة من هذا الكتاب في الحديث عن أغناطيوس Aghnatus بطريرك القسطنطينية وصراعه مع القيصر براداس Baradas.

ب- أسامة بن منقذ: (مؤيد الدولة أبو المظفر أسامة بن مرشد الكناني ت 584هـ/1188م): الاعتبار:

ولد أسامة بن منقذ عام (488هـ/1095م)، وينتمي إلى أسرة عربية أصيلة، من بني منقذ من كنانة، التي أسست إمارة صغيرة شمالي الشام، اهتم بدراسة النحو والخط والشعر والقرآن، عاصر أسامة بن منقذ حقبة وصول الحملة الصليبية الأولى إلى بلاد الشام، وكان شاهد عيان لكل الأحداث والجرائم التي ارتكبتها

¹ - عبد الله، يسري عبد الغني. (1991م): معجم المؤرخين المسلمين حتى القرن الثاني عشر الهجري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، ص187.

الصلبيون بحق المسلمين، وجرائم الصليبيين في بيت المقدس، والاستيلاء عليها، وتأسيس إمارة صليبية فيها⁽¹⁾، يعد كتابه من أهم الكتب التي أرخت لقدم الحروب الصليبية إلى بلاد الشام، لما حوته من معلومات غنية، بالإضافة لتمييزه بالروح العربية النقية التي لا غُيبَت عند غيره من المؤرخين⁽²⁾، وكانت الإفادة من هذا الكتاب قيمة خاصة عند دراسة قدوم الحملة الصليبية الأولى وتأسيس الإمارات الصليبية في بلاد الشام.

ت- ابن القلانسي (حمزة بن اسد بن علي بن محمد التميمي ت 555هـ/1160م): تاريخ دمشق:

ينتمي ابن القلانسي إلى أسرة دمشقية عريقة، من قبيلة تميم العربية الأصلية اهتم بدراسة الأدب والفقه وأصول الدين⁽³⁾، يعد كتابه_ تاريخ دمشق_ أول كتاب تاريخي نسق ورتب حوادث مدينة دمشق، وغطى كتاب تاريخ دمشق دراسة حقبة تزيد على القرن من الزمن، ابتداءً من عام (441هـ/1049م) وانتهى بوفاته عام (555هـ/1160م)، وتميز ابن القلانسي بدقته في ترتيب الأحداث من الناحية الزمنية، فجاء تاريخه في مقدمة المصادر الأصلية التي أخذ منها المؤرخون الذين أتوا من بعده، مثل ابن الأثير، وأبو شامة⁽⁴⁾، كانت الإفادة من هذا الكتاب عن الحملة الصليبية الأولى والثانية وحصار دمشق، فقد روى ابن القلانسي عن الحملتين الأولى والثانية لأنه عاصرهما، كما تم الإفادة منه أيضاً فيما يتعلق بعلاقة البيزنطيين بالإمارات الصليبية في الشام قبيل الحملة الصليبية الثانية.

ث- ابن الأثير الجزري (أبو الحسن علي ت 630هـ/1232م): الكامل في التاريخ:

هو عز الدين أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري، ولد عام (555هـ/1160م)، توفي في الموصل عام (630هـ/1232م)، تميز بحبه للتاريخ والكتابة التاريخية، كما كان متخصصاً في علم الحديث⁽⁵⁾، فقد وصفه الذهبي بأنه " عالمٌ، وحافظٌ، ومحدثٌ، وأديبٌ"⁽⁶⁾، وأشار ابن خلكان أن ابن

1 - عبد الله. (1991م): معجم المؤرخين المسلمين، ص38.

2 - زكار، جوني، إسماعيل. (2011م): حروب الفرنجة، ص35.

3 - عبد الله. (1991م): معجم المؤرخين المسلمين، ص189.

4 - زكار، جوني، إسماعيل. (2011م): حروب الفرنجة، ص34؛ المنجد، صلاح الدين. (1978م): معجم المؤرخين الدمشقيين وأثارهم

المخطوطة والمطبوعات، دار الكتاب الحديدة، بيروت، د.ط، ص34.

5- الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الزركلي ت 1296هـ/1879م. (د.ت): الأعلام، دار العلم للملايين، ط5، ج1، ص279.

6 - الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ت 748هـ/1347م. (1985م): سير اعلام النبلاء، تح: شعيب الأرناؤوط، دار الرسالة، بيروت، ط3، ج1، ص118.

الأثير " كان حافظاً للتواريخ المتقدمة والمتأخرة"⁽¹⁾، يعد كتاب ابن الأثير الكامل في التاريخ من أهم المصادر التاريخية العربية عن الحروب الصليبية، فقد كان شاهد عيان على الكثير من الأحداث التي دونها بكل صدق ودقة، وقد جمع مادة غنية جداً عن تاريخ الشرق والغرب معاً، وتناول أحداث المقاومة العربية والإسلامية للحركة الصليبية، وتوسعها في منطقة الشام، كما تنبه للأحداث التي تجري خارج منطقة بلاد الشام والعراق⁽²⁾، وتم الإفادة منه بشكل كبير في الحديث عن الحملة الصليبية الأولى والثانية، وحصار دمشق، وعن علاقة البيزنطيين بالإمارات الصليبية في الشام، كما ألقى الضوء على بعض الحوادث الهامة في الدولة البيزنطية، وخاصة فيما يتعلق بسقوطها على يد اللاتين عام (601هـ/1204م).

ج- ابن العديم (كمال الدين عمر بن أحمد ت 660هـ/1192م): زبدة الحلب من تاريخ حلب:

ولد ابن العديم عام (588هـ/1192م)، في مدينة بصرى العراقية، ويعود بنسبه لأسرة بني جرادة، التي انتقلت في القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي إلى حلب بعد انتشار مرض خطير في بصرى، وابن العديم: هو أول مؤرخ يضع كتاباً يؤرخ فيه لمدينة حلب، فقد وضع عدة كتب عن تاريخ حلب منها بغية الطلب في تاريخ حلب وزبدة الحلب من تاريخ حلب⁽³⁾، ويعد كتابه زبدة الحلب من تاريخ حلب تاريخاً شاملاً لبلاد الشام بشكل عام، ولشمالها بشكل خاص، وقد أفاد البحث منه عن معارك الصليبيين في بلاد الشام، وعلاقتهم مع البيزنطيين قبيل الحملة الصليبية الثانية، كما أفاد البحث فيما أورده عن حصار الصليبيين لأنطاكية، وأعمال بوهمند فيها.

1 - ابن خلكان، ابو العباس شمس الدين احمد بن محمد بن ابي بكر بن خلكان ت 681هـ/1282م. (1972م): وفيات الأعيان وأنباء الزمان، تح إحصان عباس، دار الصادر، بيروت، ط1، ج1، ص286.

2 - زكار: حروب الفرنجة، ص34.

3 - الزركلي. (د.ت): الأعلام، ج3، ص79.

ح- أبو شامة (شهاب الدين عبد الرحمن بن اسماعيل بن إبراهيم المقدسي ت 666هـ/1267م): الروضتين

في أخبار الدولتين:

ولد أبو شامة في دمشق عام (599هـ/1203م)، وتوفي فيها عام (666هـ/1267م)، كان له ميل شديد لسماع القرآن والفقه منذ صغره، فقد اعتاد على حضور دورس الفقه التي يرويها ابن عساكر⁽¹⁾، ويعد أبو شامة من مؤرخي القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي المميزين، ويكمن تميزه، في تدوينه كتاب الذيل على الروضتين، فقد كان شاهد عيان لكل الحوادث التي دونها⁽²⁾، وقد أفاد البحث فيما أورده من أحداث عن علاقات البيزنطيين بالمسلمين، وحملة الصليبيين والبيزنطيين المشتركة ضد دمياط. ومواجهة صلاح الدين للصليبيين، وانتصاره في معركة حطين، ومعاهدة أسحق الثاني أنجيلوس مع صلاح الدين. كما أفاد البحث بالوصف الذي قدمه عن دول البنادقة والبيازنة ومطامعهم التجارية.

خ- ابن أبيك الداوداري (أبو بكر بن عبد الله ت بعد 736هـ/ 1432 م): الدرر المطلوب في أخبار بني أيوب.

هو أبو بكر بن عبد الله بن أبيك، المعروف بابن الداوداري: نسبة لوالده الذي كان بخدمة بلبان الرومي الداوداري الظاهري البندقداري. وانتقل أبو بكر مع أبيه إلى دمشق سنة (710هـ/1311م)، وعندما توفي والده عام (713هـ/1314م) فضل التوجه إلى الأدب والكتابة، ووضع كتابه الضخم (كنز الدرر وجامع الغرر) وهو تسعة أجزاء في 27 مجلداً، مصورة في دار الكتب طبع منه مجلدان هما السادس والتاسع الذي فرغ منه مستهل سنة (736هـ/1336م)، ومنه الأول مخطوط (بخطه) في مكتبة أيا صوفية باستانبول أنجزه سنة (732هـ/1332 م)، وفي معهد المخطوطات بالقاهرة جزئين آخران بخطه أيضاً مصوران⁽³⁾. وقد أفاد البحث في الإشارة إلى مسلك البنادقة عقب سقوط القسطنطينية، وكيف سلبوا محتوياتها وتمثيلها وكنوزها وتاجروا فيها في أسواق الشام ومصر.

1 - عاصي، حسين. (د.ت): المؤرخ أبو شامة وكتابه الروضتين في أخبار الدولتين النورية الإصلاحية، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ط، ص11-16.

2 - زكار، جوني، إسماعيل. (2011م): حروب الفرنجة، ص34.

3 - الزركلي. (د.ت): الأعلام، ج2، ص66.

د- النويري(شهاب الدين بن أحمد بن عبد الوهاب النويري ت732هـ/1331م): نهاية الأرب في فنون الأدب:

ولد عام(678هـ/1279م) في مصر، وبعد علم من أعلام الحضارة الإسلامية، فقد تميز بتخصصه بعلم متعددة منها: العلوم اللغوية والشرعية، والعلمية، فقد كان عالماً بكل معنى الكلمة، وضع عدة مؤلفات كان أهمها كتابه نهاية الأرب في فنون الأدب، وعرف مؤلفه بين المؤرخين باسم _تاريخ النويري_، وجمع في هذا الكتاب الضخم مجموعة علوم مثل التاريخ والجغرافية والاقتصاد والأدب وغيرها الكثير، وقد قسم النويري كتابه إلى واحد وثلاثين مجلداً، كل مجلد يقسم إلى جزئين، وامتاز النويري بتقسيم العلوم وتلقيبها بالفنون، فضم كتابه خمسة فنون، وكان التاريخ هو الفن الخامس، واستغرق عشرين عاماً في كتابة هذا المؤلف الضخم⁽¹⁾ وقد أفاد البحث عن معركة ملاذكرد.

ذ- عماد الدين الأصفهاني(محمد بن محمد صفي الدين ابن نفيس الدين عماد الدين الأصفهاني ت597هـ/1201م): الفتح القسي في الفتح القدسي:

ولد في أصفهان عام (509هـ/1125م)، انتقل منها إلى بغداد، وتعلم في المدرسة النظامية، وتسلم عدد من الوظائف أهمها: تسلم ديوان الإنشاء في دمشق زمن نور الدين، وظل يعمل به حتى وفاة نور الدين، وبعد ذلك استخدمه صلاح الدين، فظل مرافقاً له وقريباً منه، وامتاز عماد بغزارة الإنتاج والتدوين، ولا سيما في مجال الأدب والتاريخ، وله عدة مؤلفات من أهمها: كتاب الفتح القسي في الفتح القدسي الذي خصصه لتأريخ فتح القدس، وهزيمة الصليبيين في معركة حطين.⁽²⁾ وتم الإفادة منه في الحديث عن خسارة اللاتين لمملكة بيت المقدس، وانتصار صلاح الدين في معركة حطين عام(583هـ/1187م).

ر- ابن التغري(أبي المحاسن يوسف بن التغري بردي ت874هـ/1469م): النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة:

1 - عبد الله. (1991م): معجم المؤرخين المسلمين، ج3، ص275.
2 - زكار، جوني، إسماعيل. (2011م): حروب الفرنجة، ص35.

ولد في مدينة القاهرة حوالي عام (812هـ/1409م)، ويعدّ من أهم المؤرخين المسلمين في القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي، وعلماً من أعلام المدرسة التاريخية في مصر، وتأثر بعدة مؤرخين معاصرين له، أمثال العلامة تقي الدين المقريزي، وبدر الدين العيني، ومن أهم مؤلفاته: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، وهو كتاب ضخّم، يضمّ ستة عشر جزءاً، غطى فيه تاريخ مصر وأحداثها منذ الفتح الإسلامي عام (20هـ/640م)، وحتى عام (872هـ/1467م)⁽¹⁾ وقد أفاد البحث من الجزء الثاني بما قدمه من معلومات عن أحداث احتلال أنطاكية من قبل الحملة الصليبية الأولى وبوهمند.

2- كتب التراجم

من أبرز كتب التراجم، التي اعتمد عليها البحث للتعريف ببعض الشخصيات الهامة:

أ- ابن خلكان (أبي العباس شمس الدين أحمد بن أبي بكر بن خلكان ت 681هـ/1282م): وفيات الأعيان وأنباء الزمان:

ولد ابن خلكان عام (608هـ/1212م)، في مدينة أربل، وتوفي في مدينة دمشق عام (681هـ/1282م)، ولكتابه وفيات الأعيان أهمية كبيرة، ومكانة بين كتب التراجم العامة وذلك بسبب أسلوبه المتميز والدقيق في سرد المعلومة، كما أمتاز بشهرة كبيرة بين المؤرخين⁽²⁾

ب- الذهبي (شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ت 748هـ/1348م): سيرة أعلام النبلاء:

ولد الذهبي في دمشق عام (673هـ/1274م)، لقب بمؤرخ الإسلام، تميز بتقواه الشديد، والتزامه الديني، اهتم بدراسة الحديث، والسيرة والتاريخ، وامتناز بأسلوبه الناقد، ويعد كتابه سيرة الأعلام من كتب التراجم الهامة التي تم اختصاره من مؤلف ضخّم تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام المعروف بتاريخ الإسلام، والكتاب مرتب على التراجم بحسب الوفيات ابتداء من الصحابة إلى نهاية القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي، وتكمن أهمية الكتاب في أسلوب التدوين الذي اتبعه الذهبي، فهو يتناول صاحب الترجمة بشيء من التفصيل،

1 - عبد الله. (1991م): معجم المؤرخين المسلمين، ج 1، ص 97.

2 - الزركلي. (د.ت): الأعلام، ج 1، ص 220.

ويدون الاسم الكامل مع الكنية والنسب والمكانة العلمية والاجتماعية والمولد والنشأة والوفاة، أي كل التفاصيل التي تخص صاحب الترجمة⁽¹⁾.

ت- **أبن شداد (بهاء الدين يوسف بن رافع ت 632هـ / 1235م):** النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية:

يعد من مؤرخي التراجع، كان مولده بالموصل عام (539هـ/1145م)، تنقل في التعلم ما بين الموصل وبغداد، وتولى التدريس بالموصل العراقية، عام (569هـ/1274م)، وقدم فائدة علمية للكثير من المؤرخين ومحبي التاريخ، وامتاز بشهرة واسعة بين المؤرخين، وترقى بعدة وظائف هامة بالدولة الأيوبية، وكان قريباً من صلاح الدين وأولاده، وكان على اتصال مباشر بالعلماء والفقهاء، وقد شارك في الأحداث التي دونها، وكان شاهد عيان عليها، كتابه النوادر السلطانية ترجمة لصلاح الدين، دونه ابن شداد بأسلوب سهل، وألفاظ محددة، ولم يلجأ إلى التعقيد والتوسع في الشرح⁽²⁾.

3- **الكتب الجغرافية والرحلات:** تبين الكتب الجغرافية الإطار المكاني للمواقع التاريخية التي جرت فيها

الأحداث، ويجدر بكل باحث تاريخي أن يربط الأحداث التاريخية بإطارها الجغرافي العام، ومن هنا تكمن أهمية هذه المصادر، وقد أفاد البحث العديد منها أهمها:

أ- **ابن رسته (أحمد بن عمر بن يعقوب ت بعد 290هـ/903م):** الأعلام النفيسة:

هو عالم جغرافي من أصل فارسي، ولد في مدينة أصفهان، وتوجه إلى الحج عام (290هـ/903م) ووضع مؤلفه الأعلام النفيسة⁽³⁾، ويعد من أهم المصنفات الجغرافية، لاحتوائه على وصف مفصل لمشاهداته لكثير من المدن والبلدان.

ب- **ابن خرداذبة: (عبدالله بن أحمد ت 300هـ/912م):** المسالك والممالك.

مؤرخ فارسي الأصل، ولد في مدينة خراسان، ينتمي لأسرة فارسية زرادشتية، عمل موظفاً في الدولة العباسية، يعد من المؤرخين الجغرافيين، يتمتع بسعة اطلاعه وثقافته، وغناه بالمعارف المتنوعة، التي ساهمت في بناء الحضارة العربية الإسلامية في العصر العباسي، وتكمن أهمية كتابه المسالك والممالك، بوفرة

1 - طائي، الحسين بن سليمان. (1994م): الروض الريان في أسئلة القرآن، مكتبة العلوم والحكم، دم، دبط، ص 435.

2 - عبد الله. (1991م): معجم المؤرخين المسلمين، ص 103-104.

3 - الزركلي. (د.ت): الأعلام، ج 1، ص 185.

المعلومات، فكانت جديدة، ومجهولة من قبل الكثير⁽¹⁾، وقد كانت الإفادة منه في تحديد مواقع بعض الأماكن الجغرافية.

ت- الإصطخري (أبو القاسم إبراهيم بن محمد الإصطخري ت 346هـ/957م): المسالك والممالك:

مؤرخ فارسي الأصل، تنقل بين عدة بلدان ومناطق، مدوناً ما شاهده عن المناطق الجغرافية بشيء من التفصيل، كما تطرق لذكر المكانة الاجتماعية لسكان كل منطقة دون عنها، كما ذكر عادات سكانها وأعمالهم المعتادة⁽²⁾، ولقد أفاد البحث في تحديد بعض الأماكن الواردة في البحث .

ث- ابن حوقل (أبو القاسم إبراهيم النصيبي ت 367هـ/977م): صورة الارض:

يعد من أشهر الرحالة العرب، تنقل ما بين الهند والأندلس وإيطاليا، يعد كتابه من الكتب الجغرافية الهامة لما قدم فيها من تفاصيل دقيقة لمشاهداته عن المكان⁽³⁾، وقد أفاد البحث بمعلومات عن تحديد بعض المواقع الجغرافية

ج- المقدسي (شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد ت 482هـ/1089م): أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم:

المقدسي يعد من أهم وأعظم الجغرافيين العرب، ولد عام (335هـ/946م)، سافر في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، في أنحاء العالم الإسلامي، ودون مشاهداته بشكل وافٍ وكامل لكل منطقة في كتابه أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، وقد جزأ كتابه لجزأين: جزء لشرح أقاليم وأماكن العرب، وجزء لتدوين مشاهداته عن أقاليم العجم، وشرح بالتفصيل عن كل إقليم من حيث: مدنه وأبنيته العامرة، كما شرح عن المناخ، ولغة السكان، ونوعية المهنة، ونوع العملة المتداولة، والعادات والتقاليد السارية في كل إقليم⁽⁴⁾، وقد أفاد البحث في تحديد بعض الأماكن الواردة في البحث.

1 - مصطفى، شاك. (1987م): التاريخ العربي والمؤرخون العرب، دار العلم للملايين، بيروت، ط3، ج2، ص236.

2 - ابن حجر، أحمد بن علي. (1971م): لسان الميزان، مؤسسة الاعلمي، بيروت، ط2، ج4، ص96.

3 - مصطفى. (1987م): التاريخ العربي والمؤرخين العرب، ج2، ص70.

4 - مصطفى. (1987م): التاريخ العربي والمؤرخون العرب، ج2، ص248.

ح- الإدريسي (أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن إدريس الحمد الشريفي الإدريسي ت 560هـ/1164م):

نزهة المشتاق في اختراق الأفاق:

ولد عام (493هـ/1100م)، في المغرب الأقصى، في مدينة سبتة، يعد من مؤسسي علم الجغرافية، وكان لكتابه نزهة المشتاق أهمية بالغة، فقد دون فيه كل مشاهداته ورحلاته وسفراته، ويشرح موقع كل مدينة، وتجارة أهلها، وعملهم وسلعهم التجارية الهامة⁽¹⁾؛ تم الإفادة منه في تحديد بعض المواقع الجغرافية في البحث.

خ- الحموي (أبو عبدالله ياقوت بن عبدالله ت 626هـ/1228م): معجم البلدان:

مؤرخ رومي الأصل، ولد عام (574هـ/1178م)، في صغره وقع في الأسر وتم بيعه لسوق العبيد في مدينة بغداد، واشتراه أحد التجار الأغنياء وهو عسكر الحموي، ويعد كتابه معجم البلدان موسوعة جغرافية تاريخية، رتبها وفقاً لحروف المعجم، وكان مصدر معلوماته مقسوماً إلى قسمين: معلومات دونها مما شاهده من الأماكن، ومعلومات دونها من كتب جغرافية معينة⁽²⁾، وتم الإفادة منه في تحديد معظم المواقع الجغرافية في البحث.

د- بنيامين التظلي (رابي بنيامين بن رابي يولة التظلي ت 569هـ/1173م): رحلة بنيامين:

هو رحالة يهودي، وصل برحلاته للصين، ومر بالبلاد العربية، واهتم في رحلاته في دراسة أحوال اليهود في الأقاليم المختلفة، بدأ بنيامين رحلته في سنة (561هـ/1165م)⁽³⁾.

رابعاً: المصادر السريانية المعربة:

1 - الصفدي، صلاح الدين خليل ابن أبيك الصفدي ت 764هـ/1362م. (1971م): الوافي بالوفيات، تح أبو عبدالله جلال الأسيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ط، ج1، ص248.

2 - ابن حجر. (1971م): لسان الميزان، ج2، ص237.

3 - زيتون. (1980م): العلاقات السياسية والكنسية، ص30.

لقد تميزت الحضارة السريانية بعد ظهور المسيحية بنتاج فكري مسيحي النشأة، كنسي المصدر، وأغنى أبناء هذه الحضارة المكتبة السريانية بكل فروع العلوم أما ما يخص التاريخ فقد أبدع السريان في كتاباتهم للتاريخ العام والخاص وأهم المؤلفات التاريخية السريانية المتعلقة بموضوع البحث.

أ- المؤرخ الرهاوي المجهول: تاريخ متى الرهاوي:

المرجح إنه باسيل مطران الرها، سوري الأصل، دون في كتابه تاريخ متى الرهاوي، أخبار مدينة الرها، وما كان يجاورها خلال النصف الأول من القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي، وهي رواية دقيقة، عاصر فيها الرهاوي الأحداث التي دونها، فقد كان شاهد عيان لبعضها، وقد دون أخبار مدينة الرها حتى استردادها من قبل عماد الدين الزنكي عام (539هـ/1144م)، ووضع وصفاً دقيقاً لزيارة عماد الدين الزنكي لهذه المدينة عام (540هـ/1145م)، واستقبال أهلها له بطريقة شيقة وواضحة⁽¹⁾، وقد أفاد البحث هذا الكتاب بمعلومات قيمة عن الحملة الصليبية الأولى، وتأسيس إمارة الرها، وطبيعة علاقة البيزنطيين مع أمرائها.

ب- ابن العبري (غريغورس أبي فرج جمال الدين ابن العبري ت 685هـ/1286م): تاريخ مختصر الدول:

هو مؤرخ سرياني مسيحي من مسيحي اليعاقبة⁽²⁾، ولد في ملطية - من ولاية ديار بكر - وكان اسمه عند ولادته يوحنا بن هارون بن توما المطلي، أبو الفرج المعروف بابن العبري، هرب مع أبيه إلى أنطاكية عام (632هـ/1234م) بعد هجوم المغول، فتعلم العربية والطب، وعمل بالفلسفة واللاهوت⁽³⁾، وقد جاء تاريخه باللغة السريانية، وقسمه المؤلف لجزئين: تناول الجزء الأول الأحداث العلمانية، وتناول الثاني الأحداث اللاهوتية، وقد قسم الجزء الثاني إلى جزئين أيضاً، كما شرح ابن العبري الظروف السياسية التي طرأت على المنطقة العربية بعد وصول المغول بشكل واضح ودقيق⁽⁴⁾، وقد أفاد البحث من كتابه تاريخ مختصر الدول بمعلومات هامة فيما يخص معركة ملاذكرد، وعن طبيعة العلاقات ما بين البيزنطيين وإمارة الرها، وعن موقعة ضورليوم، وعن حصار أنطاكية.

1 - زكار، جوني، إسماعيل. (2011م): حروب الفرنجة، ص 22.

2 - اليعاقبة: سمووا مسيحي اليعاقبة نسبة إلى المطران يعقوب البرادعي الذي واجه الكنيسة المناهضة لمجمع خلقيدونية من الاندثار، واليعاقبة مناصريين للمونوفزيتية. مركز الرعي للأبحاث والدراسات وتتبع الأزمنة (2005م): السريان نقلة حضارات، مركز الدطاسات والأبحاث الشرقية د.ط، ص 109.

3 - الزركلي. (د.ت): الأعلام، ج 5، ص 117.

4 - زكار، جوني، إسماعيل. (2011م): حروب الفرنجة، ص 23.

خامساً: المصادر القبطية:

1- ساويرس بن المقفع: تاريخ بطاركة الكنيسة المصرية، المجامع:

ولد حوالي (303هـ/915م) من والد لقب بالمقفع، ولعل نشأته كانت في مدينة القاهرة، درس ساويرس عدة علوم الدينية والدنيوية، فدرس الفلسفة في الإسكندرية، وعلوم الكلام، وأهتم بدراسة اللغة العربية وأتقنها، وتسلم عدة وظائف إدارية أيام حكم الأسرة الإخشيدية (323-358هـ/935-969م)، حتى وصل لوظيفة الكاتب الرسمي في البلاط الإخشيدي، من أهم مؤلفات ساويرس، كتاب المجامع الذي وضعه قبيل عام (339هـ/950م)، وهو رد على كتاب _النظم الجوهري_ لسعد بن بطريق الأسقف الملكي، وكان الخلاف كبيراً بين الكنيسة القبطية والملكيين، خصوصاً أن الملكييين كانوا مقربين لدى الفاطميين⁽¹⁾، وقد أفاد البحث من كتاب المجامع بمعلومات هامة عن المجامع الكنسية التي كانت تقام ما بين اللاتين والاعريق لحل المشاكل المذهبية؛ أفاد البحث أيضاً من خلال كتابه تاريخ بطاركة، الكنيسة المصرية في الشرح عن بعض البطاركة بالإضافة إلى معلومات قيمة عن قوانين مجمع نيقية الذي عقد عام 325م.

سادساً: المراجع الأجنبية:

استند البحث على العديد من المؤلفات المكتوبة باللغة الفرنسية والإنكليزية، وكان لها الفضل الكبير في عرض وسرد وتحليل الكثير من القضايا والنظريات المتعلقة بالإمبراطورية البيزنطية، وطبيعة علاقاتها مع اللاتين قبيل الحملات الصليبية، وطبيعة علاقاتها مع القادة الصليبيين خلال الحملات الصليبية الأولى والثانية والثالثة والرابعة، كما قدمت تحليلاً ووصفاً للأحداث المتعلقة بتأسيس الحكم اللاتيني بالقسطنطينية. وأهم المؤلفات التي اهتمت بدراسة التاريخ البيزنطي وتاريخ الحملات الصليبية والتي أفادت البحث هي.

- 1- Conter(norman): The Medieval World .
- 2- Diehl(C): Byzantium Emperor .
- 3- Every (G): The Byzantine Patriarchate.

¹ -خليفة. (2018م): أحوال الإمبراطورية البيزنطية في ضوء حولية ثيوفانس، ص31.

- 4- Lilie(R): Byzantium and the crusader state 1096-1204.
- 5- Longnon(Jean): Le' empire Latin de Constantinople .
- 6- Nicole: The Fourth Crusade .
- 7- Ostrogorsky(Gorge): History of the Byzantine state .
- 8- Phillips(j): The Second Crusade.
- 9- Runciman(S): The Estern Schism .
- 10- Setton(K): A history of the crusades .
- 11- Vasiliev(A): History Of The Byzantine Empire.

الدراسات الحديثة:

لا تقل المراجع العربية الحديثة أهمية عن المصادر الأصلية، ولا سيما أنها تسهل للباحث بعض القضايا الغامضة، التي من الصعب معرفتها من لغة المصدر، إضافة إلى ما تحتويه هذه المراجع من معلومات مأخوذة من مصادر قد لا يتسنى للباحث فرصة الحصول عليها من المصدر مباشرة، وإن المراجع التي تم الاعتماد عليها في هذا البحث كثيرة لا مجال لذكرها جميعاً، إلا أن أبرز المراجع التي اعتمد عليها البحث بشكل كبير هي

1- زيتون(عادل). (1980م): العلاقات السياسية والكنسية بين الشرق البيزنطي والغرب اللاتيني في

العصور الوسطى، دار دمشق، ط1.

2- عبيد (اسحاق تاوخرس). (1970): روما وبيزنطة من قطيعة فوشيوس حتى الغزو اللاتيني لمدينة

فلسطين 869-1204م، دار المعارف، مصر، د.ط.

3- عمران (محمود سعيد). (1981م): السياسة الشرقية للإمبراطورية البيزنطية في عهد مانويل كومنين

1180-1143م، مؤسسة المعارف، د.ط.

4- يوسف (جوزيف نسيم). (1981م): العرب والروم واللاتين في الحروب الصليبية الاولى، دار النهضة

العربية، بيروت، ط3.

وتم الاعتماد على عدة مراجع كنسية، لما لها من أهمية بالغة في البحث، وتم الاستفادة منهم في تسليط الضوء على طبيعة الخلاف المذهبي، وأسبابه بين كنيسة روما وكنيسة القسطنطينية، وقدمت تفاصيل عن المجامع الكنسية ومن أهم هذه المراجع.

- 1- أبرص، عرب (ميشال، انطوان). (1996م): مدخل إلى المجامع المسكونية، د.م، ط1.
- 2- الأنطواني (لوقا). (د.ت): المجامع المسكونية الثلاثة وأبطالها، دار المشرق، بيروت، د.ط.
- 3- سيداروس (فاضل). (د.ت): يسوع المسيح في تقليد الكنيسة، دار المشرق، بيروت، د.ط.
- 4- الخضر (حنايا). (د.ت): تاريخ الفكر المسيحي، تر يوحنا الفاخوري، د.ط.
- 5- المقاري (أثناسيوس). (د.ت): قوانين المجامع المسكونية، دار الحقيقة، د.ط.

الفصل التمهيدي

عندما اعتلى قسطنطين الأول الكبير Constantine I (306-337م) العرش البيزنطي⁽¹⁾، كان قد مضى على انتشار الديانة المسيحية في أنحاء الإمبراطورية البيزنطية ثلاثة قرون تقريباً⁽²⁾؛ وقد سعى بعض الأباطرة للتخلص من هذه الديانة بكل وسائل البطش والقسوة، مثل الإمبراطور دقلديانوس Diocletianus (284-305م)⁽³⁾، والإمبراطور جاليريوس galerus (305-311م)⁽⁴⁾، غير أن الديانة المسيحية حققت انتشاراً ناجحاً وواسعاً على الرغم من كل القسوة والعنف الذي اتبعه الأباطرة الرومان بحقها؛ والذين أدركوا صعوبة القضاء على شعب ومعتقداته الدينية من خلال القسوة التي أثبتت مدى إخفاقها.⁽⁵⁾ ولكن عندما ألم مرض خطير بصحة الإمبراطور جاليريوس عام (311م)، انتهج سياسة جديدة لتصحيح الخلل الذي نتج عن سياسة القسوة والعنف⁽⁶⁾؛ وسمح للمسيحيين بعقد اجتماعاتهم الدينية بحرية دون خوف أو حسابان، مقابل التزامهم التام بالنظام وعدم الإخلال به، واحترام كافة القوانين؛ وقد تطورت الأمور لصالح المسيحيين بشكل أكبر بعد قهر قسطنطين لخصومه في معركة⁽⁷⁾ جسر ملفيان

¹ - قسطنطين الكبير: ولد عام (272م)، ابن كلوروس قسطنطيوس Cholors Constantius الذي كان إمبراطوراً مشاركاً في القسم الغربي حيث تسلم الحكم من (305م) إلى عام (306م)، وبعد موت كلوروس قامت الحامية الرومانية بانتخاب قسطنطين خلفاً لأبيه. قسطنطين بنى مدينة القسطنطينية وجعلها عاصمة روما الجديدة. يوسابيوس القيصري. (د.ت): تاريخ الكنيسة، ص 348؛ عبد الهادي، عبد الباقي السيد. (د.ت): الآريوسية في مصر البيزنطية خلال القرنين الرابع والخامس الميلاديين، دار الأفاق العربية، القاهرة، ط1، ص 101.

² - Vasiliev(A.A). (1971A.D): "History of the Byzantine Empire 324-1453", London ,vol I, pp. 47-48.

³ - دقلديانوس: ولد عام (244م)، تسلم عرش إمبراطورية روما عام (284م)، وقام باضطهاد النصارى منذ بداية عام (286م)، وقتل حوالي 6600 من المسيحيين، وهدم الكنائس المسيحية وكان من أعنف أباطرة الرومان قسوة على من أعتق الديانة المسيحية، وخصوصاً مع مسيحيين أهل مصر. علوش، أحمد. (2002م): السيرة النبوية والدعوة في العهد المكي، مؤسسة الرسالة، ط1، ص 57؛ كواستن، جوهانس. (2017م): علم الأبنائيات، "باترولوجي"، تر: جرجس كامل يوسف، مركز باناريون للتراث الأبائي، ص 441-442؛ مصطفى، محمد (أ. د.ت): خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم، دار الفكر العربي، القاهرة، د.ط، ج2، ص 524؛ مصطفى، محمد (ب. د.ت) زهرة التفاسير، دار الفكر العربي، القاهرة، ج9، ص 493.

⁴ - جاليريوس: ولد عام (250م)، تسلم حكم القسم الشرقي من الإمبراطورية عام (305م)، وأصدر مرسوم عام (311م) يمنع فيه العنف ضد المسيحيين، بعدما كان هو المشجع عليها. يوسابيوس القيصري. (د.ت): تاريخ الكنيسة، ص 314-348؛ الشيخ، محمد مرسى. (1994م): تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ص 15.

⁵ - توفيق، عمر كمال. (1967م): تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، دار المعارف ، د.ط، ص 30-31؛ رستم، أسد. (1958م): الحرب في الكنائس، منشورات الجامعة اللبنانية، قسم الدراسات التاريخية، بيروت، ص 4.

⁶ - عمران، محمود سعيد. (2002م): حضارة الإمبراطورية البيزنطية، جامعة الإسكندرية، مصر، ص 25.

⁷ - يوسابيوس القيصري. (د.ت): تاريخ الكنيسة، ص 414؛ كواستن. (2017م): علم الأبنائيات، ص 437.

(312م) Milvan Bridy⁽¹⁾، حيث أصدر مرسوم ميلان Edict of Milan (313م)، الذي ساعد على إحلال الطمأنينة والهدوء إلى الكنيسة المسيحية، حيث أكد المرسوم في مضمونه: أن الديانة المسيحية مساوية للوثنية، وللفرد حرية اختيار الدين الذي يلائمه⁽²⁾ وفي الواقع لقد اختلف المؤرخون حول الباعث الذي حفز قسطنطين الكبير لاتباع سياسة التسامح الديني مع المسيحيين، هل هو ديني أم سياسي؟ فقد أشار يوسابيوس القيصري: إن قسطنطين انتهج سياسة التسامح مع المسيحيين وذلك نابع من دوافع دينية بحتة، ولاسيما بعدما شاهد قسطنطين إشارة الصليب في السماء عام (312م)، وهو يتأهب لمعركة ملفيان⁽³⁾، "وإن قسطنطين لم يعلن مسيحيته منذ البداية هذا يعود لمشية الله"⁽⁴⁾، بينما يؤكد المؤرخون المعاصرون إن دوافع قسطنطين سياسية واقتصادية، لأن أهدافه في تثبيت سلطته ومركزه، وزيادة قوة إمبراطوريته، تفرض عليه اتباع سياسة معينة يستطيع من خلالها تحقيق أهدافه وغاياته⁽⁵⁾. ومنذ إقرار قسطنطين بوجود الديانة المسيحية، شرعت بذور الصراع العقائدي بين المسيحيين في الجزء الشرقي من الإمبراطورية البيزنطية؛ فقد واجه قسطنطين في بداية القرن الرابع الميلادي عائق من داخل المجتمع المسيحي، وهو ظهور المسألة⁽⁶⁾ الآريوسية⁽⁷⁾، التي أدت لوجود نوع من النزاع العنيف بين المسيحيين في الأقسام الشرقية فرض على السلطات الحاكمة التدخل لفض هذا النزاع⁽⁸⁾؛ والمشكلة الجوهرية في نظرية آريوس Arius، الآب

¹ - ملفان: وهي قرب روما، وحدث فيها معركة بين قسطنطين ومكسيموس Maximus الذي نازعه على العرش، وانتصر فيها قسطنطين عام (312م). أبي البقاء، تقي الدين صالح بن حسين الجعفري الهاشمي ت 668هـ 1270م. (1968م): تخيل من حرف التوراة والإنجيل، تح محمود عبد الرحمن، مكتبة الكعبان، ط1، ج2، ص500؛ يوسابيوس القيصري. (د.ت): تاريخ الكنيسة، ص347.

² - سوزومين. (1890م): التاريخ الكنسي؛ تر: تشتر هارترانفت، تعريب بولاساوس، نقلًا عن NPNF، د.ط، ص117؛ يوسابيوس القيصري. (د.ت): تاريخ الكنيسة، ص404.

³ - سوزومين. (1890م): التاريخ الكنسي، ص106؛ (د.ت): تاريخ الكنيسة، ص465.

⁴ - يوسابيوس: (د.ت) تاريخ الكنيسة، ص13.

⁵ - Vasiliev. (1971A.D): History of the Byzantine Empire, pp.60-61

⁶ - عبد الهادي. (د.ت): الآريوسية في مصر البيزنطية، ص17.

⁷ - الآريوسية: نسبة إلى آريوس Arius، وهو قس مصري، ولد عام (256م) في قورينا ليبيا حالياً، واستمد فلسفته من المدرسة الأنطاكية التي أسسها لوقيان Lucian السوري، ومات عام (336م)، وكانت نظريته في إنكار ألوهية السيد المسيح. القلقشندي، أبي العباس احمد القلقشندي ت 821هـ 1418م. (1915م): صحيح الأعشى، دار الكتب الخديوية، مطبعة الأميرية، القاهرة، ص300؛ خياطة، نهاد. (د.ت): الفرق والمذاهب المسيحية منذ البدايات حتى ظهور الإسلام، دار الأوائل، د.ط، ص81.

Vasiliev. (1971A.D): History of the Byzantine Empire, p.55.

⁸ - العريني، السيد الباز. (2000م): الدولة البيزنطية، دار المعرفة الجامعة، الإسكندرية، ص32-33.

والابن، حيث أكد: استحالة المساواة بين الأبْن والأب في الجوهر⁽¹⁾؛ وكان هدف أريوس من هذه النظرية هو التأكيد على وحدانية الله⁽²⁾. ولقد وقع نزاع شديد بين أريوس ومعارضيه، وكان⁽³⁾ أثاناسيوس Athanasius (296-373م)⁽⁴⁾ على رأس معارضي أريوس، وكان جوهر النزاع هو: الاعتقاد بوجود إله واحد فقط هو الأب، أما الابن فهو مخلوق من العدم بإرادة الأب. ومعنى ذلك استحالة المساواة بين الأبْن والأب في الجوهر؛ ولفض هذا النزاع تدخل الإمبراطور قسطنطين الكبير، وأمر بعقد مجمع عالمي ديني Ecumenical council في⁽⁵⁾ مدينة نيقية Nicea⁽⁶⁾ عام (325م)، وأتى إلى المجمع أكثر من ثلاثين أسقفًا، وقرر الحضور⁽⁷⁾ حرمان أريوس وأتباعه من رحمة الكنيسة؛ وأيد الإمبراطور قرارات مجمع نيقية، كما ألزم أريوس بالإبعاد والنفي⁽⁸⁾، كما أصدر مجمع نيقية جملةً من القوانين تخص الكنيسة المسيحية، وتنظيماتها، وأهم ما ورد في هذه القوانين: أن تتقدم كل من كنيسة

¹ – Ostrogorsky(G).(1998A.D): **History of the Byzantine State**, translated by Joan hussey, Basil plack well, Oxford, p.45.

² – ول ديورانت، ويليام جيمس.(1988م): **قصة الحضارة**، تر: كي محمود وآخرين، دار الجيل، بيروت، لبنان، ج11، ص392.

³ – أبْن المقفع، ساويرس.(1959م): **تاريخ بطارقة الكنيسة المصرية**، القاهرة، ص45-50 .

⁴ – أثاناسيوس: ولد عام(296م)، وهو بطريرك مصري، تسلم بطريركية الإسكندرية بعد اسكندروس، وكانت نظريته هي: مساواة الأب والابن في الجوهر، مات عام(377م). ابن المقفع.(1959م): **تاريخ بطارقة الكنيسة المصرية**، ص45؛ عبد الهادي.(د.ت): **الأريوسية في مصر البيزنطية**، ص120؛ نيكول.(2003م): **معجم التراجم البيزنطية**، ص377.

⁵ – أبي البقاء، بن الحسين الجعفري الهاشمي أبي البقاء تقي الدين صالح ت668هـ/1270م.(د.ت): **بيان الواضح المشهود من فضائح النصارى واليهود**، تح: حمزة العاش، لبنان، بيروت، د.ط، ص126-131؛ بن المقفع(ساويرس).(1983م): **المجامع**، القاهرة، د.ط، ص162-164؛ المسكين، متى.(د.ت): **أثناسيوس الرسولي سيرته ودفاعه عن الإيمان ضد الأريوسيين**، دار القديس، أنبار المقاري، ص446.

⁶ – نيقية : من أعمال إسطنبول على البر الشرقي، وهي مدينة قديمة في آسيا الصغرى، وهي اليوم أزميت وهي المدينة التي اجتمع فيها أباء الملة المسيحية، وكانوا ثلاثمائة وثمانية عشر أباً، وهو أول مجمع ملة، وبه أظهروا الأمانة التي هي أصل دينهم .الحموي، ياقوت بن عبد الله ت626هـ/1228م). (1995م): **معجم البلدان**، دار الصادر، بيروت، ط2، ج5، ص339؛ معلوف، لويس.(1931م): **المنجد في اللغة والأعلام**، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ط7، ج2، ص77.

⁷ – النويري، أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم ت722 هـ/1322م.(د.ت): **نهاية الأرب في فنون الأدب**، دار النشر الوثائقية، القاهرة، ط1، ج15، ص273؛ سوزومين.(1890م): **التاريخ الكنسي**، ص161؛ أبرص، ميشال. عرب، أنطوان.(1996م): **مدخل إلى المجامع المسكونية**، ط1، ص43-45؛ المقاري، أثاناسيوس.(د.ت): **قوانين المجامع المسكونية**، دار الحقيقة، ص33.

⁸ – ابن العبري، أبي فرج جمال الدين يوحنا بن هارون ت685هـ/1286م). (د.ت): **تاريخ مختصر الدول**، تح: أنطوان اليسوعي، دار المشرق، بيروت، ط3، ص136؛ سوزومين.(1890): **التاريخ الكنسي**، ص162؛ الانطوائي، لوقا.(د.ت): **المجامع المسكونية الثلاثة وأبطالها**، دار المشرق، بيروت، د.ط، ص48؛ اليوسف، عبد القادر أحمد.(1966م): **الإمبراطورية البيزنطية**، منشورات المكتبة المصرية، بيروت، د.ط، ص17.

روما، وكنيسة الإسكندرية، وكنيسة أنطاكية على بقية الكنائس⁽¹⁾، ولم يكن لكنيسة القسطنطينية أي ترتيب في هذا المجمع، لأنه لم يتم تأسيسها وبنائها بعد⁽²⁾، ولم يقض مجمع نيقية على وجود وانتشار الآريوسية الذي شاع انتشاره في الجزء الشرقي من الإمبراطورية، بينما شاعت تعاليم أثناسيوس في القسم الغربي، وبعد انعقاد ذلك المجمع الديني المسكوني بعدة سنوات تم تأسيس⁽³⁾ مدينة القسطنطينية Costantonple عام (330م)⁽⁴⁾، وباتت العاصمة الجديدة بدلاً من روما، مما أدى إلى ترقية مكانة أسقفيتها لتتناسب مركز عاصمتها الجديدة⁽⁵⁾.

ولم تكن البدعة الآريوسية المسألة الوحيدة التي أدت لخلل في وحدة الكنيسة الشرقية فقد ظهرت بدع أخرى، في الوقت الذي لم يكن هناك أية مسألة أو أي عائق يؤثر سلباً على وحدة كنيسة روما، مما مكنها من السيطرة وبقوة على الشؤون الدينية في الغرب⁽⁶⁾، لكن في عهد ثيودوسيوس الكبير Theodosius the great (379-395)⁽⁷⁾ ازدادت النزاعات الدينية، مما أدى إلى انتشار الاضطراب، والتوتر، واضطر الإمبراطور ثيودوسيوس الكبير للتدخل للقضاء على الفوضى، وقام بعقد مجمع ديني في القسطنطينية عام (381م)، لحل مسألة

¹ - ابن المقفع. (1559م): تاريخ البطارقة، ص 165؛ الخضر، حنايا. (د.ت): تاريخ الفكر المسيحي، تر. يوحنا منصور وحنا الفاخوري، د.ط، ص 626؛ مظلوم، مكسيموس. (1862م): الكنز الثمين في أخبار القديسين، مطبعة الرسولين اليسوعيين، بيروت، د.ط، مج 2، ص 111.

² - Ware(T). (1964A.D): The Orthodox Church, middlesex. 35.

³ - سوزومين. (1890م): التاريخ الكنسي، ص 276؛ زيتون. (1980م): العلاقات السياسية والكنسية، ص 320.

⁴ - القسطنطينية: مدينة عظيمة يحيطها البحر من الشرق وغربها الصحراء، ويؤخذ منها إلى رومية، فيها عدد كبير من الكنائس والأديرة، واختار لها قسطنطين مستعمرة يونانية قديمة تدعى بيزنطيوم على رأس نائي في البحر، ممتدة نحو عشرة كيلو مترات في ساحل اليوسفور الاوروي. أين رسته، أحمد بن عمر بن يعقوب ت 300/912م (د.ت): الأعلاق النفيسة، دار الصادر، د.ط، ص 119-132؛ شنييه، جان كلود. (2008م): تاريخ بيزنطة، تر: جورج زينان، دار الكتاب الجديد، المتحدة، طرابلس، ص 11.

⁵ - سوزومين. (1890م): التاريخ الكنسي، ص 180؛ أومان. (1953م): الإمبراطورية البيزنطية، تر: مصطفى طه بيك، دار الفكر العربي، د.ط، ص 25؛ الشيخ. (1664م): تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، ص 10؛ العدوي، إبراهيم أحمد. (د.ت): الإمبراطورية البيزنطية والدول الإسلامية، مطبعة لجنة البيان العربي، د.ط، ص 28؛ عمران. (2002م): حضارة الإمبراطورية البيزنطية، ص 26-28.

⁶ - اليوسف. (1966م): الإمبراطورية البيزنطية، ص 20

⁷ - ثيودوسيوس الكبير: هو من أصل أسباني، وبعد أول أباطرة أسرة ثيودوسيوس التي سيطرت على عرش الإمبراطورية البيزنطية من عام (379م) حتى عام (457م)، سعى بأقصى جهده للحفاظ على وحدة الإمبراطورية، تميز بشجاعته وقوته الحربية، قسم الإمبراطورية بين أبنائه أركاديوس Arkadius الذي تسلم الإمبراطورية الشرقية؛ وهونوريوس Honorius الذي تسلم الإمبراطورية الغربية. الشيخ. (1664م): تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، ص 30؛ عبد الهادي. (د.ت): الآريوسية في مصر، ص 106-107.

هرطقة⁽¹⁾ مقدونيوس Macedonius (324-351م)⁽²⁾ وهي إنكار ألوهية روح القدس واقتصرها فقط على الأب والأبن، فحرم مجمع القسطنطينية الديني آراء مقدونيوس ولعنها⁽³⁾، وأهم ما جاء في هذا المجمع المسكوني: إعلان المكانة التي حصلت عليها أسقفية القسطنطينية، وهي بعد مكانة أسقفية روما؛ وهذه المكانة التي تمتعت بها أسقفية القسطنطينية وكنيستها تتناسب مع مكانة العاصمة الجديدة لروما⁽⁴⁾، وقد أثار هذا القرار غضب أسقف روما⁽⁵⁾، البابا دماسيوس الأول Damasius I (366-384م)⁽⁶⁾، وحقده الذي سارع لعقد مجمع محلي في روما عام (382م)، وأنكر فيه وبشدة قرار ترقية أسقف القسطنطينية، كما أوضح أن ترتيب الأسقفيات الأمتل هو ما تم في مجمع نيقية عام (325م)⁽⁷⁾؛ كما أشار على نظرية القديس بطرس التي تؤكد: على المرتبة المتقدمة التي تحظى بها كنيسة روما، ولاسيما أن القديس بطرس المسيح هو مؤسسها، والتي تؤكد بدورها أن خليفة بطرس المسيح، أي البابا هو رئيس أساقفة العالم المسيحي كله.⁽⁸⁾ ومن هنا كانت بداية الخلاف ما بين كنيسة روما وكنيسة القسطنطينية، الذي سيتطور فيما بعد لمرحلة الانشقاق ما بين الكنيستين، والذي سيكون له أثر واضح على طبيعة العلاقات ما بين البيزنطيين والصليبيين إبان احتكاك الطرفين خلال الحروب الصليبية.

-
- 1 - خطابات القديس جيروم. (2018م): تعريب: يوحنا عطا محروس، ترجمها من اللاتينية فرماس، ج1، 1-22، مدرسة الإسكندرية، ط1، ص27-28؛ العربي. (2000م): الدولة البيزنطية، ص41؛ فرح، نعيم. (1992م): الحضارة البيزنطية، منشورات جامعة دمشق، ط6، ص42؛ المقاري. (د.ت): قوانين المجامع المسكونية، ص82.
 - 2 - مقدونيوس: هو أسقف يوناني، بدعته هي: إن روح القدس أقل من الأب والأبن في الجوهر، استطاع السيطرة على إدارة كنيسة القسطنطينية من خلال تحالفه مع أساقفة المنطقة، وتسلم كرسي البطريركية عام (342م)، وأنكر ألوهية روح القدس، وبسببه انعقد المجمع المسكوني في القسطنطينية. عبد القادر، عبدالله. (د.ت): مجمع القسطنطينية 381م، دار الكتاب، ktab.net، ص50؛ فتحي، عبد الفتاح. (2002م): معالم الثقافة الإسلامية في القرنين الأولين من الهجرة، دار الكتب العلمية، ص418.
 - 3 - سوزومين. (1890م): التاريخ الكنسي، ص354.
 - 4 - أبرص، ميشال. (د.ت): المجمع المسكوني الثاني، المكتبة البوليسية، د.ط، ص285؛ إنطواني. (د.ت): الجامع المسكونية، ص38.
 - 5 - زيتون. (1980م): العلاقات السياسية والكنسية، ص321.
 - 6 - دماسيوس: بابا روما رقمه سبعة وثلاثون في الترتيب الكنسي، وتسلم المنصب البابوي بعد أوكسينيوس عام (366م)، وتوفي عام (384م). سوزومين. (1890م): التاريخ الكنسي، ص59؛ أيسوذوروس. (د.ت): البرهان القاطع في الرد على القبطي التابع، د.ط، ktab.net، ص86.
 - 7 - سوزومين. (1890م): التاريخ الكنسي، ص594.
 - 8 - خطابات القديس جيروم. (2018م)، ص170؛ سوزومين. (1890م): التاريخ الكنسي، ص594-595.

شهد القرن الخامس الميلادي أول خلاف مذهبي بين الكنيسة الشرقية الأرثوذكسية والكنيسة الغربية الكاثوليكية، بسبب العلاقة بين الطبيعة البشرية، والطبيعة الإلهية في المسيح، والتي أشعلها⁽¹⁾ نسطوريوس Nasturueus (428-451م)⁽²⁾ وكيريلوس Cyrillus (412-444م)⁽³⁾ وسارع لحل هذا النزاع المذهبي الإمبراطور ثيودوسيوس الثاني Theodosius II (408-450م)⁽⁴⁾ وعُقد المجمع المسكوني الثالث عام (431م)⁽⁵⁾، في مدينة أفسس Ephesus⁽⁶⁾، وخلالها تم الحكم على نسطوريوس بالهرطقة، وعُد النسطورية بدعة، وتم إلغاؤها، وتم عزل نسطوريس عن بطركية القسطنطينية، ونفيه إلى مصر⁽⁷⁾. وفي عام (444م) تسلم بطريركية الإسكندرية ديوسكورس Dioscorus (444-458م)⁽⁸⁾، وكان يؤيده في القسطنطينية الكاهن أوتيكها Otikha (378-454م)، الذي أفرط أكثر من كيريلوس في شرح العلاقة بين الطبيعتين في المسيح، وقد تصدى له بطريرك القسطنطينية

-
- 1 - ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد ت. 808هـ/1406م. (1988م): العبر وديوان المبتدأ والخبر، ضبطه: خليل شحادة مراجعة: سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، ط2، ج2، ص163؛ اليوسف. (1966م): الإمبراطورية البيزنطية، ص26.
 - 2 - نسطوريوس: ولد عام (380م)، وأصبح بطريرك القسطنطينية عام (428م)، وحاول نشر آراء المدرسة الانطاكية التي ينتمي إليها، وهي وجود طبيعتين للسيد المسيح، وقد حرمه مجمع أفسس المسكوني سنة (431م)، ونفي إلى مصر. ابن المقفع. (1981): المجامع، ص171؛ سوزومين. (1890م): التاريخ الكنسي، ص97؛ لايفاجريوس الخلفيدوني. (2017م): التاريخ الكنسي من 431-594م، نعر: بولساويرس، مشروع الكنوز القبطية، د.ط، ص97؛ الحمد، علي بن إبراهيم. (د.ت): التنصير مفهومه وأهدافه ووسائله وسبل مواجهته، ط2، ص52.
 - 3 - كيريلوس: هو البطريرك الرابع والعشرون حسب الترتيب الكنسي، ولد عام (375م)، تسلم بطريركه الإسكندرية من سنة (412م) حتى وفاته عام (444م)، تحمل مسؤولية مواجهة مذهب النساطرة، أدى هذا إلى ظهور مذهب الطبيعة الواحدة "المونوفيزية"، وهو الذي جعل للمسيح طبيعة واحدة وهي الطبيعة الإلهية. سوزومين. (1890م): التاريخ الكنسي، ص843؛ لايفاجريوس. (2017م): التاريخ الكنسي، ص97-100؛ خياطة، نهاد. (د.ت): المذاهب والفرق المسيحية منذ البدايات حتى ظهور الإسلام، دار الأوائل، د.ط، ص93.
 - 4 - ثيودوسيوس: هو ابن الإمبراطور أركاديوس Arkadius، تسلم الحكم بين سنتي (408-450م)، وكان في بداية حكمه متأثراً بأخته بوليكاريا pulcheria، التي كانت مؤيدة لكيريلوس بينما ثيودوسيوس الثاني مؤيد نسطوريوس، وساد في عهده الهدوء والاستقرار، وأنشأ جامعة القسطنطينية. سوزومين. (1890م): التاريخ الكنسي، ص841؛ لايفاجريوس. (2017م): التاريخ الكنسي، ص101؛ عاقل، نبيه. (1967م): الإمبراطورية البيزنطية، منشورات جامعة دمشق، ص47. عبد الهادي: الإريوسية في مصر. (د.ت)، ص130.
 - 5 - المقرئزي، أحمد بن علي المقرئزي تقي الدين أبو العباس ت 845هـ/1442م. (د.ت): تاريخ الأقباط، تح عبد المجيد ذياب، دار الفضيلة، د.ط، ص66؛ لايفاجريوس. (2017م): التاريخ الكنسي، ص102؛ المقاري. (د.ت): قوانين المجامع، ص106.
 - 6 - أفسس: كانت على مسافة سفر ثلاثين يوماً من أنطاكية، وهي في موضع يقال له جنان الورد به الكهف الرقيم. أبين خردذابة، القاسم عبيد بن عبد الله بن خردذابة ت 280هـ/893م. (1889م): المسالك والممالك، دار صادر، أفيت ليدن، بيروت، ص106-107؛ الحموي. (1995م): معجم البلدان، ج3، ص70؛ لايفاجريوس. (2017م): التاريخ الكنسي، ص103.
 - 7 - لايفاجريوس. (2017م): التاريخ الكنسي، ص106؛ رستم، اسد. (1988م)، الروم في سياستهم وحضارتهم وبنهم وثقافتهم وصلاتهم بالعرب، المكتبة البوليسية، لبنان، ص123؛ كساب. (د.ت): مجموع الشرع الكنسي، دار المشرق، بيروت، د.ط، ص70.
 - 8 - ديوسكورس: هو بطريرك الإسكندرية، تسلم البطريركية عام (444م) هو البطريرك الخامس والعشرون حسب الترتيب الكنسي. لايفاجريوس. (2017م): التاريخ الكنسي، ص124؛ عبد الهادي. (د.ت): الآريوسية في مصر، ص122.

وبابا روما، وبدأت النزاعات بين الكنائس⁽¹⁾؛ حاول الإمبراطور ثيودوسيوس الثاني مواجهة هذه النزاعات فأمر بعقد مجمع ديني في مدينة أفسس عام (449م)، وهو مجمع أفسس الثاني، عقد المجمع الجلسة الأولى في (8 آب 449م) وحضره 50 أسقفاً وتم خلاله استعراض وقائع مجمع أفسس الأول عام (431م) وقراءة اعتراف مكتوب لاونتيخا، وبعد الاستماع إلى آراء الحاضرين حكم المجمع بإدانة وعزل بطريرك القسطنطينية وتبرئة أونتيخا وإعادةه إلى رتبته الكهنوتية، وانتهى هذا المجمع بانسحاب وفد البابا وعدد من الأساقفة بعد تعقد المناقشة في مسألة طبيعة السيد المسيح⁽²⁾ بعد إخفاق مجمع أفسس الثاني عام (449م)، طلب بابا روما من الإمبراطور البيزنطي عقد مجمع مسكوني جديد لمعالجة مسألة الطبيعة الواحدة والطبيعتين⁽³⁾؛ وعندها كان القائد العسكري ماركيانوس Markianus (450-457م)⁽⁴⁾، هو الإمبراطور البيزنطي، وبعد موافقة ماركيانوس على اقتراح البابا أمر بعقد مجمع مسكوني عام (451م)⁽⁵⁾ في مدينة خلقيدونية Chalcedonia⁽⁶⁾، وأعلن هذا المجمع إتهام مذهب الطبيعة الواحدة والمذهب النسطوري بالهرطقة، وابتعادها عن العقيدة القويمة⁽⁷⁾؛ وقد سُنّت في هذا المجمع مبادئ العقيدة الأرثوذكسية التي تقر بمذهب الطبيعتين، الذي يؤكد بدوره على امتلاك المسيح لطبيعتين معاً واحدة بشرية، والثانية ألهية، وهاتان الطبيعتان تشكلان صفة واحدة لا تنقسم ولا تتجزأ، ولا تختلط⁽⁸⁾. لكن كانت أهم القرارات التي اتخذت

¹ - العربي. (2000م): الدولة البيزنطية، ص 52؛ المقاري. (د.ت): قوانين المجمع، ص 7.

² - لايفاجريوس. (2017م): التاريخ الكنسي، ص 127؛ العربي. (2000م): الدولة البيزنطية، ص 52؛ المقاري. (د.ت): قوانين المجمع، ص 7.

³ - لايفاجريوس. (2017): التاريخ الكنسي، ص 158؛ رستم، اسد. (1938م): كنيسة مدينة الله أنطاكية العظمة، منشورات المكتبة البوليسية، بيروت، د.ط، ج 2، ص 309-312.

⁴ - ماركيانوس: حكم منذ عام (450م) حتى وفاته عام (457م)، ولد في تراقيا، وهو محارب قوي البأس، شارك في الحروب ضد الفرس، وسجن من قبل الوندال عام (431م)، وثم أطلق سراحه بعدما قسم بعدم هجومه على الوندال. لايفاجريوس. (2017م): التاريخ الكنسي، ص 154-157؛ عيد الهادي. (د.ت): الآريوسية في مصر، ص 110.

⁵ - لايفاجريوس. (2017م): التاريخ الكنسي، ص 158.

⁶ - خلقيدونية: وهي مدينة قديمة في آسيا الصغرى في بithynia، وتتميز بجمال الطبيعة الباهر، وقريبة جداً من البوسفور، وكان الاجتماع في جزء من المنطقة المقدسة للشهيدة أوفيمية وهي مواطنة استشهدت أيام اضطهاد دقلديانوس للمسيحيين. لايفاجريوس. (2017م): التاريخ الكنسي، ص 161؛ معلوف. (1931م): المنجد، ج 2، ص 23.

⁷ - لايفاجريوس. (2017م): التاريخ الكنسي، ص 195-212؛ خياطة. (د.ت): الفرق والمذاهب المسيحية، ص 325. رستم (1938م): كنيسة أنطاكية، ص 319؛ صموئيل، في سي. (د.ت): مجمع خلقيدونية "إعادة فحص"، تر: عماد مورييس، د.ط، ص 98.

⁸ - الألوسي، أبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي ت 1270هـ/1854م. (1917م): روح المعاني في تفسير القرآن العظيم و السبع المثاني، وصحه علي عبد الباري عطيه، دار الكتب العلمية، بيروت، مج 10، ص 514؛ ابن المقفع. (1983م): المجامع، ص 178-179؛ لايفاجريوس. (2017م): التاريخ الكنسي، ص 200-214؛ كمبي، جان. (د.ت): دليل قرأت تاريخ الكنيسة، تر: مجموعة من المختصين باللغة العربية، مكان الترجمة فرنسا، دار المشرق، بيروت، ص 138.

في مجمع خلقيدونية هي: مساواة كنيسة القسطنطينية وبطيريكها مع كنيسة روما وبابواتها في المنزل، والمكانة، مع احتفاظ كنيسة روما بميزة القدم فقط⁽¹⁾. لقي هذا القرار رفضاً قاطعاً واستنكاراً حاداً من سفراء البابا الذين شاركوا في المؤتمر، فنتج عن ذلك نوع من التنافس الشديد بين كنيسة روما وكنيسة القسطنطينية، على المكانة والمنزلة المتقدمة، سيؤدي فيما بعد إلى نزاع وعداء بين كنيسة القسطنطينية الأرثوذكسية وكنيسة روما الكاثوليكية الغربية⁽²⁾، وزاد من حدة هذا الخلاف، إعلان المجمع قراراً بترتيب الأسقفيات الرئيسية، فكانت على الشكل التالي: أسقفية روما البابوية في المرتبة الأولى من حيث الأقدمية فقط، وأسقفية القسطنطينية بطيريكية في المرتبة الثانية بالمقارنة مع قدم كنيسة روما، وفي المرتبة الأولى من حيث المقام والسلطة الإدارية، وجاءت في المرتبة الثالثة أسقفية الإسكندرية البطريركية، بينما بقيت أسقفية أنطاكية البطريركية في المرتبة الرابعة⁽³⁾. وبذلك يكون مجمع خلقيدونية المسكوني الرابع (451م)، انتهى بنتائج جسيمة يعد أخطرها على الإطلاق: التنازع والمنافسة على المكانة والمنزلة بين كنيسة القسطنطينية وكنيسة روما؛ ليؤجج توتر العلاقات بين روما والقسطنطينية⁽⁴⁾، مما سيؤثر سلباً على طبيعة العلاقات السياسية والعسكرية بين البيزنطيين والصليبيين اللاتين فيما بعد.

وفي الحقيقة إنّ البابوية استطاعت إثبات مكانتها، ومنزلتها في أواخر القرن الخامس ميلادي، وخاصة بعد سقوط روما على يد⁽⁵⁾ البرابرة الجرمان عام (476م)⁽⁶⁾، حيث كانت البابوية السلطة الوحيدة التي نجت من الهلاك بعد الهجمات البربرية على الأراضي في الغرب الأوروبي؛ بالإضافة إلى تسلمها مهمة إدارة شؤون المناطق التابعة لها، وبالتالي بات البابا السلطة الوحيدة الموجودة التي تستطيع محاورة الجرمان ومفاوضتهم، والدفاع عن الأقاليم

¹ - أبْن المَقْفَع (1959م): تاريخ بطارية الإسكندرية، ص 178-180؛ لايفاجريوس (2017م): التاريخ الكنسي، ص 215؛ زيتون (1980م): العلاقات السياسية والكنسية، ص 323.

² - مؤرخ مجهول (د.ت): مجمع خلقيدونية يفرق أم بجمع نحو تقارب في المسيحية الأرثوذكسية، تحرير بوليس غريغوريوس، د.ط، ص 112.

³ - أبْن المَقْفَع (1983م): المجامع، ص 70؛ لايفاجريوس (2017م): التاريخ الكنسي، ص 249؛ شينيه (2008م): تاريخ بيزنطة، ص 25؛ كساب (د.ت): مجمع الشرع الكنسي، ص 376. مؤرخ مجهول (د.ت): مجمع خلقيدونية، ص 123.

⁴ - دير القديس العظيم الأنبا أنطونيوس في البرية الشرقية (د.ت): الخرستولوجي بعد مجمع خلقيدونية الرسائل بين القديس ساويرس الإعلامي وسيرجيو النحوي، تر: راهب من دير الأنبا أنطونيوس، تقديم: يسطس، ص 20؛ زيتون (1980م): العلاقات السياسية والكنسية، ص 323.

⁵ - أومان (1953م): الإمبراطورية البيزنطية، ص 51؛ عبيد، إسحاق تاوضروس (1970م): روما وبيزنطة من قطيعة فوتيوس حتى الغزو اللاتيني للمدينة قسطنطين، دار المعارف، مصر، ص 4.

⁶ - البرابرة الجرمان: الجرمان مجموعة من الشعوب والقبائل التي تتحدث اللغة الجرمانية ومن أشهر القبائل الجرمانية القوط الشرقيون والغربيون، الوندال، والسكسونيون، واللومبارد وغيرهم، ولفظ بربري قديم جداً، فقد ورد في الإلياذة اليونانية وكان يدل على الاحتقار والازدراء، ثم تحول هذا اللفظ عند المفكرين اليونان القدماء إلى الشعوب التي لا تفقه اللغة اليونانية. حسين، محمود حمزة. عبد المجيد، لبنى رياض (2015م): تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، ط 1، ص 75-80.

الخاضعة له. وكل ذلك أسهم في منح البابا سلطة روحية، ودينية، وزاد من مكانته ونفوذه، لذلك سعى البابا ليكون الحاكم الديني والدنيوي، وحاول السيطرة على مكانة الإمبراطور البيزنطي، وبذلك يكون هو البابا والإمبراطور الذي يحكم القسم الغربي من الإمبراطورية⁽¹⁾.

وفي القرن السادس الميلادي سعى جستنيانوس الأول الكبير Justinianus I (527-565م)⁽²⁾ جاهداً لبسط السيطرة البيزنطية على الأجزاء الغربية لأوروبا وإفريقيا، فاسترد شمال إفريقيا⁽³⁾ من الوندال⁽⁴⁾، وهاجم إيطاليا وانتصر على مملكة⁽⁵⁾، القوط الشرقيين⁽⁶⁾ وقضى عليهم؛ ترتب على ذلك خضوع كنيسة روما لسيادة جستنيانوس والإمبراطورية البيزنطية⁽⁷⁾. سعى جستنيانوس لتحقيق الوحدة الدينية حسب المذهب الأرثوذكسي⁽⁸⁾ والمونوفزتي⁽⁹⁾، وفي عام (544م) أصدر جستنيانوس قراراً جرم فيه ما يسمى⁽¹⁰⁾ الفصول الثلاثة three chapters⁽¹¹⁾ وهي:

1 - أومان.(1953م): الإمبراطورية البيزنطية، ص51؛ عبيد، إسحاق تاوضروس.(1970م): روما وبيزنطة من قطبيرة فوتيوس حتى الغزو اللاتيني للمدينة قسطنطين، ص4.

2 - جستنيانوس الأول: تسلم الحكم عام(527م)، بعد وفاة خاله جستين الأول Justin I. (518-527م)، وكان عمره 45 عام عند توليه الحكم، تميز بالذكاء، وسعة الاطلاع، والثقافة، وفي عهده ساد ولاء الطاعون. بروكوبيوس.(2001م): التاريخ السري "حياة الإمبراطور جستنيان وثيودورا"، تر: عفاف سيد صبري، عين للدراسات والبحوث الاجتماعية، ط1، ص83؛ بروكوبيوس.(د.ت): تاريخ الحروب "الحروب القوطية"، تر. عفاف سيد صبري، دار الكتاب الجامعي، د.ط، ج1، ص211؛ لايفاجريوس.(2017م): التاريخ الكنسي، ص30.

Georgii(Cedreni).(1838A.D): Compendium Historiurim, cshb, bonnae, vol I,p.87.

عائل.(1967م): الإمبراطورية البيزنطية، ص66.

3 - بروكوبيوس.(د.ت): تاريخ الحروب، ج1، ص135. ج2، ص218-221؛ لايفاجريوس: التاريخ الكنسي، ص307-310.

4 -الوندال: هم إحدى القبائل الجرمانية الشرقية، اقتطعوا أجزاء من الإمبراطورية الرومانية في القرن الخامس الميلادي وأسسوا لهم دولة في شمال أفريقيا مركزها مدينة قرطاج، وضموا إليها جزيرة صقلية والعديد من جزر البحر المتوسط، وفي عام(455م) اقتحم الوندال مدينة روما ودمروها. حسين، محمود حمزة. عبد المجيد، لبنى رياض.(2015م): تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، ص85-86.

5 - بروكوبيوس.(د.ت): تاريخ الحروب، ج1، ص135. ج2، ص218-221؛ لايفاجريوس: التاريخ الكنسي، ص307-310.

6 - القوط الشرقيين: هم قبائل جرمانية شرقية، عاشت في أوروبا، وكان لها تأثيراً في الأحداث السياسية التي حدثت للإمبراطورية الرومانية. عاشور، سعيد عبد الفتاح.(1976م): تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، دار النهضة العربية، بيروت، د.ط، ص93.

7 - بروكوبيوس.(2001م): التاريخ السري، ص101؛ بروكوبيوس.(د.ت) تاريخ الحروب، ج1، ص128؛ لايفاجريوس.(2017م): التاريخ الكنسي، ص310.

Lydus(John).(1992.A.D): The Roman Past, trans. Michael mass, London and new York, p.98.

أبو الجدايل، عائشة سعيد.(1995م): الإمبراطورية البيزنطية في القرن السابع ميلادي، دار المفردات، ط1، ص24.

Diehl(ch).(1934.A.D): Histoire Del Empire Byzantium, Auguste, Picard, editeure, Paris, p.212.

8 - Lydus.(1992.A.D): The Roman past, p.98.

9 - المذهب المونوفزتي: الذي جعل للمسيح طبيعة واحدة وهي الطبيعة الإلهية. خياطة.(د.ت): الفرق والمذاهب المسيحية، ص103-104؛ الشيخ.(1994م): تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، ص36.

10- Lydus.(1992.A.D): The Roman past, p.98.

11 - هي ثلاثة مصنفات لمعلمين أنطاكيين كبار، محابيين لمذهب النساطرة، ومعارضين للمونوفزتيّة. عويص، إيهاب.(د.ت): كهولة قبل البلوغ، د.ط، ص123.

معتقدات دينية، وفلسفات لثلاثة من رجال الدين الذين أيدوا البدعة النسطورية، وقصد جستنيان من وراء ذلك التودد لأصحاب المذهب المونوفزتي، الذين يعارضون أصحاب⁽¹⁾ المذهب النسطوري⁽²⁾ الذي كانت تؤيده زوجة جستنيانوس⁽³⁾ ثيودورا theodora (500-548م)⁽⁴⁾، وفي عام (573م) قام جستنيانوس بالدعوة لعقد مجمع ديني مسكوني في القسطنطينية، وهو المجمع المسكوني الخامس⁽⁵⁾، بمحاولة منه للتوفيق بين الكنائس الشرقية والغربية، والقضاء على أي خلاف يعيق هذا التوفيق⁽⁶⁾، وخاصة مفاهيم الفصول الثلاثة، وبناءً عليه أعلن المجمع المسكوني الخامس قراراً يؤكد فيه على إدانة الفصول الثلاثة وتأثيرها؛ وفي الحقيقة إن كل مساعي جستنيانوس للتوفيق بين الأرثوذكس والكاثوليك باءت بالإخفاق على الرغم من جهوده، وعلى الرغم من قرارات المجمع المسكوني الخامس⁽⁷⁾، وظلت العلاقات بين الأرثوذكس والكاثوليك فيها نوع من الخلاف، والنزاع، حتى زاد التوتر بشكل حاد وجدي في أواخر القرن السادس الميلادي، بسبب مسألة اللقب المسكوني الذي استخدمه بطريرك القسطنطينية، وأغضب⁽⁸⁾ البابا غريغوري الأول Gregory I (590-604م)⁽⁹⁾، الذي فهم أن هذا اللقب الذي أتخذه البطريرك في القسطنطينية

1- Lydus.(1992.A.D): **The Roman Past**, pp. 93-94.

2 - المذهب النسطوري: مذهب مسيحي يجعل للمسيح طبيعتين، إلهية وبشرية، وينفي أي اتحاد بين الطبيعتين، وإنما يؤكد على تواجد صلة بين البشرية والإلهية، بالتالي لا يجوز إطلاق اسم والدة الإله على السيدة مريم العذراء، كما تفعل الكنائس المية الكاثوليكية والأرثوذكسية. لايفاجريوس.(2017م): **التاريخ الكنسي**، ص195-212 ؛ خياطة.(د.ت): **الفرق والمذاهب المسيحية**، ص325. رستم(1938م): **كنيسة أنطاكية**، ص319؛ صموئيل، في سي.(د.ت): **مجمع خلقيدونية "إعادة فحص"**، تر: عماد مورييس، د.ط، ص98

3 - Lydus.(1992.A.D): **The Roman Past**, pp. 93-94.

فرح، نعيم.(د.ت): **تاريخ بيزنطة السياسي**، منشورات جامعة دمشق، ط4، ص204.

4 - ثيودورا : ولدت عام(500م)، كانت راقصة مسرح، والدها رجل قبرصي كان يعمل سائس حيوانات متوحشة ومروصاً للديبة في سيرك القسطنطينية، وتزوجت من جستنيان عام (527م)، ماتت عام (548م).بروكوبيوس.(2001م): **التاريخ السري**، ص95-96؛ الشيخ.(1994م): **تاريخ الإمبراطورية البيزنطية**، ص41.

Cantor(n.f).(1997.A.D): **The Medieval World'300-1300"**, new York ,p.157. Vasiliev.(1971.A.D): **History of the Byzantine empire**, vol I, p.132.

5 - لايفاجريوس.(2017م): **التاريخ الكنسي**، ص330-331.

6 - بروكوبيوس.(2001م): **التاريخ السري**، ص112-113.

7 - المقريري.(د.ت): **تاريخ الأقباط**، ص79.

Lydus.(1992.A.D):**The Roman Past**, pp.93-94.

سيداورس، فاضل.(د.ت): **يسوع المسيح في تقليد الكنيسة**، دار المشرق، بيروت، د.ط، ص111-117.

8- Diehl.(1934.A.D): **Histoire Del Empire Byzantium**,p.212.

9 - غريغوري الأول: ينتمي لأسرة رومانية غنية، ودرس في شبابه قواعد البلاغة اللاتينية، ثم صار راهباً بنديكياً فبذل ثروته الموروثة الطائلة في تأسيس عدد كبير من الأديرة، وتسلم المنصب البابوي عام(590م) حتى وفاته عام(604م)، وسعى بأقصى جهده لدعم الحركة الديرية البندكية في إيطاليا، خاصة والغرب الأوروبي كافة، وبذل تلك الجهود للتبشير بالمسيحية في إنكلترا بين الأنغلوساكسونيين. الزيدي، مفيد.(د.ت): **موسوعة تاريخ أوروبا**، دار أسامة، د.ط، ج1، ص173.

يخوله رئاسة جميع الكنائس المسيحية في العالم، وبالتالي بطريرك القسطنطينية لا ينافس مكانة البابا على الزعامة والصدارة، بل يأخذ مكانته الدينية. في الحقيقة إن الفروق اللغوية بين الإغريق الأرثوذكسي، واللاتين الكاثوليك لها دور كبير في فهم البابا الخاطئ لكلمة مسكوني، وهذه الفوارق تعد من عوامل جذور الخلاف العقائدي بين كنيسة روما وكنيسة القسطنطينية. وقد اعتلى عرش الإمبراطورية البيزنطية في هذه الحقبة الإمبراطور⁽¹⁾ موريس Maurice (582-602م)⁽²⁾، الذي لم يتخذ أي إجراء لتهدة البابا، بينما أصدر الإمبراطور الذي تسلم بعده وهو فوكاس Phocas (602-610م)⁽³⁾ قراراً رسمياً يُمنع فيه على بطريرك القسطنطينية استخدام لقب المسكوني، كما أوضح في هذا القرار مكانة كنيسة روما وبابواتها المتقدمة على جميع الكنائس المسيحية في العالم، فكان قرار الإمبراطور فوكاس بمثابة وثيقة شرعية، وهبة من الإمبراطور البيزنطي لللاتين للتأكيد على تقدم كنيسة روما ومسكونيتها، وبهذا القرار حسم فوكاس الخلاف الكنسي بين بطريرك القسطنطينية وبابا روما⁽⁴⁾

لكن ماهي الدوافع التي جعلت إمبراطوراً طاغيةً وسكيراً مثل فوكاس يحسم خلافاً كنسياً بين بطريرك

القسطنطينية وبابا روما على اللقب المسكوني؟

في الحقيقة لا توجد وثائق تتعلق بذلك مما يعيق البحث والتقصي للإجابة عن هذا التساؤل.

¹ - العربي. (2000م): الدولة البيزنطية، ص108؛ فرح. (د.ت): تاريخ بيزنطة، ص95-98.

² - موريس: تسلم الحكم عام(582م) بعد تباريوس قسطنطين tbarius costantin (578-588م)، وترجع أصول عائلته إلى روما القديمة، وكان مواطناً أربيوس بمقاطعة الكبادوكيين، وكان يتمتع بالدقة والحزم بأدق الأشياء، قام بالعدوان على الأفار والصقالبة وأرسل جيوشه ضدهم، لكن انتصاراته كانت جزئية ومحدودة، كلفته الحروب أموال طائلة، أعدمه وأعدم أولاده الطاغية فوكاس عام (602م).

Simocatta(theophlact). (1988.A.D): The History Of The Theophlact simocatta, translation Michal and Mary whit by ,oxford university, press, oxford new York, pp.54-58- 200.

³ - فوكاس: تحول من ضابط إلى إمبراطور أثناء وجوده على تخوم الدانوب، وساعده العسكر المتمردون على موريس، وذلك عام(602م)، وكان طاغية، حيث أعدم موريس وأولاده، وكان قليل الذكاء، ومتوسط القامة قبيحاً مخيف المنظر، ومدمن على القتل والخمر والنساء، مات في عام(610م) نتيجة اغتياله على يد هرقل الذي تسلم الحكم بعده.

Cedreni(Georgii). (1838.A.D): Compendium Historiarum, cshb, bonnae, vol I, p.707. Simocatta.(1988.A.D): The History of the theophlact simocatta, p.259.

نيكول. (2003م): معجم التراجم البيزنطية، ص127-128.

⁴ - Mansi(J).(n.d): Sacrorum Conciliorun, transltion tomus decimus, XII, p.501.

وفي عهد كونستانس الثاني Constans II (21-48 هـ/641-668م)⁽¹⁾ تأزمت العلاقة بين الإمبراطور البيزنطي والبابوية في روما، وذلك بسبب استنكار البابوات في روما للقرار Tybos الذي أصدره قسطنطين الثاني، والذي تضمن نهى أي حوار أو حديث يتعلق بالقضايا العقائدية تحت طائلة العقوبة، وقابل الإمبراطور كونستانس الثاني استنكار البابوية ومعارضة قراره بكل حزم وشدة فقد قام باعتقال⁽²⁾ البابا مارثن الأول Marthin (28-33 هـ/649-653م)⁽³⁾؛ وفي عهد الإمبراطور قسطنطين الرابع Costanten IV (48-66 هـ/668-685م)⁽⁴⁾، ساد نوع من الود والوفاق بين البيزنطيين والبابوية، ولاسيما عندما دعا قسطنطين الرابع لعقد مجمع ديني مسكوني في القسطنطينية عام (60 هـ/680م)، وهو المجمع المسكوني السادس، وشارك فيه وفد من قبل البابا، والكنائس الغربية، وأهم ما جاء في هذا المجمع التأكيد على فكرة وجود طبيعتين ومشيتين للمسيح⁽⁵⁾، لكن هذا الود والوفاق الذي ساد بين كنيسة روما وكنيسة القسطنطينية بمساعي حقيقية من الإمبراطور قسطنطين الرابع، تبددت وتحول لنزاع عنيف في عهد الإمبراطور لبيزنطي⁽⁶⁾، جستنيان الثاني Justinian II (86-93 هـ/705-711م)⁽⁷⁾، الذي

¹ - كونستانس: هو ابن قسطنطين الثالث Costanten III (612-641م)، وحفيد الإمبراطور هرقل ويعرف باسم قسطنطين صاحب اللحية، وقد حكم من عام (21 هـ/641م) حتى عام (48 هـ/668م). خادم، سعيد. (2010): المسكوكات والإصلاح النقدي في صدر الإسلام، جمعية المسكوكات، العالم العربي، د.ط، ص 104؛ اليوسف. (1966م): الإمبراطورية البيزنطية، ص 93.

² - العريني. (2000م): الدولة البيزنطية، ص 123؛ موسى، ميشال. (د.ت): عندما تموت الأساطير يظهر الحب العام والإسلام العالمي، دار الشرق، القاهرة، ط 1، ص 201؛ اليوسف. (1966م): الإمبراطورية البيزنطية، ص 98.

³ - مارثن الأول: هو البابا الرابع والسبعين حسب الترتيب الكنسي، تسلم المنصب البابوي عام (29 هـ/649م)، نفي عام (33 هـ/653م) حيث نفاه الإمبراطور قسطنطين الثاني إلى فرسون بالقرم، ومات سنة (40 هـ/655م). أبو جداول. (1995م): الإمبراطورية البيزنطية، ص 43؛ عاشور، سعيد عبد الفتاح. (1976م): تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، ص 103؛ عبد العزيز، شعبان. (1998م): الكتب والمكتبات في العصور الوسطى، دار المصرية اللبنانية، د.ط، ص 22؛ هونرمان. د. (2001م): الكنيسة الكاثوليكية في وثائقها، ثر يوحنا منصور وحناء الفاخوري، ط 1، ج 1، ص 173.

⁴ - قسطنطين الرابع: هو ابن قسطنطين الثاني، تسلم الحكم عام (48 هـ/668م) على إثر اغتيال والده، ومات عام (66 هـ/685م)، وكان لحكمه أثر بالغ على السياستين الداخلية والخارجية للإمبراطورية، وفي عهده حاول المسلمون أن يستولوا على القسطنطينية (54 هـ/673م و 59 هـ/678م).

Zonarae(loannis). (1897.A.D): Epitomae Historiarum, libri XIII-XVIII, cshb, bonnae, p.22.

خادم. (2010م): المسكوكات والإصلاحات النقدية، ص 104. ول ديورانت. (1988م): قصة الحضارة، ج 12، ص 155.

⁵ - أرشيف ملتقى أهل الحديث. (2010م): قسم الجوامع والمجلات، ج 42، ص 271؛ <http://www.ahlalhedeeth.com>؛ سيداريوس. (د.ت): يسوع المسيح في تقليد الكنيسة، ص 119؛ العريني. (2000م): الدولة البيزنطية، ص 123.

⁶ - Vasiliev. (1971.A.D): History of the Byzantine empire, vol I, p.225.

⁷ - جستنيان الثاني: تسلم الحكم بعد أبيه قسطنطين الرابع، وكان عمره عند استلامه العرش ستة عشر عاماً، حكم بين سنتي (66 هـ/685م) حتى عام (70 هـ/695م)، ومن بعدها بين سنتي (86 هـ/705م) حتى عام (93 هـ/711م)، ودخل في صراع مع بابا روما سيرجيوس الأول (67-82 هـ/687-701م)، اتسم بسرعة تهوره، والقرارات الطائشة التي يتخذها.

Cedreni. (1838.A.D): Conpchndium p.778. Zonarae. (1897.A.D): Epitomae Historiarum, p.229.

طلب عام (691هـ/72م) عقد مجمع ديني مسكوني في القسطنطينية، وأكدت قرارات هذا المجمع على المساواة بين أسقفية روما وأسقفية القسطنطينية بالمكانة والمنزلة، أي أن تكون كنيسة القسطنطينية مثلها مثل كنيسة روما، متقدمة على كافة كراسي كنائس العالم المسيحي⁽¹⁾، لكن بابا روما سيرجيوس الأول (Sergius I 67-82هـ/687-701م)⁽²⁾، رفض وبكل شدة وحزم قرارات المجمع المسكوني السابع⁽³⁾، ومن الطبيعي أن يستنكر البابا مثل هذا القرار، لأنه القرار الذي يسمح لبطريكه القسطنطينية أن تتافسه وبكل قوة وجرأة على المكانة والصدارة التي تحارب كنيسة روما من أجلها منذ نشأت مدينة القسطنطينية وكنيستها.

وقد واجه الإمبراطور جستنيان الثاني رفض البابا على قراراته بكل قوة وشدة، بالبداية سعى لإجبار البابا على القبول بقرارات المجمع المسكوني من خلال تهديده بالقوة العسكرية، وعندما رفض البابا الخضوع لتهديده، أمر المبعوث البيزنطي بعض القوات العسكرية البيزنطية بالقبض على البابا سيرجيوس واعتقاله، لكن القوات العسكرية رفضت ذلك، ووقفت بوجه المبعوث البيزنطي، هذا يدل على زيادة نفوذ البابا وسلطته في إيطاليا⁽⁴⁾، والجدير بالذكر أن التسامح الديني الذي أظهره المسلمون بعد الفتح العربي الإسلامي لبلاد الشام⁽⁵⁾، وفتح مصر على يد عمر بن العاص في خلافة عمر بن الخطاب (40ق.هـ-23هـ/584-644م) في القرن الأول الهجري /السابع الميلادي⁽⁶⁾، والسماح للمسيحيين بممارسة طقوسهم الدينية بحرية تامة، عاد بالمنفعة على بطريرك كنيسة القسطنطينية، فلم

أسطفيان، نجيب. (2001م): صراعات الكنيسة وسقوط القسطنطينية، دار التكوين، دمشق، ط1، ص89؛ الزبيدي. (د.ت): موسوعة تاريخ أوروبا، ج1، ص198؛ الشيخ. (1994م): تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، ص108؛ عاقل. (د.ت): الإمبراطورية البيزنطية، ص125.

¹ - سياروس. (د.ت): يسوع المسيح في تقليد الكنيسة، ص119.

² - سيرجيوس الأول: ولد عام (30هـ/650م) تسلم المنصب البابوي عام (67هـ/687م) حتى وفاته عام (82هـ/701م)، وهو البابا الرابع والثمانون حسب الترتيب الكنسي، ودخل بنزاع مع جستنيان الثاني. أسطفيان. (2001م): صراعات الكنيسة، ص79-82؛ الزبيدي. (د.ت): موسوعة تاريخ أوروبا، ج1، ص198؛ الشيخ. (1994م): تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، ص107-108؛ هونرمان. (2001م): الكنيسة الكاثوليكية في وثائقها، ج1، ص201.

³ - الشيخ. (1994م): تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، ص107-108.

⁴ - أسطفيان. (2001م): صراعات الكنيسة، ص80؛ الزبيدي. (د.ت): موسوعة تاريخ أوروبا، ج1، ص198؛ الشيخ. (1994م): تاريخ الدولة البيزنطية، ص108.

⁵ - الواقدي، عبد الله محمد بن عمر ابن ولقد الواقدي ت207هـ/823م. (د.ت): فتوح الشام، صححه عبد اللطيف عبد الرحمن، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، ج1، ص22-26؛ البلاذري، أبي الحسن أحمد ابن يحيى بن جابر ت279هـ/892م. (د.ت): فتوح بلدان، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، ص244.

⁶ - ابن عبد الحكم، عبد الرحمن ابن عبد الله ت275هـ/889م. (1971م): فتوح مصر وأخبارها، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، د.ط، ص59؛ المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي ت346هـ/956م. (د.ت): مروج الذهب ومعادن الجوهر، دار الاندلس، بيروت، ط8، ج1، ص380.

يستطع المسيحون، في مصر وبلاد الشام منافسة بطريرك كنيسة القسطنطينية على زعامة العالم المسيحي الشرقي، حتى لو لم يسحب منهم المسلمون ألقابهم التي حصلوا عليها من خلال المجامع المسكونية، بالتالي روما أصبحت عاجزة تماماً على الضغط على القسطنطينية من خلال الإسكندرية، وهكذا انحصر التنافس على المكانة والصدارة بين كنيسة روما، وكنيسة القسطنطينية⁽¹⁾. زادت العلاقات سوءاً بين كنيسة القسطنطينية وكنيسة روما في عهد الإمبراطور ليو الثالث الأيسوري (Leo Isouriano III) (99-123هـ/717-741م)⁽²⁾، بسبب سياسته اللاأيقونية، فقد شغلت الأيقونات⁽³⁾ مكانة كبيرة في العالم المسيحي منذ الاعتراف بالمسيحية في القرن الرابع ميلادي، ولا سيما أن المسيحيين بدؤوا بتزيين كنائسهم بصور السيد المسيح والعذراء والقديسين، واعتقد رجال الدين أن الصور تساعد في توضيح أشياء مبهمه في الإنجيل لمن عجز عن فهمه⁽⁴⁾؛ وبالتالي حصلت الأيقونات والصور والتماثيل على مكانة رفيعة في حياة الكثيرين من المسيحيين لدرجة تقديسها⁽⁵⁾، حتى إن الجنود استخدموها في حروبهم ليظفروا بالنصر، وحماية عاصمتهم القسطنطينية، فقد علقوا على أسوار العاصمة الكثير من الصور والأيقونات لحمايتها من الأعداء⁽⁶⁾، لكن بعد توالي المصائب، والنوازل، على الإمبراطورية بدأ هناك اعتقاد سارٍ بين الكثير من رجال الدين أن تقديس الصور والأيقونات لها دور في ذلك⁽⁷⁾. لذا انتقد الإمبراطور ليو الثالث الأيسوري عبادة الأيقونات وعارضها، وعدّها جزءاً من عبادة الأوثان وأصدر ليو سلسلة من القوانين ضد عبادة الصور⁽⁸⁾. وفي الحقيقة يمكن

¹ - زيتون. (1980م): العلاقات السياسية والكنسية، ص326.

² - ليو: هو ذو المنشأ الأيسوري، لقب بالوحش شكلاً وخلقاً، وتسلم العرش البيزنطي عام (99هـ/717م)، في وقت كان فيه القسطنطينية مهددة من جيوش العرب المسلمين، وأنزل الهزيمة فيهم، وفي عهد ليو كانت علاقة البيزنطيين مع البلغار جيدة، وأهم ما يميز عهده محاربته للأيقونات، وأطلق عليه البعض ليو ذو العقلية الإسلامية ومات عام (123هـ/714م).

Mannssis(Canstantini).(N.D): compendium chronicum pp.127-376 Theophanes.(1982.A.D): the Chronicle of the Theophanes, English translation of annimunch, compy are,p.558. Nikephoros(patriarch of Constantinople).(1990.A.D): Short History, trans Cyril mango, Washington,p.133. Ostrogorsky.(1998.A.D): History of the byzantine state,p239. Vasiliev.(1971.A.D): History of The Byzantine empire, p.236.

³ - الأيقونات: كلمة أيقونة Icon مشتقة من الفعل eiko من اليونانية، ومعناه يماثل الاسم Eikon يعني صورة مقدسة أو رسم، وهو يستعمل للمصطلحات الدينية، ويسمى محطم الصور ايكونوكلاست Iconoclast ومعارضة عبادة الأيقونات تسمى ايكونوكلاسم Iconoclasm. رستم.(1988م): الروم، ص272؛ رستم.(1938م): كنيسة أنطاكية، ج2، ص79-87؛ طرخان، إبراهيم.(1956م): الحركة اللاأيقونية من الدولة البيزنطية، القاهرة، د.ط، ص6؛ عاقل.(1967م): الإمبراطورية البيزنطية، ص147-103.

⁴ - هسي، ج.(1984م): العالم البيزنطي، تر: رأفت عبد الحميد، القاهرة، ط3، ص32.

⁵ - رستم.(1988م): الروم، ص276.

⁶ - كودينوس.(1842م): أثار القسطنطينية، تح عمانوئيل بيكو، د.ط، ص35؛ هسي.(1984م): العالم البيزنطي، ص133.

⁷ - Cedreni.(1838.A.d) Compendium Historiarum, vol I , p. 790.

⁸ - Nikephoros.(1990.A.D): Short History, p.119.

القول إن البداية الحقيقية للشقاق والتنازع بين كنيسة روما الكاثوليكية وكنيسة القسطنطينية الأرثوذكسية، حدثت في عهد الإمبراطور ليو الأيسوري (99-123هـ/717-741م)، فقد كانت سياسته اللايقونية هي الشرارة التي أشعلت حدة التوتر والخلاف بين الطرفين⁽¹⁾؛ ولأسيما بعد عقد الإمبراطور ليو مجلس كنسي عام (102هـ/726م)، حضره عدد من رجال الدين، والأساقفة، وأبرموا عدة قوانين أهمها: تهديم جميع التماثيل والصور الموجودة داخل الكنائس وقوبلت هذه القوانين بالترحيب من قبل كبار رجال الدولة، وفئة من رجال الدين، بينما عارضها معظم علماء اللاهوت والرهبان، كما رفض الناس في الأجزاء الغربية من الإمبراطورية الامتثال لهذه القوانين⁽²⁾، وحينها كان بابا روما غريغوري الثاني Gregory II (97-113هـ/731-715م)⁽³⁾ الذي أعلن رفضه لقرار ليو، وفي الحقيقة كانت بداية الخلاف بين الكنيستين في عهد البابا غريغوري الثاني، الذي استتكر قرارات الإمبراطور ليو وسياسته، لكن دون أن يأخذ موقف مواجهة عنيف ضد الإمبراطور، وهذا بسبب حاجته الملحة إلى حماية الإمبراطور البيزنطي من الخطر اللومباردي ودعمه ويبدو أن ذلك التحفظ من قبل البابا غريغوري الثاني شجع ليو الأيسوري على أن يعطي قدماً لسياسته الدينية ولو أدى الأمر إلى استخدام القوة لتحقيق أهدافه⁽⁴⁾، وفي عام (112هـ/730م)، أعلن ليو الأيسوري بشكل رسمي أوامره بتحطيم الصور والأيقونات والتماثيل، وتطهير الكنائس منها⁽⁵⁾، وعندها كان قد تسلم المنصب البابوي، البابا غريغوري الثالث Gregorius III (113-124هـ/731-741م)⁽⁶⁾، الذي أعلن

¹ - أومان. (1953م): الإمبراطورية البيزنطية، ص152؛ رستم. (1958م): حرب الكنائس، ص23-24.

² - الشيخ. (1994م): تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، ص118-126؛ العريني. (2000م): الدولة البيزنطية، ص201؛ طرخان. (1956م): الحركة اللايقونية، ص40.

³ - غريغوري الثاني: تسلم المنصب البابوي عام (97هـ/715م) حتى عام (113هـ/731م)، وأصلح جوانب من حياة الكنيسة، وشجع الرهبانيات، وعزز الحركة الرامية إلى تنصير ألمانيا وأدان الإمبراطور البيزنطي ليو الثالث الأيسوري عندما أمر بتحطيم الصور والتماثيل المقدسة. بايتي، عزيزة فوال. (1971م): موسوعة الأعلام "العرب والمسلمين والعالمين"، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ط، ج3، ص166.

⁴ - الشيخ. (1994م): تاريخ الإمبراطورية، ص118-126؛ العريني. (2000م): الدولة البيزنطية، ص201؛ عوض، محمد مؤنس. (2007م): الإمبراطورية البيزنطية دراسة تاريخية في الأسر الحاكمة، عين للدراسات والبحوث، ط1، ص218-221؛ فرج، وسام عبد العزيز. (د.ت): دراسات في تاريخ وحضارة الإمبراطورية البيزنطية من 324-1025، د.ط، د.ت، ص171-174.

⁵ - Mansi.(N.D) : Sacrorum Conciliorum, p.960 . Nikephoros.(1990.A.D): Short History, p.130.

⁶ - غريغوري الثالث: ولد في سوريا، وتسلم المنصب البابوي بعد بابا غريغوري الثاني عام (114هـ/731م) حتى عام (124هـ/741م)، دخل في نزاع مع الإمبراطور البيزنطي ليو الثالث الأيسوري، بسبب السياسة اللايقونية التي اتبعها الإمبراطور البيزنطي، كما راسل الإمبراطور ليو بطريقة خشنة خالية من الود، بسبب قراره بتحطيم الأيقونات .

Mansi.(N.D): Sacrorum Conciliorum, p.961. Nikephoros.(1990.A.D): short history., p.133.

الشيخ. (1994م): تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، ص126-128؛ العريني. (2000م): تاريخ الدولة البيزنطية، ص201.

معارضته لسياسة ليو الثالث الأيسوري الدينية وسارع وجمع رجال الدين واتباعه المخلصين، وعقد مجمعاً دينياً محلياً في مدينة روما عام (114هـ/732م)، أعرب فيه عن رفضه القاطع لسياسة الإمبراطور البيزنطي، ليو الأيسوري، وقراره بتحطيم الصور، والأيقونات، وأصدر قراراً رسمياً بمقاطعة الإمبراطور البيزنطي، وحرمانه من رحمة الكنيسة، وهنا كانت مواجهة قوية من بابا روما غريغوري الثالث وبذلك انهارت فكرة الوحدة التي تمسكت بها الإمبراطورية البيزنطية والبابوية⁽¹⁾

ويتضح مما سلف: إن قرار بابا روما غريغوري الثالث بحرمان الإمبراطور من رحمة الكنيسة، هي البداية الحقيقية لتوتر العلاقات وتدهورها بين الكنستين وتطورت المسألة من مسألة دينية إلى نزاع سياسي. وكان رد الإمبراطور البيزنطي سريعاً فقد أمر قواته البحرية في إيطاليا بحرمان البابوية من نفوذهم وسلطتهم عن الكنائس المسيحية في⁽²⁾ صقلية Sicila⁽³⁾ وكالابريا Galapria⁽⁴⁾ وإليريا Illyria⁽⁵⁾، ومنح حق السيطرة على الكنائس وإدارة شؤونها لكنيسة القسطنطينية فقط، وبالتالي خسرت كنيسة روما مكانتها، وسلطتها الدينية في بيزنطة⁽⁶⁾. وفي عهد الإمبراطورة إيرين Irene (181-188هـ/797-803م)⁽⁷⁾، التي كانت وصية عن ابنها قسطنطين السادس

¹ - Mansi.(N.D): Sacrorum Conciliorum, p.962.

² - فرح.(د.ت): تاريخ بيزنطة، ص158؛ مؤرخ مجهول.(1778م): تاريخ الكنيسة المفصل، تعريب أنطوان عزاز وصححه حموي اليسوعي، دار الشرق، د.ط، ج1، ص237.

³ - صقلية: هي من الجزر الموجودة في بحر المغرب مقابل إفريقيا، وهي مثلث الشكل، وبين كل زاوية وأخرى مسيرة سبعة أيام تقريباً، وصقلية مدينة في البر الشمالي الشرقي الذي عليه مدينة القسطنطينية، وهي جزيرة خصبة كثيرة البلدان والقرى، وفي وسطها جبل قصر، وهو أعجوبة من عجائب الدهر. الحموي.(1995م): معجم البلدان، ج7، ص416-419؛ النويري.(د.ت): نهاية الأرب، ج1، ص224.

⁴ - كالابريا: هي في الجزء الجنوبي الغربي من إيطاليا ويعرفها العرب باسم قلوريا، وهي مجاورة لجزيرة صقلية. ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم عز الدين ابن الأثير ت630هـ/1232م.(1997م): الكامل في التاريخ، تح عمر عبد السلام التدمري، دار الكتابة العربي، بيروت، ط1، ج7، ص70؛ ابن كثير، اسماعيل بن عمر الدمشقي 774/1373م.(د.ت): البدء والنهاية، د.ط، ج2، ص250.

⁵ - إليريا: شمال إبيروس على ساحل البحر الإدياتيكي، وكانت قليلة السكان، وأهلها من الرعاة ويبيعون الماشية والعييد بملح الطعام. الندوي، علي.(د.ت): السيرة النبوية لأبو الحسن الندوي، دار ابن كثير، دمشق، ج2، ط1، ص414.

⁶ - Ostrogorsky.(1998.A.D): History of the Byzantine State, p.143. Vasiliev.(1971.A.D): History of the Byzantine Empire, p.253.

⁷ - إيرين: أول إمبراطورة تتولى عرش الإمبراطورية البيزنطية عام(181هـ/797م)، ويتميز حكمها بسياستها الأيقونية، وكانت تنزع في طبيعتها إلى الاستلاء على السلطة والانفراد بالحكم، وتعود بأصلها إلى أثينا، وجاءت إلى القسطنطينية وتزوجت ليو الرابع، وبعد موته أصبحت وصية على ابنها قسطنطين السادس، وتم خلعها على يد نقفور بطريرك القسطنطينية عام(188هـ/803م).

Manassis.(N.D): Compendium Chronicum, p.227. Nikephors.(1990.A.D): Short History, p.143. theophanes.(1982.A.d): the choronicle of theophanes, p.140.

نيكول.(2003م): معجم التراجم البيزنطية، ص85.

Costantin VII (164-181هـ/780-797م)⁽¹⁾، الذي كان في العاشرة من عمره، فدفعها شغفها بالسلطة والعرش لتتحية ابنها عن العرش وسمل عينيه⁽²⁾؛ كانت إيرين تدعم تقديس الصور، والأيقونات، فسعت بأقصى جهدها لإعادة حرية تقديسها وعملت على ترتيب الوظائف الكنسية ووضعت فيها من اشتهروا بحبهم لعبادة الصور⁽³⁾، ودعت لعقد مجمع كنسي ديني لإقرار سياستها الدينية الجديدة ولإعادة عبادة الصور وتم انعقاد هذا المجمع عام (170هـ/786م)، في مدينة نيقية تؤكد فيه على تأييدها لسياسة الأيقونات، وأصدرت قرارات تؤكد على بقاء الصور والأيقونات على مبدأ احترامها وتقديسها وأعلن المجتمعون إن عبادة الصور تتفق مع الكتاب المقدس وكل من خالف ذلك تقاطعه، لكن حصل تمرد من بعض الجنود، وبتحريض من الأساقفة اللاأيقونية ضد إيرين، وحاولوا تهديد رجال الدين وبطريك القسطنطينية، استطاعت إيرين إخماد التمرد، لكن دون وصول إلى نتيجة إيجابية بخصوص سياستها الأيقونية⁽⁴⁾، والتي أصرت على تدعيمها، لذلك سارعت في عام (171هـ/787م) لتعقد المجمع المسكوني السابع من جديد، وشارك فيه عدد كبير من الأساقفة والرهبان، وأعلن المجمع قراراته بالعودة إلى تقديس الأيقونات، والسجود لها، وتقبيلها⁽⁵⁾، ونتج عن هذا المجمع تحسن طفيف بالعلاقات، بين القسطنطينية والبابوية؛ في الحقيقة إن البابوية لم تحقق مصالحها من هذا المجمع، ولا سيما أنه لم يتطرق أبداً لمسألة حقوق البابوية في جنوب إيطاليا، التي سلف وأن سلبها الإمبراطور ليو الأيسوري عام (114هـ/732م)⁽⁶⁾.

¹ - قسطنطين السادس: هو ابن الإمبراطور ليو الرابع leo IV (158-164هـ/775-780م) وإيرين، وعندما مات ليو الرابع كانت إيرين وصية على أبنها قسطنطين السادس ذي العشرة أعوام، أما في ساحة الحرب فقد هزمه العرب والبلغار على الرغم من أنه استطاع إخماد فتنة أضرمها بعض قواده العسكريين.

Nikephors.(1990.A.D): **Short history**. P.43. Theophanes.(1982.A.D):**The Chronicle of the theophanes**, p.140.

نيكول.(2003م): **معجم التراجم البيزنطية**، ص135.

² - Nikephors.(1990.A.D): **Short History**, p.143. Theophanes.(1982.A.D): **the Chronicle of the theophanes**, p.140.

ديفز، ك.(د.ت): **شارلمان**، تر. السيد الباز العريني، مكتبة النهضة المصرية، د.ط، ص172.

³ - أومان.(1953م): **الإمبراطورية البيزنطية**، ص157؛ عاشور.(1976م): **أوروبا في العصور الوسطى**، ص117.

⁴ - Theophanes.(1982.A.D): **The Chronicle of the theophanes**, p.146.

⁵ - Nikephores.(1990.A.D): **Short History**, p.42. Theophanes.(1982.A.D): **The Chronicle of theophanes**, p.147.

عمران.(2002م): **الإمبراطورية البيزنطية وحضارتها**، ص198؛ كساب.(د.ت): **مجموع الشرع الكنسي**، ص800.

⁶ - Ostrogorsky.(1998.A.D): **History of the Byzantine State**, p.165.

وهنا يتضح مما سلف: أن العوامل الاقتصادية والسياسية كان لها دور في تأجيج التوتر والنزاع العقائدي بين الكنيستين⁽¹⁾. استمرت العلاقات بين البابوية والإمبراطورية البيزنطية ينتابها البرود، حتى قام البابا ليو الثالث Leo III (179-201/795-861م)⁽²⁾ بإشعال نار النزاع والكره مع الإمبراطورية البيزنطية وكنيستها، عندما منح شارلمان Sharlman (151-198/768-813م)⁽³⁾ التاج الإمبراطوري، أي أصبح إمبراطور روما بشرعية ممنوحة من البابوية، متجاهلاً تماماً شرعية وجود أباطرة بيزنطيين يحكمون الإمبراطورية البيزنطية، وسعى شارلمان للتقرب من الإمبراطورية البيزنطية بقصد السيطرة على حكم الشرق والغرب معاً، وأرسل سفراءه إلى الإمبراطورة إيرين ليعرضوا عليها الزواج، وبذلك يحقق غايته المنشودة بتوحيد الشرق والغرب تحت سيطرته، لكن مساعيه باءت بالإخفاق، بسبب تمرد⁽⁴⁾ البطريرك نفقور Nikephores (188-196/802-811م)⁽⁵⁾، واستنكر الأباطرة البيزنطيون وبشدة فكرة وجود إمبراطور لروما غير الأباطرة البيزنطيين، وحملوا المسؤولية كاملة على كاهل البابا الذي عدّوه متمرداً، وخارجاً عن القانون، وهذا ما زاد من حدة التوتر بين كنيسة روما الكاثوليكية، وكنيسة القسطنطينية الأرثوذكسية، حيث وصل لدرجة القطيعة بين الكنيستين، واستمرت طوال النصف الأول من القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي، لتتأزم هذه القطيعة بشكل كبير وشبه رسمي في النصف الثاني من القرن الثالث

¹ - فرح.(د.ت): تاريخ بيزنطة السياسي، ص20.

² - البابا ليو الثالث: تسلم الكرسي البابوي عام (279/795م)، امتاز بالدهاء السياسي، تعرض لمحاولة اغتيال واعتداء من قبل خصومه عام(183/799م)، لكنه استطاع الهروب عبر جبال الألب إلى حليفه شارلمان، ليعود إلى روما حيث توج شارلمان إمبراطوراً على الغرب عام (184/800م). بابيتي.(1971م): الموسوعة والأعلام، ج4، ص78؛ ديفر.(د.ت): شارلمان، ص169.

³ - شارلمان: هو الإمبراطور الكارولنجي الفرنسي، تتوج عام(184/800م)، صب اهتمامه على موضوع نشر المسيحية بين القبائل السكسونية، وبنى عاصمته الجديدة في أخت Aacken ، وتقع اليوم في ألمانيا الحالية بالقرب من الحدود الهولندية البلجيكية، وتزوج أربع مرات، وأنجب عدداً وفيراً من البنات، وقبل وفاته قسم الإمبراطورية بين أبنائه الذكور ومات عام (198/814م) عن عمر يناهز السبعين عاماً. عبيد، إسحاق.(2006م): أوروبا في العصور الوسطى، دار الفكر العربي، القاهرة، د.ط، ص69؛ عيوش، أحمد صلاح.(1971م): قادة الإصلاح والتشريع في العالم عبر التاريخ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص118.

⁴ - theophanes.(1982.A.D): Of Choronic of the theophanes, p.157 .

أومان.(1953م): الإمبراطورية البيزنطية، ص157؛ زيتون.(1980م): العلاقات السياسية والكنسية، ص328.

⁵ - نفقور: هو بطريرك القسطنطينية، ولد في مدينة القسطنطينية عام(158/850م أو 166/758م)، وفي عهد الإمبراطور قسطنطين الخامس costantenV (149-159/741-775م)، وكان ينتمي لأسرة عريقة، تؤيد تقديس الأيقونات، والده ثيودور Theodore وأمه ابوكيا Eudocia أسقط حكم إيرين ونفاها حتى توفت في منفاه دليسيوس.

Nikephoros.(1990.A.D): Short History, p.45. Theophanes.(1982.A.D): The Choronic of the theophanes, p161 .

زكار.(1995م): الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية، ج3، ص189.

الهجري/ التاسع الميلادي، بسبب ما عُرف⁽¹⁾ بفتنة فوتيوس PHOTUS (253-244هـ/858-876م) (263-273هـ/886م)⁽²⁾

ويتضح مما سلف أن النزاع اللاهوتي والعقائدي بين كنيسة روما الكاثوليكية وكنيسة القسطنطينية الأرثوذكسية، وصل لدرجة كبيرة من الخطورة، ولاسيما عندما وصلت المواجهة بين الطرفين لمواجهة فعلية وعنيفة، عندما استغلت كنيسة روما الخلاف الشخصي الذي حصل⁽³⁾ بين البطريرك أغناطيوس Aghnatus (232-237هـ/847-858م) (253-263هـ/867-877م)⁽⁴⁾، وخصمه المنافس له على منصب البطريركية فوتيوس، لتتدخل بشكل مباشر بالشؤون الدينية لكنيسة القسطنطينية⁽⁵⁾، ففي عهد الإمبراطور ميخائيل الثالث Michael III (227-254هـ/842-867م)⁽⁶⁾، عينت الإمبراطورة الأم ثيودورا Theodora (214-235هـ/830-856م)⁽⁷⁾،

¹ - زيتون. (1980م): العلاقات السياسية والكنسية، ص328.

² - فوتيوس: كان من أسرة أرستقراطية مترفة، وكان استقراره في مدينة القسطنطينية، وكان ابن الضابط سيرجيوس، وكان فوتيوس يمثل كنزاً من المعرفة، حيث تمتع بثقافته الواسعة، وسعة اطلاعه، فهو واحد من أعظم علماء العصور الوسطى وتولى الكرسي البطريركية مرتين، ودخل في صراع مع البابوية وأرسل تقريراً مفصلاً إلى جميع البطريركيات في الشرق وناقش فيه عقائد كنيسة روما وأعلن بطلانها، وتعرف هذه الفتنة بالتاريخ بفتنة فوتيوس.

Malalas(loannes). (1831.A.D): Chronogrphia, cshb, bonne, p.668.

مؤرخ مجهول (2003م): معالم التاريخ البيزنطي، د.ط، ص114؛ نيكول. (2003م): معجم التراجم البيزنطية، ص39-40.

³ - عبيد. (1970م): روما وبيزنطة، ص6.

⁴ - أغناطيوس: تسلم منصب البطريركية مرتين، أولهما سنة (232هـ/847م) حتى عام (237هـ/858م)، والثانية من عام (253هـ/867م)، حتى عام (263هـ/877م) بتعين من الإمبراطورة ثيودورا، على الرغم من رفض ميخائيل الثالث الذي حاول مقاومة قرار أمه، عام (236هـ/857م) أصدر أغناطيوس قرار الحرمان ضد ميخائيل، لذا خلعه ميخائيل ونفاه، ودخل أغناطيوس في نزاع مع القيصر باراداس، بعد تحذيره المتكرر لقطع علاقته غير الشرعية مع كته.

Malalas. (1831.A.D): Chronographia, p.667.

لورانس، يوحنا. (2019م): تاريخ الكنيسة المسيحية القديمة والحديثة، د.ط، ص218؛ نيكول. (2003م): معجم التراجم البيزنطية، ص24.

⁵ - عبيد. (1970م): روما وبيزنطة، ص6.

⁶ - ميخائيل الثالث: ابن الإمبراطور ثيوفيل Theophilus (226-213هـ/842-829م)، وكان عمر ميخائيل الثالث سنتين عندما مات الإمبراطور ثيوفيل، وكانت أمه ثيودورا وصية عليه، وكانت تؤثر عليه كثيراً، ولم يكن قادراً على تأكيد سلطته حتى عام (235هـ/856م)، ولاسيما بعد تعاونه مع القيصر باراداس، فتخلصوا من مستشار ثيودورا، ومشاركها بالحكم، وحل محله باراداس، وساعد ميخائيل الثالث على حملة تنصير السلاف والبلغار، وتقرب منه باسيل المقدوني، وقام باغتياله وتسلم الحكم من بعده عام (253هـ/867م).

Malalas. (1831.A.D): Chrongraphia, p.660.

نيكول. (2003م): معجم التراجم البيزنطي، ص153؛ اليوسف. (1966م): الإمبراطورية البيزنطية، ص115.

⁷ - ثيودورا: تزوجت ثيوفيل، وتوجت معه إمبراطورة عام (214هـ/830م) وعندما مات ثيوفيل أصبحت وصية على ابنها الطفل ميخائيل الثالث حيث قام ميخائيل وعمه باراداس بتحالف ضد ثيودورا وأقصوها عن الحكم عام (235هـ/856م)، ولقيت بظلة إعادة الايقونات.

Malalas. (1831.A.D): Chronographia, p.666.

نيكول. (2003م): معجم التراجم البيزنطية، ص153.

أغناطيوس بطريرك لبيزنطة، الذي امتاز بشدة تقواه وتطرفه بأن واحد، كما كانت ثقافته، وفلسفته محدودة، على عكس فوتيوس الذي امتاز بسعة اطلاعه وثقافته التي مكنته من عقد جلسات فكرية وفلسفية قيمة، بالإضافة إلى علاقته الوثيقة مع⁽¹⁾، القيصر باراداس (Baradas) (235-253هـ/856-867م)⁽²⁾ الذي اتهم أغناطيوس بالخيانة، وحرص الإمبراطور ميخائيل الثالث على إبعاده عن منصبه عام (243هـ/857م)⁽³⁾، وبما أن فوتيوس الصديق الحميم لبراداس، فقد قام بتعيين فوتيوس بطريرك لكنيسة القسطنطينية⁽⁴⁾، وبدأ فوتيوس بالتودد للبابوية، ففي عام (244هـ/758م) سطر رسالة مليئة بالود⁽⁵⁾ للبابا نيقولا الأول (Nekula I) (244-253هـ/858-867م)⁽⁶⁾، وأوضح له أن أغناطيوس ترك منصب البطريرك من تلقاء نفسه، وأنه عُين بدلاً من أغناطيوس بشكل رسمي وشرعي⁽⁷⁾؛ وجد البابا في رسالة فوتيوس فرصة ذهبية لا تتكرر للتدخل في الشؤون الداخلية لكنيسة بيزنطة، فراسل البابا نيقولا الأول، الإمبراطور ميخائيل الثالث، وأوضح له عن استغرابه لعزل أغناطيوس، وأنه سوف يرسل سفراءه ومندوبين عنه للتأكد من حقيقة الأمر، كما استغل أيضاً هذه المراسلة، وتطرق لموضوع حقوق البابوية المسلوبة في كنائس إيريا وصقلية وكالابريا، وطلب من الإمبراطور البيزنطي إعادتها⁽⁸⁾، وبحال وصول سفراء البابا إلى

¹ - رنسيان، ستيفن. (د.ت) تاريخ الحضارة البيزنطية، تر: السيد الباز العريني، دار الثقافة، بيروت، ص 137؛ المقاري. (د.ت): المجامع المسكونية، ص 27.

² - باراداس: هو عم الإمبراطور ميخائيل الثالث، شكلوا حلفاً ضد ثيودورا، وأبعدوها عن الحكم، وقتلوا مستشارها وتسلم بعده باراداس الحكم الفعلي للبلاد، وكان يتمتع بالثقافة العالية، استطاع من خلالها إحياء مدرسة التعليم العالي، وبث بها روحاً إصلاحية، وكانت تربطه مع زوجة ابنه علاقة غير شرعية، ونهاه عن ذلك بطريرك القسطنطينية أغناطيوس أكثر من مرة، وقتل باراداس على يد باسيل المقدوني الأول عام (253هـ/867م).
Malalas.(1831.A.D): Chronographia, p.667.

غنيم، اسمت. (1977م): الإمبراطورية البيزنطية وكرت الإسلامية، دار المجمع العلمي، ص 24؛ نيكول. (2003م): معجم الامبراطورية البيزنطية، ص 153.

Diehi(1934.A.D): Historire de Empaire Byzantin, p.214.

³ - الأنطاكي، يحيى بن سعيد بن يحيى ت 451هـ/1067م. (1990م): تاريخ الأنطاكي، تح: عمر عبد السلام الترمذي، جروس برس، لبنان، ص 212.

⁴ - Malalas.(1831.A.D): chronographia.p.668. Ostrogorsky.(1998.A.D): History of the Byzantine state.p.200.

⁵ - اليوسف. (1966م): الإمبراطورية البيزنطية، ص 91.

⁶ - البابا نيقولا: كان من أسرة أرستقراطية، وعلى جانب كبير من المقدرة، وسعى جاهداً لفرض السيادة البابوية على الحكام السياسيين، والسيطرة على رجال الدين، حيث تسلم المنصب البابوية عام (244هـ/858م) حتى وفاته عام (253هـ/867م)، وتسلم بعده هادريان الثاني (Hadrian II) (253هـ/867م). حسين، عبد المجيد. (2015م): تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، ص 876؛ عاشور. (1976م): تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، ص 319.

⁷ - لورنس. (2019م): تاريخ الكنيسة المسيحية، ص 218؛ اليوسف. (1966م): الإمبراطورية البيزنطية، ص 91.

⁸ - زكار. (1995م): الموسوعة الشامية، ج 3، ص 305؛ لورنس. (2019م): تاريخ الكنيسة، ص 218؛ مؤرخ مجهول. (2003م): معالم التاريخ البيزنطي، دار المواسم، ص 117-118.

القسطنطينية، عقدوا مجلساً عام(247هـ/861م)، وقابلو أغناطيوس الذي رفع صوته بوجه السفراء، وحدثهم بلهجة خشنة مليئة بالغضب: أن لا حق لهم في التحقيق معه، وثار غضب البابا ورفض نتائج مجلس عام(247هـ/861م)، وراسل ميخائيل الثالث برسالة خشنة، يؤكد فيها إنه رافض وبشكل قطعي قرارات مجلس عام(247هـ/861م)، كما ذكر الإمبراطور ميخائيل الثالث بنظرية القديس بطرس التي تؤكد على مكانة كنيسة روما وبابواتها، وزعامتهم الشرعية لجميع كنائس العالم المسيحي، وأوضح أن كنيسة القسطنطينية لا تمتلك شرعية، مثلما يمتلكها البابا كونه خليفة القديس بطرس الشرعي⁽¹⁾، لكن البابوية لا تفوت أية فرصة تستطيع من خلالها تقليص نفوذ كنيسة القسطنطينية، لاسيما عندما علمت بالخلاف الذي دب بين الإمبراطورية البيزنطية وملك البلغار بورس Boris، على إثر رفضها طلب بورس تعيين رجال دين بلغار في الكنائس البلغارية، فسارعت البابوية للتدخل بشؤون بلغاريا الدينية، وتقربت من بورس، الذي طرد رجال الدين الأرثوذكس، وأحل محلهم رجال دين كاثوليك، وصلوا من روما حليفته الجديدة، وأوضح رجال الدين الأرثوذكس عند وصولهم للقسطنطينية: أن اللاتين الكاثوليك قد حرفوا قانون⁽²⁾ الإيمان النيقية⁽³⁾ بتأكيدهم على جملة أن روح القدس ينبثق من الأبْن أيضاً، وعدوا ذلك تحريفاً للعقيدة الدينية الصحيحة⁽⁴⁾.

يتبين مما سلف: أن كنيسة القسطنطينية كانت متمسكة بالقانون النيقية، بينما كانت كنيسة روما تؤكد بإصرار على إضافة "Filioque" والتي تعني الروح القدس المنبثقة من الأبْن أيضاً، وكان رد فوتيوس على حرف الإيمان النيقية، والانحراف عن العقيدة القويمة كتابة مقال بعنوان De spiriv my stagogoia انتقد فيه، وبعنف مسألة إضافة كلمة filioque "الروح القديس المنبثق من الابن أيضاً"، وأكد أن هذه الإضافة تعدّ خرقاً لقانون الإيمان الكنسي الذي سُنّ في أول مجمع مسكوني في نيقية عام (325م)، وأوضح فوتيوس أن هذه الإضافة تتبع

¹ - زكار. (1995م): الموسوعة الشامية، ج3، ص306؛ عبيد. (1970): روما وبيزنطة، ص9.

² - حسين، عبد المجيد. (2015م): تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، ص277؛ رنسيما. (د.ت): الحضارة البيزنطية، ج1، ص13؛ العريني. (2000م): الدولة البيزنطية، ص329؛ يوسف. (1966م): الإمبراطورية البيزنطية، ص91.

³ - الإيمان النيقية: هو جملة من القوانين الذي أصدرها الأساقفة المسيحيين في المجمع المسكوني الأول الذي عقد في مدينة نيقية عام(325م) والتي تخص الكنيسة المسيحية وتنظيماتها. سوزومين. (1890م): التاريخ الكنسي، ص276؛ الخضر، (د.ت): تاريخ الفكر المسيحي، ص626.

⁴ - حسين، عبد المجيد. (2015م): تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، ص277؛ رنسيما. (د.ت): الحضارة البيزنطية، ج1، ص13؛ العريني. (2000م): الدولة البيزنطية، ص329؛ يوسف. (1966م): الإمبراطورية البيزنطية، ص91.

لمذهب الطبيعة الواحدة، وتعد هرطقة، وبدعة، وقد أدين في المجمع المسكوني سالف الذكر، كما أشار بكل انتقاد وسخرية إلى عجز اللاتين عن ترجمة النص الأصلي الموجود في اللغة اليونانية بشكل صحيح وكاف⁽¹⁾؛ ويتضح مما سلف أن التباين اللغوي بين اليونان الأرثوذكس، واللاتين الكاثوليك، زاد من حدة الخلاف بين الكنيستين، بالتالي كان من العوامل المساعدة على الشقاق بين كنيسة روما وكنيسة القسطنطينية. بالإضافة إلى ازدياد نفوذ كنيسة القسطنطينية، الذي ولد الكثير من الحقد والغيرة في قلوب البابوية، والذي سرع بدوره على الشقاق بين الكنيستين⁽²⁾؛ وفي عام (273هـ/886م) قام القائد البيزنطي باسيلوس المقدوني *Bailius Almakduny* (253-273هـ/867-886م)⁽³⁾ بقتل الإمبراطور ميخائيل الثالث، وسيطر على مقاليد الحكم في الإمبراطورية البيزنطية، وسعى باسيلوس للتودد والتقرب من البابوية، وقام بخلع فوتيوس من منصبه، وإعادة أغناطيوس بطريرك على كنيسة القسطنطينية⁽⁴⁾، وقد استنكر أغناطيوس وبشدة مزاعم البابوية في بسط سيادتها العالمية على كنائس العالم المسيحي كله، وأوضح تساوي البطارقة الخمسة في المنزلة الدينية والكنسية، لكن أغناطيوس مات في عام (263هـ/877م) قبل أن يدافع عن أفكاره هذا وقد تم تعيين فوتيوس مرة ثانية مكانه بطريركاً على كنيسة القسطنطينية، حاول فوتيوس تدعيم مركزه من خلال التفاوض مع⁽⁵⁾ البابا يوحنا الثامن (Yohana VIII) 259-

¹ - J.P.Migene.(1897.A.D) *patrologiae, Gursus*.completus, constantinus, porphyro, Gentus, Paris, Apudgarner frathes, editores.et, J.P. Migne, Tomus CXII, pp. 721-724.

رنسيما. (د.ت): الحضارة البيزنطية، ص 140؛ عبيد. (1970م): روما وبيزنطة، ص 11.

² - الصلابي، علي محمد. (د.ت): الأيوبيين بعد صلاح الدين "موسوعة الحروب الصليبية"، دار المعرفة، ط 1، ص 126.

³ - باسيل المقدوني: ينتمي لأسرة أرمنية، لكنها استقرت في مقدونيا، ثم عرفت بالأسرة المقدونية، ولم يحصل باسيل على التعليم الكافي، وكان لا يملك المال والجاه، لكنه امتاز بالذكاء، والحنكة، استطاع من خلالهما التقرب من الإمبراطور البيزنطي ميخائيل الثالث، حتى بات صديقه الحميم = وقام باغتيا القيصر بارداس، والاستلام مكانه عام (253هـ/866م)، وفي عام (254هـ/867م) قام باغتيا ميخائيل الثالث، وتسلم عرش الإمبراطورية البيزنطية، وأسس الأسرة المقدونية التي مرت الإمبراطورية البيزنطية بعهدا بالحقة الذهبية، من المجد والقوة، حاول باسيل التودد للبابوية بعزل بطريرك القسطنطينية فوتيوس، ومات باسيل عام (273هـ/886م) على أثر حادث صيد .

J.P.Migene.(1897.A.D): *Patrologiae, Gursus*, vol CX II, p.93. Malalas.(1831.A.D): *Chronographia*, p.666, عبد العزيز أبو زيد، علا. (1996م): الدولة العباسية من التخلي عن سياسات الفتح إلى السقوط، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، د.ط، ص 104؛ نيكول. (2003م): معجم التراجم البيزنطية، ص 163؛ ول ديورانت. (1988م): قصة الحضارة، ج 14، ص 163.

⁴ - Malalas.(1831.A.D): *Chronographia*, p.666.

نيكول. (2003م): معجم التراجم البيزنطية، ص 8؛ ول ديورانت. (1988م): قصة الحضارة، ج 14، ص 163.

⁵ - الأنطاكي. (1990م): تاريخ الأنطاكي، ص 215؛ رستم. (1988م): الروم، ص 318؛ نيكول. (2003م): معجم التراجم البيزنطية، ص 24.

269/872-882م⁽¹⁾ على عدة بنود أهمها: موافقة فوتيوس إعادة كنائس بلغاريا لسلطة البابوية، شريطة اعترافها بشرعية منصب فوتيوس بشكل رسمي، وتم التأكيد على ذلك في مجمع ديني عقده فوتيوس في القسطنطينية عام (266/879م)، وشارك فيه مندوبون وسفراء البابا⁽²⁾، وبذلك حدثت تسوية بين فوتيوس والبابوية، وسيادة نوع من الوئام بين الكنيستين، لكن هذه التسوية كانت مؤقتة، وهذا الوئام لم يستمر⁽³⁾، لاسيما بعد إعلان فوتيوس في المجمع قضية تساوي البطارقة الخمسة بالمرتبة الكنسية، وهو بالتالي يواجه مزاعم البابوية في تأكيد زعامتها على الكنائس المسيحية في العالم كله، الأمر الذي أثار غضب البابا واستنكاره، الذي أرسل سفراءه إلى القسطنطينية ليلغي القرار، لكن كان من المستحيل أن تتنازل القسطنطينية عن مكانتها الكنسية لصالح كنيسة روما، ولا تستطيع التنازل عن حقوقها الدينية في كنائس بلغاريا للبابا، بالتالي قام الإمبراطور وفوتيوس برفض طلب البابا، واعتقال سفيره⁽⁴⁾، وكانت ردة فعل البابا يوحنا الثامن على ذلك عنيفة، فقد أصدر قراراً لعن فيه فوتيوس، وحرمه من رحمة الكنيسة، ولعن كل من يعارض قراره؛ أدى ذلك إلى سيادة القطيعة والفتور بين كنيسة روما وكنيسة القسطنطينية⁽⁵⁾، لكن هذه القطيعة لم تكن دائمة، ولا حتى رسمية، وظلت العلاقة بين الكنيستين يسودها الوهن، طوال القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي، ولم يتم التطرق إلى الخلافات العقائدية بين الكنيستين في هذه الحقبة، لأن كلاً من الطرفين كان منهماكاً بمشاكله الداخلية⁽⁶⁾؛ ويتضح مما سلف: أن القطيعة المؤقتة التي حصلت بين الكنيستين بسبب فوتيوس، كانت بمثابة نقطة البداية لقطيعة أشد عنف وقوة، وهي القطيعة الشرقية، أو ما يعرف بالشقاق الديني العظيم. وهكذا كانت في بداية القرن الخامس الميلادي أول خلاف مذهبي بين الكنيسة الشرقية الأرثوذكسية والكنيسة

¹ - يوحنا الثامن: تسلم منصب البابوية لمدة عشر سنوات من عام (259/872م) حتى عام (269/882م)، وكان خلفاً للبابا ليون، ساوم المسلمين في الجلاء عن السواحل الإيطالية مقابل دفع جزية سنوية، وقدرها خمسة وعشرون ألف مثقال من الفضة، ودخل في نزاع مع فوتيوس ولعنه. الصلابي. (د.ت): الأبوبيين بعد صلاح الدين، ص 106.

² - مؤرخ مجهول. (1939م): الاجتهاد في سبيل الاتحاد، جامعة ميتشيفغان، الكتب ذات التنسيق الرقمي، 22 آذار "مارس" 2006م، الموقع <https://books.google.com>، ص 99.

³ - Dvornik(f). (1948.A.D): The Photain Schism, History and legend, cam bridge, pp.202 - 220.

⁴ - أستفانوس، قوميطا. (1967م): الدرة النفيسة في شرح حال الكنيسة، تر: أثينا الكنايسي، مطبعة القبر المقدس، د.ط، ص 215-216؛ رستم. (1988م): الروم، ص 319؛ الشدياق، أحمد. (د.ت): الساق على الساق في ما هو الفاريق، قسم الأدب والبلاغة، د.ط، ج 1، ص 64.

⁵ - أرشيف ملتقى أهل الحديث: قسم الجوامع والمجلات، ص 68؛ عويضة، كامل محمد. (د.ت): أوغسطين فيلسوف العصور الوسطى، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص 144.

⁶ - زيتون. (1980م): تاريخ العلاقات السياسية والكنسية، ص 335.

الغربية الكاثوليكية، بسبب العلاقة بين الطبيعة البشرية، والطبيعة الإلهية في المسيح، وبعدها تأزمت العلاقات بين الكنيستين بسبب قرارات مجمع خلقيدونية المسكوني الرابع (451م) الذي نتج عنه التنازع والمنافسة على المكانة والمنزلة بين كنيسة القسطنطينية وكنيسة روما؛ ليؤجج التوتر العلاقات بين روما والقسطنطينية، مما سيؤثر سلباً على طبيعة العلاقات السياسية والعسكرية بين البيزنطيين والصليبيين اللاتين فيما بعد، ثم جاء إعلان فوتيوس ليزيد من الشرخ بين الكنيستين عندما أكد على تساوي البطارقة الخمسة، ومواجهة رغبة البابوية بالزعامة والسيطرة على كنيسة القسطنطينية، لتكون قرارات البابوية بلعن فوتيوس وحرمانه من رحمة الكنيسة البذور الأولى للشقاق الديني العظيم الذي سيوجه سياسات اللاتين والبيزنطيين حيال بعض فيما بعد.

الفصل الأول

الخلاف الكنسي بين كنيسة روما وكنيسة القسطنطينية خلال النصف الثاني من القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي وأثره على العلاقات السياسية والعسكرية بين بيزنطة والغرب الأوروبي عام (446-488هـ/1054-1095م)

- 1- الشقاق العظيم بين كنيسة روما وكنيسة القسطنطينية (446هـ/1054م)
- 2- أثر الخلاف الكنسي على العلاقة بين بيزنطة والبابوية والغرب الأوروبي (446-480هـ/1054-1088م)
- 3- أثر الخلاف الكنسي في الدعوة للحملات الصليبية التي بدأت عام (488هـ/1095م)

1- الشقاق العظيم بين كنيسة روما وكنيسة القسطنطينية(446هـ/1054م)

تعد قطيعة فوتيوس المؤقتة، وغير الرسمية التي وقعت أواخر القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي البداية الحقيقية لقطيعة رسمية بين الكنيستين. وكان القرن الذي أعقب قطيعة فوتيوس من أمجد صفحات الدولة البيزنطية، فقد أعادوا الأباطرة الذين جلسوا على عرش الإمبراطورية البيزنطية في تلك الحقبة أمجاد وقوة الإمبراطورية ونظموا أدارتها، لكن ل يتم العثور على شيء في الحوليات عن العلاقات بين البطارقة العشرة والبابوات الواحد والعشرين من معاصريهم فيث تلك الحقبة الطويلة، ومرد ذلك أن الكتاب البيزنطيين في القرن العاشر أيقنوا أن غرب أوروبا قد ضل الطريق وأنسلخ متوارياً يوم أن أصبح للبابا خليفة شريفة، وشهد بداية القرن الخامس الهجري /الحادي عشر الميلادي عودة العلاقة، والتواصل، بين الإمبراطورية البيزنطية الأرثوذكسية، والغرب اللاتيني الكاثوليكي⁽¹⁾، وذلك بسبب سياسة التوسع التي أتبعها الإمبراطورية البيزنطية في عهد الأسرة المقدونية، ولا سيما بعد توغلهم الناجح في البلقان والشام والبحر المتوسط⁽²⁾؛ وهذا منح الغرب اللاتيني طرقاً برية، وبحرية، آمنة لزيارة الأماكن المقدسة، والحج إلى بيت المقدس، في الوقت الذي زاد تأييد، ودعم فكرة قصد الأماكن المقدسة، والحج إليها من قبل⁽³⁾ الحركة الكولونية⁽⁴⁾. لكن هذا التواصل لم يدم ففي عهد البطريرك سيرجيوس الثاني sergius II (392-410هـ/1001-

¹ - عبيد. (1970م): روما وبيزنطة، ص21

Gay (J). (1964.A.D): Italie Meridionale Et Empire Byzantin, Paris ,pp. 390-398.

² - Skylitzes (john). (2010.A.D): Asynopsis Of Byzantine History 811- 1054, translated by johnwl. wortley, cambridge university press, p.322. Zonare.(N.D): Epitoma Historiarum, N.E, pp.557-576. Zonarae(Ioannis).(N.D): Annalium, libri XVII PG 135, N.E, , p.174. Gay.(1964.A.D): Itale Meridionale Et Empire Byzantin, p.394.

فرج، وسام عبد العزيز. (1982م): الإمبراطورية البيزنطية، المكتبة المهندسين، د.ط، ص204 .

³ - العريني. (2000م): تاريخ الدولة البيزنطية، ص756.

⁴ - الحركة الكولونية: اعتنقها رجال الإكليروس في غرب أوروبا، نمت وتطورت تحت حماية ورعاية البابا مباشرة، وكانت هذه الحركة ترمي إلى إصلاح الكنيسة، ورفع روحها المعنوية، وتوطيد نظامها، والقضاء على التقاليد والعادات الدنيوية التي تغلغت في حياة الكنيسة مثل السيمونية وزواج القسس. باركر، أرنت. (د.ت): الحروب الصليبية، تر: السيد الباز العريني، دار النهضة العربية، بيروت، ص61؛ العريني. (2000م): تاريخ الدولة البيزنطية، ص756.

Vasiliev.(1971.A.D): History of the Byzantin Empire, vol. I, P.338.

1019م⁽¹⁾ تم إزالة اسم البابا من قوائم الكنيسة البيزنطية⁽²⁾، وكان ذلك بسبب المكانة العالية التي حصل عليها بطريرك القسطنطينية، وهذه المكانة المميزة سببها سياسة التوسع للأسرة المقدونية، ونجاح البعثات التبشيرية في بلاد الصقالبة⁽³⁾، بالإضافة إلى اعتناق الروس الديانة المسيحية، فقد انتظمت كنيستهم على يد رجال الدين اليونانيين، وتم إخضاعها لبطريركية القسطنطينية⁽⁴⁾.

بالإضافة إلى "بيان الإيمان" المرسل إلى القسطنطينية من قبل بابا روما⁽⁵⁾ سيرجيوس الرابع sergius IV (400-403هـ/1009-1012م)⁽⁶⁾ عندما تسلم منصب البابوية، ومثل العادة تضمن البيان إضافة كلمة "والابن أيضا" "filiogue"⁽⁷⁾ للعقيدة النيقية⁽⁸⁾، وعدّ البطريرك سيرجيوس هذه الإضافة حرف للعقيدة الصحيحة، لذلك قام بإزالة اسم البابا من قوائم الكنيسة القسطنطينية⁽⁹⁾، وفي عام (415هـ/1024م) حدث نوع من التواصل والمفاوضات بين البطريرك البيزنطي يوستاثيوس Eustathius (410-415هـ/1019-1025م)⁽¹⁰⁾

¹ - سيرجيوس الثاني: اعتلى عرش البطريركية بالقسطنطينية بعد فترة وجيزة من رحيل سيسينيوس الثاني Sisinnios II، واستقر في هذا الموضع من عام (392هـ/1001م) حتى عام (410هـ/1019م)، وبطلت في أيامه الإشارة في الاحتفالات الكنائسية بالقسطنطينية إلى البابا، ولما خلا كرسي البطريركية في القسطنطينية من شاغله بموت سيرجيوس الثاني اعتلاه البطريرك يوستاثيوس Eustathius.

Skyllitzes. (2010.A.D): **Asynopsis Of Byzantine History**, p.344.

نيكول. (2003م): **معجم التراجم البيزنطية**، ص 37.

² - Ostrogorsky. (1998.A.D): **History of the Byzantine State**, p.296.

³ - عاشور. (1976م): **تاريخ أوروبا في العصور الوسطى**، ص 316؛ العريني. (2000م): **تاريخ الدولة البيزنطية**، ص 755.

⁴ - عمران. (2002م): **الإمبراطورية البيزنطية وحضارتها**، ص 202.

⁵ - Ware. (1964.A.D): **The Orthodox Church**, p.67.

⁶ - سيرجيوس الرابع: ولد في روما عام (360هـ/970م)، وترقى في المراتب الكنسية حتى صار كاردينال، ثم صار أسقفاً لالبانو سنة (395هـ/1004م) وانتخب للبابوية عام (410هـ/1009م) حتى عام (403هـ/1012م). عاشور. (1976م): **تاريخ أوروبا في العصور الوسطى**، ص 335-336.

⁷ - Ware. (1964.A.D): **The Orthodox Church**, p.67.

⁸ - العقيدة النيقية: هي جملة من القوانين الذي أصدرها الأساقفة المسيحيين في المجمع المسكوني الأول الذي عقد في مدينة نيقية عام (325م) والتي تخص الكنيسة المسيحية وتنظيماتها. سوزومين. (1890م): **التاريخ الكنسي**، ص 276؛ الخضر، (د.ت): **تاريخ الفكر المسيحي**، ص 626.

⁹ - Ware. (1964.A.D): **The Orthodox Church**, p.67.

¹⁰ - يوستاثيوس: كان بطريرك للقسطنطينية من عام (410هـ/1019م)، وفي سنة (416هـ/1024م) كتب رسالة إلى البابا يوحنا التاسع عشر يسأله فيها الاعتراف باستقلال كنيسة القسطنطينية استقلالاً ذاتياً وكانت كتابته لهذه الرسالة بموافقة من الإمبراطور باسيل الثاني basil II (365-415هـ/976-1025م) وتوفي البطريرك يوستاثيوس قبل وفاة باسيل الثاني بعد أن رأس الكنيسة الارثوذكسية سبع سنوات.

Zonarae. (N.D): **Annalium**, p.586.

نيكول. (2003م): **معجم التراجم البيزنطية**، ص 57.

والبابا يوحنا التاسع عشر loannes XIX (415-424هـ/1024-1032م)⁽¹⁾، حيث عرض البطريرك البيزنطي على البابا حل النزاعات بين الكنيستين، على الشكل التالي: إقرار القسطنطينية بتفوق روما في المكانة والاحترام بالمقابل التزام روما بعدم التدخل في شؤون القسطنطينية الداخلية وشؤون البلدان التي تقع تحت سيطرة الإمبراطورية البيزنطية، وهذا يعني اعتراف روما بشكل واضح باستقلال كنيسة القسطنطينية، وسعى البطريرك يوستاثيوس من وراء ذلك سيادة سلطة كنيسة القسطنطينية على الكنائس الواقعة في الممتلكات البيزنطية بجنوب إيطاليا وافق البابا يوحنا التاسع عشر على هذا الاقتراح، لكن الكولونيين أعلنوا رفضهم القاطع لهذا الاقتراح، ونعتوا البابا بعدم قدرته إدارة الكنيسة العالمية، وأكدوا أن إرث⁽²⁾ القديس بطرس⁽³⁾ غير قابل للتقسيم، لذلك تراجع البابا عن موافقته على اقتراح البطريرك يوستاثيوس؛ ونتج عن ذلك إزالة اسم البابا من قوائم كنيسة القسطنطينية؛ وكان هذا نذير شؤم لبداية خلافات وأحداث خطيره على طبيعة العلاقات بين كنيسة روما والقسطنطينية التي وصلت إلى مرحله الانفجار، بعد اجتياح⁽⁴⁾ النورمان AL Norman⁽⁵⁾ جنوب إيطاليا التابعة لأملاك الإمبراطورية البيزنطية من أوائل القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي، فقد واجهت بيزنطة في بداية عام (402هـ/1011م) ثورة وتمرد عنيف ضد الحكم البيزنطي في جنوب إيطاليا، فقد اشترك فيها فرسان مرتزقة من النورمان الذين كانوا وقتها بزيارة أماكنهم المقدسة في جنوب إيطاليا⁽⁶⁾؛ على الرغم من نجاح السلطات البيزنطية في التصدي لهذه الثورة إلا أن

¹ - يوحنا التاسع عشر: أشتري منصب البابوية وأصبح بابا روما عام (415هـ/1024م) كتب إليه بطريرك القسطنطينية يطلب استقلال كنيسة القسطنطينية ذاتياً، خلف يوحنا الثامن عشر. في هذا العصر كان النصارى يبذلوا جهودهم لتعمير الكنائس المهتمة وتجديدها في كل أمصار العالم وحينها تعمرت كنيسة القديس مرتينوس في مدينة طرس Tarus من أعمال فرنسا. بارونج. (1953م): مختصر تواريخ الكنيسة المسيحية، نقله من اللاتينية إلى العربية بيريثيوس، ج2، ص519-522؛ الشدياق، أحمد. (2005م): قراءة من صفائح المقاومة، دار الهداية، د.ط، ص140.

² - زيتون. (1980م): العلاقات السياسية والكنسية، ص373.

³ - القديس بطرس: هو سمعان بن يونا، ولد في قرية بيت صيدا الواقعة في فلسطين، وهو أمير الرسل، والصخرة التي بنيت عليها الكنيسة، وبيده سلطه العقد والحل، كان القديس بطرس أول من بشر بالمسيحية في روما، وتحمل العذاب في سبيل الدين، وانطلاقاً من هذا الاعتقاد، فقد تمسك أسقف روما في أحقيته في الامتياز. يوسابيوس. (د.ت): تاريخ الكنيسة، ص85-107؛ زيتون. (1980م): العلاقات السياسية والكنسية، ص98.

⁴ - زيتون. (1980م): العلاقات السياسية والكنسية، ص373.

⁵ - النورمان: هم رجال الشمال، الذين قدموا من الأرض الإسكندنافية إلى فرنسا زمن الدولة الكارولنجية، فأطلق عليهم هذا الاسم، وفي عام (271هـ/885م) حاصروا باريس، ثم وقعوا اتفاقية عام (299هـ/911م) مع الكارولنجين، بموجبها أسسوا دوقية في المقاطعة الفرنسية المعروفة باسمهم 'النورماندي' وفي القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي، ونزح منهم مجموعة استولت على إيطاليا، وتصارعت مع القوى الإسلامية والبيزنطية. الربيعي، عبدالله بن عبد الرحمن. (د.ت): موقف الإمبراطورية البيزنطية من قادة الحملات الصليبية الأولى والثانية والثالثة والرابعة،

(490-600هـ/1095-1204م)، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، د.ط، ص431.

⁶ - عبيد. (1970م): روما وبيزنطة، ص22.

فرسان النورمان قرروا الإقامة في جنوب إيطاليا، وخططوا لتقليص نفوذ بيزنطة في الجنوب الإيطالي، وبدؤوا في تنفيذ خططهم من عام (433هـ/1040م)⁽¹⁾.

عانت جنوب إيطاليا من الانقسام المذهبي وقد كانت هذه المنطقة تضم الإغريق واللاتين معاً⁽²⁾، وعلى الرغم من كون أبوليا Apulia⁽³⁾ وكالابريا يخضعان بشكل اسمي لبيزنطة ولم يكن لكنيسة القسطنطينية أي سلطة على الكنائس الكاثوليكية القائمة في المدينتين⁽⁴⁾؛ لكن الوضع في أبوليا كان أكثر اختلافاً، حيث اتسمت بعض المدن بالصبغة اليونانية، وكانت الكنائس الإغريقية واللاتينية متجاورة مع بعضها⁽⁵⁾، وكان الإغريق يحصلون على التوجيهات والإرشادات الدينية من كنيسة القسطنطينية، واللاتين بالمقابل كانوا يتلقونها من كنيسة روما على الرغم من رفض بيزنطة وكنيستها لذلك⁽⁶⁾؛ وأيدت البابوية الانتصارات الأولى التي حققها النورمان على البيزنطيين في جنوب إيطاليا بسبب انتماء النورمان إلى المذهب الكاثوليكي، وكانت العاصمة البيزنطية تستقبل أخبار التوسع النورماني - الكاثوليكي - في المقاطعات البيزنطية في جنوب إيطاليا، وضغط النورمان بموافقة البابا على الكنائس الأرثوذكسية في المناطق التي دخلت في حوزة النورمان بكل استياء⁽⁷⁾، وعندما تسلم المنصب البابوي ليو التاسع Leon IX (441-446هـ/1048-1054م)⁽⁸⁾، حرص وبشدة على تجديد بعض تنظيمات الكنيسة، وسيطرة البابوية على السيادة العالمية، للكنائس المسيحية، وهذا يشير إلى مواجهة عنيفة ستحصل بين اللاتين الكاثوليك والبيزنطيين

¹ - عبيد. (1970م): روما وبيزنطة، ص 23-24.

² - زيتون. (1980م): العلاقات السياسية والكنسية، ص 337.

³ - أبوليا: هي مدينة عظيمة تقع جنوب شرق إيطاليا، مطلة على بحر الأدرياتي في الشرق التي تبعد عنه عشرة أميال أو نحوها، وهي وافرة النعم، والبحر الأيوني في الجنوب الشرق. الإدريسي، محمد بن محمد بن عبدالله بن إدريس ت 560هـ/1164م. (د.ت): نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، عالم الكتب، بيروت، ج 2، ص 895؛ الكرياسي، محمد الصادق. (د.ت): معجم المشاريع الحسينية، المركز الحسيني للدراسات، لندن، ج 3، ص 35.

⁴ - زيتون. (1980م): العلاقات السياسية والكنسية، ص 337.

⁵ - العريني. (2000م): تاريخ الدولة البيزنطية، ص 759.

⁶ - Runciman.s. (1950.A.D): The Eastern Schism, oxford, pp.36-37.

⁷ - رنسيمان، ستيفن. (د.ت): تاريخ الحروب الصليبية، تر: السيد الباز العريني، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ج 1، ص 69؛ زيتون. (1980م): العلاقات السياسية والكنسية، ص 338.

⁸ - ليو التاسع: ولد في الإلزاس Elsass عام (393 هـ/1002م)، وعين أسقفاً عام (417 هـ/1026م)، وانتخب بابا في مجمع ورم عام (441 هـ/1049م)، وكان من أوائل الآباء المصلحين، وكان همه الأساسي أولية كرسي روما. وأفضلية على سائر الكنائس، فاصطدم بمطالب كريبولاريو، كان له نشاط ديني داخل الكنيسة، ونشاط سياسي في جنوب إيطاليا. مات في روما عام (446 هـ/1054م). الربيعي. (د.ت): موقف الإمبراطورية من قادة الحملات الصليبية، ص 433؛ شينيه. (2008م): تاريخ بيزنطة، ص 101.

الأرثوذكس، وأيقن البابا ليو التاسع أن تهديد النورمان لأملاك البابوية في جنوب إيطاليا سيوقف عائق أمام مخططاته، وأهدافه⁽¹⁾، في الحقيقة أن الخطر الذي تسبب به النورمان على أملاك البيزنطيين والبابوية في إيطاليا سمح لسيادة جو من التقارب بين الإمبراطور البيزنطي⁽²⁾ قسطنطين التاسع مونوماخوس Contantine Manomashus IX (434-446هـ/1042-1055م)⁽³⁾، والبابوية في روما، إلا أن بطريرك القسطنطينية حاول إجهاض فكرة التحالف بينهما، مبرراً أن ذلك التحالف يسبب ضرراً بمصالح بيزنطة، لأنه يمنح فرصة ذهبية لروما من أجل التدخل البابوي في شؤون كنيسة القسطنطينية⁽⁴⁾، حينها كان منصب بطريركية القسطنطينية بيد رجل لا يقل قوة عن ليو التاسع⁽⁵⁾، وهو ميخائيل كريلولاريوس Michael keroullarios (435-449هـ/1043-1058م)⁽⁶⁾ الذي كان يحمل كرهاً مضاعفاً لآرجيوس اللومباردي Arguros⁽⁷⁾، وذلك بسبب زيادة تأثير سلطة

¹ - Setton(K.M).(1969.A.D):A History Of The Crusades, the university of Wisconsin press,london,pp.209-211.

العريني.(2000م): تاريخ الدولة البيزنطية، ص758.

² - Runciman.(1950.A.D The Eastern Schism,p.37.

³ - قسطنطين التاسع: تبرع على العرش بسبب زواجه من الامباطورة زوي Zoe ابنة قسطنطين الثامن، كان قسطنطين التاسع رجلاً أرستقراطياً مسرفاً باللهو، شاركته بذلك زوي، في عهده شهدت الامباطورية اعتداءات النورمان، والانشقاق الكنسي، والخطر السلجوقي حاول إصلاح الأوضاع بعد موت زوي (441هـ/1050م)، اهتم بجامعة القسطنطينية، لإمداد الدولة برجال مثقفين قادرين على ادارة شؤون الحكم بحكمة وكفاءة، ومات عام (446هـ/1055م).

Cedreni.(1838.A.D):Combendiu Historiarum,pp.415-545. Skylitzes.(210.A.D):Asynopsis Of Byzantine History, pp.398-397. Zonarae.(N.D): Annaliu, pp171-175

عمران.(2002م) : الإمبراطورية البيزنطية وحضارتها، ص237؛ نيكول.(2003م): معجم التراجم البيزنطية، ص138.

⁴ - Skylitzes.(2010.A.D):Asynopsis Of Byzantine History, p.398. Runciman.(1959.A.D): The Eastern Schism, p.37.

⁵ - Ostrogosky.(1998.A.D):History Of The Byzantine.pp.296-297.

⁶ - ميخائيل كريلولاريوس: هو بطريرك القسطنطينية من عام (435هـ/1043م) حتى عام (449هـ/1058م) اشتهر بمجادلاته مع الكاردينال همبرت Humbort الرسول البابوي سنة (445هـ/1054م)، وهي المجادلات التي أدت إلى حدوث صراع بين الكنيستين الشرقية والغربية، ولد في القسطنطينية، وابتعد عن الوظائف المدنية ليصبح راهباً بسبب مشاركته في مؤامرة ضد الإمبراطور ميخائيل الرابع Michael L V (426-434هـ/1034-1042م)، وعاد إلى القسطنطينية بناء على دعوة من قسطنطين التاسع، تم عزله بعهد اسحاق كومنين الأول.

Cedreni.(1838.A.D): Compensiv Historiarum, pp.530-531. Skylitzes.(2010.A.D): Asynopsis Of Byzantine History, p.408.

⁷ - آرجيوس: كان مشرفاً على أملاك بيزنطة في جنوب إيطاليا، وتولى قيادة الجيوش البيزنطية، حاول جاهداً الحفاظ عليها تارةً مع البابوية وتارةً بالتحالف مع القوة المحلية، مات عام (460هـ/1068م). حبشي، حسن.(1958): الحروب الصليبية الأولى، دار الفكر العربي، دط، ص43؛ رنسيما. (د.ت): تاريخ الحروب الصليبية، ج1، ص146؛ العريني.(2000م): تاريخ الدولة البيزنطية، ص761.

أرجيوس على قرارات الإمبراطور البيزنطي قسطنطين مونوماخوس بالإضافة للمكانة التي كانت تتمتع بها أسرته بين اللومبارديين⁽¹⁾، من المؤكد أن ترحيب البابوية للضغوط التي تتعرض لها الكنائس الأرثوذكسية في جنوب إيطاليا على يد النورمان وخاصة إجبار الكنائس الإغريقية في جنوب إيطاليا على ممارسة الطقوس اللاتينية، كانت تصل إلى البطريرك كريلولاريوس⁽²⁾، بناءً على هذا أجبر البطريرك ميخائيل كريلولاريوس في عام (1052/هـ443م) الكنائس الكاثوليكية الموجودة في القسطنطينية على اتباع الطقوس، والأعراف الدينية الأرثوذكسية، وتم إغلاق هذه الكنائس مباشرة بعد رفضها لأوامر كريلولاريوس، ولم يكتفِ ميخائيل كريلولاريوس بهذا، بل حرص⁽³⁾ ليو أف أوريدا Leo Of Ochrida⁽⁴⁾ أن يرسل رسالة إلى البابا ليو التاسع، يبين فيها اعوجاج العقيدة الدينية عند اللاتين، وكتب ليو أف أوريدا رسالة انتقد فيها طقوس وتقاليد الكنيسة الرومانية الكاثوليكية مثل استخدام اللاتين للخبز غير المختمر Azymes، وفي السر المقدس Sacrament، وصوم أيام السبت⁽⁵⁾؛ حينها كانت ظروف البابا ليو التاسع في غاية الصعوبة، فقد وصلت الرسالة وهو ضمن الحجز النورماني⁽⁶⁾. في الحقيقة انهار التحالف بين البابا ليو التاسع والإمبراطور مونوماخوس عندما أنزل النورمان بعساكر المتحالفين وقائدهم أرجيوس هزيمة قاسية عام (1053/هـ445م)، فغادروا أبوليا، وتوجهوا نحو الشمال، بينما واجه البابا ليو التاسع وجيشه كارثة خطيرة، وهي

¹ – Every(G.S.S.m).(1947.A.D): **The Byzantine Patriarchate**, 451'1204, London, society for promoting Christian know pledge, pp.148–149.

² – Ware.(1964.A.D): **The Orthodox Church**,pp.66-67

³ – الربيعي.(د.ت): **موقف الإمبراطورية البيزنطية**، ص433.

Julie.M.(1941.A.D): **Let's Schism Byzantine**, Paris, p.190.

⁴ – ليو أف أوريدا: هو رئيس كنيسة أوريدا، وفي الوقت ذاته رئيس الكنيسة البلغارية. عبيد.(1970م): **روما وبيزنطة**، ص25؛ العريني.(2000م): **تاريخ الدولة البيزنطية**، ص765 .

⁵ – J.P.Migene.(1897.A.D): **Patrologiae, Gursus.:Leo Of Ochrida, Epistolary**, vol.CXX, PP.839–840.

Skylitzes.(2010.A.D): **Synopsis Of Byzantine History**,p.409 .

زيتون.(1980م): **العلاقات السياسية والكنسية**، ص340.

⁶ – عبيد.(1970م): **روما وبيزنطة**، ص26.

وقوعه بالأسر النورماني عام (445هـ/1053م)⁽¹⁾ في سيفيتاتي Civitate⁽²⁾، وتم نفيه إلى بيفنتو Benevento⁽³⁾، ومن منفاه يستطيع إدارة شؤون الكنيسة، حينها تسلم البابا ليو التاسع رسالة ليو من أخريدة، وقام بترجمة هذه الرسالة من اللغة اليونانية إلى اللغة اللاتينية⁽⁴⁾ همبرت Humbert⁽⁵⁾، في الحقيقة أن همبرت تقصد تحريف ترجمة الرسالة سالفة الذكر التي كانت رداً على إغلاق الكنائس الكاثوليكية في جنوب إيطاليا والتي احتوت على كثير من الانتقادات للطقوس الدينية اللاتينية، وساعد همبرت على ذلك عدم معرفة البابا باللغة اليونانية⁽⁶⁾. ويتضح مما سلف أن للكاردينال همبرت دوراً كبيراً في الانشقاق الذي سيحدث بين الكنيستين فيما بعد من خلال استغلاله رسائل البطريرك كريولاريوس⁽⁷⁾.

وهنا كانت ردة فعل البابا ليو التاسع حادة، حيث ثار غضباً كالبركان، وطلب من همبرت أن يخط رسالة قاسية، وحادة، ويرسلها إلى ميخائيل كريولاريوس وليو من أخريدة، كما أمره أن يكتب مقالاً، ويرسله إلى القسطنطينية لمواجهة ادعاءات ليو من أخريدة ضد أعراف وطقوس الكنيسة اللاتينية⁽⁸⁾، لكن رسائل البابا ليو التاسع لم ترسل، بسبب وضعه الصحي الذي تدهور، لكن غضبه لم يبرد، وبسبب موقف يوحنا أسقف تراني المعتدل الذي تدخل وهده الطرفين الذي استطاع بحنكته السيطرة على ميخائيل كريولاريوس وتوضيح مدى الفائدة التي ستعم أقاليم

¹ - رنسيما. (د.ت): تاريخ الحروب الصليبية، ج1، ص146.

Runciman.(1950.A.D): **The Eastern Schism**, p.43.

² - سيفيتاتي: هي معركة وقعت بين الجيوش البيزنطية وحليفه الجيش البابوي ضد النورمان ،وقد لقيت هزيمة فادحة على يد النورمان عام(445هـ/1053م) في موقع سيفيتاتي شمال غرب فوجيا قرب لوجيرا قاعدة الامبراطور فردريك الثاني. الربي. (د.ت): موقف الامبراطورية البيزنطية، ص441؛ عبيد.(1970م): روما وبيزنطة، ص26.

³ - بيفنتو: مدينة كبيرة، تقع بين شاطئ البحر والجبل مرتفع، فيها طائفة من اليهود يبلغون المائتين على رأسهم الرايون. بنيامين التظلي، الراي بنيامين ابن الراي يونة التظلي.(2002م): رحلة بنيامين، مجمع الثقافي، أبوظبي، ط1، ص206.

⁴ - رنسيما. (د.ت): تاريخ الحروب الصليبية، ج1، ص146.

⁵ - همبرت: أمين سير البابا ليو التاسع، الشخصية التي قامت بدور في الانشقاق بين الكنيستين الشرقية والغربية؛ حيث اشتهر بمجادلاته مع البطريرك كريولاريوس، التي نتج عنها نزاع بين الكنيستين، تميز بثقافته الواسعة، وشدة تدينه، وقسوة طباعه ومزاجه، بالإضافة لكرهه الكبير لليونان البيزنطيين. زيتون.(1980م): علاقات السياسية والكنسية، ص340-345؛ العريني.(2000م): تاريخ الدولة البيزنطية، ص762؛ نيكول.(2003م): معجم التراجم البيزنطية، ص48.

Ostragorsky.(1998.A.D): **History Of The Byzantine State**,p.297.

⁶ - عبيد.(1970م): روما وبيزنطة، ص26؛ العريني.(2000م): تاريخ الدولة البيزنطية، ص762.

⁷ - النص الأصلي باللغة الإغريقية لرسائل البطريرك كريولاريوس مرفق في قائمة ملاحق الرسائل والخطابات والاتفاقات

⁸ - Jugie.(1941.A.D): **Schisms Byzantine**, pp.192-198.

الإمبراطورية البيزنطية في إيطاليا بحال تم التحالف مع البابوية، وأوضح يوحنا أن مكانة البابا مرموقة، وهو شخص صالح، ومن المفروض التعامل معه بشكل ودي⁽¹⁾، لهذا سطر بطريرك كريلولاريوس رسالة الى بابا ليو التاسع بلهجة مليئة بالمحبة، أظهر فيها تشجيعه لفكرة التحالف مع البابوية، ضد النورمان، دون التطرق إلى الطقوس والشعائر، وخلاف اللاتين والإغريق التي دار العراك حولها، كما كتب الإمبراطور مونوماخوس نفسه رسالة إلى البابا يؤكد فيها على ضرورة التحالف السياسي بينهما⁽²⁾. غير أن كريلولاريوس حاور البابا على أنه أخ لا أب، وهو اللقب الذي يردده البطارقة للدلالة على اعترافهم بزعامة البابا الدينية، وفي الوقت ذاته، أنهى البطريرك رسالته باستخدامه لقب "البطريرك المسكونة"⁽³⁾، الذي يعني "رئيس الكنائس المسيحية ضمن الإمبراطورية البيزنطية فقط"؛ وهذا ما قصده البطريرك كريلولاريوس بينما قام همبرت بترجمة كلمة مسكونة للبابا بأنها تعني "رئيس الكنائس المسيحية للعالم أجمع"، ولعله تعمد هذه الترجمة ليثير غضب وكره البابا ضد بطريرك القسطنطينية، بالتالي لم تحقق رسالة كريلولاريوس أهدافها المرجوة⁽⁴⁾، ورد البابا على كريلولاريوس، برسالة كتبها همبرت، متسمة بالحدة والعنف، تتضمن إنذاراً بعدم اتخاذ لقب مسكوني مرة ثانية، كما أوضح البابا في رسالته، أن كريلولاريوس تسلم البطريكية بطريقة غير شرعية، وأشار أيضاً إلى تمادي البطريرك على نقد طقوس اللاتين ومهاجمتهم، وتحديداً استعمال⁽⁵⁾ الخبز غير المختمر⁽⁶⁾، وأتم البابا رسالته بشيء من التهديد المبطن، فقد تأمل عند وصول الوفد البابوي إلى القسطنطينية أن يكون البطريرك قد أستعاد صوابه⁽⁷⁾ كما كتب همبرت بأمر من البابا رسالة ووجهها

¹ - رنسيما. (د.ت): تاريخ الحروب الصليبية، ج 1، ص 146.

Jugie. (1941.A.D): Schisms Byzantine p199. Runciman. (1950.A.D): The Eastern Schism, p.42.

² - J.P.Migene. (1897.A.D): Patrologiae, Gursus. VOL.CXX, pp.781-796.

عبيد. (1970م): روما وبيزنطة، ص 28 .

³ - J.P.Migene. (1897.A.D): Patrologiae, Gursus, VOL.CXX, PP.781-796.

زيتون. (1980م): علاقات السياسية والكنسية، ص 341؛ عبيد. (1970م): روما وبيزنطة، ص 28؛ العريني. (2000م): تاريخ الدولة البيزنطية، ص 765.

⁴ - Runciman. (1950.A.D): The Eastern Schism p.42

⁵ - J.P.Migene. (n.d): Patrologiae, Latin, tomus. CXLIII, Paris, IIs, pp.773-777.

زيتون. (1980م): علاقات السياسية والكنسية، ص 342؛ عبيد. (1970م): روما وبيزنطة، ص 24 .
⁶ - الخبز غير المختمر: الكاثوليك لا يستخدمون الخمير بالخبز الذي يستخدم في أغلب الاحتفالات المقدسة، لأن الخمير يرتبط بالفساد، وعدم الطهارة، واستخدامه بالخبز يفسد طهارته وقدسيته لذلك تم تحريم استخدامه. والتون، جون (د.ت): الخلفية الحضارية للكتاب المقدس، تر ونشر: دار الثقافة، دبط، ج 2، ص 17.

⁷ - J.P.Migene. (n.d): Patrologiae, Latin, tomus. CXLIII, Paris, IIs, pp.773-777.

زيتون. (1980م): علاقات السياسية والكنسية، ص 342؛ عبيد. (1970م): روما وبيزنطة، ص 24 .

إلى الإمبراطور البيزنطي، يهاجم فيها عبارات وتصرفات البطريرك كريلولاريوس كما تضرع من الإمبراطور أن يدعم المندوبين المتجهين للقسطنطينية⁽¹⁾.

يتضح مما سلف أن استحالة التحالف أو حتى الوفاق بين البابا ليو التاسع الذي سعى إلى سيطرة النفوذ البابوي على جميع الكنائس، وبين البطريرك ميخائيل كريلولاريوس الذي يطمح إلى استقلال كنيسة القسطنطينية. هذه الحادثة التي هي كارثة، تعد بداية الانشقاق العظيم بين الكنيستين، فقد أرسل البابا سفراءه إلى القسطنطينية وعددهم ثلاثة، اختارهم هو بنفسه من أهم رجاله ومستشاريه، وهم الكاردينال هارد همبرت، وفريدريك اللوريني مستشار كنيسة روما⁽²⁾، وفيما بعد أصبح البابا ستيفن التاسع Stephenus IX (449-458/1057-1058م)⁽³⁾، وبطرس أسقف أمالفي Amalfi⁽⁴⁾، وعندما وصلوا إلى أبوليا اجتمعوا مع أرجيوس، الذي قدم مشورة واحدة هامة للوفد، وهي أن تكون سفارتهم وتواصلهم مع الإمبراطور فقط، ويتجاهلوا البطريرك كريلولاريوس. لكن هذه المشورة لم تحقق هدف أرجيوس في تقليص سلطة البطريرك كريلولاريوس، وذلك لامتلاكه نفوذاً كبيراً وقبولاً واسعاً عند البيزنطيين⁽⁵⁾، وصل الوفد إلى القسطنطينية عام (446هـ/1054م)، وتنفيذاً لنصيحة أرجيوس، قام بزيارة الإمبراطور أولاً، واستقبله الإمبراطور بكل ترحاب، ثم قاموا بزيارة البطريرك، وكان سلوكهم خارجاً عن اللياقة والتعذيب وضارباً بالأعراف عرض الحائط⁽⁶⁾، فقد غضب البطريرك من تقدم الوفد البابوي برئاسة همبرت، إلى كنيسة القسطنطينية بشكل منافٍ للتقاليد المسيحية المهذبة، حيث أقبل همبرت متكبراً متغترساً رافعاً الرأس واقفاً أمام البطريرك رافضاً

¹ – J.P.Migene.(n.d): **Patrologiae, Latin**, tomus. CXLIII, Paris, IIs, pp.777-780.

زينون.(1980م): **علاقات السياسية والكنسية**، ص341؛ عبيد.(1970م): **روما وبيزنطة**، ص29.

² -رنسيما.(د.ت): **تاريخ الحروب الصليبية**، ج1، ص91؛ اليوسف.(1966م): **الإمبراطورية البيزنطية**، ص128.

³ -ستيفن التاسع: تولى الكرسي البابوي عام (449هـ/1057م) حتى وفاته عام (450هـ/1058م)، ولد باسم فريدريك، وهو الاخ الاصغر لغودفري الثالث دوق اللورين السفلى، وعين بعد وفاة البابا فكتور الثاني، وكان ستيفن من أشد وأقرب أصدقاء هلدبراند، الذي أصبح فيما بعد البابا غريغوري السابع، لكنه لم يتمتع بعلاقة لطيفة مع أمراء روما، لذلك وقفوا ضده، وعينوا بعده البابا بندكت العاشر Benedict X (451-1058/1059م). حسين، محمد حمزة. عبد المجيد، لبنى رياض.(2015م): **تاريخ أوروبا في العصور الوسطى**، ط1، ص231؛ عبيد.(1970م): **روما وبيزنطة**، ص39.

⁴ - أمالفي: وهي مدينة بحرية، تقع جنوب إيطاليا، وكانت التجارة مهنة أهلها الأساسية، أراضيهم غنية بالفواكه، كانت الجبال العالية هي المركز السكني للأهالي، وهم شديدي القوام. التظلي.(2002م): **رحلة بنيامين**، ص206.

⁵ – Runciman.(1950.A.D): **The eastern schism**, p.45. Vasiliev.(1971.A.D): **History of the byzantine empire**, vol.I, p.338. ware.(1964.A.D): **The orthodox church**, pp.66-68.

⁶ - جراسيموس، مسرة.(1894م): **تاريخ الانشقاق**، مطبعة الإبراهيمية، الاسكندرية، ج2، ص100.

الجلوس أو المخاطبة، وألقى رسالة البابا إلى كريلولاريوس وارتحل دون أن يقدم السلام المعتاد⁽¹⁾، والجدير بالذكر أن المندوبين كانوا على يقين أنهم في القسطنطينية لحسم مشكلة وإصلاح موقف أثار غضبهم، وليس للتفاوض مع البطريرك البيزنطي⁽²⁾، وترتب على ذلك احتداد البطريرك كريلولاريوس غضباً من أفعال الوفد البابوي المعيبة، ومن فحو الرسالة التي تلقاها⁽³⁾، التي تضمنت جملةً من الشتائم بحق البطريرك، لكن البطريرك شك بمضمون هذه الرسالة، لذا درس مضمونها، وتحقق فيه مع مجموعة من رجاله، ووصل البطريرك إلى نتيجة مفادها: أن أرجيوس قد تلاعب بمضمون الرسالة، وخاصة أن أرجيوس يضمركه لكريلولاريوس⁽⁴⁾، بناءً على فرضيات البطريرك السالفة رفض بشكل قاطع قبول سيادة الوفد البابوي، وكان خبر وفاة البابا ليو التاسع عام (446هـ/1054م) في أثناء وجود الوفد في القسطنطينية فرصة جيدة لكريلولاريوس، الذي أكد على سقوط شرعية الوفد بوفاة البابا ليو التاسع المرسل الأساسي له، فموجب القانون الكنسي، فإن المندوبين يتعذر عليهم تمثيل بابا متوفى⁽⁵⁾؛ وفي أثناء إقامة الوفد البابوي في العاصمة البيزنطية، علم البيزنطيون فحوى الرسالة التي سلف أن سطرها همبرت للرد على ليو من أخريدة، والتي لم يبعثها بسبب توسط رئيس أساقفة تراني - إلى اللغة اليونانية، واستنكروا فحواها الخشن المتضمن جملةً من الانتقادات العنيفة للأعراف الإغريقية، فتصدى لهذا⁽⁶⁾ نيقيتاس ستيثاتوس Nicetas Stethatus⁽⁷⁾

¹ - زيتون. (1980م): علاقات السياسية والكنسية، ص 342؛ عبيد. (1970م): روما وبيزنطة، ص 30؛ العريني. (2000م): تاريخ الدولة البيزنطية، ص 675؛ الموسوعة المسيرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة: قسم العقيدة، دار الندوة العالمية، ط 4، ج 2، ص 602. Runciman. (1950.A.D): **The eastern schism**, p.46.

² - العريني. (2000م): تاريخ الدولة البيزنطية، ص 766.

³ - رستم. (1938م): كنيسة أنطاكية، ج 2، ص 221؛ رنسيان. (د.ت): تاريخ الحروب الصليبية، ص 145.

⁴ - j.p.Migene. (1897.A.D): **patrologiae, Gursus**, Vol.CXX,P.784.

جراسيموس. (1894م): تاريخ الانشقاق، ج 2، ص 100؛ زيتون. (1980م): علاقات السياسية والكنسية، ص 343.

⁵ - زيتون. (1980م): علاقات السياسية والكنسية، ص 343؛ عبيد. (1970م): روما وبيزنطة، ص 31.

⁶ - زيتون. (1980م): علاقات السياسية والكنسية، ص 344.

⁷ - نيقيتاس ستيثاتوس: هو راهب بيزنطي من دير ستوديوم، دخل بمناقشات دينية مع الكاردينال همبرت للتصدي للانتقادات التي وجهت للأعراف الإغريقية، وينتقد الانحرافات اللاتينية؛ أنهى الصراع بينهم توسط الإمبراطور. شينيه. (2008م): تاريخ بيزنطة، ص 102؛ عبيد. (1970م): روما وبيزنطة، ص 13.

فقد رد نيقيتاس على رسائل البابا التي خطها همبرت برسالة قاسية، انتقد فيها بشكل هجومي الممارسات، والأعراف اللاتينية مثل: تناول الخبز غير المختمر، وتحريم زواج رجال الدين بالتحديد الكهنة⁽¹⁾؛ وكان رد همبرت على ما سطره نيقيتاس مليئاً بالغضب، لدرجة أنه تجاوز فيه الرد العلمي المنطقي، وانحرف إلى الكلام المليء بالشتم، فقد صور هذا الراهب بصورة قبيحة؛ وأن أصوله وسلالته معيبة⁽²⁾، وقد تطرق همبرت في حديثه لانتقاد كريولاريوس بطريقة قاسية كما هاجم الطقوس والأعراف البيزنطية، فقد انتقد إضافة الماء إلى خمر التناول المقدس الذي يجعله ذا رائحة مزعجة وكريهة⁽³⁾ ولم ينته الصراع بين همبرت ونيقيتاس البيزنطي، إلا بتدخل الإمبراطور مونوماخوس، الذي أرغم نيقيتاس أن يقدم الاعتذار لهمبرت، ويكف عن كتابة أو مهاجمة الأعراف، والممارسات اللاتينية بأي شيء، وهكذا سارت الأحداث بشكل خطير حتى وصلت لمرحلة الانفجار في عام (1054/446هـ) عندما أقيم⁽⁴⁾، قداس⁽⁵⁾ في كنيسة القديسة صوفيا⁽⁶⁾، حضره حشد كبير من العامة، بالإضافة إلى سفراء البابا الذين أتجهوا بشكل مباشر صوب المذبح، ثم وضعوا عليه قرار الحرمان ضد البطريرك كريولاريوس وأتباعه من رجال الدين والحاشية الخاصة به، ويعد هذا القرار من أكبر العوامل التي أدت إلى الشقاق بين كنيسة روما، وكنيسة القسطنطينية⁽⁷⁾.

وهنا لابدّ إلى التساؤل إلى أي مدى سيؤثر هذا الحرمان على العلاقات السياسية والعسكرية بين البيزنطيين والصليبيين اللاتين فيما بعد؟

¹ - J.P.Migene.(1897.A.D): **Patrologiae, Gursus**, VOL.CXX, PP.1012-1022.

جراسيموس.(1894م): **تاريخ الانشقاق** ، ج2، ص48؛ زيتون.(1980م): **العلاقات السياسية والكنسية**، ص343؛ شينيه.(2008م): **تاريخ بيزنطة**، ص102.

² - J.P.Migene.(n.D): **Patrologiae, Latin**, VOL.CXLII, PP.983-992.

عبيد.(1970م): **روما وبيزنطة**، ص31.

³ - J.P.Migene.(N.D): **Patrologiae, Latin**, VOLCXLIII., p.993 .

عبيد.(1970م): **روما وبيزنطة** ، ص31 .

⁴ - جراسيموس.(1894م): **تاريخ الانشقاق** ، ج2، ص84-85؛ العريني.(2000م): **تاريخ الدولة البيزنطية**، ص766.

⁵ - قداس: كلمة سريانية دخلت للغة العربية، جمعها قدايس، قداسات، وتعني الصلوات التي تقام مكان العبادة وهي الكنيسة. ابن منظور، أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ت711/1311م.(د.ت): **لسان العرب**، دار صادر، بيروت، مج الأول، ص49-50.

⁶ - كنيسة القديسة صوفية: شيدت في مدينة القسطنطينية بين عامي(532-537م)، في عهد جستنيانوس الأول (justinianus I 527-565م)، وتعد أضخم وأشهر كنيسة في العالم، وحولها العثمانيون إلى مسجد عام(857/1453م)، وأضافوا عليها أربع منارات عالية، ثم حولت بعد سقوط الدولة العثمانية إلى متحف.الربري.(د.ت): **موقف الإمبراطورية البيزنطية**، ص427.

⁷ - زيتون.(1980م): **علاقات السياسية والكنسية**، ص344؛ الصلابي.(د.ت): **الأيوبيون بعد صلاح الدين**، ص128.

في الواقع عندما ترجم البطريرك البيزنطي كريلولاريوس قرار الحرمان إلى اللغة الإغريقية، لاحظ أن المندوبين عدوا أنفسهم رسل البابا، ولهم كامل الحق والشرعية لاتخاذ أي قرار يروونه مناسباً، كما جاء أيضاً في مضمون القرار الادعاء بعدم جدارة وشرعية كريلولاريوس لمنصب البطريركية، لأن مفاهيمه وتعاليمه خاطئة، منها حذف عبارته "الروح القدس المنبثق من الابن أيضاً"، واستتكار حاد لاستعمال لقب "مسوني"، وأتبع كل ذلك الهجوم الخشن بنشر قرار الحرمان على كريلولاريوس وليومن أخريدة، واتهامه بالهرطقة ولم يشمل نص الحرمان الذي أصدره همبرت، البطريرك كريلولاريوس وليو من أخريدة فحسب، بل شمل كل من تتبع تعاليمهم ومفاهيمهم المغلوطة⁽¹⁾، والمقصود بهم الشعب البيزنطي كله، والكنيسة الشرقية الأرثوذكسية ومفاهيمها⁽²⁾، لعل شعبية، ونفوذ كريلولاريوس الكبيرة بين الناس، ساعدته في تفادي أي ضرر سلبي يشكله هذا القرار على مكانته وسلطته الدينية في القسطنطينية. ولكن ماهي وجهة النظر اللاتينية بقرار الحرمان الذي أصدره همبرت بصفته مندوب البابا وأمين سره على البطريرك كريلولاريوس؟ وما تأثير هذا الحرمان البابوي على العلاقة _ فيما بعد _ بين بيزنطة والعالم الغربي؟

في الوقت ذاته، اكتظت شوارع القسطنطينية بجمع غفير من الناس تدعم، وتؤيد، كنيسة القسطنطينية، وتعاليمها ضد اللاتين الكاثوليك، والإمبراطور البيزنطي، الذي تودد للوفد البابوي، فسارع الإمبراطور وبعث إلى كريلولاريوس يتودد له، ويقدم أذاره التي دفعته للتودد للوفد البابوي باعتبارهم سفراء، وترك للبطريرك حرية التصرف، وأكد على ضرورة حرق وإتلاف قرار الحرمان⁽³⁾، وفي عام (446هـ/1054م) أمر الإمبراطور، البطريرك البيزنطي كريلولاريوس، بعقد مجمع ديني في القسطنطينية حضره الأشخاص الذين يمثلون الكنائس اليونانية، وتقرر فيه مقاطعة سفراء البابا الذين قدموا إلى القسطنطينية وحرمانهم، وكل من يتبع مفاهيمهم بشكل تام، كما تقرر إحراق

¹ - J.P.Migene.(N.D): **Patrologiae, Latin**.GXLIII.pp.994-998.

عبيد.(1970م): **روما وبيزنطة**، ص33.

Runciman.(1950.A.D): **The Eastern Schism**, p.50. Ware.(1964.A.D):**The Orthodox Church**. P.57.

² - قرار الحرمان الذي أصدره الوفد البابوي، وقرار البطريرك البيزنطي كريلولاريوس على هذا الحرمان مرفقين بقائمة الملاحق قسم الرسائل والخطابات الاتفاقات.

³ - جراسيموس.(1894م): **تاريخ الانشقاق** ، ج2، ص99 ؛ الربيعي.(د.ت): **موقف الإمبراطورية البيزنطية من قادة الحملات الصليبية**، ص435؛ رنسيان.(د.ت): **تاريخ الحروب الصليبية**، ج1، ص146 .

Vasiliev.(1971.A.D): **History Of The Byzantine Empire**,vol.I,p.338. Ware.(1964.A.D): **The Orthodox Church**,p.57.

القرار الذي سلف وأعلنه مندوبو البابا بحرمان البطريرك، وتم لعن كل من ساهم في قرار الحرمان الذي أصدره همبرت، وقرار المقاطعة الذي أصدره مجمع القسطنطينية (446م/1054م) لم يمس البابوية والكنيسة الغربية والشعب اللاتيني أبداً، وإنما شمل فقط المندوبين الثلاثة وكل من ساعدهم في هذا الحرمان⁽¹⁾.

هذا الشقاق العظيم الذي وقع بين الكنيستين الشرقية والغربية، سيؤثر على العلاقات السياسية والعسكرية بين البيزنطيين والصليبيين في أثناء احتكاك الطرفين إبان الحروب الصليبية، وهذا ما سيتم توضيحه فيما بعد.

وكان موقف بطاركة بيت المقدس وأنطاكية والإسكندرية معتدلاً حيال الشقاق الذي وقع بين الكنيستين الشرقية والغربية⁽²⁾، وقد سعى البطريرك كريلولاريوس لكسب بطريرك أنطاكية لجانبه لكن بطريرك أنطاكية كان معتدلاً وحاول التوفيق والتقريب بين كنيسة روما وكنيسة القسطنطينية وطلب من كريلولاريوس أن يغض الطرف عن بعض التباين والمفارقات في الطقوس مثل: حلق اللحى، وشدد فقط على الإضافة إلى قانون الإيمان النيقاوي وعدّه فساداً وضلالاً كبيرين⁽³⁾.

هكذا انتهت هذه الأحداث بإصدار كل من كنيسة روما، وكنيسة القسطنطينية، بالحرمان من رحمة وطاعة الكنيسة، ضد الأخرى، فقد كان للخلاف الكنسي بين بيزنطة وروما عام (446هـ/1054م) آثار جسيمة بين الشرق والغرب، ولاسيما أن نص الحرمان الذي أصدره مندوب البابا مس البطريرك وليو من أخريدة، وكل الشعب البيزنطي الأرثوذكسي، بينما الحرمان الذي أصدرته القسطنطينية لم يمس سوى المندوبين، ومن ساعدهم في إعداد هذا الحرمان، ولم يقترب من البابوية والكنيسة الكاثوليكية الغربية بأي شكل من الأشكال⁽⁴⁾، وفي الواقع هذا الانشقاق

¹ – J.P.Migene.(1897.A.D): **Patrologiae, Gursus**, vol.CXX, pp. 736–748. Skylitzes.(2010.A.D): **A Synopsis Of The Byzantine History**, p.419.

شبينه.(2008م): **تاريخ بيزنطة**، ص102؛ عبيد.(1970م): **روما وبيزنطة**، ص34-35.
Vasiliev.(1971.A.D): **History Of The Byzantine Empire**, vol.I, p.339 .

² – شبينه.(2008م): **تاريخ بيزنطة**، ص103.
Vasiliev.(1971.A.D): **History Of The Byzantine Empire**, vol.I, p.339.

³ – J.P.Migene.(1897.A.D): **Patrologiae, Gursus**, vol.CXX, p.816.

زيتون.(1980م): **علاقات السياسية والكنسية**، ص346؛ عبيد.(1970م): **روما وبيزنطة**، ص38.
⁴ – الربيعي.(د.ت): **موقف الامبراطورية البيزنطية من قادة الحملات الصليبية**، ص435؛ رنسيان.(د.ت): **تاريخ الحروب الصليبية**، ج1، ص91؛ عبيد.(1970م): **روما وبيزنطة**، ص39.

ضعضع أي فرصة للتحالف والتفاهم بين الامبراطورية البيزنطية والغرب في وقت كانت فيه الإمبراطورية بحاجة ملحة للتحالف مع الغرب لمقاومة تهديدات النورمان⁽¹⁾ وتهديدات السلاجقة⁽²⁾، والجدير بالذكر أن المؤرخ الغربي فازيليف يشير إلى: "أن هذا الانشقاق لم يؤثر سلباً على الشعب البيزنطي، والشعب اللاتيني، فأن حدثه كانت ضمن رجال الدين والحكومة، أما الناس فلم يشعروا بهذا الحدث"،⁽³⁾ ويوضح ذلك أيضا الباحث العربي السيد الباز العريني: أن لا الشعب اللاتيني، ولا حتى الإغريقي اكثرثوا بالتباين في الطقوس والممارسات الدينية بين الكنيستين، ودليل ذلك عندما كان مطارنة الروس يتبعون التعاليم البيزنطية، كان سائر الناس لا يحملون أي عداة لللاتين وكنيستهم⁽⁴⁾. لكن الأحداث اللاحقة ستنبت العكس، ولأسيما عند احتكاك الشعبين إبان الحروب الصليبية لأن أثر الشقاق الديني العظيم كان واضحاً وجلياً بكل تصرف من قبل الطرفين. هكذا يتبين مما سلف ومن توالي الانشقاقات والأحداث استحالة فصل أزمة فوتيوس عام (266هـ/879م)، وما تلاها من قطيعة سواء كانت مؤقتة أو دائمة، عن قطيعة عام (446هـ/1054م)، وتعدّ أزمة فوتيوس بداية مؤسفة لنزاعات خطيرة بين الكنيستين الشرقية والغربية، والتي انتهت بشقاق عظيم ورسمي بينهما عام (446هـ/1054م) حتى إن الشقاق وضح اختلاف وجهات النظر ضمن الإمبراطورية البيزنطية: فمنها من كان معتدلاً مثل بطريرك أنطاكية، ويسعى بكل جهده للتوفيق بين الكنيستين،

Runciman.(1950.A.D):The Eastern Schism, p.46. Ware.(1964.A.D): The Orthodox Church, p.57.

¹ - الربيعي.(د.ت): موقف الإمبراطورية البيزنطية من قادة الحملات الصليبية، ص435.

² - السلاجقة: ينتمي السلاجقة إلى سلجوق بن دقاق، وهو من زعماء التركمان، أرتحل مع جماعته إلى ضفاف نهر سيحون، ثم أعتنقوا الإسلام. وفي عام (432هـ/1040م) أسس طغرل بك دولة السلاجقة في نيسابور وجرجان وطبرستان، وخوارزم وهمدان والري وأصفهان وبلخ، وفي عام (447هـ/1055م)، أصبح طغرل بك سلطان بغداد بعد دخوله لها، وسيطر للسلاجقة على البلاد الممتدة من أفغانستان إلى فلسطين الى مضيق البسفور لكن الخلاف وقع بينهم بعد وفاة ملكشاه سنة (485هـ/1092م)، فانقسموا إلى شعوب منها سلاجقة الروم . أبو سهل الهروي، محمد بن علي بن محمد ت1031هـ/422م.(د.ت): أسفار الفصيح، تح: أحمد بن سعيد خشاش، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ط1، ج1، ص58-59؛ الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد ت502هـ/1109م.(1997م): محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، شركة دار الأرقم، بيروت، ط1، ج1، ص6؛ جار الله، الزمخشري ت538هـ/1144م.(د.ت): ربيع الأبرار ونصوص الأخبار، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ط1، ج1، ص9؛ ابن المستوفي، المبارك بن احمد بن مبارك بن موهوب ت637هـ/1240م.(1980م): تاريخ أربل، تح: سامي بن سيد، وزارة الثقافة والاعلام، دار الرشيد، العراق، ج2، ص13-16؛ الذهبي(شمس الدين ابو عبدالله محمد بن احمد ت748هـ/1347م): تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تح: عمر عبد السلام التدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط2، 1992م، ج3، ص381؛ المقرئ، أحمد على بن القادر ت845هـ/1442م.(1997م): التراجم والطبقات، تح: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، ص484.

³ - (1971.A.D): History Of The Byzantine Empire, vol.I, p.340.

⁴ - (2000م): تاريخ الدولة البيزنطية، ص769.

ومنها من كان متطرفاً مثل البطريرك البيزنطي كريلولاريوس، والذي كن كراهية كبيرة لكل ما هو لاتيني⁽¹⁾، وهذا الشعور سيتضح بشكل كبير لدى الطرفين بالأحداث التالية، ولا سيما أن هذا الانشقاق الكنسي كان له أثر بالغ على طبيعة العلاقات السياسية والعسكرية بين بيزنطة والغرب الأوروبي.

¹ - زيتون.(1980م): علاقات السياسة والكنسية، ص348.

2- أثر الخلاف الكنسي على العلاقة بين بيزنطة والبابوية والغرب الأوروبي (446-480هـ/1054-1088م)

باتت العلاقات بين بيزنطة وغرب أوروبا بعد شقاق (446هـ/1054م) مشحونة بالكراهية المتبادلة بين الطرفين، ففي عام (447-448هـ/1055-1056م) منعت الحكومة البيزنطية، أحد الحجاج بالعبور إلى الأراضي المقدسة عبر أراضيها⁽¹⁾، وفي عام (448هـ/1056م) قامت السلطات البيزنطية بإجلاء عدد كبير من اللاتين من بيت المقدس⁽²⁾، وفي الحقيقة هذا يتعارض مع ما أورده المؤرخ عادل زيتون عند حديثه عن القطيعة حيث أشار: إن اللاتين حجاجاً كانوا أم تجاراً لم يتوقف توافدهم إلى القسطنطينية⁽³⁾. في الواقع كانت المصلحة السياسية للإمبراطورية البيزنطية تفرض على البيزنطيين خلق جو من التعاون مع روما، ولا سيما بوجود الخطر النورماني الذي يهدد أمن الإمبراطورية البيزنطية، ولمواجهة هذا الخطر وجب على الإمبراطورية البيزنطية رسم سياسة واضحة لعلاقتها مع البابوية، ولذا فرضت الأوضاع السياسية والأمنية للإمبراطورية البيزنطية الدخول في علاقات ودية مع البابا متجاهلاً آراء رجال الدين⁽⁴⁾، وفي عهد الإمبراطورة ثيودورا (447-448هـ/1055-1056م)⁽⁵⁾ سعت جاهدة لتكوين علاقات ودية مع روما فقد أعادت فتح الكنائس اللاتينية في القسطنطينية، وتبادلت المراسلات

¹ - عبيد. (1970م): روما وبيزنطة، ص 40.

² - Every. (1947.A.D): The Byzantine Patriarchate, pp.153-154.

³ - زيتون. (1980م): علاقات السياسة والكنسية، ص 349.

⁴ - زيتون. (1980م): علاقات السياسة والكنسية، ص 350.

⁵ - ثيودورا: كانت ابنة الإمبراطور قسطنطين الثامن، وأخت الإمبراطورة زوي Zoe، ثم تهربت وتوارثت عن الأنظار حتى عام (434هـ/1042م)، حيث دعيت لتشارك في العرش أختها التي ترملت مرتين، وذلك في أعقاب خلع الإمبراطور ميخائيل الخامس، وكان السن قد تقدم بالأختين اللتين كانتا كل منهما تكره الأخرى، ومع ذلك ظل الحكم مشتركاً بين الأختين حتى تزوجت زوي من قسطنطين التاسع مونوماخوس، فماتت زوي عام (442هـ/1050م)، ومات قسطنطين التاسع مونوماخوس (447هـ/1055م)، حينها استقلت ثيودورا بالحكم، وكانت هي آخر من تبقى بالأسرة المقدونية، ماتت في عام (448هـ/1056م)، وقد أشرفت على السبعين من عمرها، وأوصت أن يخلفها بالحكم ميخائيل السادس Michael VI. (448-449هـ/1056-1057م)، الذي كان من رجال الطبقة الأرستقراطية المقربين من القسطنطينية.

Cedreni. (1838.A.D): Compendiu, p.485. Zonarae. (N.D): Annalium, p.171.

العربي. (2000م): تاريخ الدولة البيزنطية، ص 765؛ عمران. (2002م): الإمبراطورية البيزنطية وحضارتها، ص 237؛ نيكول. (2003م): معجم التراجم البيزنطية، ص 97.

مع⁽¹⁾ البابا فيكتور الثاني (447_449هـ/1055-1057م)⁽²⁾، هذه المبادرة اللطيفة من الإمبراطورة ثيودورا، حثت البابا فيكتور الثاني، على الطلب من ثيودورا بكل لطف وود حسم جزء من المبالغ المفروضة على الحجاج الغربيين في أثناء عبورهم الأراضي البيزنطية إلى بيت المقدس⁽³⁾، ولكن البابوية كانت تتبع مصالحها في التعامل مع البيزنطيين فكانت تتوعد وتتلاطف معهم بحال كان ذلك يخدمهم ويحقق أهدافهم، في عام(451هـ/1059م) تلاقت مصالح البابا نقولا الثاني(Nichalas II)(451-454هـ/1059-1061م)⁽⁴⁾، مع أهداف ومساعي روبرت جويسكارد(Robert Guiscard)(451-477هـ/1059-1085م)⁽⁵⁾، بالتالي توجه البابا لعدو بيزنطة اللدود ومنحه لقب دوق على أبوليا وكالابريا والإمارات اللمباردية الأخرى⁽⁶⁾ بذلك يكون قد سدّد ضربة حادة للإمبراطورية البيزنطية، التي أنتابها جو من القلق والتوتر من فكرة تحالف أعدائها ضدها، أي النورمان من جهة، والبابوية من جهة أخرى⁽⁷⁾، في الحقيقة أن المؤرخ الغربي تشارلز هاسكنس Charles Haskins يعطي تسويغات لتحالف البابوية مع النورمان ويؤكد أن البابوية قد أدركت تماماً أن المصلحة السياسية والدينية توجب عليها انتهاج سياسة دبلوماسية، ليسود جو من التعاون مع النورمان، الذين هزموا البابوية فيما سلف هزيمة قاسية، ولم يستطع الغرب اللاتيني، ولا البابوية

¹ - حسين، عبد المجيد.(2015م): تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، ص152.

² - فكتور الثاني: تسلم بعد البابا ليو التاسع، في عهده زار الامبراطور هنري الثالث إيطاليا لعدة اغراض سياسية، لم يكن فيكتور يتجاسر على معارضة الإمبراطور، تولى الكرسي البابوي من عام (447هـ/1055م) حتى وفاته عام (449هـ/1057م). حسين، عبد المجيد.(2015م): تاريخ أوروبا في العصور الوسطى ص152؛ رسلان، شكيب.(د.ت): الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية، د.ط، ج3، ص63.

³ - زيتون.(1980م): علاقات السياسية والكنسية، ص350؛ عبيد.(1970م): روما وبيزنطة، ص41؛ يوسف، يوسف حسن.(د.ت): الاتفاقيات والمعاهدات في ضوء القانون الدولي، مركز الكتابة الاكاديمي، د.ط، ص192.

⁴ - نقولا الثاني: اسمه جيرار دي بورغون، تسلم الكرسي البابوية عام(451هـ/1059م) حتى وفاته عام(452هـ/1061م)، وترتيبه الرقمي في البابوية 155، وكان عمره عند توليته على الكنيسة ثمانية وسبعين عاماً، أصدر مرسوماً لتحديد طريقه انتخابيه للبابوية، دخل في نزاع مع البابا بندكت العاشر (451هـ/1059م)، لذا استعان بالنورمان مقابل تأكيد شرعية حقوقهم في كالابريا وغيرها من مقاطعات جنوب ايطاليا. عاشور.(1976م): أوروبا في العصور الوسطى، ص214؛ عويضة، الشيخ كامل محمد محمد.(د.ت): أوغسطين فيلسوف العصور الوسطى، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ط، ص173؛ موقع الأنبا تكلاهيمانوت: سير وتراجم وشخصيات من التاريخ المسيحي.

⁵ - جويسكارد: ولد روبرت جويسكارد، ابن تانكريد هونفيل عام(405هـ/1015م)، كان كونت (448-451هـ/1057-1059م)، ثم دوق صقلية عام (451-477هـ/1059-1085م)، أبعد المسلمين عن صقلية، حرر البابا جريجوري السابع من معتقله في روما. مات عام (477هـ/1085م).

William Of The Apulia.(N.D): The Deeds Of Robert Guiscard, translated by GA, loud, p.60.

الربيعي.(د.ت): موقف الإمبراطورية البيزنطية من قادة الحملات الصليبية، ص440.

⁶ - William Of The Apulia.(N.D): The Deeds Of Robert Guiscard, p.1.

⁷ - Runciman.(1950.A.D): The Eastern Schism, p.59

الوقف بوجهها، ولتحقيق مصالحها الدينية والسياسية توجهت البابوية بتجاه النورمان وحالفهم⁽¹⁾، وهذا التحالف فرض على الإمبراطورية البيزنطية نوعاً من التقارب مع ألمانيا كخطوة دفاعية تقيها من أي خطر يهدد وجودها يقوم به أحد الحليفين وتم في عام (453هـ/1062م) بعض المراسلات بين⁽²⁾ الإمبراطور البيزنطي قسطنطين العاشر Constantin X Ducas (451-460هـ/1059-1067م)⁽³⁾ وأجنس Agnes⁽⁴⁾ الوصية على العرش الألماني وحاول الحليفان الجديدان تأييد خصوم ومنافسي البابا الشرعي⁽⁵⁾ إسكندر الثاني Scander II (452-464هـ/1061-1073م)⁽⁶⁾، غير أن هذه المحاولة باءت بالإخفاق، وذلك بسبب النفوذ الكبير الذي يتمتع به إسكندر الثاني وحزبه⁽⁷⁾.

وفي الوقت نفسه ساد في آسيا الصغرى خطر جسيم، وهو تهديد الأتراك السلاجقة للأمن البيزنطي، مما فرض على البيزنطيين طلب العون من أوروبا الغربية، التي صمت أذانها عن نداءات الامبراطورية البيزنطية⁽⁸⁾، لذا لجأ الإمبراطور البيزنطي رومانوس ديوجينوس Rominus Diogenus (460-463هـ/1067-1071م)⁽⁹⁾

¹ - عبيد. (1970م): روما وبيزنطة، ص 42.

² - سول ديورانت. (1981م): قصة الحضارة، ج 14، ص 212.

Runciman: (1950.A.D): The Eastern Schism, pp.60-61.

³ - قسطنطين العاشر: وصل إلى العرش بعد لتحالف كنيسة بالقسطنطينية، مع الحزب المدني، وهذا الحلف هو الذي قضى على حكم أسحق كومنين، وكان قسطنطين العاشر تربطه علاقة وطيدة مع البطريرك ليكودس والوزير بسيليوس، وتزوج الإمبراطور من بودوكيا ابنة اخت كريلوريوس. وكان قسطنطين العاشر يؤيد الأرستقراطية المدنية في العاصمة وينتمي إليها.

Bryennius(Nicephorus).(1836.A.D): Histirium, csbh, bonnae, corpus, sbyz, vol.II, pp.43-47.

عمران.(2002م): الإمبراطورية البيزنطية وحضارتها، ص 341.

⁴ - أجنس: زوجة الإمبراطور هنري الثالث، تميزت بنقواها الشديد، كانت وصية على ولدها هنري الرابع منذ وفاة زوجها من عام (447هـ/1056م)، لكن لم تمتلك القوة والحزم في إدارة شؤون الحكم، مما أدى لظهور طبقة من النبلاء الساخطين، لذا تنحت عن الحكم بعد ست سنوات بعد مؤامرة محكمة. الجنزاوي، عليّة.(د.ت): البابوية والإمبراطورية الرومانية، دار الفكر العربي، د.ط، ص 12.

⁵ - عبيد.(1970م): روما وبيزنطة، ص 42.

⁶ - إسكندر الثاني: كان سابقاً رئيس ديوان هنري الثالث، فرض سلطته على ملوك أوروبا جميعاً، تسلم المنصب البابوية عام (452هـ/1061م) حتى عام (464هـ/1073م). داثيو، جوان.(د.ت): معجم الباباوات، تر: إنطواني سعيد خاطر، دار المشرق، بيروت، ص 90-95.

⁷ - عبيد.(1970م): روما وبيزنطة، ص 42.

⁸ - Ostrogorsky.(1998.A.D): History Of The Byzantine State , p.307.

⁹ - رومانوس ديوجينوس: كان من أشهر، وأمهر القادة العسكريين في الإمبراطورية البيزنطية، امتاز بمشاركته في حروب الامبراطورية ضد البنجاكية تحمل مسؤولية مواجهة الخطر السلجوقي، وجهز جيشاً كبيراً لهذا الغرض لكنه هُزم امام السلاجقة في معركة ملاذكرد، ووقع أسيراً عام (464هـ/1071م)، ثم أطلقوا سراحه ليلقي حتفه في القسطنطينية عام (465هـ/1072م)، حيث أخذ الحكم بعده ميخائيل السابع. كومنيا، أنا.(2004م): السياد، تر: حسن حبشي، المجلس الاعلى للثقافة، ط 1، ص 43=.

إلى الاستنجاد بمرتزقة من أعدائها النورمان بقيادة رسول دي بالول Roussl de bailleul⁽¹⁾، لكن النورمان خذلوه، وتراجعوا من معركة ملاذكرد (463هـ/1071م)⁽²⁾، تاركين الإمبراطور البيزنطي ديوجينوس يلقي مصيره، ويتم أسره على يد السلطان السلجوقي⁽³⁾ ألب أرسلان⁽⁴⁾، الذي طلب من الإمبراطور البيزنطي رومانوس الرابع ديوجينيس دفع جزية سنوية كبيرة مقابل إطلاق سراحه، والاعتراف للسلطان السلجوقي بحق امتلاك ملاذكرد⁽⁵⁾، لكن الاضطرابات الداخلية التي حلت بالإمبراطورية البيزنطية، واغتصاب العرش من قبل ميخائيل السابع دوكاس Michael VII Ducas (463-470هـ/1071-1078م)⁽⁶⁾ أثناء أسر رومانوس ديوجينوس، حفز

= Bryennius.(1836.A.D): Histirium, p.47. Psellus.(1899.A.D): The History Of The Psellus, digitized by the internetarchive 2007, byzantine texts, edited by, J.B. Bury, London, p.253.

الربيعي.(د.ت): موقف الإمبراطورية البيزنطية من قادة الحملات الصليبية، ص435؛ عمران.(2002م): الإمبراطورية البيزنطية وحضارتها، ص234.

¹ - رسول دي بالول: كان يطمح إلى تأسيس إمارة نورمانية مستقلة في الأناضول فقد استفاد البيزنطيون منه على أنه قائد القوة المرتزقة في الجيش البيزنطي. الربيعي.(د.ت): موقف الإمبراطورية البيزنطية من قادة الحملات الصليبية، ص435؛ رنسيان.(د.ت): تاريخ الحروب الصليبية، ج1، ص115.

² - ملاذكرد أو ملازكرت: من مدن أرمينية، تقع شمالي مدينة خلاط على مقربة من مجرى الفرات الشرقي، فيها وقعت معركة مهمة وفاصلة عام (463هـ/1071م) بين الروم والسلاجقة المسلمين، فقد فتحت هذه الموقعة أمام السلاجقة أسيا الصغرى وقراهم. ابن الأثير.(1997م): الكامل في التاريخ، ج10، ص416؛ ابن الكثير.(د.ت): البداية والنهاية، ج2، ص337.

Psellus.(1899.A.D): The History Of The Psellus, p.252.

³ - ابن العمراني، محمد بن علي ت580هـ/1184م.(2001م): الأنباء في التاريخ الخلفاء، تح: قاسم السامرائي، دار الافاق العربية، القاهرة، ط1، ص310؛ أبو الفداء، عماد الدين اسماعيل بن علي بن محمد بن محمد ت732هـ/1331م.(د.ت): المختصر في أخبار البشر، المطبعة الحسينية المصرية، ط1، ج2، ص172؛ ابن الوردي، عمر بن محمد بن أبي الفوارس ت749هـ/1348م.(1996م): تتمة المختصر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، ج1، ص343؛ ابن خلدون.(د.ت): العبر، ج3، ص545.

Bryennius.(1836.A.D): Histirium, p.48. Curoplatae(Ioannis).(1839.A.D): History, cshb, bonnae, vol.II, pp.701-702. Psellus.(1899.A.D): The History Of The Psellus, pp.253-255.

⁴ - ألب أرسلان: محمد بن داود جفري بك بن ميكائيل بن سلجوق، كان أبوه حاكماً في خراسان، فلما مات في سنة(452هـ/1061م) خلفه عليها، بعد وفاة أخيه طغرل بك عام (455هـ/1064م) تولى ابنه أرسلان السلطة في بغداد، وفتح بلاد كثير في أذربيجان والكرخ وماوراء جيحون، وهزم البيزنطيون في معركة ملاذكرد (463هـ/1071م)، وقتل عام (465هـ/1073م). الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد ت748هـ/1347م.(2006م): العبر في خبر من غير، تح: أبو هاجر محمد العيد، دار الكتب العلمية، بيروت، ج2، ص37؛ الذهبي.(2006م): سير أعلام النبلاء، دار الحديث، القاهرة، ج11، ص443؛ أبو المحاسن، يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري ت874هـ/1469م.(د.ت): النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، دار الكتب، مصر، ج5، ص92؛ النعمي دمشقي، عبد القادر بن محمد ت927هـ/1521م.(1999م): الدارس في تاريخ المدارس، تح: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، ط1، ج2، ص129؛ ابن العماد، عبد الحي بن أحمد بن محمد بن العماد ت1089هـ/1678م.(1916م): شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تح: محمود الانرناؤوط، دار ابن الكثير، دمشق، ط1، ج5، ص273.

⁵ - ابن الأثير.(1997م): الكامل في التاريخ، ج10، ص416.

Bryennius.(1836.A.D): Histirium, p49. Curoplatae.(1839.A.D): History, p702.

⁶ - ميخائيل السابع: كان ميخائيل السابع دوكاس. بارابيناكس parapinakesy ابن قسطنطين العاشر، تولى الحكم بعد هزيمة رومانوس في معركة ملاذكرد سنة (463هـ/1071م)، قامت في عهده عدة ثورات؛ تزعمها أشخاص يسعون للحصول على العرش، ومنهم المرتزقة راسل باليول =Russell

السلاجقة على التوسع غرباً وجنوباً على حساب أملاك الإمبراطورية البيزنطية⁽¹⁾، في الحقيقة كان لهزيمة البيزنطي في ملاذكرد عام (463هـ/1071م) دور كبير في سعي الإمبراطورية البيزنطية من التقارب مع وروما، لمواجهة تحالف السلاجقة والبشناق والتصدي لخطر السلاجقة الذي هدد وجود الإمبراطورية البيزنطية وأمنها مما فرض عليها طلب العون والجند من الغرب، هذا سيتم بحثه لاحقاً⁽²⁾.

وفي عهد ميخائيل السابع، دارت مراسلات بينه وبين البابوية، حيث قام البابا إسكندر الثاني بإرسال سفارة إلى القسطنطينية لتهنئة ميخائيل باعتلائه العرش، وكانت غايته الحقيقية من هذه السفارة هدم التحالف البيزنطي الألماني ضد البابوية، وقد طرح سفراء البابا موضوع وحدة الكنيسة حال وصوله إلى القسطنطينية⁽³⁾، لكن بطريرك القسطنطينية يوحنا أكزيميلينوس lohana Ximillinos (457-467هـ/1064-1075م)⁽⁴⁾ تصدى للسفارة، وأجل التفاوض في هذا الموضوع لوقت لاحق، وفي عام (464هـ/1073م) ولما وافقت المنية البابا إسكندر الثاني، كان الجميع على علم أن⁽⁵⁾ هلدبراند غريغوري السابع Helderand Gregory VII (464-477هـ/1073-1085م)⁽⁶⁾،

balleol= الذي تم القبض عليه فيما بعد، وفي عام (470هـ/1078م) تمرد نفقور بوتانياتس على ميخائيل السابع، وأعلن نفسه امبراطور وتوج بالقسطنطينية، وبعدها دخل ميخائيل السابع سلك الرهبنة، وظل بالدير حتى مماته عام (483هـ/1090م).

Curoplatae.(1839.A.D): **History**, p.724. Psellus.(1899.A.D): **The History Of The Psellus**, p.235.

نيكول.(2003م): **معجم التراجم البيزنطية**، ص 157.

¹ - Curoplatae.(1839.A.D): **History**, p.724. Skylitzes.(2010.A.D): **A Synopsis Of The Byzantine History**, p.441.

² - الربيعي.(د.ت): **موقف الإمبراطورية البيزنطية من قادة الحملات الصليبية**، ص 437؛ رنسيان.(د.ت): **تاريخ الحروب الصليبية**، ج 1، ص 96.

³ - عبيد.(1970م): **د: روما وبيزنطة**، ص 42.

Runciman.(1950.A.D): **The Eastern Schism**, p.59.

⁴ - يوحنا أكزيميلينوس: كان بطريحا للقسطنطينية منذ عام (457هـ/1064م) حتى عام (467هـ/1075م)، كان الصديق المقرب لمخائيل باسيلوس، تم اختياره من قبل قسطنطين التاسع عام (436هـ/1045م) رئيساً لمدرسة القانون المعروفة باسم Nomophylax في القسطنطينية، لكنه استقال من هذا المنصب بعد انتقاد أساليبه في التدريس ففضل الرهبنة على التدريس، وكان هناك تباين بين فلسفته وفلسفة صديقه المقرب باسيلوس، على الرغم من ذلك رثاه باسيلوس بعد موته سنة (467هـ/1075م)، يعدد فيها مناقبه التي انتهى عليها. نيكول.(2003م): **معجم التراجم البيزنطية**، ص 62.

⁵ - Runciman.(1950.A.D): **The Eastern Schism**, pp60-61.

⁶ - غريغوري السابع: اسمه هلدبراند؛ ولد عام (411هـ/1020م) ومات عام (447هـ/1085م)، وكان مستشار لكل من البابا غريغوري السادس، والبابا ليو التاسع، ثم تسلم مندوب البابا في فرنسا، واجه مزاعم العلمانيين في فرض سلطتهم على الكنيسة، دخل في صراع مع الامبراطور هنري الرابع، وتحالف مع روبرت جويسكارد، وقضى ما تبقى من عمره عند جويسكارد في سالرنو حتى وفاته عام (447هـ/1085م). كومنينا.(2004م): **ألكسياد**، ص 7.

William of Apulia.(N.D): **The Deeds Of Robert**.p64.

داثيو.(د.ت): **معجم الباباوات**، ص 91-92؛ رنسيان.(د.ت): **تاريخ الحروب الصليبية**، ج 2، ص 140.

هو المناسب لتسلم المنصب البابوي، واجتمعت جماهير الشعب في روما بعد دفن جثمان البابا الراحل للمطالبة بهلدبراند.

وبعد ذلك تم انتخاب هلدبراند، وإعطائه لقب البابا غريغوري السابع⁽¹⁾، وكانت تعاليم غريغوري السابع وفلسفته فيما يخص المنصب البابوي قد أحدثت تغييراً جوهرياً في مركز المقام البابوي وسلطانه⁽²⁾؛ إذ فرضت أيضاً وجهة نظر معينة تجاه بيزنطة وكنيستها؛ ومن سياق فلسفته بدا مخططه واضحاً، وهو السيطرة على كافة كنائس العالم المسيحي الشرقية والغربية، حيث أكد وبشدة على فكرة سيطرة البابا وحده على جميع السلطات الروحية منها والزمنية، كما قام بمراسلة ملوك غرب أوروبا مؤكداً لهم على حقوق البابوية في السيطرة على جميع السلطات⁽³⁾. في الحقيقة هذه النظرية سوف يناهز بها البابوات الذين سوف يخلفون غريغوري السابع، وبالتحديد البابا إنوسنت الثالث الذي عاصر الحملة الصليبية الرابعة، وسيقوم بتنفيذها عند حرف الحملة الرابعة عن هدفها، وتوجيهها إلى القسطنطينية، والسيطرة على كنيستها، مما يوضح أثر الشقاق الديني في أبعاد هذه النظرية.

وكان من الطبيعي أن يشتعل العداء بين غريغوري السابع والملك الألماني⁽⁴⁾ هنري الرابع Henry IV (447-499/1056-1106م)⁽⁵⁾، بسبب تعاليم البابوية، وزيادة نفوذها على حساب نفوذ الإمبراطور الألماني، ومما زاد من الهوة بين الطرفين، إصدار هنري الرابع قراراً رسمياً بخلع غريغوري السابع عن عرش البابوية، لأنه لا يجوز بقاء الكنيسة تحت حكم شخص ماكر⁽⁶⁾.

Kellett.(1948.A.D): **A short history of religions**, victor gollanczltd, London. p.28.

¹ - داثيو (د.ت): **معجم الباباوات**، ص 93.

Kellett.(1948.A.D): **A Short History Of Religions**.p.288.

² - Cantor.(1997.A.D): **Medieval world**.p.33.

³ - عبيد.(1970م): **روما وبيزنطة**، ص 42-44.

Every.(1947.A.D): **The Byzantine Patriarchate**,pp.34-36. Kellett.(1948.A.D): **A Short History Of Religions**.p.285.

⁴ - فيتالي، اورديك.(2008م): **التاريخ الكنسي**، تر: سهيل زكار، دار التكوين، دمشق، ص 11؛ عبيد.(1970م): **روما وبيزنطة**، ص 42-43.

⁵ - هنري الرابع: ابن الإمبراطور الألماني هنري الثالث، تسلم عرش الإمبراطورية الرومانية المقدسة عام (447/1056م)، دخل في نزاع حاد مع البابا غريغوري السابع، لكنه أعلن خضوعه للبابوية، ومات في بنج عام (499/1106م). الربيعي.(د.ت) : **موقف الامبراطورية البيزنطية من قادة الحملات الصليبية**، ص 438؛ غنيم، أسمت.(2006م): **تاريخ الامبراطورية البيزنطية**، دار المجمع العلمي، ص 204-211.

⁶ - فيتالي.(2008م): **التاريخ الكنسي**، ص 11.

ويتضح من ذلك أن الإمبراطور هنري الرابع ينعت البابا غريغوري السابع بالغدر والمراوغة بشكل علني، ورد البابا غريغوري السابع على هذا الذم بالحرمان الكنسي ضد هنري الرابع، بالإضافة إلى تنحية هنري الرابع عن عرشه⁽¹⁾، في الحقيقة رفعت تعاليم غريغوري السابع وفلسفته من مقام السلطان البابوي، وزادت من نفوذه، وأصبحت هذه التعاليم الداعم القوي لخلفاء غريغوري السابع، وبدأت كنيسة روما والبابوية تؤكد وبشدة على نظرية أن الكنيسة مثل جسد الانسان لها رأس واحد، بالتالي الكنيسة لها زعامة واحدة، وهي كنيسة روما وبابواتها، باتت هذه النظرية تهدد الإمبراطور البيزنطي من جهة، لأنها تحرمه من حقوقه الشرعية في الحكم، وتهدد كنيسة القسطنطينية، ومن جهة ثانية ولاسيما أنها كانت كنيسة مهرطقه ومنحرفة بنظر كنيسة روما، أن تطبيق هذه النظرية يحرم كنيسة القسطنطينية من استقلالها، ومنزلتها المتقدمة التي حاربت من أجلها منذ نشأتها، وفي الحقيقة إن وصف المؤرخة أنا كومينا السلبي لغريغوري السابع ونعته بأن المكاسب الدنيوية هي ما تشغل تفكيره، وتوضح مدى الخطر الذي شكلته فلسفة غريغوري على كنيسة القسطنطينية واستقلالها⁽²⁾، ويتضح مما سلف أثر البعد الديني للشقاق العظيم على فلسفة غريغوري السابع من جهة، ومن وجهة نظر المؤرخة البيزنطية من جهة أخرى.

أما فيما يخص الخطر النورماني فقد شكل تهديداً مباشراً على الإمبراطورية البيزنطية، ولاسيما، عندما سيطروا على أراضي جنوب إيطاليا عام (463هـ/1071م)، واستحوذ القائد النورماني روبرت جويسكارد⁽³⁾ على مدينة باري bari⁽⁴⁾، وبعدها بدأ جويسكارد برسم خطة لنفسه، ومفادها الهجوم والسيطرة على بيزنطة ذاتها، والاستيلاء على عرش الإمبراطورية؛ وتصاعد خوف وقلق الحكومة البيزنطية عندما وصلت أخبارها عن تجهيزات جويسكارد للهجوم على القسطنطينية⁽⁵⁾، فسارع الإمبراطور ميخائيل السابع وقام بمراسلة البابا، والتفاوض معه،

¹ - Kellett.(1948.A.D): **A Short History Of Religions**, p.285.

² - عبيد.(1970م): **روما وبيزنطة**، ص47.

Cantor.(1997.A.D): **Medieval world**,pp.126-129. Runciman.(1950.A.D): **The Eastern Schism**,pp.62-64

³ - William of Apulia.(N.D): **The Deeds of Robert**, pp.1.

⁴ - باري: مناء هام في الجنوب شرقي لشبه جزيرة ايطاليا ويقع شمال ميناء برنديزي، وكان لميناء باري دور تجاري هام مع الشام، وفلسطين ولاسيما في العصور الوسطى. الربيعي.(د.ت): **موقف الامبراطورية البيزنطية من قادة الحملات الصليبية**، ص442.

⁵ - Zonarae.(N.D):**Annalium**, p.254.

عبيد.(1970م): **روما وبيزنطة**، ص49.

وطرح موضوع الوحدة بين الكنيستين، كما تطلع إلى التحالف مع البابا وطلب مساعدته لصد هجوم جويسكارد على بيزنطة، بالإضافة لمساعدة البيزنطيين ضد أعدائهم الأتراك السلاجقة⁽¹⁾، واستطاع البابا إجهاض مشروع جويسكارد، من خلال بناء علاقة مصاهرة بين الحكومة البيزنطية والنورمان، حيث تزوج قسطنطين ابن الإمبراطور ميخائيل السابع من هيلانا ابنة الزعيم جويسكارد، وبذلك نجح البابا في إحباط مشروع وخطط جويسكارد ضد الإمبراطورية البيزنطية⁽²⁾

في الواقع حاول البابا غريغوري للاستفادة من فرصة استغاثة ميخائيل السابع به لتحقيق هدفه الأساسي من حركته الإصلاحية وهي فرض وحدة الكنيسة العالمية تحت إمرة البابا، وفرض سلطان روما على الكنيسة البيزنطية المنحرفة؛ لذا سارع البابا عام (465هـ/1073م) بمراسلة الإمبراطور، يحثه ويطلب منه توحيد الكنائس تحت سلطان كنيسة روما، وتحقيقاً لمخططه، ألقى خطاباً حماسياً يشجع فيه أهالي الغرب اللاتيني للهجوم على الشرق، لإنقاذ المسيحيين وحمايتهم من أي تهديد أو خطر يقوم به السلاجقة، وكانت درجة حماس البابا كبيرة، لدرجة أنه أكد على أنه سيقوم بقيادة الحملة بنفسه⁽³⁾، ويتضح مما سلف أن هدف البابا في قيادة الحملة بنفسه وشدة حماسه هي إعادة السيطرة على كنيسة القسطنطينية، وتحطيم استقلالها، وترسيخ نفوذ كنيسة روما وسيادتها على كافة الكنائس المسيحية.

لكن لم تبق الظروف السياسية على حالها، فتبدد الخطر النورماني عن الإمبراطورية البيزنطية، ولم تعد بيزنطة بحاجة ملحة للعون الغربي، وما منح البيزنطيين فرصة للتخلص من الوعود التي قدمت لغريغوري السابع في ما يخص وحدة الكنائس دخول البابا غريغوري السابع في صراع مع الإمبراطور الألماني هنري الرابع وانشغاله

¹ - باركر، أرنت. (د.ت): الحروب الصليبية، تر: السيد الباز العريني، دار النهضة العربية، بيروت، د.ط، ص 19؛ رنسيان. (د.ت): تاريخ الحروب الصليبية، ج 1، ص 148.

Runciman.(1950.A.D): The Eastern Schism, p.60.

² - كومنينا. (2004م): ألكسياد، ص 53

Curoplatae.(1839.A.D): History, p.724.

³ - عبيد. (1970م): روما وبيزنطة، ص 49.

Kellet.(1948.A.D): A Short History Of Religions, pp.284-286

بذلك الصراع؛ وبالتالي لم يستطع القدوم وقيادة الحملة إلى القسطنطينية⁽¹⁾، وفي عام (470هـ/1078م) قام نقفور الثالث بوتانياتس Nakfor III Botaniates (470-473هـ/1071-1078م)⁽²⁾ بالتمرد على الإمبراطور ميخائيل، السابع وتسلم العرش البيزنطي، وكان البابا غريغوري السابع وجويسكارد يدعمان ميخائيل السابع ضد مغتصب العرش الجديد أمام هذا أعلن البابا غريغوري السابع قراراً بالحرمان ضد بوتانياتس⁽³⁾، ووجد جويسكارد بدعته وتأييده للإمبراطور المخلوع ميخائيل مسوغاً لهجوم بيزنطة، لا سيما بعد حصوله على تأييد مباشر وواضح من قبل البابا غريغوري السابع على أي إجراء يتخذه جويسكارد ضد بيزنطة⁽⁴⁾. في هذه الآونة ظهرت شخصية بيزنطية تدعى ريكتور Rector⁽⁵⁾، وادعى أنه الإمبراطور المخلوع ميخائيل السابع، وأنه استطاع الهروب من السجن، والوصول إلى جويسكارد، في الواقع إن جويسكارد رأى في شخصية ريكتور - الذي يعلم إنها ليست الإمبراطور ميخائيل السابع - فرصة مناسبة، ومسوغاً قوياً لتحقيق ما يسعى إليه، وتنفيذ حلمه في مهاجمة القسطنطينية⁽⁶⁾

واصل البابا في دعمه لجويسكارد، ومخططاته ضد الإمبراطورية البيزنطية⁽⁷⁾، لأن البابا قد أدرك تماماً أن أي انتصار يحققه جويسكارد على بيزنطة، يعد انتصاراً لكنيسة روما على كنيسة القسطنطينية المنحرفة، وهذا التأييد البابوي زاد من عملية هدم العلاقات بين كنيسة روما وكنيسة القسطنطينية؛ في الحقيقة إن دعم غريغوري

¹ - عبيد. (1970م): روما وبيزنطة، ص 49.

Kellett.(1948.A.D): **A Short History Of Religions**, pp.284-286

² - بوتانياتس: استطاع جمع حوله حشداً كبيراً من القوات السلجوقية، وخاصة أنه كان يمتلك طموحاً جامعاً في السيطرة على الحكم، وتم له ذلك بعد أنتشار الفوضى في أرجاء الإمبراطورية، ونادى به رجال الدين إمبراطوراً، على أمل القضاء على الفوضى، ولكن بوتانياتس لم يستطع إعادة الهدوء والقضاء على الفوضى، فلم يمتلك الذكاء السياسي لتصريف بشؤون الدولة بشكل جيد، لذلك القوات البيزنطية نادت بألكسيوس كومنين إمبراطوراً وتنازل بوتانياتس عن العرش وسلط الرهبانية وتوج الكسيوس عام (473هـ/1081م). كومنين. (2004م): ألكسياد، ص 67.

Attalioae(Michaelis).(N.D): **Historia**, cshb, bonnai,p.204. Bryennius.(1836.A.D): **Histirium**,p.121p.167. Zonarae.(1897.A.D): **Epitoma historia** , p.723.

³ - رنسيان.(د.ت): تاريخ الحروب الصليبية، ج 1، ص 70؛ الصلابي، علي محمد.(2006م): دولة السلاجقة ويزور مشروع اسلامي لمقاومة التغلغل الباطني والغزو الصليبي، مؤسسة اقرأ، القاهرة، ص 447.

⁴ - كومنين. (2004م): ألكسياد، ص 67.

Bryennius.(1836.A.D): **Histirium**, p.121 .

زينتون.(1980م): العلاقات السياسية والكنسية، ص 351 .

⁵ - ريكتور: وقام بالتحالف مع جويسكارد النورماني، وادعى أنه الإمبراطور ميخائيل السابع الذي تم التمرد عليه وخلعه، وصفته أنا إنه رجلٌ داهية ماکر فطنٌ، ومجرمٌ مولعٌ في الإجرام. كومنين. (2004م): ألكسياد، ص 67؛ عبيد. (1970م): روما وبيزنطة، ص 50-51.

⁶ - كومنين. (2004م): ألكسياد، ص 67؛ رنسيان.(د.ت): تاريخ الحروب الصليبية، ج 1، ص 148.

⁷ - كومنين. (2004م): ألكسياد، ص 72.

السابع، وتأبيده الواضح لأطماع جويسكارد ومخططاته ضد بيزنطة، سوف يولد كرهاً كبيراً في قلوب البيزنطيين⁽¹⁾، وهذا الكره سيكون له أثر سلبي على العلاقات الكنسية بين الطرفين، وسيزيد من رغبة الانتقام فيما بعد. ولعل الدليل على ذلك ما كتبه أنا كومنيناً عن غريغوري السابع والشتائم السلبية التي نعتته فيها ولاسيما نعتة بالبربري⁽²⁾. هذا يوضح أثر الشقاق الديني على مشاعر البيزنطيين تجاه اللاتين بشكل عام والبابا بشكل خاص.

وقبل أن يبدأ جويسكارد بتنفيذ مخططه، وتحقيق أحلامه بالهجوم على بيزنطة، وبالتحديد عام (473هـ/1081م)، حدث انقلاب عسكري أدى لتسلم العرش البيزنطي⁽³⁾ ألكسيوس كومنين Alexeus Comanen (473-512هـ/1081-1118م)⁽⁴⁾، ومثل العادة كانت ردة فعل البابا غريغوري السابع إعلان قرار الحرمان ضد ألكسيوس كومنين⁽⁵⁾، الذي سارع للرد على البابا بإغلاق جميع الكنائس اللاتينية الموجودة في القسطنطينية⁽⁶⁾، ولعل قرار الكسيوس كومنين عائد إلى أثر الشقاق الديني بين كنيسة روما وكنيسة القسطنطينية وما حمله هذا الشقاق من مشاعر كره متبادلة بين الطرفين. لكن الكسيوس الذي يتمتع بالذكاء السياسي والدبلوماسية الفذة، استخدمها للتخلص من خطر جويسكارد والبابا معاً، حيث قام بالتودد والتواصل مع الإمبراطور الألماني هنري الرابع، الذي كان يعاني من أزمة مالية خانقة بالإضافة إلى العلاقة السيئة التي تجمعها بالبابا غريغوري السابع⁽⁷⁾، فاستغل ألكسيوس كومنين كل ما سلف، وحاول التحالف مع هنري الرابع، ليحطم من خلاله تحالف

¹ - رنسيان.(د.ت): تاريخ الحروب الصليبية، ج1، ص150.

² - كومنيناً.(2004م): ألكسياد، ص72.

³ - رنسيان.(د.ت): تاريخ الحروب الصليبية، ج1، ص107-108.

⁴ - ألكسيوس كومنين: هو الابن الثاني ليوحنا كومنين، وتعد أسرة كومنين من كبار ملاك الأراضي، ومن الأثرياء، استطاع بذكاء ودهاء أبعاد نفقور الثالث العجوز عن العرش، وتوج نفسه بدلاً منه عام(473هـ/1081م)، ووجه نظاره وقوته منذ البداية إلى طرد النورمان الذين كانوا بقيادة روبرت جويسكارد، واستطاع فعل ذلك بمساعدة البنادقة، وكفاهم بامتيازات تجارية، وهزم البشنق عام (485هـ/1092م) جمع بين السياسي الفذ والمحارب الداهية ومجح في تأسيس اسرة قوية ثابتة الاركان مات ألكسيوس عام (512هـ/1118م) وتسلم ابنه يوحنا الثاني الحكم بعده. كومنيناً.(2004م): ألكسياد، ص113.

Bryennius.(1836.A.D): Histirium,p.130. Zonara.(1897.A.D): Epitomae Historia, p.730.

عمران.(2002م): الإمبراطورية البيزنطية وحضارتها، ص251؛ نيكول.(2003م): معجم التراجم البيزنطية، ص78.

⁵ - كومنيناً.(2004م): ألكسياد، ص75؛ رنسيان.(د.ت): تاريخ الحروب الصليبية، ج1، ص150.

⁶ - عبيد.(1970م): روما وبيزنطة، ص51.

Runciman.(1950.A.D): The Eastern Schism,p.61.

⁷ - كومنيناً.(2004م): ألكسياد، ص78.

William Of Apulia.(N.D): The Deeds Of Robert,p.12.

النورمان والبابا ضده⁽¹⁾، وسفراء ألكسيوس وصلوا إلى هنري الرابع في أثناء محاصرته مدينة روما عام (473هـ/1081م)، وكان السفراء محملين بالأموال والذهب الذي ينش خزينة هنري الخاوية⁽²⁾، وكانت سياسة ألكسيوس مع هنري ذكية ودبلوماسية، وأستطاع من خلالها تأمين حليف يساعده على مواجهة التحالف البابوي النورماني⁽³⁾،

وأكمل الإمبراطور البيزنطي تنفيذ سياسته الدبلوماسية، حيث تودد إلى جمهورية البندقية⁽⁴⁾، التي أدركت مدى الخطر الذي يهدد مصالحها التجارية، والسياسية، في البحر الإدياتيكي، بمجرد هجوم النورمان على شواطئ إيريا، وقدم الكسيوس لدوق البندقية امتيازات تجارية في الإمبراطورية، مقابل دعمها للأسطول البيزنطي في صراعها ضد جويسكارد⁽⁵⁾، وكان جويسكارد قد وجه ابنه بوهمند Bohemund (491-505هـ/1098-1111م)⁽⁶⁾ على رأس حملة عسكرية ليحتل⁽⁷⁾ أفلونا Avalona وكانينا Canina وهاريكو Hiericho⁽⁸⁾، وفي عام (473هـ/1081م) تبع جويسكارد بوهمند، واستحوذ على جزيرة⁽⁹⁾ كورفو corfu⁽¹⁰⁾، وواصل الزحف نحو دوروزو Dorozo⁽¹¹⁾ التي

عبيد. (1970م): روما وبيزنطة، ص 51.

¹ - William Of Apulia.(N.D): **The Deeds Of Robert**.,p.12.

² - كومنينا. (2004م): ألكسياد، ص 158؛ عبيد. (1970م): روما وبيزنطة، ص 52.

Vasiliev.(1971.A.D): **History Of The Byzantine Empire**, vol. II ,p.380.

³ - عبيد. (1970م): روما وبيزنطة، ص 51.

⁴ - جمهورية البندقية: تشكل عدة جزر صغيرة، سميت جميعها باسم جزيرة فينا Venetia، وقد عمل البنادقة بالتجارة البحرية بكل مهارة. الإدريسي. (1964م): نزهة المشتاق، ص 11؛ زيتون. (1980م): العلاقات السياسية والكنسية، ص 113.

⁵ - كومنينا. (2004م): ألكسياد، ص 157.

William Of Apulia.(N.D): **The Deeds Of Robert**, p.22.

⁶ - بوهمند: أكبر أبناء روبرت جويسكارد، شارك مع والده في حروبه ضد الإمبراطورية البيزنطية، وشارك بالحملة الصليبية الأولى وتسلم إمارة انطاكية عام (491هـ/1098م) ومات عام (505هـ/1111م) بعد إصابته بالحمى. كومنينا. (2004م): ألكسياد، ص 163.

William of Apulia.(N.D): **The Deeds Of Robert**, p.53.

عبيد. (1970م): روما وبيزنطة، ص 56.

⁷ - كومنينا. (2004م): ألكسياد، ص 37-40.

William Of Apulia.(N.D): **The Deeds Of Robert**,p.15.

⁸ - أفلونا. كانينا. هاريكو: جزر على الشاطئ الشرقي للبحر الادرياتي. زيتون. (1980م): العلاقات السياسية والكنسية، ص 55.

⁹ - الصلابي (2006م): دولة السلاجقة، ص 562.

¹⁰ - وكورفو: تقع في البحر الادرياتي، وكانت تتبع لجمهورية البندقية، وعدد اليهود فيها قليل. التظلي. (2002م): رحلة بنيامين، ص 28؛ ول ديورانت. (1981م): قصة الحضارة، ج 14، ص 213.

¹¹ - دوروزو: مدينة تبعد عن القسطنطينية مسافة مئة فرسخاً، وكانت تسمى من قبل دراخيوم أو سلافونيك أو ابيدوس وتقع حالياً في تركيا.

Vasiliev.(1971.A.D): **History Of The Byzantine Empire**, vol.I, p.386.

كانت تعدّ مدينة هامة للبيزنطيين، كونها مدخل بيزنطة الوحيد نحو الغرب، وقامت الحرب في هذه المدينة سنة (474هـ/1082م)، وانتصر النورمان، وتقهقر الكسيوس إلى مدينة سالونكا، وسقطت مدينة دوروزو، وبسقوطها بات الطريق مفتوحاً أمام النورمان إلى القسطنطينية، لكن الكسيوس استغل الأخبار التي وصلتته عن الاضطرابات العارمة والتمردات المتتالية داخل مملكة جويسكارد، ليواجه إجراءات جويسكارد العدائية، كما استغل نجاح الإمبراطور الألماني هنري الرابع باحتلال مدينة روما، وضرب حصاراً شديداً على البابا غريغوري السابع حليف النورمان، الذي طلب المساعدة من جويسكارد، مقابل إعطائه التاج الإمبراطوري الروماني؛ ورحب جويسكارد بهذه الفكرة بحماس شديد، وعاد مسرعاً إلى إيطاليا تاركاً ابنه بوهمند على رأس جيشه، ليكمل الهجوم على القسطنطينية، وخاصة بعد هزيمة الكسيوس مرتين على يد بوهمند، وسعى جويسكارد جاهداً عند وصوله إلى إيطاليا كي يقضي على التمردات، وأن يساعد البابا، ويتسلم التاج الإمبراطوري مقابل هذه المساعدة⁽¹⁾، لكن الكسيوس رسم لنفسه خطة ذكية لكي يوقع بوهمند، فقد تغلغل هو وأعوانه من خلف معسكر النورمان، بينما ألبس أحد رجاله الذي الإمبراطوري وأرسله على رأس جيش قبالة معسكر بوهمند؛ وبذلك استطاع الكسيوس وأعوانه الدخول إلى معسكر النورمان، واستولوا على مؤنهم وأسلحتهم، وبهذا انقلبت الكفة لصالح الكسيوس⁽²⁾. أثارت أنباء هزيمة بوهمند غضب جويسكارد، الذي أبحر مع أبنائه في أسطول لتدمير بيزنطة والقضاء عليها، لكن أسطول البندقية دمر عدداً كبيراً من السفن الحربية التابعة للنورمان، رغم هذا واصل جويسكارد التقدم، وهزم أسطول البندقية، واحتل جزيرة كورفو⁽³⁾. إن أصرار جويسكارد للتقدم نحو القسطنطينية على الرغم من خسارة جزء كبير من أسطوله، تؤكد أحلام جويسكارد في تدمير بيزنطة، والسيطرة عليها دون كلل أو ملل.

¹ - كومنينا. (2004م): ألكسياد، ص 157-177-209.

William Of Apulia.(N.D): The Deeds Of Robert, pp.12-27.

عبيد. (1970م): روما وبيزنطة، ص 53.

² - كومنينا. (2004م): ألكسياد، ص 216-217؛ عبيد. (1970م): روما وبيزنطة، ص 53.

³ - William Of Apulia.(N.D): The Deeds Of Robert, p.65.

ويتضح مما سلف يؤكد ما أشارت إليه أنا كومنينيا من وصف دقيق لجويسكارد: "أن روح جويسكارد عدوانية لا تعرف الخسارة"⁽¹⁾. ويعتقد إن هذه السوابق للنورمان زرعت الشك والريب في قلب الإمبراطور الكسيوس كومنين من عناصرهم المشاركة في الحملة الصليبية الأولى، مما جعله لا يثق بعهودهم وموآثيقهم، وهذا ما حدث عندما سقطت أنطاكية بأيدي الصليبيين، فلم يرجعوها إلى حضيرة الإمبراطورية البيزنطية. وإصرار جويسكارد العنيد على التقدم، جعل بيزنطة وإمبراطورها يعيشان بحالة من القلق والرعب نتيجة الخطر الذي شكله اعتداء جويسكارد على وجود بيزنطة، لكن جملةً من الظروف سارت لصالح الكسيوس، فقد تقشّى مرض الطاعون بين صفوف الجند النورمان، وعدد كبير منهم لقوا حتفهم، ومات جويسكارد في عام (477هـ/1085م) على أثر مرض قد حل ببدنه، كما أصيب بوهمند بداء، وارتحل للعلاج في إيطاليا وفي العام نفسه مات البابا غريغوري السابع؛ بالتالي تبدد الخطر الذي أرهق الكسيوس كومنين ب وفاة غريغوري السابع، وجويسكارد اللذين تحالفا ضده، وشكلاً خطراً جسيماً على الكسيوس وإمبراطوريته⁽²⁾، بهذه الحالة استمرت العلاقات بين روما والقسطنطينية تمضي في طريق مغلق حتى وفاة البابا غريغوري السابع وحليفه، لكنها سوف تأخذ مسلكاً آخر عند استلام البابا أوربان الثاني Urbain II (480-491هـ/1088-1099م) المنصب البابوية⁽³⁾.

¹ - كومنينيا. (2004م): الكسياد، ص 240-247.

² - كومنينيا. (2004م): الكسياد، ص 240-247.

William Of Apulia.(N .D): The Deeds Of Robert, p.65.

عبيد. (1970م): روما وبيزنطة، ص 54.

³ - أوربان الثاني: ولد في فرنسا عام (427هـ/1035م)، كان راهباً في كولوني، ثم أصبح كاردينال عام (470هـ/1078م)، خلف فيكتور الثالث على البابوية، عقد العديد من المجمع الكنسية منها كليرمونت. ارتبط اسمه بالحملة الصليبية الأولى، ونشاطه لم يقف عند ذلك، حيث تدخل في إسبانيا حيث دعم ألفونسو السادس في حروبه لاستعادة بلاده من حكم العرب، وكان لأوربان الدور الأساسي والجوهري في وجود الحركة الصليبية، وخروجها من الغرب الأوروبي، وتوجيهها إلى الشرق ومات في روما عام (491هـ/1099م). داثيو (د.ت): معجم الباباوات، ص 97-99؛ الصلابي (2006م): دولة السلاجقة، ص 448.

3- أثر الخلاف الكنسي في الدعوة للحملات الصليبية التي بدأت عام (488هـ/1095م).

إن معركة ملاذكرد (463هـ/1071م) كما ذكر سالفاً صنعت مصير آسيا الصغرى، ولكن البيزنطيين استنكروا انتصار السلاجقة وامتدادهم، وقرروا كبح جماح توسعهم، وعزموا على طردهم، واسترداد أراضيهم التي خسروها على أثر المعركة⁽¹⁾؛ لكنهم أدركوا جيداً صعوبة تنفيذ ذلك دون إيجاد حلفاء أقوياء يقدمون لهم العون، لذلك وجهوا أنظارهم نحو الغرب اللاتيني⁽²⁾، ففي عهد ميخائيل السابع دارت عدة مراسلات ومفاوضات مع البابا غريغوري السابع بشأن تقديم الغرب اللاتيني يد العون للبيزنطيين ضد السلاجقة، وكان غريغوري السابع متحمساً لذلك⁽³⁾، لكن هذه المفاوضات كانت دون جدوى، لأنها كانت مجرد حبرٍ على ورق⁽⁴⁾، وفي عهد بوتانياتس كانت علاقته مع البابا غريغوري السابع سيئة، لأن البابا رفض تأييده، وأعلن بحقه قرار الحرمان⁽⁵⁾.

وفي عهد ألكسيوس كومنين الذي سعى جاهداً لاسترداد ما استحوذه السلاجقة، وإعادة مجد الإمبراطورية البيزنطية، ولتحقيق ذلك طرح قضية توحيد الكنيستين الشرقية والغربية تحت سلطة البابا، مقابل مساعدة الإمبراطور ألكسيوس كومنين في إعادة أمجاد الإمبراطورية البيزنطية، إضافة إلى أن يتوج إمبراطوراً للشرق والغرب معاً، لكن حينها كان المنصب البابوي بيد البابا إسكندر الثاني Scander II الذي لم يكتثر للفكرة، ولم يشجع عرض ألكسيوس، وما إن تخلصت الإمبراطورية البيزنطية من خطر وتهديدات جويسكارد حتى انشغلت بخطر جديد، وهو غزو⁽⁶⁾ قبائل البشنق Petchenegs⁽⁷⁾، الذين كانوا يخططون للهجوم على العاصمة البيزنطية، فقد تحالفت مع السلاجقة الأتراك في آسيا الصغرى ضد بيزنطة، وخسر ألكسيوس كومنين مرات عديدة أمام قبائل البشنق، كما فقد

¹ - ابن الأثير. (1997م): الكامل في التاريخ، ج10، ص416.

Psellus.(1899.A.D): The History Of Psellus, p.340.

² - Setton.(1969.A.D): History Of The Crusades, VOL.I, PP.226-227.

³ - Curopalatae.(1839.A.D): Historia, p.724. Psellus.(1899.A.D): The History Of Psellus, p.366.

⁴ -Runciman.(1950.A.D): The Eastern Schism, p.61.

⁵ - Bryennius.(1836.A.D): Histirium, p.167.

⁶ -الربيعي.(د.ت): موقف الإمبراطورية البيزنطية من قادة الحملات الصليبية، ص438؛ الصلابي.(2006م): دولة السلاجقة، ص 447.

⁷ -البشنق: هم قبائل تركية من السكيتين، استقرت زمناً في روسيا الجنوبية، وفي القرن الخامس هجري/ التاسع الميلادي نزحوا الى منطقة الواقعة بين البلقان والدانوب وعبروا نهر ايستورس.

Attaliotae(Michaelis).(1853.A.D): Historia, cshb, ponnae, p.24. Zonarae.(n.d): Annalium, p.171.

الربيعي.(د.ت): موقف الإمبراطورية البيزنطية من قادة الحملات الصليبية، ص30.

ألكسيوس أفضل رجاله ومحاربيه⁽¹⁾، لهذا توجه ألكسيوس كومنين إلى الغرب اللاتيني مستغنياً بجند المرتزقة، والسؤال الذي يطرح نفسه: ما هو مصدر خوف الكسيوس كومنين؟

هل هو تحالف البشنق والسلاجقة وتكرار ملاذ كرد ثانية؟ أم أنّ خسارة خيرة محاربيه الأشداء هو الذي دفعه للاستجداد بمرتزقة اللاتين على أنه بديل؟

في الواقع قام ألكسيوس بطلب العون بفرقة من الجند المرتزقة لتخدم في جيشه، وأدرك أن الجهة الوحيدة التي يمكنها أن تمد له يد العون في هذا الأمر هي البابوية، وهذا يعلل التبدل المفاجئ الذي ظهر على طبيعة العلاقات بين بيزنطة والبابوية⁽²⁾.

فقد تسلم المنصب البابوي رجل يتمتع بالدبلوماسية والذكاء السياسي، وهو البابا أوربان الثاني، وقد أدرك أن تعامل أسلافه من البابوات مع القضية البيزنطية كان خاطئاً، وكان وجود⁽³⁾ روبيرت الأول من فلاندرز robert de flandress⁽⁴⁾ في القسطنطينية فرصة ذهبية لألكسيوس، فقد كان روبيرت عائداً من حج الاراضي المقدسة في الشام إلى غرب أوروبا، بعد تعرضه للضغط من المسلمين في أثناء زيارته للأراضي المقدسة، فاستغل الكسيوس هذا، فبالغ في تصوير سوء معاملة الحجاج المسيحيين، لإثارة الرأي الشعبي في الغرب الأوروبي ضد المسلمين بحجة أن المسلمين، يعيقون حركة الحج الغربي، وفي الواقع أفرط المؤرخ باركر أيضاً في تصوير سوء معاملة الحجاج المسيحيين لأن طريق الحج إلى بيت المقدس بقي آمناً ومفتوحاً حتى بدء الحروب الصليبية، ولم يعانِ الحجاج المسيحيون من تعسف أو تعذيب من قبل الحكام المسلمين⁽⁵⁾، وكانت سياسة البابا الجديد

¹ - كومنينا. (2004م): ألكسياد، ص254.

Attaliotae.(1853.A.D): **Historia** , p.205.

² - الربيعي.(د.ت): موقف الإمبراطورية البيزنطية من قادة الحملات الصليبية، ص440؛ شينيه: تاريخ بيزنطة، ص103.

³ - زيتون.(1980م): العلاقات السياسية والكنسية، ص353

Runciman.(1950.A.D): **The Eastern Schism**,p.61.

⁴ - روبيرت الأول من فلاندرز: هو الابن الثاني للكونت بلوين الرابع النقي، وكان كونت فلاندرز - الاراضي الواطنة - يدعى روبيرت فريزون أي ذو الشعر المجعد، ولد عام (423هـ/1031م)، وأصبح كونت فلاندر عام (463-485هـ/1071-1093م). الربيعي.(د.ت): موقف الإمبراطورية البيزنطية من قادة الحملات الصليبية، ص439.

⁵ - (د.ت): الحروب الصليبية، ص16؛ الربيعي.(د.ت): موقف الإمبراطورية البيزنطية من قادة الحملات الصليبية، ص439.

مشجعة لألكسيوس للاستعانة بجند مرتزقة، فقد تحمس ألكسيوس لمناقشة موضوع وحدة الكنائس، وطلب جنداً مرتزقة، وسعى البابا أوربان جاهداً بعدم وضع البابوية والغرب اللاتيني في خدمة الإمبراطورية البيزنطية، وتحت سيطرتها، بل سعى بأقصى جهده أن تتسلم البابوية مسؤولية تقديم المدد، ويد العون للمسيحيين في الشرق لا أن يرسل جند مرتزقة تخدم تحت سيطرة البيزنطيين، ولإنجاز مخططه يجب أن يجمع العالم المسيحي جيشاً كبيراً، وينطلق نحو الشرق.

في الواقع إن تباين وجهات النظر والأهداف بين ألكسيوس والبابوية أدى فيما بعد إلى خلق عدة مشاكل ومتاعب بين البيزنطيين والصلبيين الذي سيتم بحثها لاحقاً⁽¹⁾

أرسل بطريرك القسطنطينية إلى البابا أوربان بأمر من ألكسيوس رسالة مليئة بالمودة والملاطفة، وقابل أوربان هذه المودة برفع قرار الحرمان عن الإمبراطور الكسيوس كومنين، وحدثت عدة مفاوضات ودية بين أوربان وبطريرك القسطنطينية⁽²⁾ نيقولا الثالث جراماتيوكوس Neekola III Jramatecus⁽³⁾ الذي وضح لأوربان أنه تم إعادة فتح الكنائس اللاتينية في القسطنطينية، والسماح لها بكل صدر رحب بممارسة شعائرها الدينية بحرية تامة، وهذا أعاد شيئاً من الود الذي تززع مرات عديدة منذ قطيعة (446هـ/ 1054م) بين الكنيستين الشرقية والغربية⁽⁴⁾؛ ولكي يخلق ألكسيوس كومنين جواً من التقارب مع البابوية للحصول على المساعدة اللازمة منهم، سعى لترؤس مجمع باري، الديني الذي عقد في القسطنطينية عام (482هـ/ 1089م)، وطرح قضية توحيد الكنائس مع البطريرك والمسؤولين عن الكنيسة البيزنطية، وكان من ضمن الحضور في هذا المجمع بطريرك أنطاكية، كما ناقش ألكسيوس

¹ - الصلابي. (2006م): دولة السلاجقة، ص 447.

Angold(M). (1995.A.D): Church And Society in Byzantium Under The Comneni, 1081-1261, university bress, Cambridge, p.38.

² - Angold.(1955.A.D): Church And Society In Byzantin, p.44. Runciman.(1950.A.D): The Eastern Schism, p 76.

³ - نيقولا الثالث: هو نيقولا الثالث كيردنياتس kyrdiniates الجرمايكي بطريرك القسطنطينية من عام (477هـ/ 1084م) حتى (505هـ/ 1111م)، وكان من الرجال الذين قاموا بإصلاح ما في الكنيسة من العيوب، ولا سيما ما كان منها ناجماً عن السيطرة العلمانية على الأديرة ومن بين أعماله الفكرية مجموعة من الإجابات والردود على أسئلة شتى متنوعة قدمها إليه رهبان جبل آتوس وكلها تتعلق بالقانون الكنسي. نيكول. (2003م): معجم التراجع البيزنطية، ص 55.

⁴ - عبيد. (1970م): روما وبيزنطة، ص 59.

مع الحضور وجود وثيقة شرعية تدل وتثبت أن هناك أي انفصال بين كنيسة روما وكنيسة القسطنطينية، وكان جواب رجال الدين والحاضرين في المجمع: أنهم لا يملكون أية وثيقة تدل على الانفصال بين الكنيستين؛ وبناءً عليه اقترح الكسيوس إدراج اسم البابا أوربان الثاني في قوائم كنيسة القسطنطينية تلبية لطلب البابا أوربان، كما قرر ألكسيوس تأخير مناقشة القضايا المختلف عليها بين الكنيستين لبعض الوقت، وعندما طلب بعض رجال الدين مناقشة مسألة بعض الانحرافات في العقيدة اللاتينية تصدى لهم ألكسيوس بالرفض القاطع لمناقشة هكذا مواضيع⁽¹⁾.

كتب بطريرك القسطنطينية إلى البابا في عام (482/1089م) بناءً على طلب من ألكسيوس، وهاجم بشدة الأفراد الذين انتقدوا المقام البابوي، ووصفوه بالكارثة على الكنيسة اللاتينية وعقيدتها، وأوضح البطريرك أنه لن يعيق أو يزعج وجود الكنائس اللاتينية في بيزنطة مادامت روما لم تتعرض بسوء للكنائس البيزنطية في إيطاليا، والسماح لهم بممارسة شعائهم الدينية بحرية تامة، ووضح البطريرك أنه يأمل ويحاول بأقصى جهده احلال السلام والوئام بين الكنيستين حتى لو كلفه ذلك روحه، لكنه أشار في ختام رسالته أن هناك بعض الاضطهاد بحق الكنائس البيزنطية في إيطاليا⁽²⁾.

في الواقع أن البند الأخير من الرسالة يدل أن تسامح البابا أوربان الثاني لكنيسة القسطنطينية وللبيزنطيين شكلي فقط، مقصور على المراسلات اللطيفة، والكلام المعسول، ولعل هذا عائد إلى الخلفية الدينية للشقاق الكنسي؛ ولاسيما أن البابا أوربان استبدل الأسقف البيزنطي في إيطاليا بأسقف فرنجي وعينه بشكل شرعي، وكما كان يلح على استحواد روما لبعض الأقاليم الهامة، مثل اقليم سالونيك Saloneka. في الواقع حتى التسامح الذي ظهر من جهة البيزنطيين كان شكلياً ومقصوراً على المراسلات اللطيفة، فقد كانت المراسلات الودية التي سطرها البطريرك البيزنطي للبابا أوربان بضغط من ألكسيوس كومنين، ولم يكن للبطريرك أية رغبة أو شغف للقيام بمثل هذه

¹ - جراسيموس (1894م): تاريخ الشقاق، ج2، ص157؛ زيتون (1980م): العلاقات السياسية والكنسية، ص355؛ عبيد (1970م): روما وبيزنطة، ص59.

Angold.(1955.A.D):Church And Society In Byzantin, p.45. Runciman.(1950.A.D): The Eastern Schism, pp.77- 78.

² - J.P.Migene.(1897.A.D): Patrologiae, Gursus, VOL CXX VI, PP.200-210.

عبيد (1970م): روما وبيزنطة، ص60.

المراسلات، وإن للشقاق الديني أثراً في ردة فعل البطريرك من هذه المراسلات، ولكن المصلحة السياسية للإمبراطورية البيزنطية، والحاجة الماسة للجند المرتزقة، جعلت الإمبراطور ألكسيوس كومنين يجبر البطريرك على ملاطفة ومراسلة البابا أوربان، وأيقن ألكسيوس وجود اختلافات حادة تفصل بين الكنيستين، وسعى ألكسيوس جاهداً للتقليل من أهمية الخلافات العقائدية، فامر رجاله وبعض المؤرخين أن يسطروا مقالات عن أهمية الوحدة بين الكنيستين، وتصغير شأن الخلافات الدينية بين الكنيستين وأكفاً من يقوم بهذه المهمة⁽¹⁾ هو المؤرخ ثيوفلاكت Theophylact⁽²⁾، الذي سطر مقال عام (483هـ/1090م) تحت عنوان (حديث عن أخطاء اللاتين)، وجهه الى شماس بيزنطي كان قد انتقد الانحرافات في العقيدة اللاتينية، ولاسيما زواج القساوسة والصيام وأكل اللحوم، وأكد ثيوفلاكت أنها قضايا لا تلامس الجوهر؛ حيث قال: " من المضحك أن نقاطع اللاتين لان رجال الدين عندهم يحلقون اللحى"⁽³⁾، وأشار أنه يجب على الإغريق عدم البحث عن سلبيات غيرهم، لكن ثيوفلاكت ركز على الخلاف الوحيد الذي يعد من أخطاء اللاتين هو: إضافة كلمة " ومن الابن أيضاً" Filiogue عند الكلام عن انبثاق الروح القدس؛ لكنه أكد على عامل اللغة واضمحلال اللغة اللاتينية بالمصطلحات اللاهوتية هو الذي أوجد هذه الاختلافات بين الطرفين⁽⁴⁾. هذا يدل على أثر الشقاق الديني حتى على المجموعة التي تؤيد فكرة التفاهم والتقارب مع كنيسة روما؛ فهذه المجموعة ترفض إضافة كلمة " ومن الابن ايضا" filioque الى قانون الإيمان⁽⁵⁾، كما قام القديس أنسلم Anselm اللاتيني (425-503هـ / 1033-1109م)⁽⁶⁾ بكتابة مقالاً أكد فيه أن اللاتين والإغريق

¹ - عبيد. (1970م): روما وبيزنطة، ص 59-63.

² - ثيوفلاكت: هو رئيس اساقفة بلغاريا وهو مؤرخ بيزنطي معروف، وكان من الرجال المقربين والمخلصين للإمبراطور ألكسيوس كومنين. زيتون. (1980م): العلاقات السياسية والكنسية، ص 435.

³ - J.P.Migene.(1897.A.D): Patrologiae, Gursus: theophylact, archbishop of Bulgaria, vol.CXXVI, pp.221-224.

زيتون. (1980م): العلاقات السياسية والكنسية، ص 354.

⁴ - J.P.Migene.(1897.A.D): Patrologiae, Gursus: theophylact, archbishop of Bulgaria, vol.CXXVI, pp.221-224.

رستم. (1938م): كنيسة أنطاكية، ج 2، ص 240.

⁵ - عبيد. (1970م): روما وبيزنطة، ص 64.

⁶ - أنسلم: هو رئيس اساقفة كافييري - مطرانية في إنكلترا-، كان من المجموعة المؤيدة لفكرة التفاهم والتقارب مع البيزنطيين الإغريق، وكان له دور في ذلك، وكان له فلسفته الخاصة التي تؤكد: أن من خلال التفكير العقلي المنطقي نستطيع إثبات مسألة وجود الله. زيتون. (1980م): العلاقات

أخوة وليسوا منشقين، وأن وجود بعض الفوارق والاختلافات فيما بينهم لا يعد عاملاً كافياً للانشقاق⁽¹⁾، بينما يشير اسحق عبيد إلى عكس ذلك فقد أوضح أن القديس أنسلم عدد أخطاء البيزنطيين وانحرافاتهم بشكل هجومي، واتهم البيزنطيين وكنيستهم بالانحراف عن العقيدة المسيحية الصحيحة⁽²⁾. في الحقيقة أن ألكسيوس كومنين كان مدركاً تماماً صعوبة إيجاد شيء من التسوية والتوافق مع اللاتين فيما يخص المسائل الدينية، لكن ضرورة الحصول على العون من الغرب، وإمداده بجند مرتزقة، فرضت عليه خلق جو الوئام والتقارب مع البابا أوربان الثاني⁽³⁾؛ إلا أن الظروف تبدلت بشكل كلي لصالح ألكسيوس كومنين، ففي عام (484هـ/ 1091م) استطاع ألكسيوس كومنين من القضاء على البشنق⁽⁴⁾، وتتالت الفرص الجيدة حتى وصله خبر وفاة السلطان السلجوقي ملك شاه عام (485هـ/ 1092م)⁽⁵⁾، وعندها اندلعت الحروب الأهلية في دولته⁽⁶⁾، استغل ألكسيوس كومنين موت السلطان، والفوضى، وعد العدة لاستعادة الأراضي التي استولى عليها السلاجقة من قبل⁽⁷⁾، بالتالي جاء عام (485هـ/ 1092م) وهو خالي من أي خطر يهدد حدود بيزنطة لا من الشرق ولا من الغرب⁽⁸⁾

وفي الوقت نفسه بدأت الأنباء تصل من الغرب اللاتيني عن زحف حشود عظيمة مسلحة من الغرب الأوروبي صوب الشرق⁽⁹⁾.

=السياسة والكنسية، ص 354؛ عويضة، كامل محمد محمد. (د.ت): الفلسفة المسيحية في العصور الوسطى، دار الكتب العلمية، بيروت، ص 105-106.

1 - زيتون. (1980م): العلاقات السياسية والكنسية، ص 355.

2 - رنسيان. (د.ت): تاريخ الحروب الصليبية، ج 1، ص 155؛ عبيد. (1970م): روما وبيزنطة، ص 65؛ عويضة. (د.ت): الفلسفة المسيحية في العصور الوسطى، ص 106.

3 - الصلابي. (2006م): دولة السلاجقة، ص 449.

4 - كومنيا. (2004م): ألكسياد، ص 268-307.

5 - ملكشاه: ابن الب أرسلان محمد بن داود بن سلجوق بن دقاق المقلب جلال الدولة، كان محنكاً كأييه، تسلم السلطة بعد أبيه بوصية منه، دخل في صراع مع عمه قارود وهزمه وخفقه بوتر، وملك من الأقاليم ما لم يملكه أحد من السلاطين، فكان في مملكته جميع بلاد ما وراء النهر، وبلاد ما وراء نهر جيحون، وبلاد الروم والجزيرة والشام، ومات عام (485هـ/ 1092م). ابن التغري. (د.ت): النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج 5؛ ابن خلدون. (د.ت): العبر، ج 5 ص 78؛ جعيان، فؤاد سلامي. (2001م): مآثر العرب العلمية أساس حضارة الغرب، مؤسسة العربية للدراسات والنشر، د.ط، د.ت، ص 194.

6 - العدوي، إبراهيم أحمد. (1989م): بهذا التاريخ الإسلامي، دار الفكر العربي، 1989-2006، ص 435.

7 - الصلابي، علي محمد. (2001م): صلاح الدين الأيوبي وجهوده في القضاء على الدولة الفاطمية، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ص 78.

8 - كومنيا. (2004م): ألكسياد، ص 351؛ عاشور، عبد الفتاح. (1971م): الحركة الصليبية، مكتبة الأنجلو المصرية، ج 1، ص 119.

9 - كومنيا. (2004م): ألكسياد، ص 345؛ عبيد. (1970م): روما وبيزنطة، ص 66.

ففي عام (488هـ/1095م) عقد البابا أوربان الثاني مؤتمر بليزانس plaisance⁽¹⁾، وكان سفراء ألكسيوس قد قاموا بمهمة استئجار جند مرتزقة، وقام السفراء بحضور المؤتمر، وطلبوا إمكانية تسهيل مهمتهم في حشد عدد كبير من الجند المرتزقة للخدمة داخل جيش الإمبراطورية البيزنطية؛ ومن المحتمل أن السفراء ضخموا حاجتهم لأعداد الجند المرتزقة، وأفرطوا في وصف الأخطار التي تهدد حدود الإمبراطورية البيزنطية، للحصول على الدعم المطلوب بمساعدة الأمراء والأساقفة الموجودين في المؤتمر⁽²⁾.

وقد أكد المؤرخ فيتالي أن مؤتمر بليزانس كان مهتماً بتنظيم الكنيسة، والأمور التي تخدم وحدتها، وأن طلب العون لبيزنطة لم يكن أمراً ضرورياً⁽³⁾.

وفي عام (488هـ/1095م) توجه البابا أوربان من إيطاليا إلى فرنسا، وعقد مجلساً⁽⁴⁾ في كليرمونت⁽⁵⁾، وشارك فيه مجموعة من النبلاء والفرسان وعدد من العلمانيين والكهنوت، وطرح البابا عدة مسائل وقضايا كنسية أمام المجلس، وأصدر المجلس عدة قوانين، من ضمنها موضوع الصليب، وفي الواقع أسهم البابا بدور فعال وأساسي في توجيه الحملات الصليبية إلى الشرق، فقد قدم غفراناً تاماً من الخطايا والذنوب لكل من يلتزم بالمضي نحو بيت المقدس في فلسطين، لتخليص كنيسة القبر المقدس من أيدي الكفار والجاحدين، وقد تمنى البابا أوربان

¹ - بليزانس: مدينة تقع شمال إيطاليا وقعت تحت احتلال الرومان عام (218 قبل الميلاد)، كما هاجمها القوط واستولوا عليها عام (546م)، وفيها عقد البابا أوربان الثاني مؤتمر لينظم من خلاله أمور كنسيته. الربيعي. (د.ت): موقف الإمبراطورية البيزنطية من قادة الحملات الصليبية، ص 440؛ رنسيما. (د.ت): تاريخ الحروب الصليبية، ج 1، ص 156؛ الصلابي. (2006م): دولة السلاجقة، ص 249؛ مهدي، الحسني. (د.ت): صلاح الدين الأيوبي بطل الشرق واسطورة الغرب، كنوز للنشر والتوزيع، ص 45.

² - رنسيما. (د.ت): تاريخ الحروب الصليبية، ج 1، ص 157؛ الزبيدي. (د.ت): موسوعة تاريخ أوروبا، ج 1، ص 322؛ عبيد. (1970م): روما وبيزنطة، ص 81-82.

Setton. (1969.A.D): A History Of The Crusades, p.229.

³ - فيتالي. (2008م): التاريخ الكنسي، ص 12.

⁴ - قاسم، عيده قاسم. (1990م): ماهية الحروب الصليبية، عالم المعرفة، د.ط، ص 90.

⁵ - كليرمونت: فيران على بعد 382 كم جنوب باريس، أسسها الرومان، ثم أصبحت قاعدة كنسية، عقد فيها مجامع عدة، منها المجتمع الذي عقد أوربان الثاني وأعلن فيه انطلاق الحملة الصليبية الأولى عام (488هـ/1095م). الربيعي. (د.ت): موقف الإمبراطورية البيزنطية من قادة الحملات الصليبية، ص 439؛ رنسيما. (د.ت): تاريخ الحروب الصليبية، ج 1، ص 160؛ قاسم (1990م): ماهية الحروب الصليبية، ص 90؛ قاسم، قاسم عيده. (1987م): أثر الحروب الصليبية في العالم العربي، المؤسسة العربية، ط 1، ص 122.

الثاني من الحاضرين في هذا المجلس الاحتذاء بسيرة المسيح⁽¹⁾، عندما قال "من أحب أباً وأماً أكثر مني لا يستحقني أو من لا يأخذ صليبه ويتبعني لا يستحقني"⁽²⁾

ويتبين مما سلف أن لفصاحة البابا أوربان الثاني ودوره الفعال وأهدافه المرسومة، بالإضافة للعامل الديني والكنسي، دوراً كبيراً في الدعوة للحملات الصليبية، وجمع العالم المسيحي اللاتيني الغربي تحقيقاً لحلمه وهدفه المنشود في أن تتأسس البابوية مهمة مساعدة المسحيين في الشرق؛ لا أن تخدم على أنها جند مرتزقة تحت سلطة الإمبراطورية البيزنطية ونفوذها؛ وتحقيقاً لما سلف من أهداف أكد البابا أوربان أن من يتجاوز تعاليم الكنيسة يعرض نفسه لقصاصٍ شديد⁽³⁾

وبما أن الحروب الصليبية بدأت على يد البابوية، وتحقيقاً لأهدافها ومسايعها، فإن من البديهي عدّ أي انتصار تحقّقه هذه الحروب هو نجاح لسيادة كنيسة روما ونفوذها، كما وكانت مساعي الصليبيين هي بث ونشر العقيدة الكاثوليكية أينما وطأ الصليبيون، بالتالي يحيييون الأعمال البطولية لشارلمان الذي سحق الوثنية وعزز الكاثوليكية، وفي الواقع إن طلب أوربان يؤكد هذه النظرية، حيث طلب من الصليبيين أن يحطموا الوثنية، ويرفعوا من سيادة كنيستهم سيدة الكنائس السححية كلها، كنيسة روما وأوضح أن العقيدة المسيحية السليمة والقويمة هي عقيدة كنيسة روما⁽⁴⁾.

كما طلب أوربان الثاني دليلاً واضحاً وصريحاً على أن أهداف الحركة الصليبية موجهة أيضاً ضد الأرثوذكس، بوصف عقيدتهم بشكل دائم العقيدة التي ابتعدت عن الصواب، وكانت فكرة الانتقام واضحة في كلام ومطالب البابا أوربان الثاني، وخاصة عندما أكد على ذبح أعداء المسيحية، والتخلص منهم⁽⁵⁾

¹ - الشارترى، فوشيه. (1990م): تاريخ الحملة إلى القدس 1095-1127م، تر: زياد العسلي، تر من اللاتينية إلى الإنكليزية فرنسيس ريتا ريان، دار الشرق، عمان، الاردن، ط1، ص31-36؛ فيتالي. (2008م): التاريخ الكنسي، ص14.

² - الشارترى. (1990م): تاريخ الحملة إلى القدس، ص35-40.

³ - زكار، جوني، اكتمال. (2011م): الحروب الصليبية، ص43؛ الصلابي، علي محمد. (2007م): عصر الدولة الزنكية، مؤسسة اقرأ، القاهرة، ط1، ص446.

⁴ - عبيد. (1970م): روما وبيزنطة، ص76؛ منصور، محمد بن العزيز. (2005م): عالم الحرب، جامعة ميتشغان، ص28.

⁵ - الشارترى. (1990م): تاريخ الحملة إلى الشرق، ص35؛ فيتالي. (2008م): التاريخ الكنسي، ص16؛ عبيد. (1970م): روما وبيزنطة، ص77.

ويتضح مما سلف أثر الشقاق الديني العظيم في أهداف الحركة الصليبية، مما سيؤثر على طبيعة العلاقات السياسية والعسكرية بين الصليبيين والبيزنطيين، لأن أي نجاح ستحققه كنيسة روما، سيكون على حساب سيادة كنيسة القسطنطينية في المنطقة الشرقية ومكانتها، وهذا ما لن تسمح به بيزنطة، بالتالي أية علاقة ستتم بين الصليبيين والبيزنطيين فيما بعد، ستكون خاضعة لأثر الشقاق الديني بين كنيسة روما وكنيسة القسطنطينية بشكل واضح؛ بالإضافة إلى أن طلبات البابا أوربان الثاني من الصليبيين -بتحطيم الوثنية، وقصده في ذلك المسيحيين الشرقيين، ورفع مجد كنيسة روما الكاثوليكية-، سيطلبه البابوات الذين سوف يخلفون البابا أوربان الثاني، وبالتحديد البابوات الذين سيعاصرون الحملات الصليبية الثانية والثالثة والرابعة، التي سيتم تنفيذ هذه الطلبات، والهجوم على القسطنطينية بدلاً من مصر، والسيطرة على كنيستها.

وبهذا كان للبابا أوربان الثاني، وللنفوذ البابوي، الدور الجوهري لقيام الحركة الصليبية الموجهة نحو الشرق لقتال المسلمين والفئات المسيحية غير المرغوب فيها من وجهة نظر البابوية، واندماج في هذه الحركة أعداد هائلة من الفلاحين والفقراء والفرسان والاقطاعيين.

ويطلب من البابا أوربان، سار الغرب اللاتيني نحو الشرق على شكل حشود هائلة مسلحة، وصفها المؤرخ الرهاوي المجهول: "كسراب الجراد الذي لا يعد ولا يحصى أو كحبات الرمل"⁽¹⁾؛ في وقت كان فيه ألكسيوس كومنين قد رسخ حكمه، وقضى على أعدائه، ودفع الخطر عن الإمبراطورية، وصلته أنباء مزعجة من الغرب الأوروبي: أن جمعاً غفيراً من أهل الغرب يتقدمون نحو الشرق وأن الحركة الصليبية قد بدأت⁽²⁾.

يتضح مما سلف صعوبة فصل أزمة فوتيوس عام (266هـ/879م)، وما تلاها من قطيعة سواء كانت مؤقتة أو دائمة، عن قطيعة عام (446هـ/1054م)، التي انتهت بإصدار كل من كنيسة روما، وكنيسة القسطنطينية، بحرمان من رحمة الكنيسة وطاعتها، ضد الأخرى. في الواقع هذا الانشقاق وضع أي فرصة للتحالف والتفاهم

¹ - الرهاوي، متى. (2009م): تاريخ متى الرهاوي الفرنج الصليبيين والمسلمون والأرمن، تر: محمود الرويضي وعبد الرحيم مصطفى، مؤسسة حمادة للدراسات، أريد، ص64.

² - كومنين. (2004م): ألكسياد، ص355.

بين الامبراطورية البيزنطية والغرب، فالغرب والبابوية حاولت استغلال الأخطار المحدقة بالامبراطورية البيزنطية لتستطيع توحيد الكنيستين وفرض سلطتها ونفوذها على كنيسة القسطنطينية، وكانت الكنيسة وبطيريكها يرفضون أي تدخل من قبل البابوية بشؤون كنيستها. كما حملت فلسفة ونظرية غريغوري السابع بعد ديني فقد نادى بوجود فرض سلطتها على كنيسة القسطنطينية الضالة. كما أثر على وجهة نظر البابوية الداعمة لاعتداءات جويسكارد المتكررة على الإمبراطورية البيزنطية وسيادتها. ووضح أثر البعد الديني في عهد البابا أوربان الثاني، وفي دعوته لحملة صليبية لاتينية توجه للشرق ضد المسلمين والوثنيين، ويقصد بهم البيزنطيين، وبهذا كان للبابا أوربان، وللنفوذ البابوي، الدور الجوهري لقيام الحركة الصليبية الموجهة نحو الشرق لقتال المسلمين والفئات المسيحية غير المرغوب فيها من وجهة نظر البابوية.

الفصل الثاني: أثر الخلاف الكنسي على العلاقات السياسية والعسكرية بين بيزنطة وقادة الحملة الصليبية الأولى (490-493هـ/1096-1099م)

- 1- موقف الإمبراطور البيزنطي ألكسيوس كومنين من الحملة الشعبية عام (1096هـ/1099م) وأثر الخلاف الكنسي فيه
- 2- موقف الإمبراطور البيزنطي ألكسيوس كومنين من قادة الحملة الصليبية الأولى وأثر الخلاف الكنسي فيه
- 3- أثر الخلاف الكنسي على التعاون البيزنطي الصليبي في الحملة الصليبية الأولى
- 4- انهيار التعاون البيزنطي الصليبي أمام أنطاكية وأثر الخلاف الكنسي فيه
- 5- تأسيس إمارة أنطاكية الصليبية وإسقاط ادعاء الإمبراطور فيها وأثر ذلك في تحريض بوهمند البابوية للتبشير بحملة صليبية ضد بيزنطة عام (501هـ/1107م)

1- موقف الإمبراطور البيزنطي ألكسيوس كومنين من الحملة الشعبية عام (1096/490م) وأثر الخلاف الكنسي فيه

سلف الذكر أن الشعب الأوروبي اللاتيني قد استجاب بطريقة إيجابية، وسريعة، لأفكار البابا أوربان الثاني، ودعوته لغزو الشرق العربي وكان لتدني المستوى الاقتصادي في أوروبا دور كبير في تقبل اللاتين لخطبة البابا أوربان الثاني، ورغبتهم بالتخلص من الفقر الذي يعيشون فيه⁽¹⁾، وأدرك البابا أوربان الثاني أهمية الجانب الديني في نفوس الشعب اللاتيني، ولا سيما بعد تدني المستوى الفكري، والاجتماعي، والاقتصادي، في أوروبا، من هذا المنطلق اعتنى أوربان الثاني في خطبته بالعمل الديني، ليغلف الدوافع الاقتصادية والسياسية والدينية -تجاه الإمبراطورية البيزنطية- بغلاف ديني وأكد للجميع أن من ينضم للحملة المتجهة نحو الشرق سوف يحصل على الخلاص، والغفران⁽²⁾، وقرر أوربان الثاني أن يحشد جيشاً تحت راية الصليب، وتحت شعارات دينية رنانة، ضمن مراقبة البابوية وحمايتها، بقيادة عسكرية موحدة، وبهذه التدابير يكفل تفوق، ونجاح هذه الحملة، وتحقيق أهدافها الاقتصادية والسياسية والدينية المرجوة⁽³⁾، لكن مسار الحملة الشعبية بشكل متفرق، وفقير بالسلاح والعتاد، ودون انتظار باقي الجيوش لنتهي من تسليحها وتنظيمها، يدلّ أن قرارات البابا، وخطته لم تنجز بالشكل الصحيح⁽⁴⁾، بالتالي من الطبيعي توقع مصير مثل هذه الحملة التي سعت لغزو الشرق، وتحرير الأراضي المقدسة دون سلاح، ولا حتى طعام يساعدها على المقاومة، دون قادة عسكريين مدربين على القتال وفنونه، ولاسيما أن الحملات الشعبية ضمت عدداً كبيراً من اللصوص، وقطاع الطرق الذين لا تحركهم الدوافع الدينية، بقدر ما تحركهم ظروفهم الاجتماعية، والاقتصادية المزرية⁽⁵⁾، وهكذا تجزأت الحملة الصليبية الأولى إلى قسمين: قسم لم يكن على قدر كافٍ من التسليح والتدبير، وهي الحملات الشعبية، وقسم تأهب بشكل جيد، وتسليح بشكل منظم تحت قيادة أمراء

¹ - المؤرخ المجهول.(د.ت): أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس، تر؛ حسن حبشي، جامعة عين شمس، د.ط، ص7.

² - صبوا، أمير.(2004م): من البابا أوربان الثاني إلى جورج بوش الثاني، الإنابيع، د.ط، ص31-33.

³ - ماير، انش.(1999م): تاريخ الحملات الصليبية، تر محمد فتحي الشاعر، دار الأمين، القاهرة، ط1، ص63.

⁴ - يوسف، جوزيف نسيم.(1981م) العرب والروم واللاتين في الحروب الصليبية الأولى، دار النهضة العربية، بيروت، ط3، ص151.

⁵ - حبشي، حسن.(1958م): الحرب الصليبية الأولى، دار الفكر العربي، د.ط، ص53؛ رستم.(1938م): كنيسة أنطاكية، ج2، ص265-266؛ يوسف.(1981م): العرب والروم واللاتين، ص152.

إقطاعيين، وقادة عسكريين، والحملات النظامية؛ خرجت الحملات الشعبية بشكل منفرد، مقسمة لمجموعات متباينة غير منظمة، تحت حماية عدد من الرهبان الذين كان منهم⁽¹⁾ بطرس الناسك hermitpetreth⁽²⁾، جوتيه المفلس Gautir sens-avoine⁽³⁾، في الحقيقة لم يكن هناك ودّ ومحبة بين مسيحيي الإمبراطورية البيزنطية الأرثوذكس، ومسيحيي الغرب الأوروبي اللاتيني الكاثوليكي -كما ذكر سالفاً-، فكلتا الطرفين لم ينسّ النزاعات الدينية، والتباين في الطقوس الكنسية فيما بينهم، بالإضافة إلى تنافس كلٍّ من كنيسة روما وكنيسة القسطنطينية على المكانة الدينية، والزعامة الكنسية على جميع كنائس العالم المسيحي، بالإضافة أن كلا من الطرفين عدّ الآخر عدوًّا لدوداً له، لاسيما بعد شقاق عام (1054/هـ446م) الراسخ في ذاكرة الطرفين، ويولّد الكثير من الحقد، والكراهة، فالإغريق الأرثوذكس عدوًّا اللاتين مهراطيين، بينما اللاتين الكاثوليك حسدوا الأرثوذكس على حضارتهم وثنائهم، ونعتوهم بالمنحرفين والمنشقين، مما أثر بشكل سلبي في العلاقات السياسية والعسكرية بين البيزنطيين الأرثوذكس، والصليبيين الكاثوليك، خلال احتكاك الطرفين في الحملة الصليبية الأولى، كل ما سلف يجعل فكرة التفاهم والتعاون بين الطرفين مستحيلة⁽⁴⁾.

وكانت مجموعة جوتيه المفلس هي أول مجموعة تتحرك من الغرب نحو الشرق لتحرير بيت المقدس دون التسهل، وانتظار باقي المجموعات المدربة، ولا حتى التقيد بالموعد الذي حددته البابوية للخروج للشرق، وهو (3رمضان 490هـ/15أب 1096م)، وهكذا بدأت الحملة الشعبية بمجموعة كبيرة من الفلاحين واللصوص والخارجين

¹ - سمث، جوناثانيلي. (1999م) الحملة الصليبية الأولى وفكر الحروب الصليبية، تر: محمد فتحي الشاعر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط2، ص63؛ قاسم، عبده قاسم. (1990م): ماهية الحروب الصليبية، عالم المعرفة، دط، ص94.

² - بطرس الناسك: راهب ولد عام(1050/هـ442م)، في مدينة أميان الفرنسية، وتوفي عام(1115/هـ509م)، وكان الخطيب في الحملة الصليبية الأولى، أطلقت عليه كومنينيا لقب كوكو وذلك للحط من قدره. وكان قد زار بيت المقدس وتعرض لمضايقة المسلمين. ألبرت فون أخت. (2007م): تاريخ الحملة الصليبية الأولى، من خلال الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية، تأليف وتحقيق وترجمة سهيل زكار، دمشق، ج51، ص8؛ كومنينيا: ألكسياد، ص398؛ ريتشارد، لجين. (د.ت.): مملكة اللاتين في القدس، تر: أميرة مصطفى يوسف، كلية التربية، لبنان، دط، ص246؛ قاسم. (1990م): ماهية الحروب الصليبية، ص111.

³ - جوتيه المفلس: ينتمي لأسرة نبيلة، لكن لقب بالمفلس، كان ماهراً بالقتال واستخدام السلاح، وكان ضمن مجموعته عدد كبير من المشاة وثمانية فرسان فقط، وحملة تضم عدداً كبيراً من النساء، توفي عام (1096/هـ490م)، على يد الأتراك السلاجقة. ألبرت فون أخت: تاريخ الحملة الصليبية الأولى، من خلال الموسوعة الشامية، ج51، ص11؛ ريتشارد. (د.ت.): مملكة اللاتين في القدس، ص245؛ قاسم، عبده قاسم. (1983م): الخلفية الإيديولوجية للحروب الصليبية دراسة عن الحملة الصليبية الأولى، دار المعارف، دط، ص257.

⁴ - زيتون. (1980م): العلاقات السياسية والكنسية، ص356؛ يوسف. (1981م): العرب والروم واللاتين، ص153.

عن القانون، وأصحاب المعاصي والذنوب هرباً من الفقر والعوز الذي يعيشون فيه، وكانت أسلحتهم خفيفة، بسيطة، لا تتعدى العصا، ومجموعة صغيرة من الفرسان لا تتجاوز الثمانية، وسارت الحملة باتجاه بلاد المجرن وراسل جوتييه ملكها⁽¹⁾ كولمان coloman (489-509هـ/1095-1116م)⁽²⁾، وتفاوض معه، وحصل على موافقته التامة لعبوره أراضي المجر، وإمداده بما يحتاج من مؤن وقوت، وثم استمر جوتييه: تقدمه حتى وصل مدينة⁽³⁾ سيملين semlin⁽⁴⁾، حيث قام بمهاجمة أهلها وأسواقها وسعى إلى نهبها، وسوغ المؤرخ ألبرت فون أخت Albert Von Aach تصرف اللاتين، أنه رد فعل على الإغريق الذين خيَّبوا المؤن عن رجال جوتييه⁽⁵⁾؛ وواصل المسير إلى مدينة نيش⁽⁶⁾ التي أرسلت للإمبراطور ألكسيوس كومنين تطلعه عن وصول اللاتين، وكانت أوامر ألكسيوس كومنين واضحة، وهي استقبال اللاتين، وإكرامهم، وتزويدهم بالمؤن اللازمة، بالإضافة للحرس لحمايتهم، وعندما بلغ جوتييه وجماعته القسطنطينية، أذن لهم ألكسيوس بانتظار الجيوش البقية في ضواحي القسطنطينية⁽⁷⁾؛ وكانت دهشة ألكسيوس كبيرة عند رؤية جماعة جوتييه، لا بل قريبة إلى الخوف، فهي ليست جيوشاً مدربةً ومنظمةً كما ظن، بل هي فرقة من المجرمين، والخارجين عن القانون، والذي من المحتمل أن يعيثوا فساداً في إمبراطوريته، لذا فكر بكل حِلْم كيف له حماية بلاده من خطرهم وفوضويتهم من جهة، وكيف يستفيد منهم ليحقق مساعيه ومصالحه

¹ - ألبرت فون أخت. (2007م): تاريخ الحملة الصليبية الأولى، من خلال الموسوعة الشامية، ج51، ص11؛ وليم الصوري. (2003م): تاريخ وليم الصوري، وذيوله 1095-1261م، من خلال الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية تأليف وتحقيق وترجمة سهيل زكار، دمشق، ج44، ص236؛ رستم. (1938م): كنيسة أنطاكية، ج2، ص266.

² - كولمان: هو حاكم المجر، تسلم الحكم بعد اديسلوس الأول Adeslous I في عام (489هـ/1095م)، حتى وفاته عام (509هـ/1116م). وليم الصوري. (2003م): تاريخ وليم الصوري، من خلال الموسوعة الشامية، ج44، ص237.

³ - ألبرت فون أخت. (2007م): تاريخ الحملة الصليبية الأولى، من خلال الموسوعة الشامية في، ج51، ص11؛ وليم الصوري. (2003م): تاريخ وليم الصوري، من خلال الموسوعة الشامية في، ج44، ص237؛ عاشور. (1971م)، الحركة الصليبية، ج1، ص134.

⁴ - سيملين: هي مدينة قرب بلغراد والمجر، ومحاذية، لنهر الساف. وليم الصوري. (2003م): تاريخ وليم الصوري، من خلال الموسوعة الشامية، ج44، ص237.

⁵ - ألبرت فون أخت. (2007م): تاريخ الحملة الصليبية الأولى، من خلال الموسوعة الشامية، ج51، ص12؛ وليم الصوري. (2003م): تاريخ وليم الصوري، من خلال الموسوعة الشامية، ج44، ص237؛ يوسف. (1981م): العرب والروم واللاتين، ص154-156.

⁶ - نيش: مدينة بلغارية تقع في قلب بلغاريا، محاذية لنهر مورفا Morva، شمال شبه جزيرة البلقان. الزيدي (د.ت): موسوعة تاريخ أوروبا، ج1، ص24.

⁷ - ألبرت فون أخت. (2007م): تاريخ الحملة الصليبية الأولى، من خلال الموسوعة الشامية، ج51، ص12؛ كومينا. (2004م): ألكسياد، ص389؛ عاشور. (1971م)، الحركة الصليبية، ج1، ص134؛ قاسم، عبده قاسم. (2001م): الحملة الصليبية الأولى، عين للدراسات والبحوث الإنسانية، ط1، ص104.

من جهة أخرى، كما أن ألكسيوس سوف يتعامل بذات الطريقة مع جماعة بطرس الناسك⁽¹⁾، الذي حمل بقلبه حقداً كبيراً على المسلمين السلاجقة الذين منعوه من إتمام طريقه للحج إلى بيت المقدس، وتعاطف معه عدد كبير من الأوروبيين اللاتين، وانضموا إلى مجموعته⁽²⁾، ونجح بفصاحته من تشكيل مجموعة مؤلفة من سبعة آلاف من المشاة⁽³⁾؛ لكن هذه المجموعة ضمت عدداً كبيراً من النساء والأطفال والمجرمين الذين حركهم نحو الشرق ليس فصاحة بطرس، ولا العامل الديني، بل العامل الاقتصادي المتدني، والتخلص من الفقر والعوز⁽⁴⁾، وتقدم بطرس وجماعته عن طريق ألمانيا والمجر، وفي بلدة سيملين قاموا بإراقة دم أهلها المسيحيين. وبلغ عدد القتلى حوالي أربعة آلاف مسيحي من أهل سيملين، وكل ذلك العنف للحصول على المؤن⁽⁵⁾، والجدير بالذكر أن المصادر اللاتينية سوغت عداً اللاتين على مسيحي سيملين، وتناسوا المجزرة والفوضى التي تسبب بها اللاتين، وأشاروا أن هذا التصرف سببه اعتداء المجرين من أهل سيملين على جماعة جوتيه التي عبرت أراضيها قبل جماعة بطرس، بالإضافة إلى اتهام البيزنطيين بالخيانة والتحالف مع المجرين للفتك بالصليبيين⁽⁶⁾؛ يتضح من بداية اعتداء جماعة جوتيه على أهالي سيملين المسيحية، وتليه قتل أربعة آلاف مسيحي أرثودوكسي على يد جماعة بطرس الكاثوليكي،

¹ - كومنينا. (2004م): ألكسياد، ص 387؛ عبيد. (1970م): روما وبيزنطة، ص 9؛ قاسم. (2001م): الحملة الصليبية الأولى، ص 104؛ يوسف. (1981م): العرب والروم واللاتين، ص 154.

² - متى الرهاوي. (2009م): تاريخ متى الرهاوي، ص 50؛ وليم الصوري. (2003م): تاريخ وليم الصوري، من خلال الموسوعة الشامية، ج 41، ص 220.

Robert. (2005.A.D): the monk's historia of the first crusade, calol sweet ennamz, 2005, pp.77-79

رنسيما. (د.ت): تاريخ الحروب الصليبية، ج 1، ص 113.

³ - ألبرت فون أخت. (2007م): تاريخ الحملة الصليبية الأولى، من خلال الموسوعة الشامية، ج 51، ص 11.

Robert. (2005.A.D): the monk's historia of the first crusade, p.79.

⁴ - زكار، جوني، إسماعيل. (2001م): حروب الفرنجة الصليبية، ص 43.

⁵ - كومنينا. (2004م): ألكسياد، ص 389؛ قاسم. (2001م): الحملة الصليبية الأولى، ص 108.

⁶ - ألبرت فون أخت. (2007م): تاريخ الحملة الصليبية الأولى، من خلال الموسوعة الشامية، ج 51، ص 13؛ وليم الصوري. (2003م): تاريخ وليم الصوري، من خلال الموسوعة الشامية، ج 44، ص 239.

Robert. (2005.A.D): the monk's historia of the first crusade, pp.80-83.

قاسم. (2001م): الحملة الصليبية الأولى، ص 108.

وتبرير المصادر اللاتينية لهذه الفوضى والعدوان، أن أثر الشقاق الديني العظيم بين الكنيسة الشرقية الأرثوذكسية والكنيسة الغربية الكاثوليكية مازال راسخاً وبقوة في ذاكرة اللاتين، ويولد الكره والحقد، ويثير العدوان ضد البيزنطيين الأرثوذكس.

في الحقيقة يتضح من خلال المصادر اللاتينية مدى تحيزها للأفعال العدوانية ضد البيزنطيين، ولا يوجد أي مسوغ لأعمالهم العدوانية التي أتبعوها بحق البيزنطيين المسيحيين⁽¹⁾، والمسوغ لذلك بالإضافة للأسباب الاقتصادية هو الكره الذي ولده الشقاق الديني العظيم في قلوب اللاتين.

عندما وصل بطرس وجماعته إلى مدينة نيش، كرروا أعمالهم العدوانية ضد أهلها، ولم يرحلوا عنها قبل إشاعة الفوضى والدمار فيها⁽²⁾، وكان هذا العدوان المستمر، والفوضى الكبيرة التي يثيرها اللاتين أينما حلوا تصل أصداءها إلى الإمبراطور البيزنطي ألكسيوس كومنين⁽³⁾، الذي رسم سياسة مزدوجة محددة يتعها مع اللاتين لكي يحمي بلاده من فوضوية وعدوان اللاتين من جهة، وليستفيد منهم في تحقيق مصالح دولته من جهة ثانية⁽⁴⁾ ومن باب تنفيذ هذه السياسة، قام بنشر رجاله وأتباعه على طول الطريق الذي سيعبر منه اللاتين، لكي يراقب تصرفاتهم، ويكبح أي عدوان يقومون به بالوقت المناسب، إما عن طريق القوة، أو عن طريق التفاهم، لحل أي نزاع يحدث بين اللاتين والبيزنطيين، من خلال بعض المترجمين البيزنطيين الذين يتقنون اللاتينية، كما أمن لهم ما يحتاجون له من مؤن وأمان، لكي يواصلوا طريقهم بسلام⁽⁵⁾.

¹ - يوسف. (1981م): العرب والروم واللاتين، ص 157.

² - ألبرت فون أخت. (2007م): تاريخ الحملة الصليبية الأولى، من خلال الموسوعة الشامية، ج 51، ص 14.

³ - عاشور. (1971م)، الحركة الصليبية، ج 1، ص 136.

⁴ - Ostrogorsky. (1998.A.D): History of the byzantine state، p.322.

⁵ - كومينا. (2004م): ألكسياد، ص 389؛ المؤرخ المجهول. (د.ت): أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس، ص 19؛ وليم الصوري. (2003م):

تاريخ وليم الصوري، من خلال الموسوعة الشامية، ج 44، ص 239؛ حبشي. (1958م): الحروب الصليبية الأولى، ص 60؛ زيتون. (1980م):

العلاقات السياسية والكنسية، ص 86.

يتبين مما تقدم: أن أفعال الإمبراطور تستند على ذكاء سياسي للمحافظة على أمن بلاده، وبعيدة بعض الشيء عن الحقد ديني تجاه اللاتين، بينما تصرفات اللاتين مع أهالي نيش وسيملين، تحمل بعداً دينياً، وكراهية للمسيحيين الشرقيين.

كما أرسل ألكسيوس سفراءه للتفاهم مع بطرس، ووضحوا حسن نوايا الإمبراطور البيزنطي حيال الصليبيين وحركتهم، وأكدوا على رغبة الإمبراطور بمقابلة بطرس الناسك، كما قدموا إنذاراً حاداً لبطرس يحذروه فيه من مكوث جماعته في أية مدينة بيزنطية أكثر من ثلاثة أيام⁽¹⁾؛ وعند وصول بطرس قبالة أسوار القسطنطينية، اجتمع مع جوثيه ومن معه من الصليبيين اللاتين، وسرعان ما انظم إلى بطرس عدد كبير من النورماندين الذين سعوا للقتال تحت سلطة بطرس، لكن سرعان ما انفصلوا عنه فيما بعد⁽²⁾؛ وبعدها تمت المقابلة بين بطرس والإمبراطور البيزنطي ألكسيوس كومنين، الذي هاله رؤية راهب يقود جماعة من اللصوص غير مدربين، سلاحهم بعض العصي، ولا يقودهم قائداً عسكرياً على مستوى جيد من المقدرة الحربية، وأيقن ما سيجره هذا الحشد الفوضوي على بلاده من أذى وقلق، كما ارتاب المسيحيون الأرثوذكس في الإمبراطورية البيزنطية من رؤية الرهبان المسيحيين وهم يقودون جماعة من الفوضويين المسلحين⁽³⁾؛ لكن ألكسيوس قابل بطرس بحفاوة وترحاب، كما تعاطف معه عندما سمع عن رحلته الفاشلة لزيارة بيت المقدس بسبب مضايقة المسلمين، وقدم له الكثير من المنح والهدايا، بالإضافة إلى النصح والإرشادات أهمها: انتظار جنود الحملة الصليبية حتى تصل بكل هدوء والتزام وأن، ولا يثير الفوضى هو وجماعته⁽⁴⁾، ولعل بطرس وجماعته الفوضوية عند رؤية الهدايا والمنح صموا آذانهم عن سماع النصح الذي قدمه

¹ - ألبرت فون أخت. (2007م): تاريخ الحملة الصليبية الأولى، من خلال الموسوعة الشامية، ج 51 ص 15-16؛ كومنينا. (2004م): ألكسياد، ص 390؛ المؤرخ المجهول. (د.ت): أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس، ص 18؛ وليم الصوري. (2003م): تاريخ وليم الصوري، من خلال الموسوعة الشامية، ج 44، 246؛ سمث. (1999م): الحملة الصليبية الأولى، ص 80.

² - كومنينا. (2004م): ألكسياد، ص 390.

³ - كومنينا. (2004م): ألكسياد، ص 391؛ رنسيما. (د.ت): تاريخ الحروب الصليبية، ج 1، ص 127؛ عبيد. (1970م): روما وبيزنطة، ص 88؛ يوسف. (1981م): العرب والروم واللاتين، ص 163.

⁴ - ألبرت فون أخت. (2007م): تاريخ الحملة الصليبية الأولى، من خلال الموسوعة الشامية، ج 51 ص 21؛ فيتالي. (2008م): التاريخ الكنسي، ص 25؛ كومنينا. (2004م): ألكسياد، ص 391؛ وليم الصوري. (2003م): تاريخ وليم الصوري، من خلال الموسوعة الشامية، ج 51، ص 247؛ قاسم. (1983م): الخلفية الإيديولوجية للحروب الصليبية، ص 61.

ألكسيوس كومنين⁽¹⁾، وراحوا ينشرون الفوضى، والنهب في المناطق البيزنطية القريبة من القسطنطينية، ودخلوا القصور، والبيوت التي يجدونها وسلبوها ودمروها، حتى أنهم اقتلعوا الرصاص من سقوف الكنائس ونهبوها⁽²⁾، وكان للخلاف الديني والشقاق العظيم ما بين كنيسة روما وكنيسة القسطنطينية دور كبير في الحقد والهمجية التي ظهرت في تصرف اللاتين، لدرجة نهب الكنائس، واقتلاع القصدير عنها وبيعها، فقد عدوا الإغريق منشقين ومنحرفين عن المسيحية الصحيحة.

وأمام عدوان اللاتين وفوضويتهم، وعدم احترامهم لإرشادات ألكسيوس كومنين، سارع لإبعاد هؤلاء اللاتين عن عاصمته الغنية بالثروة والموارد والكنوز إلى القسم الآسيوي، وقدم النصيح والإرشاد ثانية لبطرس وجماعته، وحذره من الاقتراب نحو الأتراك المسلمين لحين وصول بقية الجيوش الصليبية، كما أكد عليهم الالتزام بالهدوء، وعدم إثارة الفوضى والشغب ضد البيزنطيين⁽³⁾.

ويتضح مما تقدم: صدمة الإمبراطور البيزنطي بالحملة الشعبية، ومن المشاركين فيها وفوضويتهم وتسليحهم من جهة، ومن تصرفهم العدواني ضد المسيحيين الشرقيين من جهة ثانية، وهذا إن دل على شيء إنما يدل على حقدهم ضد المسيحيين الأرثوذكس، ويوضح أثر الخلاف الكنسي في العدوان الذي تميز به مسلك اللاتين ضد البيزنطيين، بينما كانت سياسة الإمبراطور ألكسيوس مع الصليبيين حتى ذلك الوقت لا تحمل أبعداً دينية؛ وقد تمثلت في اهتمام ألكسيوس الزائد بالترحيب واستقبال اللاتين، ومنحهم ما يحتاجون من مؤن كافية، بالإضافة إلى المنح والهدايا التي قدّمت لهم، وإرسال فرق عسكرية بيزنطية لحراستهم ومراقبتهم، ومنعهم من الاعتداء على البيزنطيين، سواء بالقوة مثل ما حصل في مدينة نيش، أو بالتفاهم من خلال المترجمين البيزنطيين الذي يتقنون اللغة اللاتينية لحل أي خلاف أو نزاع بشكل ودين ولم يغفل لحظة واحدة عن مراقبتهم، ومحاولة إبعادهم عن

¹ - كومنين. (2004م): ألكسياد، ص 392.

² - ألبرت فون أخت. (2007م): تاريخ الحملة الصليبية الأولى، من خلال الموسوعة الشامية، ج 51 ص 21؛ كومنين. (2004م): ألكسياد، ص 392؛ المؤرخ المجهول. (د.ت): أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس، ص 19؛ قاسم. (1990م): ماهية الحروب الصليبية، ص 98.

³ - ألبرت فون أخت. (2007م): تاريخ الحملة الصليبية الأولى، من خلال الموسوعة الشامية، ج 51، ص 21؛ كومنين. (2004م): ألكسياد، ص 390؛ المؤرخ المجهول. (د.ت): أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس، ص 19؛ عبيد. (1970م): روما وبيزنطة، ص 90؛ يوسف. (1981م): العرب والروم واللاتين، ص 161.

إرتكاب أي خطر بعاصمته⁽¹⁾، بينما يفسر بعض المؤرخين عدوان الحملة الشعبية خلال مسيرهم من فرنسا حتى الأراضي البيزنطية، بسبب نوعية المشاركين فيها، أنهم كانوا من اللصوص والمجرمين، الذين اعتادوا على السلب والنهب، وعدم الالتزام بالقوانين⁽²⁾، ولكن وصول الحملات المنظمة، أو حملة الأمراء ستثبت العكس، لأن عدوان الصليبيين اللاتين لن ينتهي عن الإمبراطورية البيزنطية وشعبها المسيحي، وعلى الرغم من أن الحملات الصليبية اللاحقة ستكون بقيادة أمراء وإقطاعيين، وكونتات، بالتالي نوعية المشاركين بالحملة ليس هو الدافع وراء العدوان، بينما كان العامل الاقتصادي في الحصول على الكثير من الغنائم بالإضافة لأثر الخلاف الكنسي هو الذي يدفع اللاتين لتصرفات عدوانية وسلبية بحق البيزنطيين المسيحيين.

ويتضح ذلك من قلق الإمبراطور البيزنطي ألكسيوس كومنين المضاعف عندما علم بقدوم جيوش صليبية مدربة ومسلحة بقيادة أمراء لاتين، والذين من الصعب مواجهتهم أو التصدي لهم، لذلك رسم لنفسه سياسة لكي يتعامل مع هؤلاء اللاتين، من دون المساس بأدنى أذى لدولته⁽³⁾، وبعد إدراك ألكسيوس كومنين استحالة الاستفادة من الحملة الشعبية التي تمتاز بسوء التنظيم، وانعدام قوتها العسكرية، في أي عمل من شأنه القضاء على الأتراك السلاجقة⁽⁴⁾، قام بإبعاد اللاتين من جماعة بطرس وجوتيه عن عاصمته، ونقلهم على الجانب الآسيوي، ومدّهم بالموثّن الكافية لهم، وبدأ يستعد لتطوير خطته حين تدعو الحاجة لمواجهة الحملات المنظمة، والمسلحة القادمة من الغرب، أي احتمالية الاستفادة منهم إن أمكن، كونهم جيوشاً منظمة ومسلحة، وتستطيع مساعدته لتحقيق المصالح السياسية للإمبراطورية البيزنطية، واستعادة الممتلكات البيزنطية التي استولى عليها السلاجقة سالفاً⁽⁵⁾؛ ويتضح مما

1 - كومنين. (2004م): ألكسياد، ص389؛ زيتون. (1980م): العلاقات السياسية والكنسية، ص86.
Ostrogorsky. (1998.A.D): History Of The Byzantine State, p.322.

2 - حاطوم، نور الدين. (1966م): تاريخ العصر الوسيط في أوروبا، دار الفكر الإسلامي الحديث، ص836.

3 - عبيد. (1970م): روما وبيزنطة، ص50؛ يوسف. (1981م): العرب والروم واللاتين، ص154.

4 - حبشي. (1958م): الحروب الصليبية الأولى، ص60؛ يوسف. (1981م): العرب والروم واللاتين، ص160.

5 - كومنين. (2004م): ألكسياد، ص389؛ زيتون. (1980م): العلاقات السياسية والكنسية، ص86.

سلف أن خطة الإمبراطور كانت مدفوعة بتفكير سياسي محض لحماية إمبراطوريته، وبعبدة كل البعد عن الخلاف الديني ما بين الشعب اللاتيني والبيزنطيين.

وكان نقل الصليبيين إلى الجانب الآسيوي لحماية العاصمة القسطنطينية من فوضويتهم، وشرهم، لكنهم استمروا بممارسة أعمالهم العدوانية والسلب والتدمير، وسلب الكنائس المسيحية، غير مكترثين بما قدمه بطرس الناسك من تعهدات بالتزامهم الهدوء، وعدم الاعتداء على المسيحيين البيزنطيين، غير أن اللاتين المسيحيين الكاثوليك لم يحترموا وجودهم على أرض مسيحية⁽¹⁾. لأن الحقد الذي يكنونه إلى الإغريق المهرطقين والكفار _ في نظرهم _ أكبر من أي تعهد.

في الحقيقة لم يستطع بطرس السيطرة على هؤلاء الجماعات، ولا حتى دفع عدوانهم عن البيزنطيين حتى بعد جمعهم وعسكرتهم في منطقة⁽²⁾ كيفتوت Civetut⁽³⁾، ولم تكن المؤن المتواصلة والمتنوعة التي تصلهم من ألكسيوس كومنين، تمنعهم من ممارسة عدوانهم السلبي على أي بيت أو كنيسة، أو قصر يجدونه أمامهم، ولا حتى إنذارات ألكسيوس بعدم الاقتراب من السلاجقة حتى وصول الجيوش النظامية كانت مسموعة بنسبة لهم، حتى أن مدينة نيقوميديا المحاذية لنيقية لم تسلم من جرائمهم وفوضتهم، حيث قام مجموعة من اللاتين بقيادة⁽⁴⁾ رينالاد Renald⁽⁵⁾ بالحصول على غنائم كثيرة من المواشي والقطعان، من خلال سلسلة من عمليات السلب والنهب، مما أثار غيرة اللاتين الباقين مع بطرس الناسك، الذين قرروا الحصول على غنائم مماثلة⁽⁶⁾، ولاسيما أن وقائدهم كان

¹ - كومنين. (2004م): ألكسياد، ص391؛ قاسم. (2001م): حملة الصليبية الأولى، ص108.

² - وليم الصوري. (2003م): تاريخ وليم الصوري، من خلال الموسوعة الشامية، ج44، ص247؛ قاسم. (2001م): الحملة الصليبية الأولى، ص108.

³ - كيفتوت: يسميها المؤرخ المجهول إكسيريغوردن exerogordon، تقع على الضفة الجنوبية لخليج نيقوميديا، بالتحديد على شاطئ بحر مرمرة، وكانت معسكراً للجنود المرتزقة من الإنجلو نورماندي في الجيش البيزنطي، من ثم أصبحت معسكراً لجماعات بطرس الناسك. المؤرخ المجهول. (د.ت): أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس، ص26؛ يوسف. (1981م): العرب والروم واللاتين، ص162.

⁴ - ألبرت فون أخت. (2007م): تاريخ الحملة الصليبية الأولى، من خلال الموسوعة الشامية، ج51، ص23-24؛ كومنين. (2004م): ألكسياد، ص391؛ المؤرخ المجهول. (د.ت): أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس، ص20؛ رنسيما. (د.ت): تاريخ الحروب الصليبية، ج1، ص186.

⁵ - رينالاد: قائد إيطالي قادة المجموعة التي انشقت عن بطرس وقوامها سبعة آلاف جندي. رنسيما. (د.ت): تاريخ الحروب الصليبية، ج1، ص186.

⁶ - كومنين. (2004م): ألكسياد، ص391؛ وليم الصوري. (2003م): تاريخ وليم الصوري، من خلال الموسوعة الشامية، ج44، ص248؛ سمث. (1999م): الحملة الصليبية الأولى، ص93.

غائباً بالقسطنطينية، بالتالي ليس هناك من يمنعهم عن ذلك⁽¹⁾؛ والجدير بالذكر أن السلاجقة دبّروا مكيده للصليبيين للقضاء عليهم، ونشروا إشاعه مفادها، أن فرقة من الصليبيين اللاتين دخلوا على العاصمة السلجوقية، وحصلوا على غنائم ضخمة، هذا الخبر قد أثار أطماع وجشع جماعة بطرس، الذين هرعوا نحو نيقية للحصول على الغنائم بشكل عشوائي غير منظم، بالتالي استطاع الأتراك السلاجقة القضاء عليهم بكل بساطة عام (490هـ/ 1096م)، وتكومت جثث الصليبيين حتى شكلت جبلاً مرتفعاً، ولقي جوتيّه المفلس مصرعه في هذه المعركة⁽²⁾، وعندما وصلت الأخبار للإمبراطور البيزنطي، سارع لإنقاذ من تبقى من الصليبيين، وإرسال قوات بيزنطية على متن عدة سفن حربية، وتم نقل من تبقى إلى الإمبراطورية⁽³⁾، ووجه الإمبراطور الكسيوس كومنين جملةً من التوبيخ، واللوم لبطرس الناسك، وإنه لو سمع نصائح الإمبراطور وإرشاداته، لما وصل الصليبيون لهذه النتيجة المأساوية، وسوخ بطرس للإمبراطور ذلك بعجزه عن كبح طمع وجشع اللاتين، وخاصة أن أغلبهم من المجرمين والخارجين عن القانون⁽⁴⁾، وهكذا كانت نهاية الحملات الشعبية التي قادها بطرس وجوتيّه بشكل عشوائي، واستهلكت طاقة المسيحيين البيزنطيين، وطاقة الإمبراطور البيزنطي، بسبب العدوان والفوضى التي تسببت بها. ومن المعروف أن حملة بطرس حملة شعبية وغير منظمة كان هدفها الأساسي السلب والنهب، وعلى ما يبدو رغم الخلاف الكنسي -السالف الذكر- تناسلت هذه المجموعات هذا الخلاف بعد أخفاق حملتهم وقدمت اعتذار للإمبراطور البيزنطي ولم تكثر لوجود الخلاف أصلاً لأن هدفها مادي لا ديني.

أما وجهة نظر المصادر اللاتينية من هذه النهاية المأساوية التي انتهت بها الحملة الشعبية كانت منحازة للصليبيين، لأنها حملت مسؤولية هزيمة الحملة الشعبية بشكل كامل للإمبراطور ألكسيوس كومنين، فكتب المؤرخ اللاتيني ريموندا جيل: عن خيانة ألكسيوس كومنين، بدليل إجبار ألكسيوس كومنين بطرس وجماعته التي تفتقر

1 - ألبرت فون أخت. (2007م): تاريخ الحملة الصليبية الأولى، من خلال الموسوعة الشامية، ج51، ص252.

2 - كومنين. (2004م): ألكسياد، ص392؛ المؤرخ المجهول. (د.ت): أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس، ص21؛ وليم الصوري. (2003م): تاريخ وليم الصوري، من خلال الموسوعة الشامية، ج44، ص251.

3 - ألبرت فون أخت. (2007م): تاريخ الحملة الصليبية الأولى، من خلال الموسوعة الشامية، ج51، ص252؛ كومنين. (2004م): ألكسياد، ص392؛ المؤرخ المجهول. (د.ت): أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس، ص21؛ الحريري، السيد علي. (1965م): الأخبار السنية في الحروب الصليبية، مطبعة النيل، مصر، ط2، ص11؛ رنسيان. (د.ت): تاريخ الحروب الصليبية، ج1، ص194؛ يوسف. (1981م): العرب والروم واللاتين، ص165.

4 - كومنين. (2004م): ألكسياد، ص392؛ يوسف. (د.ت): العرب والروم واللاتين، ص165.

للكفاءة العسكرية، والقتالية، على الرحيل للجانب الآسيوي، ليكونوا لقمة سائغة للأتراك⁽¹⁾، كما أشار المؤرخ المجهول: أن الإمبراطور الكسيوس رحب بخبر هزيمة الحملة الشعبية على يد الأتراك، وساعد من تبقى على قيد الحياة مقابل تجريدهم من أسلحتهم⁽²⁾، ولعل الخلاف الديني هو الدافع وراء كل هذه الاتهامات ضد الإمبراطور في كتابات اللاتين، متجاهلين ما قدمه ألكسيوس من مؤن ونصائح لبطرس وجماعته.

في الحقيقة أشار المؤرخ اللاتيني ألبرت فون اخت إلى نصائح الإمبراطور المتكررة لبطرس وجماعته، ولاسيما تحذيره الشديد لبطرس بعدم الاقتراب نحو المسلمين لحين وصول الجيوش النظامية، كما أعطى تفسير للكارثة التي حلت ببطرس وجماعته بعيداً عن التحيز حيث أشار: إلى سوء التصرف الذي ظهر من الصليبيين، بالإضافة إلى عدم كفاءة القادة⁽³⁾. بهذه المأساة تحدد مصير الحملات الشعبية بالعجز عن تحقيق أهدافها، وتحرير بيت المقدس، كما عجزت عن بناء علاقة جيدة مع المسيحيين البيزنطيين، الذين لمسوا حجم الكره الذي يكنه اللاتين لهم⁽⁴⁾؛ والسؤال الذي يطرح نفسه، إلى أي مدى كان الشقاق الديني العظيم بين كنيسة روما وكنيسة القسطنطينية مسؤولاً عن مصير الحملة الشعبية، ومؤثراً على سياسة ألكسيوس كومنين مع رجال الحملة الشعبية؟ في الواقع كان أثر الشقاق الديني واضحاً على الأفعال العدوانية التي قام بها رجال الحملة الشعبية، وخاصة في سيملين، ونهب الكنائس وتدميرها، واقتلاع قصديرها، والتي توضح هدفهم الأول وهو: الانتقام من القسطنطينية وشعبها قبل تحرير القبر المقدس؛ كل ما سلف يؤكد أن الشقاق الديني كان متحكماً في تصرفات اللاتين العدائية تجاه البيزنطيين، بالتالي ردة فعل الإمبراطور البيزنطي ألكسيوس كومنين كانت خالية من أي بعد ديني للشقاق، لأن همه الوحيد كان: حماية عاصمته من شغب اللاتين المملوء بالكره الواضح للبيزنطيين، بينما حمل المؤرخون اللاتين ألكسيوس كومنين وسياسته المسؤولية الكاملة عن مصير الحملة الشعبية، مسوغين ذلك بإبعاده المقصود للاتين عن نواحي القسطنطينية إلى الناحية البوسفور التي تحاذي الأتراك السلاجقة، وأجبرهم على التجرد من أسلحتهم بقصد الخلاص

¹ - ريموندا جيل. (1990م): تاريخ الفرنجة غزاه بيت المقدس، تر: حسين عطية، كلية الآداب جامعة طنطا، دار المعرفة الجامعية، ط1، ص49.

² - (د.ت): أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس، ص22.

³ - (2007م): تاريخ الحملة الصليبية الأولى، من خلال الموسوعة الشامية، ج51، ص25-28.

⁴ - زكار، جوني، إسماعيل. (2001م): حروب الفرنجة، ص57؛ يوسف. (د.ت): العرب والروم واللاتين، ص170.

منهم عن طرق السلاجقة⁽¹⁾، ومسألة اتهام ألكسيوس بتجريد الصليبيين من السلاح بشكل مقصود، فإن هذا الاتهام مستبعد؛ لأن هذه الأسلحة بدائية وخفيفة، ولا تصلح للتصدي للسلاجقة، كما كانوا يفتقرون للتنظيم والتسليح، الذي يحقق لهم مواجهة السلاجقة بنجاح، وهذا ما أكده المؤرخ اللاتيني وليم الصوري⁽²⁾؛ في الحقيقة السياسة التي اتبعها الإمبراطور ألكسيوس كومنين مع اللاتين كانت خالية من أي بعد ديني للشقاق العظيم، بدليل ما أشارت إليه المصادر البيزنطية واللاتينية عن استقبال ألكسيوس الحار لبطرس الناسك⁽³⁾ وحجم المؤن والمنح التي أعطاها للصليبيين⁽⁴⁾، كما نصحهم مراراً وتكراراً بعدم الاقتراب من المسلمين، والتزام الهدوء حتى يصل ما تبقى من الجيوش الصليبية المنظمة⁽⁵⁾، وأرسل لهم المؤن الكثيرة ليكفوا عن القيام بممارسة النهب والسلب بالأترك⁽⁶⁾، لكنهم لم يأخذوا بنصائح الإمبراطور البيزنطي ألكسيوس كومنين المتكررة بعدم الاقتراب من السلاجقة، ولم تشبع طمعهم وجشعهم المؤن والبضائع التي كان يرسلها إليهم الإمبراطور⁽⁷⁾، وإنه لم يقم بنقلهم إلى أسيا الصغرى إلا بعد أن زادت مضايقتهم للأهالي، ونهبهم دورهم وقصورهم، حتى الكنائس لم تسلم من غاراتهم، ولربما أيقن الإمبراطور أن الحقد الديني على المسيحيين الأرثوذكس ممتلئ بقلوب هؤلاء الغزاة، فقرر حماية بلاده، وأهل بلاده من هذا الحقد الدفين⁽⁸⁾؛ يتضح مما سلف أن التباين الكبير بين الحقائق التي أشارت إليها المصادر اللاتينية عن نصائح ألكسيوس الإيجابية لرجال الحملة الشعبية والترحيب بها، ودعمها بالمؤن، وبين الاتهامات المتكررة لألكسيوس كومنين بخيانة القضية الصليبية وتحمله مسؤولية إخفاق الحملة الشعبية، يدل على حجم الكره والحقد الموجود في قلوب اللاتين ضد الإمبراطورية البيزنطية، الذي أعمى بصرهم عن أعمال العدوان ضد أهالي الإمبراطورية البيزنطية المسيحيين، وتقديم مسوغات واهية لتغطية هذا العدوان، ويدل أن الشقاق الديني العظيم هو أحد المسوغات عن مصير الحملة الشعبية التي صبت كل كرهها للبيزنطيين بالقتل والنهب والسلب، وواجه ألكسيوس كومنين كل هذا الشر فقط بإبعاد

1 - المؤرخ المجهول.(د.ت): أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس، ص22.

2 - (2003م): تاريخ وليم الصوري، من خلال الموسوعة الشامية، ج44، ص252.

3 - ألبرت فون أخت.(2007م): تاريخ الحملة الصليبية الأولى، من خلال الموسوعة الشامية، ج44، ص21؛ كومنينا.(2004م): ألكسياد، ص391؛ وليم الصوري.(2003م): تاريخ وليم الصوري، من خلال الموسوعة الشامية، ج51، ص247..

4 - ألبرت فون أخت.(2007م): تاريخ الحملة الصليبية الأولى، من خلال الموسوعة الشامية، ج51، ص25-28.

5 - كومنينا.(2004م): ألكسياد، ص390؛ عاشور.(1971م): الحركة الصليبية، ج1، ص148

6 - وليم الصوري.(2003م): تاريخ وليم الصوري، من خلال الموسوعة الشامية، ج44، ص252.

7 - كومنينا.(2004م): ألكسياد، ص391؛ ماير.(1999م): تاريخ الحملات الصليبية، ص68؛ يوسف.(د.ت): العرب والروم واللاتين، ص170.

فوضتهم وكرههم عن عاصمته ليجمها، فهو دائماً يضع مصالحه ومصالح إمبراطوريته بالمرتبة الأولى في خطته، بالتالي تكون تصرفاتهم العدوانية المحملة بالحق الديني ضد البيزنطيين هي المسؤولة عن مصيرهم المأساوي الذي لاقوه على يد الأتراك السلاجقة. في الحقيقة قد أثرت نهاية الحملة الشعبية على مصير العلاقات بين البيزنطيين واللاتين، فالبيزنطيون ارتابوا من نوايا الصليبيين، وخافوا على سلامة عاصمتهم وأمنها، لذلك رسم الإمبراطور البيزنطي سياسة واضحة للتعامل مع الحملة الصليبية المنظمة التي يقودها أمراء من الغرب اللاتيني، ليجمي بلاده من حقد⁽¹⁾هم، واللاتين رأوا بالبيزنطيين خائنين لقضيتهم، ولم يستطع ألكسيوس كومنين مسح هذا التصور من أذهانهم على الرغم من ما أظهره من ترحيب وكرم مع قادة حملة الأمراء المنظمة، مما زاد من كمية الحقد والكراهية للشعب الإغريقي الوثني - في نظرهم -⁽²⁾.

¹ - ماير. (1999م): تاريخ الحملات الصليبية، ص 68.

² - قاسم. (1990م): ماهية الحروب الصليبية، ص 102؛ يوسف. (د.ت): العرب والروم واللاتين، ص 170

2- موقف الإمبراطور البيزنطي ألكسيوس كومنين من قادة الحملة الصليبية الأولى عام

(490هـ/1096م) وأثر الخلاف الكنسي فيه

ذُكِرَ فيما سلف، إن الحملة الشعبية تعرضت لكارثة قاسية ونهاية مأساوية، على يد السلاجقة الأتراك من دون أن تتمكن من الوصول إلى بيت المقدس⁽¹⁾، لكن هذه الكارثة نبهت الإمبراطور البيزنطي ألكسيوس كومنين لحجم الأخطار والفوضى التي ستعاني منها إمبراطوريته من الجيوش الصليبية- الكارثة والحادثة على البيزنطيين -، التي كانت على وشك الوصول إلى القسطنطينية⁽²⁾، لذا رسم الإمبراطور البيزنطي منذ البداية خطة مزدوجة للتعامل مع الصليبيين، جوهرها: حماية إمبراطوريته من عدوان الصليبيين، والتودد لقادة الحملة ليدعموه في مسألة إعادة الأراضي البيزنطية التي استولى عليها السلاجقة؛ مقابل تقديم الإمبراطورية البيزنطية المون التي يحتاجها الصليبيون لاستمرار حملتهم، شريطة التزامهم بالقوانين، والسير بسلام داخل الأراضي البيزنطية، وعدم التعرض بسوء للشعب البيزنطي، وإذا أخلوا بهذا الالتزام سيمنع عنهم التموين، ويواجه تجاوزاتهم بالقوة⁽³⁾؛ بعد إتمام التجهيزات بالغرب الأوروبي، خرجت الحملة النظامية بكامل استعدادها وتسليحها، تحرك الجيش الأول نحو الشرق بقيادة⁽⁴⁾ هيوغ كونت فرماندو Hugues de Vermandois (460-496هـ/1068-1102م)⁽⁵⁾، الذي راسل الإمبراطور ألكسيوس كومنين عندما كان في إيطاليا، بطريقة خالية من الود واللباقة، يطلب منه تجهيزات ضخمة تليق به، تجاهل الإمبراطور البيزنطي أسلوب هيوغ الحاد، وأمر جنوده في جنوب إيطاليا أن يعلموه بحال وصول قادة حملة

¹ - كومنينا. (2004م): ألكسياد، ص39.

Chalandon. (1990.A.D): **Alexis Comnene**, pp.170-179.

² - يوسف. (1981م): العرب والروم واللاتين، ص176.

³ - رنسيما. (د.ت): تاريخ الحروب الصليبية، ج1، ص197؛ الصوا. (2004م): من البابا أوربان الثاني إلى رئيس جورج بوش الثاني، ص37.

⁴ - باركر. (د.ت): الحروب الصليبية، ص34-36.

⁵ - هيوغ: هو شقيق فيليب الأول ملك فرنسا، ولد عام (449هـ/1057م)، وأصبح كونت فيرماندا عام (461هـ/1068م) حتى وفاته عام (496هـ/1102م). المؤرخ المجهول. (د.ت): أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس، ص23؛ رنسيما. (د.ت): تاريخ الحروب الصليبية، ج1، ص207؛ عبيد. (1970م): روما وبيزنطة، ص92.

الصليبية الأولى، لكي يحضر استقبالاً يليق بهم، لكن هيوغ تعرض لعاصفة قوية في السواحل الجنوبية لإيطاليا أدت لغرق سفنه ورجاله، واستطاع الجنود البيزنطيون إنقاذ هيوغ من الغرق، وإرساله إلى العاصمة البيزنطية، وتم استقباله بكل ترحاب من قبل الإمبراطور البيزنطي ألكسيوس كومنين، ومنحه الكثير من المال والذهب والهدايا⁽¹⁾، ومع بداية الحملة النظامية، بدأت الاتهامات اللاتينية ضد الإمبراطورية، فقد أشار المؤرخون اللاتين إن الإمبراطور البيزنطي ألكسيوس كومنين أعتقل الأمير هيوغ من خلال خطة محكمة ومدبرة مع جنوده في جنوب إيطاليا⁽²⁾، لكن مسألة اعتقال الأمير هيوغ كانت ذريعة ليخفوا خلفها حقدهم الديني للبيزنطيين، وعدوانهم المستمر.

وعند وصول هيوغ إلى القسطنطينية وبعد منحه الذهب والهدايا، قسم يمين الطاعة ولولاء للإمبراطور البيزنطي ألكسيوس كومنين⁽³⁾، وبهذا توضحت سياسة ألكسيوس كومنين حيال الصليبيين، وهي حماية بلاده أولاً، والاستفادة من الجيوش الصليبية لتحقيق مصالحه ثانياً، من خلال منحهم المؤن والمساعدة والترحيب، والأهم من ذلك أدراك ألكسيوس إن أهم أهداف القادة الصليبيين: تأسيس إمارات لهم في الشرق الإسلامي، ولكي يضمن سلطته السياسية على إمارات اللاتين في الشرق، طلب من كل القادة الصليبيين قسم يمين الولاء والطاعة له⁽⁴⁾؛ في الحقيقة اسهم هيوغ دور فعال في التقريب بين قادة الحملة الصليبية الأولى والإمبراطور البيزنطي ألكسيوس كومنين والتأثير عليهم لقسم يمين الولاء لألكسيوس⁽⁵⁾، وأشار المؤرخ اللاتيني الشارترى: أن هيوغ أرغم على قسم اليمين للإمبراطور البيزنطي لعجزه عن مواجهته، وخاصة بعد موت الكثير من رجاله في البحر بسبب العاصفة التي

¹ - الشارترى.(1990م): تاريخ الحملة إلى الشرق، ص 23؛ كومنين.(2004م): ألكسياد، ص 393-394؛ قاسم.(1990م): ماهية الحروب الصليبية، ص 99.

² - الشارترى.(1990م): تاريخ الحملة إلى الشرق، ص 43؛ المؤرخ المجهول.(د.ت): أعمال الفرنج وحجاج بيت المقدس، ص 23.

³ - كومنين.(2004م): ألكسياد، ص 395.

⁴ - رنسيان.(د.ت): تاريخ الحروب الصليبية، ج 1، ص 210؛ الصوا.(2004م): من البابا أوربان الثاني إلى رئيس جورج يوش الثاني، ص 37-38.

⁵ - يوسف.(1981م): العرب والروم واللاتين، ص 172.

ضربت سفنهم⁽¹⁾، ولعل قبول هيوغ بتقديم الطاعة والتبعية للإمبراطور البيزنطي، عائد لعدم تقيده بأي قسم سالف، أو ولاء لأي جهة في الغرب الأوروبي.

كان جودفري دي بويون Gaudefrois de Bouillan (455-494هـ/1058-1100م)⁽²⁾ دوق اللورين السفلى⁽³⁾، ومعه أخوه بلدوين دي بلوني Baudouin de Boulogne (494-512هـ/1100-1118م)⁽⁴⁾ هو ثاني القادة الذين وصلوا إلى القسطنطينية⁽⁵⁾ بجيشه الضخم، وقد سار في الموعد المحدد للحملة، وهو (3رمضان 490هـ/ 15 آب 1096م)، وكان ينتمي بولائه للإمبراطور هنري الرابع لذلك حصل على موافقته قبل خروجه إلى الشرق⁽⁶⁾، اختار جودفري وجيشه السير عن طريق بلاد المجر، وتفاوض مع ملكها ليحصل على الموافقة لعبور أراضيها، قبل الملك كولمان أن يمر جودفري وجيشه عبر المجر، لكن بشروط وهي: بقاء جودفري محجوزاً عند ملك المجر حتى يعبر الجيش الصليبي بلاده بهدوء وسلام، وحذر جودفري جيشه من إحداث أي فوضى أو شغب، وتم عبور جيش

¹ - (1990م): تاريخ الحملة إلى الشرق، ص43.

² - جودفري: ولد عام (452هـ/1061م)، وهو ابن يوستاس الثاني كونت بولوني ورث دقية اللورين السفلى عن عمه جودفري الثالث عام (482هـ/1089م) حتى عام (489هـ/1095م) وقد باع دوقيته، وغادر في الحملة الصليبية الأولى، وانتخب أول ملك لمملكة بيت المقدس عام (493هـ/1099م) حتى وفاته عام (494هـ/1100م). الربيعي. (د.ت): موقف الإمبراطورية البيزنطية من قادة الحملات الصليبية، ص449؛ رنسيما. (د.ت): تاريخ الحروب الصليبية، ج1، ص211؛ ماير. (1999م): تاريخ الحملات الصليبية، ص68.

Setton. (1969.A.D): History of the crusade, p.267

³ - اللورين السفلى: مدينة تقع على ضفة نهر الراين. يوسف. (1981م): العرب والروم واللاتين، ص179.

⁴ - بلدوين: أخ جودفري، أصبح أميراً على الزها عام (492هـ/1098م) حتى عام (494هـ/1100م) وبعد وفاة أخيه جودفري ملك بيت المقدس، أصبح الحاكم الثاني على مملكة بيت المقدس عام (494هـ/1100م) حتى وفاته عام (512هـ/1118م). الربيعي. (د.ت): موقف الإمبراطورية البيزنطية من قادة الحملات الصليبية، ص449؛ ماير. (1999م): تاريخ الحملات الصليبية، ص69.

⁵ - متى الرهاوي. (2009م): تاريخ متى الرهاوي، ص65-66.

⁶ - قاسم. (1983م): الخلفية الإيديولوجية للحروب الصليبية، ص148؛ يوسف. (1981م): العرب والروم واللاتين، ص179.

جود فري الأراضي المجرية، وفي سيملين أطلق جودفري مع منحه الكثير من الهدايا القيمة⁽¹⁾، في الحقيقة كان تصرف ملك المجر متأثراً بالعدوان والفوضى التي ارتبطت بالحملة الشعبية، التي حملت في أذهانها الحقد الديني. أرسل الإمبراطور ألكسيوس كومنين، مندوبه للتفاوض مع القائد جودفري عندما دخل الأراضي البيزنطية، مؤكداً على إمداد الإمبراطور جيوش جودفري بما يلزمها من مؤن مقابل التزام الهدوء، وعدم إثارة الفوضى، وتم الالتزام من قبل الطرفين بهذا الاتفاق حتى قطعت جيوش جودفري مدينة نيش⁽²⁾، وبعدها بدأ جيش جودفري بإثارة الفوضى، وتدمير أي مكان يصلونه، وسلب كل ما تقع عليه أيديهم، ومثل العادة كانت المصادر اللاتينية جاهزة للدفاع عن أي عمل عدواني يقوم به اللاتين ضد البيزنطيين، فأشار ألبرت فون أخت، ووليم الصوري أن خبر أسر الأمير هيوغ قد أثار غضب الصليبيين، فرغبوا بالانتقام من البيزنطيين⁽³⁾، لكن هذا العدوان له تفسير واحد وهو: أثر الشقاق الديني العظيم المسيطر على مشاعر اللاتين حيال المسيحيين الشرقيين، وكانت التسويات تخفي خلفها حقد اللاتين الديني على كل ما هو بيزنطي، ولا سيما أن المصادر البيزنطية أكدت ترحيب الإمبراطور الكسيوس بالأمير هيوغ، ومنحه الكثير من الهدايا، بالتالي الأمير هيوغ لم يكن أسيراً بيد البيزنطيين، بل كان ضيفاً مرحباً به⁽⁴⁾، وما يؤكد ذلك مدح هيوغ المتكرر أمام القادة الصليبيين عن كرم الإمبراطور البيزنطي ألكسيوس كومنين، ولا يغيب عن البال أن الإمبراطور البيزنطي رسم سياسة محددة للتعامل مع البيزنطيين، وهي التودد والتقرب من قادة الصليبيين للاستفادة منهم، ومسألة أسر الأمير هيوغ تتعارض مع سياسة الإمبراطور المرسومة⁽⁵⁾، وبالتالي تكون مسوغات المصادر اللاتينية غير صحيحة، ويكون المسوغ الحقيقي وراء أعمال الشغب والنهب ضد المدن البيزنطية

¹ - ألبرت فون أخت. (2007م): تاريخ الحملة الصليبية الأولى، من خلال الموسوعة الشامية، ج 51، ص 32؛ وليم الصوري. (2003م): تاريخ وليم الصوري، من خلال الموسوعة الشامية، ج 44، ص 263؛ ماير. (1999م): تاريخ الحملات الصليبية، ص 69.

² - ألبرت فون أخت. (2007م): تاريخ الحملة الصليبية الأولى، من خلال الموسوعة الشامية، ج 51، ص 33؛ كومنين. (2004م): ألكسياد، ص 398.

³ - ألبرت فون أخت. (2007م): تاريخ الحملة الصليبية الأولى، من خلال الموسوعة الشامية، ج 51، ص 33؛ وليم الصوري. (2003م): تاريخ وليم الصوري، من خلال الموسوعة الشامية، ج 44، ص 27.

⁴ - كومنين. (2004م): ألكسياد، ص 393-394.

⁵ - رنسيان. (د.ت): تاريخ الحروب الصليبية، ج 1، ص 210.

هو : عدم قدرة قوات جودفري على إخفاء كرههم للبيزنطيين - الهراطقة في نظرهم-، ودليل ذلك أن المؤرخين اللاتين يسوغون كل الأعمال الوحشية ضد البيزنطيين المسيحيين بأي مسوغ كان، كأنهم يقولون هذا ما يستحقه البيزنطيون.

وعند وصل جودفري وجيشه إلى القسطنطينية تمركز خارج أسوارها، ورفض كل السفارات التي وصلتته من الإمبراطور ألكسيوس كومنين للاتفاق على مقابلة الإمبراطور وقسم يمين الولاء له⁽¹⁾؛ في الحقيقة كان موقف الكسيوس من جودفري واضحاً وبعيداً عن أي خلفية دينية أو حقد ديني، فهو موقف سياسي محدد حسب الخطة المرسومة من قبل الإمبراطور، وهي التقرب للقوات الصليبية الضخمة، واستغلالها لتحقيق مصالح الإمبراطورية البيزنطية السياسية، ولاسيما مسألة إعادة الأراضي البيزنطية من الأتراك السلاجقة، لذلك تودد لجودفري، وحاول تحقيق أهدافه من خلال ربط الأمير الصليبي بيمين الولاء والطاعة للإمبراطور البيزنطي⁽²⁾، لكن جودفري رفض وبقوة مقابلة الإمبراطور، وهذا إن دل على شيء فإنه يدل على إن الشقاق العظيم مازال ماثلاً أمام أعين جودفري ومن معه من اللاتين، فكيف له وهو الأمير الكاثوليكي، وقائد حملة نظامية تنفيذاً لدعوة البابا أوربان الثاني الكاثوليكي، أن يعلن ولاءه للإمبراطور البيزنطي حامي الكنيسة الأرثوذكسية، بالإضافة إلى صعوبة حلف يمين الطاعة للإمبراطور الأرثوذكسي وهو تابع للإمبراطور الغربي الكاثوليكي، فكيف لأمر بالعصور الوسطى تابع لنظام الإقطاع أن يوزع ولاءه بين حاكمين إمبراطوريين متنازعين⁽³⁾؛ هذا يوضح المدى الكبير الذي تركه الشقاق الديني في تصرف اللاتين ضد البيزنطيين، ما يعكس طبيعة العلاقات فيما بينهم، بينما الإمبراطور كان يفكر بشكل سياسي، ورسم خطته لتوثيق مصالحه ومصالح دولته بعيداً عن الخلاف الديني ما بين الكنيستين الكاثوليكية والأرثوذكسية . وأظهر جودفري عداؤه ضد الإمبراطور البيزنطي، واتهمه بالخيانة بعدما علم عن المصير المأساوي الذي وصلت له الحملة الشعبية، واتخذ من ذلك ذريعة لتجديد رفضه لفكرة مقابلة الإمبراطور البيزنطي؛ أدرك

¹ - الشارترى.(1990م): تاريخ الحملة إلى الشرق، ص44؛ فيتالي.(2008م): التاريخ الكنسي، ص31؛ كومينا.(2004م): ألكسياد، ص398؛ يوسف.(1981م): العرب والروم واللاتين، ص175.

² - ماير.(1999م): تاريخ الحملات الصليبية، ص73.

³ - زكار، جوني، إسماعيل.(2001م): حروب الفرنجة، ص58.

ألكسيوس كومنين أن جودفري ينتظر وصول باقي الجيوش الصليبية لتدعم قراره بعدم تقديم الولاء للإمبراطور البيزنطي، وبالتالي خطة ألكسيوس ستتهار، لذلك حاول ألكسيوس جاهداً حسم المسألة قبل وصول جيش بوهمند إلى القسطنطينية⁽¹⁾، فقد قطع جميع الإمدادات والمؤن عن جيش جودفري، وأمر قواته للاستعداد لمواجهة جودفري وقواته⁽²⁾، وكان رد الصليبيين عنيفاً حيث قام بلدوين ورجاله بالهجوم على ضواحي القسطنطينية، وبدؤوا بأعمال العنف والسلب في ضواحي العاصمة، مما اضطر الإمبراطور إلى وضع خطة لحصارهم ليتم مواجهتهم بسهولة⁽³⁾، وشدد الحصار على جيش جودفري عام (490هـ/1096م) ليمنعهم من التواصل مع الجيوش الصليبية القادمة، ولاسيما بعد رفضه التام لمقابلة ألكسيوس⁽⁴⁾، وكان هذا الرفض بعد المراسلات التي تمت بين جودفري وبوهمند الذي كان في طريقه إلى القسطنطينية، وقدم نصائحه لجودفري أن يحافظ على تماسكه لحين وصول باقي الجيوش الصليبية⁽⁵⁾، ولكي يمنع ألكسيوس اجتماع الجيوش الصليبية، قرر مواجهة جودفري بالقوة العسكرية، مما أدى إلى حدوث نزاع مسلح بين الطرفين، استطاع فيه جودفري وجيشه الاقتراب من القسطنطينية، وحاول الاستيلاء عليها، وتم الوصول إلى أحد أبواب العاصمة وأحرقه، وانتشرت الفوضى والسلب والقتل في ضواحي القسطنطينية⁽⁶⁾. والغريب في الأمر كيف لجيوش تحمل شعار الصليب بتحرير بيت المقدس أن تفكر باحتلال مدينة مسيحية؟! هذا إن دل على شيء إنما يدل أن الصليبيين متأثرون بالخلاف الديني بشكل كبير، فانعكس ذلك على تصرفاتهم العدوانية ضد البيزنطيين، مما جعل البيزنطيين يستعدون للرد على هذا العداء؛ اللاتين يسوغون كل تصرفات

¹ - ماير. (1999م): تاريخ الحملات الصليبية، ص73.

² - ألبرت فون أخت. (2007م): تاريخ الحملة الصليبية الأولى، من خلال الموسوعة الشامية، ج51، ص34-35؛ كومنينا. (2004م): الكساد، ص399؛ الحريري (1965م): الأخبار السنية، ص32؛ رنسيما. (د.ت): تاريخ الحروب الصليبية، ج1، ص236.

³ - يوسف. (1981م): العرب والروم واللاتين، ص181.

⁴ - وليم الصوري. (2003م): تاريخ وليم الصوري، من خلال الموسوعة الشامية، ج44، ص272؛ يوسف. (1981م): العرب والروم واللاتين، ص178.

⁵ - وليم الصوري. (2003م): تاريخ وليم الصوري، من خلال الموسوعة الشامية في تاريخ، ج44، ص273.

⁶ - ألبرت فون أخت. (2007م): تاريخ الحملة الصليبية الأولى، من خلال الموسوعة الشامية، ج51، ص35؛ المؤرخ المجهول. (د.ت): أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس، ص24؛ وليم الصوري. (2003م): تاريخ وليم الصوري، من خلال الموسوعة الشامية، ج44، ص276-277؛ ماير: تاريخ الحملات الصليبية، ص72.

الصليبيين بأي مسوغ كان، ليخفوا هذا الحقد الديني. ودافع البيزنطيون عن عاصمتهم بكل قوة وشراسة، حتى اضطر جودفري ومن معه من الصليبيين إلى التقهقر والانسحاب⁽¹⁾، وبعدها خضع جودفري لمطالب الإمبراطور البيزنطي ألكسيوس كومنين، وقابله، وحلف يمين الطاعة، بينما بلدوين رفض حضور اللقاء مع الإمبراطور، ولم يرتبط معه بأي يمين⁽²⁾، وتم الاتفاق بين الطرفين على أن يعيد الصليبيون للإمبراطور كل الأراضي التي استولى عليها الأتراك السلاجقة، مقابل إمدادهم بالمؤن اللازمة، والمساعدة لجيوشهم، وبذلك كفل ألكسيوس عمل الحملة الصليبية لتحقيق مصالح الإمبراطورية البيزنطية⁽³⁾؛ وسيكون لهذا الاتفاق أثره على طبيعة العلاقات الصليبية والبيزنطية فيما بعد⁽⁴⁾، وبعد هذا الاتفاق تودد الإمبراطور إلى جودفري، ومنحه الهدايا القيمة، كما وزع الخيول على الصليبيين، بالإضافة إلى صرف مبلغ من المال لكل القادة المرافقين لجودفري، والذين حلفوا يمين الطاعة للإمبراطور البيزنطي⁽⁵⁾؛ وبعدها نقل الإمبراطور البيزنطي جيش جودفري إلى الجانب الآسيوي للبيسفور لانتظار جيش بوهمند⁽⁶⁾. ويتضح مما سلف: إن ألكسيوس حاول جاهداً التقرب من جودفري، ولم يكن يريد استخدام القوة معه، ولا قطع الإمداد عنهم، لكن عناد جودفري، ورفضه مقابلة الإمبراطور، ومحاولته للاستيلاء على القسطنطينية، أجبرت الإمبراطور على مواجهة جودفري بالقوة. في الواقع إن مسألة استيلاء قوات خرجت من بلادها باسم الصليب على بلد مسيحي، هو بحد ذاته دليل على تأثير اللاتين الكاثوليك بالشقاق الديني العظيم بين الكنيستين الشرقية والغربية،

¹ - كومنين. (2004م): ألكسياد، ص 399.

² - المؤرخ المجهول. (د.ت): أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس، ص 25.

Chalandon. (1990.A.D): **Alexis Comnene**, pp. 261-270.

³ - ألبرت فون أخت. (2007م): تاريخ الحملة الصليبية الأولى، من خلال الموسوعة الشامية، ج 51، ص 36؛ كومنين. (2004م): ألكسياد، ص 402.

⁴ - ماير. (1999م): تاريخ الحملات الصليبية، ص 47.

⁵ - كومنين. (2004م): ألكسياد، ص 402؛ وليم الصوري. (2003م): تاريخ وليم الصوري، من خلال الموسوعة الشامية، ج 44، ص 283.

⁶ - كومنين. (2004م): ألكسياد، ص 405؛ المؤرخ المجهول. (د.ت): أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس، ص 25.

لدرجة عدم قدرتهم على كبح كرههم للإغريق، وتصرفهم بعدوانية معهم، مما جعل الإمبراطور يتصدى لهذا الاعتداء بالسياسية والدبلوماسية تارةً، والهدايا والمال تارةً، والقوة تارةً أخرى.

وبعد حصول ألكسيوس على قسم يمين الطاعة من جودفري، ونقله إلى الجانب الآسيوي من البسفور، تفرغ ألكسيوس لاستقبال عدو الأمس الذي شكل قلقاً كبيراً لدى الإمبراطور البيزنطي إبان الحرب النورماندية التوسيعية ما بين عامي (472-477هـ/1080-1085م)، التي شكلت المزيد من الحذر في قلب ألكسيوس من نوايا بوهمند⁽¹⁾، والذي زاد من قلق الإمبراطور ألكسيوس، العلاقة الحميمة التي تجمع بوهمند والبابا أوربان الثاني، الذي رافق بوهمند بالتنقل لزيارة أماكن متعددة في جنوب إيطاليا⁽²⁾، ولعل في قلق ألكسيوس من علاقة البابا أوربان الجيدة مع بوهمند تحمل بعداً دينياً للشقاق العظيم، لعله ارتاب من فكرة تحالف جديدة تجمع البابوية مع النورمان، بهدف القضاء على القسطنطينية. ولاسيما بعد خسارة بوهمند ممتلكاته في الغرب بعد موت أبيه⁽³⁾؛ لعل هذا شكك الإمبراطور في نوايا بوهمند، وهي الوصول إلى القسطنطينية والاستيلاء عليها⁽⁴⁾. وقد أشارت أنا كومينا إلى شكوك والدها في ذلك، عندما أكدت أن سبب مشاركة بوهمند في الحملة الصليبية الأولى ليواصل عدوانه وعدوان والده ضد الإمبراطورية البيزنطية⁽⁵⁾.

في الحقيقة كان هدف بوهمند تحقيق مصالحه السياسية، وإنشاء إمارة له في الشرق، وهذا ما سيحدث في أنطاكية، مما سيؤدي إلى توتر العلاقة مع الإمبراطور البيزنطي، ورافق بوهمند في سفره⁽⁶⁾ ابن أخته ويدعى تانكريد

¹ - زيتون.(1980م): العلاقات السياسية والكنسية، ص149.

² - عبيد.(1970م): روما وبيزنطة، ص97.

³ - المؤرخ المجهول.(د.ت): أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس، ص26؛ رنسيان.(د.ت): تاريخ الحروب الصليبية، ج1، ص222؛ ماير.(1999م): تاريخ الحملات الصليبية، ص69.

⁴ - Diel(c).(1995.A.D): 'L'Europe Orentale, presses universtairesde frnncé, p.22

⁵ - كومينا.(2004م): ألكسياد، ص406.

⁶ - باركر.(د.ت): الحروب الصليبية، ص33؛ ماير.(1999م): تاريخ الحملات الصليبية، ص70.

أف هوتيفال Tancrede Of Hauteville⁽¹⁾، وانطلقوا من مدينة باري، وسعى بوهمند على التزام جيشه بالنظام وعدم إثارة الفوضى، وذلك للتقرب من الإمبراطور البيزنطي، وليسهل تحقيق أهدافه⁽²⁾ لكنه لم يستطع السيطرة على مؤخرة جيشه، فقاموا بعمليات السلب والنهب، وحرق بعض المدن البيزنطية عام(490هـ/1096م)، مما أجبر القوات البيزنطية على التدخل لكف عدوانهم، لكن قوات تانكريد استطاعت هزيمة القوات البيزنطية وأسر عدد من الجنود البيزنطيين، لكن تدخل بوهمند بسرعة وهدأ الموقف، حيث قام بأطلاق سراح الجنود البيزنطيين⁽³⁾، وفي الواقع إن تصرف تانكريد لا يتوافق مع سياسة بوهمند وهي التودد للإمبراطور البيزنطي وكسب ثقته⁽⁴⁾، وفي تلك الأثناء أرسل الإمبراطور إلى بوهمند يطلب منه كف جنوده عن القيام بأي عدوان في الأراضي البيزنطية كما طلب منه الحضور إلى القسطنطينية قبل جيشه لمقابلته؛ ترك بوهمند جيشه تحت قيادة تانكريد، وسارع لمقابلة الإمبراطور البيزنطي⁽⁵⁾، الذي استقبله بحرارة وحفاوة حال وصوله، كما تودد بوهمند بشكل كبير إلى الإمبراطور⁽⁶⁾ محاولاً كسب ثقته، ومسح صورة العداوة القديمة، وهذا دليل أن كلاً من الطرفين يشك في نوايا الآخر، ويتودد للآخر لتحقيق مصالحه السياسية، وحاول بوهمند جاهداً إخفاء نواياه المعادية للإمبراطور البيزنطي وبلاده، لكن تلك النوايا ظهرت بوضوح في أثناء أزمة إنطاكية عام (492هـ/1098م).

¹ - تانكريد: كان زعيماً نورماندياً وأحد قادة الحملة الصليبية الأولى، وهو ابن إيمما Emma اخت بوهمند من والدته، شارك في معركة القدس عام (493هـ/1099م)، وأصبح بعدها أميراً على الجليل، وبعد وفاة بوهمند أصبح أميراً على إنطاكية من عام (504هـ/1111م) حتى وفاته عام(505هـ/1112م). وليم الصوري.(2003م): تاريخ وليم الصوري ، من خلال الموسوعة الشامية، ج44، ص289؛ الربيعي.(د.ت): موقف الإمبراطورية البيزنطية من قادة الحملات الصليبية، ص451.

² - المؤرخ المجهول.(د.ت): أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس، ص26؛ وليم الصوري.(2003م): تاريخ وليم الصوري ، من خلال الموسوعة الشامية، ج44، ص283؛ باركر.(د.ت): الحروب الصليبية، ص33؛ ماير.(1999م): تاريخ الحملات الصليبية، ص70.

³ - المؤرخ المجهول.(د.ت): أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس، ص27؛ وليم الصوري.(2003م): تاريخ وليم الصوري، من خلال لموسوعة الشامية، ج44، ص284؛ ماير.(1999م): تاريخ الحملات الصليبية، ص70.

⁴ - ماير: تاريخ الحملات الصليبية، ص71؛ يوسف.(1981م): العرب والروم واللاتين، ص202.

⁵ - كومنينا.(2004م): ألكسياد، ص405؛ المؤرخ المجهول.(د.ت): أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس، ص29؛ باركر.(د.ت): الحروب الصليبية، ص35؛ ماير.(1999م): تاريخ الحملات الصليبية، ص70.

⁶ - كومنينا.(2004م): ألكسياد، ص406؛ وليم الصوري.(2003م): تاريخ وليم الصوري، من خلال الموسوعة الشامية، ج44، ص287.

قدم بوهمند في نهاية مقابلته للإمبراطور البيزنطي يمين الطاعة والتبعية والولاء، كما أغدق عليه الإمبراطور بالهدايا والذهب⁽¹⁾؛ وقد أشار المؤرخ ألبرت فون أخت إلى مكر بوهمند ونواياه التي يحاول إخفاءها عن الإمبراطور البيزنطي، عندما أكد انزعاج بوهمند من مسألة قطعه يمين التبعية للإمبراطور البيزنطي⁽²⁾ ويشير المؤرخ المجهول إن مقابل أداء بوهمند هذا اليمين، قدم له الإمبراطور البيزنطي وعداً بمنحه أرضاً وراء أنطاكية، تمتد مسيرة خمسة عشر يوماً طويلاً وثمانية أيام عرضاً⁽³⁾، وقد اختلف ما أوردته آنا كومينا تماماً، حيث أوضحت دهشة أبيها من طلب بوهمند في حصوله على أنطاكية وضواحيها، وتعيينه قائداً لجميع القوات البيزنطية في الشرق، لكن ألكسيوس رد عليه بتأجيل النقاش بهذا الموضوع، لكي يتفادى عداوته⁽⁴⁾، ووعده بمنحه أرضاً مسيحية في أنطاكية⁽⁵⁾، ولعل هذا الطلب أكد مخاوف ألكسيوس من نوايا بوهمند المدعومة من البابا، الذي يعد أي نجاح يحققه الصليبيون هو نجاح للبابوية⁽⁶⁾، وإذا حقق هذا النجاح في أنطاكية، فإنه بالتأكيد نجاح البابوية الكاثوليكية على حساب البطريركية البيزنطية، وهذا ما حدث حقاً في أنطاكية وبذلك يتضح أثر البعد الديني في خوف الإمبراطور من أهداف بوهمند، ويتضح مما سلف إن بوهمند وجيشه يشكلون خوفاً مضاعفاً للبيزنطيين، بسبب ارتباط ألكسيوس من نوايا بوهمند في تحقيق أطماعه على حساب مصلحة الإمبراطورية البيزنطية وهذا يستند على سوابق النورمان في حروبها ضد الإمبراطورية البيزنطية⁽⁷⁾.

¹ - كومينا. (2004م): ألكسياد، ص406.

² - ألبرت فون أخت. (2007م): تاريخ الحملة الصليبية الأولى، من خلال الموسوعة الشامية في تاريخ، ج51، ص37.

³ - المؤرخ المجهول. (د.ت): أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس، ص31.

⁴ - (2004م): ألكسياد، ص408-409؛ ريتشارد (د.ت): مملكة اللاتين في القدس، ص257.

⁵ - قاسم. (1990م): ماهية الحروب الصليبية، ص104؛ يوسف. (1981م): العرب والروم واللاتين، ص193.

⁶ - عبيد. (1970م): روما وبيزنطة، ص76.

⁷ - يوسف. (1981م): العرب والروم واللاتين، ص203.

والجدير بالذكر أن تانكريد عبر اليوسفور دون أداء القسم لألكسيوس، ودون الارتباط معه بأي موثيق⁽¹⁾، هذا يدل على استنكار تانكريد لسياسة بوهمند، على الرغم من أطماع تانكريد وأهدافه التي تشبه أهداف بوهمند، لكنه لم يستخدم نفس السياسة مع الإمبراطور، وهكذا انتقل جيش بوهمند إلى الشاطئ الآسيوي، ليصل بعدها جيش⁽²⁾ ريموند الرابع دي ديزانتكلير Raymond IV de Desantcilles (486-498هـ / 1093-1105م) كونت تولوز⁽³⁾ برفقة أدهيمار دي مونتييل Adhemar de Monteil⁽⁴⁾ وكان ريموند شديد الحماس للحملة الصليبية، ولاسيما إنه كان ذا مساعٍ سالفة في مثل هذه الحروب في إسبانيا⁽⁵⁾، وقد سعى جاهداً لقيادة الحملة الصليبية، ورأى في نفسه الجدارة لذلك أكثر من باقي الأمراء الذين شاركوا في الحملة الصليبية الأولى، فقد كانت ثروته الطائلة تفوق ثروات باقي القادة، علاوة على إنه أكبرهم سناً، كما أن وجود مندوب البابا ضمن جيشه منحه شرعية دينية وسياسية ليتصدر قيادة الحملة الصليبية الأولى⁽⁶⁾، على الرغم من كل ما سلف فقد ارتكب ريموند الأخطاء منذ بداية انطلاق جيشه، فقد عارض المسير عبر الطريق البحري، وفضل أن يعبر هو وجيشه الطريق البري، الذي امتاز بالوعورة وقلة المياه والمؤن، مما أوقعه في مشكلة كيفية تمويل الجيش، ولاسيما بعد معارضة أهالي المناطق التي مروا فيها من مساعدتهم، أو تقديم المؤن لهم⁽⁷⁾، لكن عند وصولهم لمدينة دوروزو رحب بهم

¹ - كومنينا. (2004م): ألكسياد، ص423؛ المؤرخ المجهول (د.ت): أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس، ص32.

² - يوسف. (1981م): العرب والروم واللاتين، ص204.

³ - ريموند: ولد في تولوز جنوب فرنسا عام (434هـ/1042م) وأصبح كونت تولوز عام (468هـ/1093م) وتوفي وهو يحاصر طرابلس الشام عام (498هـ/1105م). وليم الصوري. (2003م): تاريخ وليم الصوري، من خلال الموسوعة الشامية، ج44، ص300؛ ريتشارد. (د.ت): مملكة اللاتين في القدس، ص246.

⁴ - أدهيمار: أصبح أسقف بوي عام (480هـ/1087م)، ساهم في الدعوة للحملة الصليبية الأولى، في أرجاء أوروبا، مات في أثناء حصار أنطاكية في مرض عضال، عام (492هـ/1098م)، ودفن بكنيسة القديس بطرس في أنطاكية. رستم: كنيسة الله، ج2، ص260-267؛ ريتشارد. (د.ت): مملكة اللاتين في القدس، ص246؛ سمث. (1999م): الحملة الصليبية الأولى، ص178.

⁵ - حبشي. (1958م): الحرب الصليبية الأولى، ص67؛ رنسيما. (د.ت): تاريخ الحروب الصليبية، ج1، ص229؛ ماير. (1999م): تاريخ الحملات الصليبية، ص70.

⁶ - ماير. (1999م): تاريخ الحملات الصليبية، ص75.

⁷ - ريموندا جيل. (1990م): تاريخ الفرنجة غزاة بيت المقدس، ص59-65؛ رنسيما. (د.ت): تاريخ الحروب الصليبية، ج1، ص231؛ ماير. (1999م): تاريخ الحملات الصليبية، ص71.

حاکمها، وأمدھم بما یحتاجون من مؤن، لكن ریموند قابل هذا الترحیب والكرم بجفاء وعدوانية، حیث رفض وجود فرقة عسكرية بیزنطية ترأب سیر جیشہ، ووقع نزاع مسلح بین الطرفین، انتهى بخسارة ریموند خیرة رجاله، ولم تتوقف المشاكل عند هذا الحد، بل تعرض الأسقف أدهیمار لحادثة كادت تؤدي بحیاته، حیث تاه عن المسار الصحیح للحملة، وتعرض للهجوم من قبل فرقة عسكرية تابعة للإمبراطورية البیزنطية، تريد سرقة ممتلكات أدهیمار، لكن هذه الفرقة لم تدرك مكانة أدهیمار الدينية⁽¹⁾، هذا يدل أنه لا یوجد أية خلفية للشقاق الديني العظیم من تصرف القوات البیزنطية، وإنما هدفهم كان السرقة.

وكان الجیش الصلیبی یدمر وینهب كل ما یقع تحت یده⁽²⁾، وهذا دلیل أن عدوان القوات البیزنطية على الأدهیمار قد أجب الخلاف الديني من جدید في نظر اللاتین، حتى قاموا بالتخريب والعدوان على المدن المسیحية. بینما ریموند ترك جیشہ، وأسرع لمقابلة الإمبراطور البیزنطي ألكسیوس کومنین في القسطنطينية، بالتالي لم یعد هناك أية شخصية قیادية تردع تصرفات اللاتین العدائية⁽³⁾، لعله كان یحمل في داخله تأییداً وتشجیعاً للعدوان الذي یقوم به جنوده لینتقم لخساراته السالفة على ید القوات البیزنطية، بالإضافة لتأثیر الشقاق الديني العظیم فیہ، فلم یحاول ردع عدوان جنوده عن المدن البیزنطية⁽⁴⁾، ورداً على اعتداء جند ریموند المتكرر على المدن البیزنطية، قام الجیش البیزنطي بمواجهته بالقوة العسكرية، وشتت الصلیبيين بعد هذه الهزيمة⁽⁵⁾.

¹ - ریموندا جیل. (1990م): تاریخ الفرنجة غزاة بیت المقدس، ص 60-69؛ ولیم الصوري. (2003م): تاریخ ولیم الصوري، من خلال الموسوعة الشامية، ج 44، ص 294؛ قاسم. (2001م): الحملة الصلیبية الأولى، ص 146.

² - ریموندا جیل. (1990م): تاریخ الفرنجة غزاة بیت المقدس، ص 70؛ قاسم. (2001م): الحملة الصلیبية الأولى، ص 147.

³ - ریموندا جیل. (1990م): تاریخ الفرنجة غزاة بیت المقدس، ص 71؛ ولیم الصوري. (2003م): تاریخ ولیم الصوري، من خلال الموسوعة الشامية، ج 44، ص 295؛ عاشور. (1971م): الحركة الصلیبية، ج 1، ص 158.

⁴ - عاشور. (1971م): الحركة الصلیبية، ج 1، ص 158.

⁵ - ریموندا جیل. (1990م): تاریخ الفرنجة غزاة بیت المقدس، ص 70.

الجدير بالذكر أنّ هذه الأحداث لم تؤثر على استقبال ألكسيوس كومنين لريموند، فقد رحب به بشكل لائق، وطلب منه أن يقسم له يمين الطاعة والتبعية، لكن ريموند رفض طلب الإمبراطور البيزنطي بكل عنف وقوة⁽¹⁾، هذا يدل أن الإمبراطور مازال مستمراً في سياسته التي رسمها لنفسه للتعامل مع قادة الحملة الصليبية.

كان من الطبيعي أن يرفض ريموند طلب الإمبراطور البيزنطي كونه كان يسعى للحصول على زعامة الصليبيين كافة في الشرق، مستنداً على علاقته الوطيدة بالبابوية، التي منحتة شرف مرافقته من قبل مندوب البابا، دون باقي الجيوش الصليبية، وهذه الزعامة التي استندت على تأييد البابا الكاثوليكي ودعمه التي منعتة من تقديم الطاعة والتبعية للإمبراطور الأرثوذكسي حيث سادت بينهما قطيعة دينية⁽²⁾، ولعل أثر الشقاق الديني العظيم هو الذي دفع ريموند إلى رفض تقديم الولاء للإمبراطور البيزنطي الأرثوذكسي منذ البداية.

وقع التوتر بين ريموند وألكسيوس بسبب رفض ريموند طلب الإمبراطور البيزنطي، وكاد أن يصل التوتر لمرحلة النزاع، لولا دخول جودفري بالمسألة، ووضح لريموند عبث الحياد عن محاربة المسلمين، والانشغال بمحاربة الإمبراطور⁽³⁾، ودعم موقف جودفري وصول أدهيمار إلى القسطنطينية مع جنود ريموند، ورفض بشكل قاطع مسألة النزاع بين ريموند وألكسيوس، وحاول التوفيق بين الطرفين، أما بوهمند فقد صرح إنه سيقف مع الكسيوس بحال وقوع صراع بين الطرفين⁽⁴⁾، ويتضح من موقف بوهمند المساند للإمبراطور البيزنطي ضد الصليبيين، إنه مستمر في تطبيق سياسته في التقرب من الإمبراطور البيزنطي، وكسب ثقته، وإخفاء نواياه حتى يحقق مصالحه السياسية.

¹ - ريموندا جيل. (1990م): تاريخ الفرنجة غزاة بيت المقدس، ص71؛ وليم الصوري. (2003م): تاريخ وليم الصوري، من خلال الموسوعة الشامية، ج44، ص296.

² - ماير. (1999م): تاريخ الحملات الصليبية، ص75.

³ - ريموندا جيل. (1990م): تاريخ الفرنجة غزاة بيت المقدس، ص71؛ فيتالي. (2008م): التاريخ الكنسي، ص37؛ متى الرهاوي. (2009م): تاريخ متى الرهاوي، ص67؛ المؤرخ المجهول. (د.ت): أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس، ص32.

⁴ - ريموندا جيل. (1990م): تاريخ الفرنجة غزاة بيت المقدس، ص72؛ المؤرخ المجهول. (د.ت): أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس، ص33؛ حبشي: الحملة الصليبية الأولى، ص75.

وبعد ذلك أجبر ريموند على قسم يمين التبعية والولاء للإمبراطور، لكنه حرفه حتى أصبح كالتالي: "احترام ريموند ورجاله حياة الإمبراطور البيزنطي إذا خرج ألكسيوس على رأس الصليبيين، وتولى قيادة الحرب، لكن الإمبراطور رد بان أحوال الإمبراطورية قد لا تسمح له بأن يغادر بلاده"⁽¹⁾، لكن هذه السياسة العدائية التي أظهرها ريموند للإمبراطور البيزنطي تبدلت بسرعة، من خلال مساعي أدهيمار التوفيق بين الطرفين، وأصبح ريموند حليفاً وصديقاً مقرباً للإمبراطور البيزنطي⁽²⁾.

ولعل موقف أدهيمار للتوفيق ما بين ريموند وألكسيوس عائد إلى تجاهل الخلافات الدينية في سبيل إنجاح الحملة في تحقيق هدفها بالوصول إلى القدس؛ لذلك كان له دور كبير في الوساطة ما بين الإمبراطور وريموند. وبعد توطيد ألكسيوس علاقته مع ريموند، كان عليه استقبال الجيش الصليبي الرابع بقيادة⁽³⁾ روبرت من نورمندي (Ropert of Normandea 479-499 هـ/1087-1106م)⁽⁴⁾، وروبيرت الثاني كونت فلاندر (Ropert II Of Falander 468-505 هـ/1093-1111م)⁽⁵⁾ ومعه صهره ستيفن أف بلوا (Stevn Of Bluo 482-496 هـ/1089-1102م)⁽⁶⁾، وكان الأمير هيوغ قد سبق هذا الجيش ولم ينتظره، وكان هيوغ من

¹ - ريموندا جيل. (1990م): تاريخ الفرنجة غزاة بيت المقدس، ص 73؛ المؤرخ المجهول. (د.ت): أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس، ص 33.

² - كومينا. (2004م): ألكسياد، ص 410؛ ريتشارد. (د.ت): مملكة اللاتين في القدس، ص 246؛ يوسف. (1981م): العرب والروم واللاتين، ص 182.

³ - ماير. (1999م): تاريخ الحملات الصليبية، ص 84.

⁴ - روبرت من نورماندي: الأبن الأكبر لوليم الفاتح، ولد عام (446 هـ/1954م)، تسلم حكم نورمانديا بعد التمرد على والده من عام (480 هـ/1087م) حتى عام (500 هـ/1106م)، وبعد سقوط القدس عام (492 هـ/1099م) قرر العودة إلى بلاده ليدخل في صراع مع أخيه هنري على العرش. رنسيما. (د.ت): تاريخ الحروب الصليبية، ج 1، ص 237؛ زكار، جوني، إسماعيل. (2001م): حروب الفرنجة، ص 62.

⁵ - روبرت الثاني كونت فلاندر: ابن روبرت الأول، أمير الأراضي الواطئة أصبح كونت فلاندر عام (468 هـ/1093م) حتى عام (505 هـ/1111م)، كان من القادة المشاركين في الحملة الصليبية الأولى؛ لذا أكتسب لقب روبرت الصليبي. وليم الصوري. (2003م): تاريخ وليم الصوري، من خلال الموسوعة الشامية، ج 44، ص 303؛ الربيعي. (د.ت): موقف الإمبراطورية البيزنطية من قادة الحملات الصليبية، ص 445.

⁶ - ستيفن: الابن الأكبر لنثوبالد الثالث كونت الشامبين تزوج أدل ابنة وليم الفاتح عام (473 هـ/1081م) وتسلم كونتية بلو عام (482 هـ/1089م). وليم الصوري. (2003م): تاريخ وليم الصوري، من خلال الموسوعة الشامية، ج 44، ص 303؛ رنسيما. (د.ت): تاريخ الحروب الصليبية، ج 1، ص 238؛ ماير. (1999م): تاريخ الحملات الصليبية، ص 71.

أكثر الداعمين للإمبراطور ألكسيوس، وبذل مساعي حثيثة للتوفيق بين الإمبراطور البيزنطي، وقادة الجيوش الصليبية⁽¹⁾، ولم يجد الإمبراطور عناءً في إقناع روبيرت بأداء يمين الولاء والتبعية للإمبراطور، الذي غمرهم بالهدايا والمنح، وبعدها انتقلوا إلى شواطئ البوسفور، حيث تنتظرهم بقية الجيوش الصليبية⁽²⁾، وهكذا استطاع ألكسيوس كومنين تنفيذ خطته، وحصل على يمين التبعية والولاء من القادة الصليبيين، باستثناء تانكريد وبلدوين، كما حصل على تعهد بإعادة الأراضي البيزنطية التي استولى عليها السلاجقة، مقابل تأمين كل المؤن والمساعدة اللازمة لذلك من قبل الإمبراطور البيزنطي.

كما مر سالفاً، أن الشقاق الديني بين كنيسة القسطنطينية، وكنيسة روما الذي حدث عام (446هـ/1054م)⁽³⁾، ولد مشاعر كبيرة من الحقد والكره لدى الطرفين، وفي الحقيقة إن هذا الشقاق كان موجوداً في عقول ومشاعر اللاتين المشاركين في الحملة الصليبية الأولى، فقد كان الصليبيون الكاثوليك محملين بالحقد والاحتقار والكراهية نحو الإغريق الأرثوذكس - الهراطقة في نظرهم -، وكان كل فريق ينعت الآخر بالانحراف عن العقيدة الصحيحة، كل ما سلف، أثر بشكل سلبي على موقف الصليبيين من البيزنطيين، وزاد من موقفهم العدائي، تعامل البيزنطيين الذي يخضع للقنود والقوانين معهم⁽⁴⁾، متجاهلين أن هذا التعامل هو فقط تنفيذ لسياسة مرسومة من قبل الإمبراطور الكسيوس كومنين وبعيدة عن الخلاف الديني فيما بينهم.

ولا يغيب عن البال أن الإمبراطور البيزنطي عندما طلب المساعدة من الغرب، كان يطلب فقط جنوداً مرتزقة تعمل تحت سلطته وحكمه، لذلك فهو لم يعد القادة الصليبيين سوى بعض المرتزقة التي قدمت لتساعده في تحقيق مصالح دولته، وتعمل تحت سلطته⁽⁵⁾، لكنه ارتاب بسبب أعدادهم الهائلة، وفوضويتهم، وكرههم للبيزنطيين،

¹ - يوسف. (1981م): العرب والروم واللاتين، ص194

² - ولیم الصوري. (2003م): تاريخ ولیم الصوري، من خلال الموسوعة الشامية، ج44، ص290؛ عاشور. (1971م): الحركة الصليبية، ج1، ص154؛ ماير. (1999م): تاريخ الحملات الصليبية، ص71.

³ - Ware. (1964.A.D): The Orthodox Church, pp.62-66.

⁴ - يوسف. (1981م): العرب والروم واللاتين، ص122-123.

⁵ - زكار، جوني، إسماعيل. (2001م): حروب الفرنجة، ص63.

الذي يشكل خطراً على الإمبراطورية البيزنطية، لذلك حاول حماية عاصمته منهم ومن شرهم، من خلال سياسته الدبلوماسية التي اتبعها معهم⁽¹⁾، بالمقابل كان الصليبيون لا يتقون بالإمبراطور البيزنطي، وكثيراً ما نعتوه بالمخادع والخائن، حتى عندما منحهم الهدايا والعطايا، أشاروا إن هذه العطايا تخفي وراءها مكرّاً للصليبيين⁽²⁾، وهذا دليل أن تصرف الإمبراطور حيال الصليبيين لا يحمل أي خلفية دينية وإنما تفكير سياسي محض، ويتضح من كل ما سلف أن الصليبيين كانوا متأثرين بالخلاف الديني ما بين كنيسة روما الكاثوليكية وكنيسة القسطنطينية الأرثوذكسية، وقد بدا ذلك واضحاً من خلال تصرفات الجيوش الصليبية، من اعتداء على الأراضي البيزنطية، وعلى المسيحيين الشرقيين، والسلب والنهب والتخريب الذي سيطر على تصرفاتهم، وخاصة تخريب الكنائس، وانتزاع القصدير عنها، بينما الإمبراطور البيزنطي كان يفكر بشكل سياسي محض، وعلى هذا الأساس وضع خطته لاستمالة زعماء الجيوش الصليبية لحماية أمن إمبراطوريته من التخريب أولاً، والاستفادة منهم لاستعادة أراضيه من السلاجقة ثانياً، لكن حالta الشك والخوف اللتان انتابتا الإمبراطور من الصليبيين حملتا بعداً دينياً، لأنه لاحظ كمية الخراب والعدوان اللذين تسبب فيهما الصليبيون، خلال مرورهم عبر الأراضي البيزنطية فكيف يستطيع الإمبراطور البيزنطي أن يشعر بالأمان والاطمئنان للآتين، وهم لا يتوقفون عن نعته هو وشعبه بالهراطقة؟!

ظهر التباين واضحاً في أهداف كل أمير أو قائد لاتيني انخرط في الحملة الصليبية وأطماعه، وذلك نتيجة اشتراك جنسيات مختلفة، ومتعددة في الحملة، مما أثر بشكل أو بآخر على تصرفات الصليبيين في الأراضي البيزنطية⁽³⁾؛ في الحقيقة اتسم اللاتين بالفوضى، والعنف، وعدم احترامهم للقانون والنظام، فقد أشارت آنا كومينا إنهم: عشاق للفوضى، وممثلون بالحق الديني والكره والتسرع في معالجة أمورهم⁽⁴⁾، لذلك وجد الإمبراطور ألكسيوس كومنين صعوبة في السيطرة على عنفهم وعدوانهم الممتزج بأبعاد دينية، جعلت التعاون الصليبي البيزنطي فيه نوع

¹ - كومينا. (2004م): ألكسياد، ص 387.

² - وليم الصوري. (2003م): تاريخ وليم الصوري، من خلال الموسوعة الشامية، ج 44، ص 289.

³ - حبشي. (1958م): الحملة الصليبية الأولى، ص 53؛ يوسف. (1981م): العرب والروم واللاتين، ص 134

⁴ - كومينا. (2004م): ألكسياد، ص 378

من الصعوبة، ولاسيما أن الصليبيين عدوا البيزنطيين وثنيين⁽¹⁾، بالتالي امتزجت الفوضى بالحقد الديني، وأثرت سلباً على موقف الصليبيين من البيزنطيين. لكن الظروف كانت تفرض على الطرفين التعاون، وتجاهل الأهداف والأطماع المتباينة لوقت لاحق⁽²⁾، واستطاع ألكسيوس كومنين إخضاع الصليبيين بالدبلوماسية تارةً، وقطع المؤمن عنهم تارةً أخرى، وخاصة عندما يزداد عدوانهم وشغبهم، بالتالي أجبر الصليبيين على قبول شروط الإمبراطور، وإعلان التبعية والولاء له، مقابل تحقيق أطماعهم فيما بعد، ولاسيما أن أطماع الصليبيين كانت واضحة منذ بداية اشتراكهم في الحملة الصليبية الأولى⁽³⁾، وزاد من حدة هذه الأطماع ثراء القسطنطينية وكنوزها ونفائسها الباهرة، التي أشار إليها المؤرخ اللاتيني الشارترى⁽⁴⁾، كل ما سلف زرع الشك والخوف في قلب ألكسيوس كومنين من نوايا الصليبيين وأطماعهم، وكان خوفه في محله، وأثبتت مسألة أنطاكية نوايا الصليبيين الحقيقية، وموقفهم المليء بالحقد للإمبراطورية البيزنطية، وخاصة بوهمند، الذي دخل مع ألكسيوس كومنين بنزاع حاد على أنطاكية، والأهم من ذلك، وضوح أحقاد الصليبيين ضد البيزنطيين - المهرطقين في نظرهم - في القسطنطينية، عندما انحرفت الحملة الصليبية الرابعة عن هدفها، وتوجهت إلى القسطنطينية الأرثوذكسية، وأسست مملكة لاتينية فيها، فكان ذلك نتيجة للأحقاد الدينية، والأطماع من قبل الصليبيين في الدولة البيزنطية⁽⁵⁾.

¹ - Ostrogorsky.(1998.A.D): History Of The Byzantine State, p.330

² - Diehl.(1995.A.D): L'Europe orientale, pp.23-25

³ - رستم.(1988م): الروم، ج2، ص126-130.

⁴ - الشارترى.(1990م): تاريخ الحملة إلى القدس، ص45.

⁵ - يوسف.(1981م): العرب والروم واللاتين، ص136.

3- أثر الخلاف الكنسي على التعاون البيزنطي الصليبي في الحملة الصليبية الأولى

فرضت الظروف على الطرفين نوعاً من الاتفاق والتعاون، متناسين تفاوت المصالح والأهداف، فكان على القادة الصليبيين التودد للبيزنطيين للحصول على المؤن من الجهة، وتحقيق أطماعهم السياسية من جهة ثانية، أما الإمبراطورية البيزنطية سعت لاستغلال هذه الحملة لصالحها، لإعادة أراضيها من أيدي السلاجقة⁽¹⁾؛ لذا تم بين الطرفين اتفاق في القسطنطينية عام (491هـ/1097م)، وتعهد الصليبيون في هذا الاتفاق بعد حلفهم يمين التبعية والولاء للإمبراطور البيزنطي: بإعادة الأراضي والأقاليم التي استولى عليها السلاجقة فيما مضى إلى الإمبراطورية البيزنطية، مقابل تأمين الإمبراطورية البيزنطية للصليبيين ما يحتاجون من مؤن، بالإضافة إلى فرقة عسكرية بيزنطية تساعد الصليبيين في حملتهم، وترشدهم على الطرق السهلة والصحيحة⁽²⁾، على الرغم من إدراك ألكسيوس أن الشقاق الديني بين الكنيستين الشرقية والغربية يؤثر سلباً على وجود نوع من التعاون بينهم وبين الغرب اللاتيني الكاثوليكي، إلا أن تداخل المصالح في المرحلة الأولى من الحملة خلق جواً مناسباً من التعاون، لذا تمت اتفاقية القسطنطينية عام (491هـ/1097م)⁽³⁾، لكن فيما بعد ستؤثر هذه الاتفاقية بشكل سلبي على طبيعة العلاقات السياسية والعسكرية بين الصليبيين والبيزنطيين، لأنها لم تطبق على منطقة أنطاكية، في الواقع كان الكره الموجود بين الطرفين والعداوة الدينية سبباً جوهرياً لعدم وفاء الصليبيين بتعهداتهم للإمبراطور البيزنطي ألكسيوس كومنين، لأن أثر الشقاق الديني العظيم كان أكبر من أي تعهدات أو موثائق، ولم يستطع اللاتين تجاوزها، أو تجاهلها⁽⁴⁾،

¹ - رستم. (1988م): الروم، ج 1، ص 131؛ رنسيما. (د.ت): تاريخ الحروب الصليبية، ج 1، ص 197؛ يوسف. (1981م): العرب والروم واللاتين، ص 219.

Diehl. (1995.A.D): L'Europe orientale, pp.23-25.

² ألبرت فون أخت. (2007م): تاريخ الحملة الصليبية الأولى، من خلال الموسوعة الشامية، ج 51، ص 37؛ الشارتر. (1990م): تاريخ الحملة إلى القدس، ص 45؛ متى الرهاوي. (2009م): تاريخ متى الرهاوي، ص 68؛ المؤرخ المجهول. (د.ت): أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس، ص 30-33.

³ - يوسف. (1981م): العرب والروم واللاتين، ص 225.

⁴ - Ostrogorsky. (1998.A.D): History Of The Byzantine State, p.330.

وعبر الصليبيون البسفور محملين بمساعدات الإمبراطور البيزنطي ونصائحه، ومعلوماته العسكرية عن أساليب الحرية المتبعة من قبل السلاجقة⁽¹⁾، وبذلك تنفس ألكسيوس الصعداء برحيلهم الذي شكل له ولعاصمته الرعب والخوف، لكنه وطد علاقته بشكل جيد مع ريموند⁽²⁾، ولعل تقرب الإمبراطور من ريموند نابع من إيجاد حليف قوي ضد بوهمند، الذي يشك في نواياه مستنداً في هذا الشكل على سوابق النورمان، وتجمع القادة الصليبيون وجيوشهم في بيليكانوم Pelecanum⁽³⁾، وانضم لهم ما تبقى من قوات بطرس الناسك، وتقدموا نحو مدينة نيقية، وهي عاصمة السلطان السلجوقي⁽⁴⁾ قلج أرسلان (485-500هـ / 1092-1107م)⁽⁵⁾، وزودهم ألكسيوس بفرقة عسكرية بيزنطية بقيادة⁽⁶⁾ تاتيكوس Tatikios⁽⁷⁾، كما أمن لهم وسائل وأدوات حربية تساعدهم في عملية حصار نيقية، وحدد وقتاً مناسباً للحصار، وهو غياب قلج أرسلان عن المدينة⁽⁸⁾، كما بث رجال ألكسيوس إشاعات عن وقوع نزاع بين الإمبراطور البيزنطي والقادة الصليبيين، بذلك يوحى لقلج أرسلان بصعوبة وصول الصليبيين إلى نيقية⁽⁹⁾، وعندما علم قلج بخطورة الموقف سارع بالعودة إلى نيقية، ولاسيما أن زوجته وأولاده وأمواله داخل المدينة، ولكن قلج أخفق في الدفاع عن عاصمته، بسبب ضخامة أعداد الصليبيين، ومساعدة ألكسيوس المستمرة لهم، وإمدادهم بالقوة

1 - كومنينا. (2004م): ألكسياد، ص408؛ يوسف. (1981م): العرب والروم واللاتين، ص227.

2 - كومنينا. (2004م): ألكسياد، ص408-410.

3 - بيليكانوم: تقع على سواحل بحر مرمرة غرب نيقوميديا، وهي معسكر للجيش البيزنطي على شواطئ البوسفور. رنسيما. (د.ت): تاريخ الحروب الصليبية، ج1، ص219.

4 - ألبيرت فون أخت. (2007م): تاريخ الحملة الصليبية الأولى، من خلال الموسوعة الشامية، ج51، ص37-38؛ زكار، جوني، إسماعيل. (2011م): حروب الفرنجة، ص64.

5 - قلج أرسلان: هو الملك قلج ابن سليمان ابن قتلش السلجوقي صاحب بلاد الروم، مات غرقاً في نهر الخابور عام (500هـ/1107م). ابن الاثير (1997م): الكامل في التاريخ، ج10، ص226-300؛ ابن العبري، ابي فرج جمال الدين يوحنا بن هارون ت 685هـ/1286م. (د.ت): تاريخ مختصر الدول، تح أنطوان اليسوعي، دار الشرق، بيروت، ط3، ج1، ص198.

6 - كومنينا. (2004م): ألكسياد، ص103.

7 - تاتيكوس: هو القائد البيزنطي الذي رافق الصليبيين إلى أنطاكية وهو من أصل إسلامي واغلب الظن من أصل تركي والده تم أسره في القتال، اتمم بالشجاعة الحربية، ومعرفته الجغرافية الكبيرة بالمنطقة التي كان الصليبيون يعبرون بها. وليم الصوري. (2003م): تاريخ وليم الصوري، من خلال الموسوعة الشامية، ج44، ص35.

8 - الشارترى. (1990م): تاريخ الحملة إلى القدس، ص46؛ متى الرهاوي. (2009م): تاريخ متى الرهاوي، ص70.

9 - رنسيما. (د.ت): تاريخ الحروب الصليبية، ج1 ص251.

والمؤمن⁽¹⁾، إن الانتصار الذي حققه الصليبيون على السلاجقة زاد من عزيمتهم وحماسهم⁽²⁾، لكن الإمبراطور ألكسيوس كومنين باغت الصليبيين، وفاوض السلاجقة خوفاً من عدم التزام الصليبيين بتسليمه المدينة⁽³⁾، ولعل ذلك الخوف عائد الى نظرة دينية، فكيف يستطيع الإمبراطور البيزنطي أن يأمن اللاتين وهم لا يزالون ينعته وشعبه بالهرطقة؟!

فقد فاوض السلاجقة بشكل سري من خلال إرسال سفن الى بحيرة تقع خلف مدينة نيقية، وطلب تسليم المدينة للبيزنطيين، مقابل الحفاظ على سلامتهم وسلامة أطفالهم، ووافق السلاجقة على ذلك، وتم تسليم المدينة للحامية البيزنطية⁽⁴⁾ ولم يعلم الصليبيون بذلك حتى رأوا أعلام الإمبراطورية البيزنطية فوق أبراج المدينة⁽⁵⁾، وهكذا استطاعت الإمبراطورية البيزنطية بمساعدة الحملة الصليبية الأولى استعادة مدينة نيقية من الأتراك السلاجقة⁽⁶⁾، في الحقيقة هذا الانتصار مكن الإمبراطورية البيزنطية من استعادة ما تبقى من إملاكها ضمن آسيا الصغرى⁽⁷⁾، وبعد تسلم ألكسيوس مدينة نيقية وعد الصليبيين بتأسيس كنيسة لللاتين تقوم على الطقوس والأعراف الكاثوليكية، كما وعدهم بمنحهم كل غنائم المكتسبة في نيقية⁽⁸⁾؛ وهذا يدل أن الكسيوس كان مستمراً بخطته وهي استمالة الصليبيين بالمال والذهب، ليحقق مصالحه، ووعده بإنشاء دير لللاتين على مذهبهم الكاثوليكي دليل آخر أنه لم يكن ضمن خطته أي حقد ديني ولا خلفية دينية، وكان إتمام مصالحه هو همه الأول.

¹ - ماير. (1999م): تاريخ الحملات الصليبية، ص 75.

² - فيتالي. (2008م): التاريخ الكنسي، ص 39-40؛ كومنيا. (2004م): ألكساد، ص 417؛ متى الرهاوي. (2009م): تاريخ متى الرهاوي، ص 68.

³ - وليم الصوري. (2003م): تاريخ وليم الصوري، من خلال الموسوعة الشامية، ج 44، ص 319.

⁴ - كومنيا. (2004م): ألكساد، ص 419؛ المؤرخ المجهول. (د.ت): أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس، ص 29-30.

⁵ - الشارترى. (1990م): تاريخ الحملة الى القدس، ص 47؛ وليم الصوري. (2003م): تاريخ وليم الصوري، من خلال الموسوعة الشامية، ج 44، ص 319.

⁶ - ألبرت فون أخت. (2007م): تاريخ الحملة الصليبية الأولى، من خلال الموسوعة الشامية، ج 51، ص 41-44؛ رينشارد. (د.ت): مملكة اللاتين في القدس، ص 19؛ عبد الرزاق، محمد بن محمد. (1983م): خطط الشام، مكتبة النوري، دمشق، ط 3، ج 1، ص 252؛ عاشور. (1971م): الحركة الصليبية، ج 1، ص 162.

⁷ - رنسيما. (د.ت): تاريخ الحروب الصليبية، ج 1، ص 275.

⁸ - ريموندا جيل. (1990م): تاريخ الفرنجة غزاة بيت المقدس، ص 77؛ المؤرخ المجهول. (د.ت): أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس، ص 31.

لكن الصليبيين أظهروا استيائهم من الطريقة التي تسلم فيها ألكسيوس المدينة، كما زاد من استيائهم وكرههم لألكسيوس عندما منعهم من افتداء الأسرى الذين تم أسرهم في نيقية، ومن بينهم زوجة قلع أرسلان، مما عمق الكره اللاتيني للبيزنطيين⁽¹⁾، وقد نعت المؤرخ اللاتيني ريموندا، تصرف الإمبراطور في نيقية بالخيانة⁽²⁾، وكذلك وصف وليم الصوري تصرف ألكسيوس في نيقية بالتخاذل والغدر⁽³⁾، كما أشار المؤرخ المجهول أن سياسة اللين التي اعتمدها ألكسيوس كومنين مع أسرى المسلمين لها غاية واحدة وهي التحالف معهم ضد الصليبيين⁽⁴⁾ هذا وإن دل على شيء، فإنه يدل على أثر الخلاف الديني في تفسير أي تصرف للإمبراطور على أنه خيانة، ونابع من كره وبغض الشعب اللاتيني بأسره، وواقع الأمر أن الإمبراطور كان رجلاً ذكياً ودبلوماسياً، وكان يفكر بشكل سياسي محض، بعيداً عن أي خلاف ديني أو كره لاتين. فهو كان يتعامل باحترام مع عدوه القوي إذا هزمه، والواقع أن الصليبيين لم يدركوا أسباب تصرف الإمبراطور، لأنهم لا يعرفون طبع المسلمين الذي عرفه البيزنطيون، وهو العفو عند المقدرة⁽⁵⁾، لكن الصليبيين نظروا إليها نظرة متأثرة بالخلاف الديني، وعدوها خيانة للقضية الصليبية.

بعد تسلم الإمبراطور نيقية، دعا الصليبيين إلى اجتماع، وطلب منهم تجديد الطاعة والتبعية للإمبراطور البيزنطي، ووزع الكثير من الأموال والعطايا والذهب على الصليبيين القادة منهم والفقراء⁽⁶⁾، بالتالي كان ألكسيوس مستمراً في تنفيذ خطته، بالتودد إلى القادة الصليبيين بالمال والهدايا لتحقيق أهدافه، والاستفادة من الحملة لصالحه. وبعد انتهاء الاجتماع مع الإمبراطور، واصل الصليبيون تقدمهم في آسيا الصغرى، وقسموا أنفسهم إلى قسمين لسهولة وصول المؤن إليهم، ولتكون انتصاراتهم على مناطق واسعة من آسيا الصغرى؛ وتم الاتفاق على نقطة

¹ - (2003م): تاريخ وليم الصوري، من خلال الموسوعة الشامية، ج44، ص327-329؛ ماير. (1999م): تاريخ الحملات الصليبية، ص75.

² - (1990م): تاريخ الفرنجة غزاة بيت المقدس، ص77.

³ - (2003م): تاريخ وليم الصوري، من خلال الموسوعة الشامية، ج44، ص329.

⁴ - (د.ت): أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس، ص37-38.

⁵ - زكار، جوني، إسماعيل. (2011م): حروب الفرنجة، ص66.

⁶ - كومنينا. (2004م): ألكسياد، ص423؛ المؤرخ المجهول. (د.ت): أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس، ص38.

تلتقي فيها أقسام الجيش الصليبي، وهي⁽¹⁾ ضورليوم Dorylaeum⁽²⁾، وهناك قامت معركة عنيفة بين الأتراك والصليبيين انتهت بهزيمة الأتراك، واستيلاء الصليبيين على مدينة ضورليوم، حيث أوقعوا بالأتراك هزيمة، على الرغم من الشجاعة التي أبدوها، وتم للصليبيين الاستيلاء على المدينة، وغنموا غنائم كثيرة⁽³⁾؛ وهذه الانتصارات المتتالية، سهلت الوصول إلى مدينة بيت المقدس، وتعد معركة ضورليوم عام (1097/491هـ) مثلها مثل معركة ملاذكرد عام (1097/463هـ)، فاصلة في التاريخ، فمن خلالها تم إنذار العالم العربي الإسلامي، والإمبراطورية البيزنطية عن وجود قوة نشطة وصعبة القهر، وهي القوة الصليبية⁽⁴⁾ ولاسيما أن قلق المسلمين وخوفهم تزايد وتعاضم بعد إدراكهم اقتراب خطر الصليبيين نحو بيت المقدس⁽⁵⁾؛ في الواقع إن انتصار الصليبيين في ضورليوم منح البيزنطيين القدرة والقوة للتقدم، واستعادة أراضيهم في آسيا الصغرى، وهذا دليل على نجاح جزء من خطة ألكسيوس وهي حماية عاصمته من عبث الصليبيين، والاستفادة منهم في تحقيق أطماعه، ومصالح بلده الحيوية، وقد استغلت الإمبراطورية البيزنطية هذا بشكل جيد⁽⁶⁾.

وبعد نجاح الصليبيين في ضورليوم، تقدموا نحو الجنوب الشرقي بكل حماس واندفاع، لكنهم تعرضوا لمشكلة نقص الماء والمؤن، ولاسيما كانت كل المناطق التي يمرون بها قاحلة لا ماء فيها، وساءت أحوالهم لدرجة أنهم حملوا كل معاناتهم على البيزنطيين المرافقين لهم، وتتمحور مهمتهم في اختيار الطرق الصحيحة، والأكثر

¹ - ألبيرت فون أخت. (2007م): تاريخ الحملة الصليبية الأولى، من خلال الموسوعة الشامية، ج 51، ص 45؛ الشارترزي. (1990م): تاريخ

الحملة إلى القدس، ص 48؛ المؤرخ المجهول. (د.ت): أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس، ص 39.

² - ضورليوم: من المدن القديمة القائمة آسيا الصغرى، وهي أسكي شهر بتركيا حالياً، وصفها ياقوت الحموي بأنها مدينة كبيرة وعظيمة في بلاد الروم. الحموي. (1995م): معجم البلدان، ج 4، ص 107؛ ريتشارد. (د.ت): مملكة اللاتين في القدس، ص 201

³ - الذهبي. (1992م): تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير، ج 24، ص 38؛ ألبيرت فون أخت. (2007م): تاريخ الحملة الصليبية الأولى، من خلال الموسوعة الشامية، ج 51، ص 45؛ الشارترزي. (1990م): تاريخ الحملة إلى القدس، ص 49؛ كومينا. (2004م): ألكسياد، ص 424؛ المؤرخ المجهول. (د.ت): أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس، ص 41.

⁴ - زكار، جوني، إسماعيل. (2011م): حروب الفرنجة، ص 68.

⁵ - ابن القلانسي (حمزة بن اسد بن علي ت 555هـ/1160م). (1983م): تاريخ دمشق، تح: سهيل زكار، دار حسان، دمشق، ط 1، ص 130.

⁶ - عاشور. (1971م): الحركة الصليبية، ج 1، ص 166.

أماناً وسلاماً للصليبيين، واتهموهم بالخيانة⁽¹⁾، وكان الخلاف الديني مسيطراً على تفكير الصليبيين، وتفسير أي حدث على أنه خيانة من البيزنطيين؛ فقد كان لهذا الخلاف أثره في كره البيزنطيين، واتهامهم بالخيانة بأي تصرف من الجانب البيزنطي، بينما الإمبراطور كان يفكر كيف يستفيد من الصليبيين لتحقيق أطماعه السياسية واستثمار الحملة الصليبية الأولى لصالحه، وهذا يدل أنه بعيد عن التفكير بالخلاف الديني ما بين الكنيستين حتى هذه اللحظة.

لكن بمساندة الأرمن استطاع الصليبيون اجتياز عائق نقص الماء والمؤن بسلام، كما أصبح الطريق نحو الشرق سهلاً بفضل هذه المساعدات، والتزم الصليبيون حتى هذه اللحظة بتسليم الإمبراطور البيزنطي كل الأراضي التي استولوا عليها⁽²⁾؛ لكن هذا الالتزام سيتغير بشكل كلي مع توجه الصليبيين نحو أنطاكية، فبدأت نواياهم تتكشف، وأطماعهم تتجلى بوضوح، فقد بحث كل من بلدوين شقيق جودفري وتانكريد ابن اخت بوهمند عن مكان لتحقيق أطماعهم، وتأسيس مستعمرات لهم في الشرق، لذلك توجهوا نحو كيليكيا، وتركوا الجيش الصليبي يكمل تقدمه نحو أنطاكية⁽³⁾، لكن أدرك بلدوين أن وجوده في المكان ذاته مع تانكريد سيؤدي إلى وقوع نزاع مسلح بينهما، لذلك توجه إلى مدينة⁽⁴⁾ الريها Riha⁽⁵⁾، وبكل حماس وقوة، ضرب بعرض الحائط مصالح الإمبراطورية البيزنطية بالمنطقة، وتواصل مع صاحب الريها⁽⁶⁾ ثوروس Thoruis⁽⁷⁾ الذي راسله عام (492هـ/1098م)، وطلب منه القدوم لحماية

-
- ¹ - ألبيرت فون أخت. (2007م): تاريخ الحملة الصليبية الأولى، من خلال الموسوعة الشامية، ج51، ص46؛ الشارتر. (1990م): تاريخ الحملة إلى القدس، ص50؛ المؤرخ المجهول. (د.ت): أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس، ص42؛ وليم الصوري. (2003م): تاريخ وليم الصوري، من خلال الموسوعة الشامية، ج44، ص336.
- ² - المؤرخ المجهول. (د.ت): أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس، ص42-43؛ الجنزوري، علي. (1986م): إمارة الريها الصليبية، القاهرة، ط1، ص26؛ قاسم. (2001م): الحملة الصليبية الأولى، ص24.
- ³ - ألبيرت فون أخت. (2007م): تاريخ الحملة الصليبية الأولى، من خلال الموسوعة الشامية، ج51، ص46؛ الشارتر. (1990م): تاريخ الحملة إلى القدس، ص51-52؛ سمث. (1999م): الحملة الصليبية الأولى، ص110؛ ماير. (1999م): تاريخ الحملات الصليبية، ص77.
- ⁴ - زكار، جوني، إسماعيل. (2011م): حروب الفرنجة، ص77.
- Ostrogorsky. (1998.A.D): History Of The Byzantine State, p.320.
- ⁵ - الريها: هي مدينة مهمة في الجزيرة الفراتية، - حالياً هي اورفا بتركيا-، تقع شمال حران، أطلق عليها البيزنطيون اديسا Edessa، أصبحت مركزاً مبكراً مهماً للمسيحية. قرانجي، مفيد يوسف. (2010م): أصول الثقافة السريانية في بلاد ما بين النهرين، دار دجلة. عمان، ط1، ص133.
- ⁶ - يوسف. (1981م): العرب والروم واللاتين، ص236.
- Ostrogorsky. (1998.A.D): History Of The Byzantine State, p.320.
- ⁷ - ثوروس: أرمينيا، حكم الريها بالنيابة عن البيزنطيين، وعندما استولى الأتراك على المدينة سمحوا له ان يبقى حاكماً. متى الرهاوي. (2009م): تاريخ متى الرهاوي، ص73؛ وليم الصوري. (2003م): تاريخ وليم الصوري، من خلال الموسوعة الشامية، ج44، ص357.

الرها من صاحب الموصل⁽¹⁾ كربوغا (489-496هـ / 1096-1101م)⁽²⁾ الذي يعد العدة لتوجه نحو أنطاكية لمحاصرتها وبذلك سيستولي على كل مدينة يمر بها وخوف ثوروس على الرها من كربوغا دفعه لمراسلة بلدوين وطلب منه القدوم إلى الرها لحمايتها من المسلمين⁽³⁾ في الواقع إن الترحيب الذي تلقاه بلدوين من رجال الدين والناس الأرمن، يؤكد على سلامة العلاقات بين الكنيستين الأرمنية والكاثوليكية، على عكس ما هي عليه بين الكنيستين الأرثوذكسية الإغريقية والكاثوليكية اللاتينية، وتسلم بلدوين السلطة في الرها بعد مقتل ثوروس، بسبب ثورة قامت ضده من أهل المدينة⁽⁴⁾، ويشير المؤرخ الرهاوي أن الثورة التي قامت في الرها ضد ثوروس مفتعلة، ومخطط لها من قبل بلدوين ليتسلم الحكم في الرها، ولكي يكمل مخططه تزوج من أرملة ثوروس، وبالتالي يكسب حكمه الشرعية الكاملة⁽⁵⁾، وهكذا استطاع بلدوين خرق بنود اتفاقية القسطنطينية (491هـ/1097م)، متجاهلاً تماماً مصالح الإمبراطورية البيزنطية وحقوقها، وبالتالي يكون أول قائد صليبي يؤسس إمارة صليبية لاتينية له في الشرق، مما سيجعل القادة الباقين يسعون لتأسيس إمارات خاصة لهم في الشرق، متجاهلين أيضاً مصالح الإمبراطورية البيزنطية؛ في الواقع كان بلدوين منذ البداية واضحاً في سياسته مع الإمبراطور البيزنطي، وكان من أشد المعارضين لاتفاقية القسطنطينية، ولاسيما مسألة حلف يمين الطاعة للإمبراطور، فإن سعيه كان لتحقيق مصالحه الخاصة وأطماعه، وكانت طريقة تسلمه الحكم في الرها تجعله متحرراً من أي تعهد قُطع للإمبراطور البيزنطي، فإنه تسلم

¹ - ابن الأثير. (1997م): الكامل في التاريخ، ج10، ص325؛ ألبرت فون أخت. (2007م): تاريخ الحملة الصليبية الأولى، من خلال الموسوعة الشامية، ج51، ص52؛ متى الرهاوي. (2009م): تاريخ متى الرهاوي، ص73؛ سمث. (1999م): الحملة الصليبية الأولى، ص111.

² - كربوغا: هو قوام الدولة أبو سعيد كربوغا تولى على الموصل سنة (489هـ/1096م) وقام بدور بارز في الصراع الذي نشب داخل العائلة السلجوقية الحاكمة، حاول إنقاذ أنطاكية من الصليبيين لكنه رحل إلى الموصل مهزوماً وتوفي عام (495هـ/1101م). ابن الأثير. (1997م): الكامل في التاريخ، ج10، ص341. أبو الفداء. (د.ت): المختصر في أخبار البشر، ص208. الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد ت748هـ/1347م. (2006م): التراجم والطبقات، دار الحديث، القاهرة، د.ط، ج14، ص312؛ ابن الوردي. (1996م): تاريخ ابن الوردي، ج2، ص9؛ الصلابي. (2006م): دولة السلجوقية، ص467.

³ - ابن القلائسي. (1983م): تاريخ دمشق، ص288؛ ابن الأثير. (1997م): الكامل في التاريخ، ج10، ص324؛ النويري. (د.ت): نهاية الأرب، ج28، ص253؛ أبو الفداء. (د.ت): المختصر في أخبار البشر، ج2، ص210؛ ابن الكثير. (د.ت): البداءة والنهاية، ج16، ص164؛ وليم الصوري. (2003م): تاريخ وليم الصوري، من خلال الموسوعة الشامية، ج44، ص434؛ عاشور، عبد الفتاح عاشور. (1976م): تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب، دار النهضة، بيروت، ط1، ص129.

⁴ - ألبرت فون أخت. (2007م): تاريخ الحملة الصليبية الأولى، من خلال الموسوعة الشامية، ج51، ص54-55؛ الشارترري. (1990م): تاريخ الحملة إلى القدس، ص53؛ متى الرهاوي. (2009م): تاريخ متى الرهاوي، ص73؛ وليم الصوري. (2003م): تاريخ وليم الصوري، من خلال الموسوعة الشامية، ج44، ص360؛ عاشور. (1976م): تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب، ص130.

⁵ - متى الرهاوي. (2009م): تاريخ متى الرهاوي، ص73؛ عاشور. (1976م): تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب، ص136-137.

الحكم بتفويض وطلب من أهالي الرها⁽¹⁾، ولقد تجاهل ألكسيوس تمرد واستقلال بلدوين، لأن أوضاع إمبراطوريته السياسي والعسكري لا تسمح له بترك عاصمته، والتوجه إلى الرها البعيدة عنه لمواجهة بلدوين، وقد أجل المواجهة لحين تحسن الظروف السياسية في إمبراطوريته⁽²⁾؛ وهكذا خلال مرور الصليبيين في آسيا الصغرى، وفوا بتعهداتهم لألكسيوس، وأعادوا كل ما استولوا عليه لحضيرة الإمبراطورية البيزنطية، باستثناء المناطق التي أخذها بلدوين، وتانكريد اللذان رفضا الخضوع لتبعية ألكسيوس، وأسس إمارات صليبية خاصة بهما في الشرق، فبلدوين تسلم الرها بناءً على طلب الأهالي ورغبتهم في المدينة، بينما تانكريد لم يقسم منذ البداية على طاعة الإمبراطور البيزنطي، بالتالي لا تربطه بألكسيوس أية تعهدات، على الرغم من تمرد تانكريد وبلدوين على مصالح الإمبراطورية البيزنطية، فإن العلاقات بين الطرفين لم تصل لمرحلة التوتر إلا بعد مسألة أنطاكية، لما تملكه من أهمية دينية وسياسية بالنسبة للبيزنطيين⁽³⁾، وهكذا أكد تصرف بلدوين وتانكريد للإمبراطور أن شكوكه في نوايا القادة الصليبيين صحيحة، وأن كرههم وحقدهم الديني للبيزنطيين يتضح مع كل تصرف من جانبهم، كما تؤكد أن العقيدة الدينية التي دفعت هؤلاء الكاثوليك اللاتين للزحف من الغرب الأوروبي، تاركين بلادهم، والتوجه إلى الشرق كانت تخفي خلفها الحقد الديني للأرثوذكس، ورغبة كبيرة للانتقام منهم، وهذا يتجلى بوضوح عند أي عائق يواجهه الصليبيين يكون المتهم الأول البيزنطيين.

¹ - زكار، جوني، إسماعيل. (2011م): حروب الفرنجة، ص 80؛ عاشور. (1976م): تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب، ص 139؛ قاسم، عبده قاسم. (1987م): أثر الحروب الصليبية في العالم العربي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط 1، ص 126.

² - الجنزوري. (1986م): إمارة الرها الصليبية، ص 66؛ قاسم. (1987م): أثر الحروب الصليبية في العالم العربي، ص 127.

Ostrogorsky. (1998.A.D): History Of The Byzantine State, p.320

³ - الحريري. (1965م): الأخبار السنية، ص 23.

Ostrogorsky. (1998.A.D): History Of The Byzantine State, p.320-323.

4- انهيار التعاون البيزنطي الصليبي أمام أنطاكية وأثر الخلاف الكنسي فيه

بعد التمرد الذي تعرض له ألكسيوس على يد تانكريد وبلدوين، قام بوهمند بالكشف عن نواياه الحاملة كل الحقد والكره للإمبراطورية البيزنطية ومصالحتها، وحاول تحقيق أطماعه في أنطاكية، متجاهلاً تعهداته لألكسيوس بشكل كامل⁽¹⁾؛ عند وصول الجيش الصليبي إلى مدينة أنطاكية، سارعوا إلى حصارها، وقد ساعد في صمودها تزويد أهلها بكميات كبيرة من المؤن من قبل حاكمها⁽²⁾ ياغي سين (479-492هـ/1087-1098م)⁽³⁾؛ كل تجهيزات ياغي سين لم تقف في وجه الصليبيين، الذين واستولوا على مدينة أنطاكية⁽⁴⁾، التي أدت لنزاع مسلح بين بوهمند والإمبراطور البيزنطي، وزادت العداء والكره بين اللاتين الكاثوليك والإغريق الأرثوذكس، ولاسيما أن بوهمند كان منذ بداية اشتراكه بالحملة الصليبية الأولى يخطط للسيطرة على مدينة أنطاكية، وتأسيس إمارة صليبية فيها⁽⁵⁾ بدليل ما أشارت له أنا كومنينيا عن طلب بوهمند من الإمبراطور البيزنطي ألكسيوس إقطاعه مدينة أنطاكية وضواحيها، لكن ألكسيوس أجل النقاش في هذه المسألة، حتى يتجنب عداوة بوهمند في تلك المرحلة⁽⁶⁾، التي كان فيها بوهمند أيضاً يسير حسب خطة رسمها لنفسه، لتحقيق أطماعه وفحواها التودد والتقرب من الإمبراطور البيزنطي ألكسيوس كومننين، وتظاهره بالمحافظة على أمن الدولة البيزنطية، بمنع جنوده عن إثارة المشاكل والشغب، ووقوفه جنب

¹ - Ostrogorsky.(1998.A.D): History Of The Byzantine State, pp.324-326.

² - ابن القلانسي.(1983م): تاريخ دمشق، ص218-220؛ ابن الأثير.(1997م): الكامل في التاريخ، ج10، ص274؛ ابن كثير.(د.ت): البداءة والنهاية، ج16، ص164؛ ألبرت فون أخت.(2007م): تاريخ الحملة الصليبية الأولى، من خلال الموسوعة الشامية، ج51، ص56؛ الشارترى.(1990م): تاريخ الحملة إلى القدس، ص53-54؛ كومنينيا.(2004م): ألكسياد، ص425.

Robert.(2005.A.D): The Monk's Historia, pp.116-121.

³ - ياغي سين: مؤيد الدين ياغي سين بن محمد بن الب السلجوقي، صاحب أنطاكية، وقف في صراع أبناء نتش بن الب رسلان مع صهره رضوان بن نتش، توفي عام (492هـ/1098م). ابن القلانسي.(1983م): تاريخ دمشق، ص285؛ ابن العديم، عمر بن أحمد بن هبة الله ت660هـ/1261م.(1997م): زبدة الحلب في تاريخ حلب، تح: سهيل زكار، الكتاب العربي، دمشق، ج1، ص345؛ النويري.(د.ت): نهاية الأرب، ج27، ص70.

⁴ - ابن الأثير.(1997م): الكامل في التاريخ، ج8، ص416؛ ابن العديم.(1997م): زبدة الحلب في تاريخ حلب، ص340-356؛ ألبرت فون أخت.(2007م): تاريخ الحملة الصليبية الأولى، من خلال الموسوعة الشامية، ج51، ص79-80؛ وليم الصوري.(2003م): تاريخ وليم الصوري، من خلال الموسوعة الشامية، ج44، ص377.

⁵ - زكار، جوني، إسماعيل.(2011م): حروب الفرنجة، ص114.

⁶ - (2004م): ألكسياد، ص408-409.

الإمبراطور ضد ريموند؛ كل هذه الخطوات اتبعتها لكسب ثقة ألكسيوس، حتى يتسنى له تحقيق أطماعه، وتأسيس إمارته اللاتينية الخاصة⁽¹⁾، وظل بوهمند مستمراً في سياسته وخطته في تعامله مع الإمبراطور البيزنطي حتى وصل إلى أنطاكية، عندها بدأ بتطوير خطته ليستطيع التفرّد بأنطاكية، وتأسيس إمارة له فيها، فكان عليه إبعاد الفرقة العسكرية البيزنطية، وقائدها تاتيكوس، المرافق للحملة، ومن ثم كان عليه الحصول على موافقة القادة الصليبيين بمنحه مدينة إنطاكية بعد الاستلاء عليها⁽²⁾.

وتتفيذا لهذه الخطة حاول بوهمند زرع الشك والخوف في قلب تاتيكوس، ليتخلص منه، بالتالي لا يوجد من يطالب بحق الإمبراطور في أنطاكية، لذلك بث إشاعة في قلب تاتيكوس مفادها: نية الصليبيين بقتله هو وفرقته البيزنطية، بسبب خيانتته وتعامله مع الأتراك ضد الصليبيين، ارتاب تاتيكوس من كلام بوهمند، وسعى للهروب من المعسكر الصليبي وسوغ خروجه من المعسكر الصليبي، بالحصول على مساعدة ومدد إضافي من الإمبراطورية البيزنطية⁽³⁾، وعلى ما يبدو كان للبعد الديني، والفجوة بين الكنيستين الشرقية والغربية، دور في تصديق تاتيكوس لكلام بوهمند: إن الصليبيين يتهمونهم بالخيانة، وإنهم يريدون اغتياله، وكيف لا والإغريق على علم تام بكره اللاتين لهم واتهامهم لهم بالهرطقة والوثنية.

وما يدل على الكره اللاتيني للبيزنطيين، تسويق أي موقف صدر عن البيزنطيين بطريقة سلبية وهجومية، حيث أشار المؤرخ المجهول أن تاتيكوس هرب من المعسكر بسبب ضعفه وتخاذله وخوفه من الخسارة أمام الأتراك السلاجقة⁽⁴⁾؛ ويتضح تحيز المؤرخ المجهول بشكل كبير لبوهمند، ضد تاتيكوس والبيزنطيين بشكل عام، فإنه يجد مسوغاً يدين الإمبراطورية البيزنطية بكل موقف.

¹ - زكار، جوني، إسماعيل. (2011م): حروب الفرنجة، ص114.

² - كومنينا. (2004م): ألكسياد، ص426-427؛ عاشور. (1971م): الحركة الصليبية، ج1، ص188.

³ - كومنينا. (2004م): ألكسياد، ص426-427؛ زكار، جوني، إسماعيل. (2011م): حروب الفرنجة، ص112.

⁴ - (د.ت): أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس، ص56.

وبعد نجاح بوهمند في إبعاد تاتيكوس، بدأ يسعى للحصول على موافقة القادة الصليبيين على منحه مدينة أنطاكية، كما تفاوض مع ضابط أرمني كان في جيش ياغي سين واسمه (1) فيروز Faeruz (2)، وأيقن بوهمند أنه من خلال اتفاهه مع فيروز سيستطيع تسلم المدينة وينتصر (3)، وعقد اجتماعاً مع قادة الحملة الصليبية، وحصل منهم على موافقة بمنحه مدينة أنطاكية في حال تم الاستيلاء عليها، إذا تخاذل الإمبراطور البيزنطي ألكسيوس كومنين عن مساعدتهم، وإرسال المدد لهم، وكان ريموند هو القائد الوحيد الذي رفض منح أنطاكية لبوهمند (4)، وهذا الرفض ليس حباً ووداً بالإمبراطور البيزنطي، وليس التزاماً باتفاقية القسطنطينية، بل كان عائداً إلى حسد ريموند من انتصار بوهمند من جهة، ورغبة ريموند في كسب ألكسيوس بجانبه ضد بوهمند، الذي وقع في نزاع معه بعد رفضه منح أنطاكية له (5)، ولكن كل ما سلف أسقط الثقة بين ألكسيوس والقادة الصليبيين، وفقد الأمل في نواياهم، وتأكد أن شكوكه وارتياحه في محله، وكان تأسيس إمارة الرها على يد بلدوين، وعدم إعادتها للبيزنطيين خير دليل على دور البعد الديني في تأجيج الرغبة في الانتقام من البيزنطيين، وتحقيق أهدافها الخاصة، بالإضافة إلى مسألة أنطاكية التي أكدت طمع الصليبيين وكرهم للإغريق، وعلى رأسهم بوهمند وتانكريد.

وبعد ترتيب بنود الخطة من قبل بوهمند، استولى على أنطاكية عام (1098/492م) بمساعدة فيروز (6)، في الواقع كان لمدينة أنطاكية أهمية دينية كبيرة عند البيزنطيين، ففي مدينة أنطاكية أسست أول كنيسة في العالم

¹ - ابن الأثير. (1997م): الكامل في التاريخ، ج 10، 273؛ ابن العبري، ابي فرج جمال الدين يوحنا بن هارون ت 653/1286م. (1991م): تاريخ الزمان، دار المشرق العربي، دط، ص 123؛ الشارترى. (1990م): تاريخ الحملة إلى القدس، ص 58؛ المؤرخ المجهول. (د.ت): أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس، ص 59.

² - فيروز: أرمني الأصل، وهناك اختلاف على أصله بين المؤرخين، فقد أشار ريموندا جيل، أنه من أصول تركية، بينما يشير له ابن العبري بأنه من أصول فارسية، واسمه الكامل زوربه، وقد باع أنطاكية للصليبيين، وفتح لهم برج كسكروف kaschkarouf، الذي كان يحرسه مقابل الكثير من المال والذهب قدمهم له بوهمند. ابن العبري. (1991م): تاريخ الزمان، ص 123؛ ريموندا جيل. (1990م): تاريخ الفرنجة غزاة بيت المقدس، ص 119.

³ - ابن الأثير. (1997م): الكامل في التاريخ، ج 10، ص 273-274؛ ريموندا جيل. (1990م): تاريخ الفرنجة غزاة بيت المقدس، ص 119؛ فينالي: التاريخ الكنسي، ص 62-63؛ كومنين. (2004م): ألكساد، ص 425.

⁴ - ألبرت فون أخت. (2007م): تاريخ الحملة الصليبية الأولى، من خلال الموسوعة الشامية، ج 51، ص 82؛ المؤرخ المجهول. (د.ت): أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس، ص 67؛ وليم الصوري. (2003م): تاريخ وليم الصوري، من خلال الموسوعة الشامية، ج 45، ص 432؛ قاسم. (1990م): ماهية الحروب الصليبية، ص 106.

⁵ - وليم الصوري. (2003م): تاريخ وليم الصوري، من خلال الموسوعة الشامية، ج 45، ص 433؛ سميث. (1999م): الحملة الصليبية الأولى، ص 111. قاسم. (1990م): ماهية الحروب الصليبية، ص 107.

⁶ - ابن القلانسي. (1983م): تاريخ دمشق، ص 220-221؛ النويري. (د.ت): نهاية الأرب، ج 27، ص 264. العيني، ابو محمد بدر الدين العيني ت 855/1451م. (1995م): عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، من خلال الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية، تح: سهيل زكار، =

المسيحي، على يد القديس بطرس، كما في أنطاكية حمل المسيحيون هذا الاسم لأول مرة⁽¹⁾، وسيكون لهذه الأهمية الدينية دور كبير في إصرار ألكسيوس للسيطرة على مدينة أنطاكية، ويحمل هذا الإصرار بعداً دينياً للشقاق الديني العظيم. لكن بوهمند لم يهنأ بهذا النصر، فقد سارع كربوغا للدفاع عن أنطاكية ومواجهة الصليبيين، وضرب حصاراً على المدينة، أدى إلى انعدام المؤن والطعام عند الصليبيين، حتى وصل بهم الحال إلى درجة المجاعة الحقيقية، فلم يكن أمام بعض الصليبيين سوى التفكير بالهرب من الموت المحتم إما جوعاً، أو على يد الأتراك المسلمين، لذلك بدأ عدد من الصليبيين يهربون سراً من المعسكر الصليبي، ومنهم الكونت أتين، الذي خاف من الموت المحتم في أنطاكية، وسوغ هربه برغبته في العلاج من مرض ألم به⁽²⁾، ولم يعد أمام الصليبيين حل سوى انتظار المساعدة والمدد من الإمبراطورية البيزنطية، وألكسيوس كومنين⁽³⁾، الذي أعد جيشاً ضخماً بقيادته، وتوجّه به نحو أنطاكية ليفك حصار كربوغا وينقذ الصليبيين، ويعيد أنطاكية لحضيرته، ولكن خطته تغيرت عندما صادف الكونت أتين من بلو وهو هارب من المعسكر الصليبي، وبدأ يبيث أخباره السيئة على مسامع ألكسيوس وفحواها: هزيمة الصليبيين على يد السلاجقة هزيمة ساحقة، ونية كربوغا في التوجه نحو آسيا الصغرى للقضاء على الإمبراطور البيزنطي⁽⁴⁾، في الواقع إن أتين قد بالغ في نقله لأخبار الصليبيين بشكل مقصود، لكي يسوغ هروبه من المعسكر الصليبي⁽⁵⁾، بالتالي غير ألكسيوس كومنين وجهته، وعاد إلى القسطنطينية تاركاً الصليبيين يلقون مصيرهم، مفضلاً سلامة بلاده وجيشه وأمنهم على مصالح الصليبيين وحياتهم.

=دمشق، 1995م، ج24، ص7؛ أبو المحاسن. (د.ت): النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج5، ص147؛ المؤرخ المجهول. (د.ت): أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس، ص69-70.

¹ - وليم الصوري. (2003م): تاريخ وليم الصوري، من خلال الموسوعة الشامية، ج45، ص456-457؛ عاشور. (1971م): الحركة الصليبية، ج1، ص199-200.

² - ابن الأثير. (1997م): الكامل في التاريخ، ج8، ص39-41؛ أبو الفداء. (د.ت): المختصر في أخبار البشر، ج2، ص211؛ ألبرت فون أخت. (2007م): تاريخ الحملة الصليبية الأولى، ج51، ص88-94؛ كومنينا. (2004م): ألكسباد، ص428؛ متى الرهاوي. (2009م): تاريخ متى الرهاوي، ص93؛ المؤرخ المجهول. (د.ت): أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس، ص71-82؛ ريتشارد. (د.ت): مملكة اللاتين في القدس، ص264.

³ - زكار، جوني، إسماعيل. (2011م): حروب الفرنجة، ص127.

⁴ - ألبرت فون أخت. (2007م): تاريخ الحملة الصليبية الأولى، من خلال الموسوعة الشامية، ج51، ص94-96؛ الشارتر. (1990م): تاريخ الحملة إلى القدس، ص60؛ متى الرهاوي. (2009م): تاريخ متى الرهاوي، ص93؛ المؤرخ المجهول. (د.ت): أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس، ص86-87؛ وليم الصوري. (2003م): تاريخ وليم الصوري، من خلال الموسوعة الشامية، ج45، ص467-475؛ ريتشارد. (د.ت): مملكة اللاتين في القدس، ص265.

⁵ - ريتشارد. (د.ت): مملكة اللاتين في القدس، ص265؛ عاشور. (1971م): الحركة الصليبية، ج1، ص169؛ عبيد. (1970م): روما وبيزنطة، ص116؛ ماير: تاريخ الحملات الصليبية، ص83.

في الحقيقة لا يمكن عدّ تراجع ألكسيوس كومنين عن السير نحو أنطاكية خيانة، أو رغبة في داخل ألكسيوس ليتخلص من الصليبيين، بل كان نابعاً من تفكير سياسي صحيح، من إمبراطور محنك يحكم إمبراطورية عظمى، ويسعى ليحافظ على أمنها وسلامها ومصالحها، من عبث الأعداء الأتراك السلاجقة، وكان موقفه حيال عدم التقدم نحو أنطاكية لمساعدة الصليبيين خالياً من مشاعر الكره الديني، ودليل على عدم تفكير الكسيوس بالشقاق الديني، أو الكره للصليبيين، أو نكته لأي اتفاق بينهم، أنه في طريق عودته إلى القسطنطينية، قام بتدمير أي طريق ممكن للسلاجقة الاستفادة منه، بالتالي إن ألكسيوس صدق كلام أتين، إن السلاجقة في طريقهم إليه، لذلك حاول إعاقة حركتهم من خلال تدمير الطرق والمسالك التي يمكن استغلالها ضد ألكسيوس⁽¹⁾؛ هذا يدل أن ألكسيوس فكر بسلامة دولته وجيشه، ولم يفكر بالانتقام ديني أو خلفية دينية ما بينه وبين اللاتين. بينما اللاتين بدؤوا ينعنون ألكسيوس بالخيانة، والتخلي عنهم وهم في أمس الحاجة للمساعدة، وعدّوا موقفه تخاذلاً وخيانة للمشروع الصليبي، ولاتفاقية عام(491هـ/1097م)⁽²⁾، وتجاهلوا بذلك إن أي حاكم سيتصرف بذات التصرف لحماية بلاده وجيشه من الخطر.

ولعل موقف الصليبيين عائد إلى الخلفية الدينية، وأثر الشقاق الديني العظيم في نفوسهم وعقولهم، وأقلام مؤرخيهم، فهذا وليم الصوري يشير إلى خيانة الإمبراطور ألكسيوس، لأنه يكره العنصر اللاتيني بشكل كامل، ويرغب في الانتقام منهم⁽³⁾، كذلك كان رأي ابن الأثير من رأي وليم الصوري، حيث أشار إلى خطة الإمبراطور ألكسيوس كومنين لإبادة الصليبيين على يد المسلمين الأتراك⁽⁴⁾، لكن هذا مستبعد لأن ألكسيوس كان مهتماً بأنطاكية، وحريصاً على إعادتها إلى حضيرته، بما لها من أهمية دينية عند المسيحيين بالإضافة إلى موقع استراتيجي وتجاري وسياسي هام، تقيده في استقرار أمن بلاده، لكن ما سمعه من الكونت أتين ومن معه من الهاريين، جعله يفكر أن الأهم من أنطاكية هي الحفاظ على عاصمته، وأمن بلاده.

وهذا دليل إلى أن تفكير ألكسيوس كان سياسياً، وبعيداً عن أية خلفية دينية.

1 - عاشور.(1971م): الحركة الصليبية، ج1، ص198؛ عبيد.(1970م): روما وبيزنطة، ص116.

2 - كومنينا.(2004م): ألكسياد، ص434؛ عاشور.(1971م): الحركة الصليبية، ج1، ص199.

3 - وليم الصوري.(2003م): تاريخ وليم الصوري، من خلال الموسوعة الشامية، ج45، ص475-476.

4 - (1997م): الكامل في التاريخ، ج10، ص280؛ الصوا.(2004م): من البابا أوربان الثاني إلى الرئيس جورج بوش الثاني، ص41.

وفي الحقيقة إنّ موقف الإمبراطور البيزنطي المتمثل بعدم مساعدة الصليبيين قد قدم فرصة مميزة لبوهمند لتحقيق أطماعه ومخططه في أنطاكية، هذا أعطى بوهمند الحماس الزائد ليدافع عن المدينة التي سيؤسس عليها إمارته الخاصة⁽¹⁾، وبالفعل تم ما خطط له بوهمند، وحصل الصليبيون على النصر، وانتهت حملة كربوغا بالإخفاق الذريع، وظهر بوهمند القائد الذي خلص الصليبيين من هلاك محتوم، وبعدها بدأ مطالبة قادة الحملة الصليبية الأولى بتسليمه المدينة وفق وعوده السالفة⁽²⁾، وقد لقي معارضةً شديدةً واستنكاراً من قبل ريموند، الذي أوضح أن هذا يخالف ما تم الاتفاق عليه مع الإمبراطور البيزنطي، بمنحه كافة الأراضي التي يتم الاستيلاء عليها، مما أدى لدخول الطرفين في نزاع حاد⁽³⁾، ولعل موقف ريموند هذا عائد إلى غيرته من المكانة التي وصل إليها بوهمند بين الصليبيين، وطمعه في تأسيس إمارة له في أنطاكية، ومنع بوهمند من التفرد في هذا النصر.

ولم يُحسم النزاع بين ريموند، وبوهمند إلا بتدخل القادة الصليبيين، فعقدوا اجتماعاً قرروا فيه تسليم أنطاكية إلى الإمبراطور البيزنطي ألكسيوس كومنين، بحال تقدم على رأس حملة ضخمة ليتسلم أنطاكية، ويساعدهم بالوصول إلى بيت المقدس، وفي حال رفض الإمبراطور ذلك تمنح أنطاكية لبوهمند، ويتحرر الصليبيون من تعهدات اتفاقية عام (491هـ/1097م)، وأرسل الصليبيون رسالتهم وقرارهم إلى ألكسيوس، لكنه تأخر بالرد عليها، وعندما قرر القبول بعرض الصليبيين كان الاستعداد للتقدم إلى بيت المقدس قد تم على أكمل وجه⁽⁴⁾، لأن عرض الصليبيين لألكسيوس لم يكن نابغاً من وفائهم لعهودهم، بل بسبب الحصول على المساعدات العسكرية البيزنطية للوصول إلى بيت المقدس بعد ما استنزفوا كل قواهم وطاقاتهم خلال حصار أنطاكية، وبعد إتمام استعداداتهم، لم يعودوا بحاجة لدعم ألكسيوس، ووجدوا صعوبة في انتظاره ليصل على رأس حملة عسكرية، لذا قرروا مواصلة المسير، ورفضوا انتظار ألكسيوس وحملته⁽⁵⁾، ويتضح مما سلف وجود تباين كبير بين أهداف اللاتين والبيزنطيين وأطماعهم، مما أدى إلى

¹ - كومنينا. (2004م): ألكسياد، ص 423-434؛ زكار، جوني، إسماعيل. (2011م): حروب الفرنجة، ص 113.

² - ألبرت فون أخت. (2007م): تاريخ الحملة الصليبية الأولى، من خلال الموسوعة الشامية، ج 51، ص 100-104؛ فيتالي. (2008م): التاريخ الكنسي، ص 75؛ كومنينا. (2004م): ألكسياد، ص 436.

³ - المؤرخ المجهول. (د.ت): أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس، ص 102، 105؛ عاشور. (1971م): الحركة الصليبية، ج 1، ص 207-208.

⁴ - ألبرت فون أخت. (2007م): تاريخ الحملة الصليبية الأولى، من خلال الموسوعة الشامية، ج 51، ص 106؛ وليم الصوري. (2003م): تاريخ وليم الصوري، من خلال الموسوعة الشامية، ج 45، ص 503.

⁵ - زكار، جوني، إسماعيل. (2011م): حروب الفرنجة، ص 122.

حدوث نزاعات، بين اللاتين والبيزنطيين، وهذا انعكاس للخلافات المذهبية والدينية، التي كانت قائمة بين اللاتين الكاثوليك و الإغريق الأرثوذكس، الذين مازالوا متأثرين فيها. في الحقيقة إن الوقت الذي استهلكه ألكسيوس للتفكير بعرض الصليبيين، استطاع بوهمند استغلاله لتأسيس إمارة صليبية لاتينية له في أنطاكية، وتدعيم مركزه ومكانته وسلطته فيها، مما شكل نوعاً من الصعوبة في تحطيم ألكسيوس هذه الإمارة وضمها لحضيرته، لذا سعى جاهداً لإعادتها، وبالمقابل بوهمند واجهه بكل شراسة، مما أدى لدخول الطرفين في صراع عنيف⁽¹⁾، ويتضح مما سلف أن الإمبراطور سوف يغير موقفه من الصليبيين، بالتالي ستتضح شدة الكره، والحق الديني بين الطرفين.

وعلى عكس بوهمند وسياسته المعادية والكارهة للبيزنطيين، تميز الأسقف أدهيمار مندوب البابا في الحملة الصليبية بسياسته المعتدلة والإيجابية حيال الكنائس الشرقية، حيث تميز بالدبلوماسية الفذة، وسعى جاهداً لإعادة بطريرك أنطاكية الأرثوذكسي - الذي سجنه الأتراك وعذبوه خلال الحصار - إلى منصبه على بطريركية أنطاكية بكل هيبة، ونبه اللاتين من التعرض بسوء للمسيحيين الشرقيين الأرثوذكس في أنطاكية أو الشرق الإسلامي، وترك رجال الدين الأرثوذكس في مناصبهم ولكنه قام بتعيين بعض رجال الدين الكاثوليك إلى جانبهم، بالإضافة إلى العلاقة الوثيقة التي جمعه مع بطريرك الأرثوذكسي لبيت المقدس واسمه سيمون، الذي كان يعيش منفياً في قبرص بعد أن هرب عام (484هـ/1091م) من ظلم السلاجقة الذي حل على المسيحيين، وخاصة مسيحيي بيت المقدس، ونشأ نوع من التقارب بين الأدهيمار، وسيمون، وكان سيمون يرسل بعض الإمدادات والمساعدات إلى معسكر الصليبيين في أنطاكية، ومن ثم اعترف الأدهيمار به على أنه البطريرك الشرعي الوحيد لبيت المقدس⁽²⁾، ولعل سياسة أدهيمار الحكيمة في معاملة المسيحيين الشرقيين في أنطاكية عائدة لكسب رضا بيزنطة لكي تقدم المساعدة والدعم للصليبيين لتحقيق هدفهم الأسمى، وهو الوصول إلى بيت المقدس. لكن دبلوماسية أدهيمار شكلت عائقاً أمام تحقيق مطامع بوهمند في تأسيس إمارة لاتينية صليبية في أنطاكية، وكانت مسألة موت أدهيمار فرصة مناسبة

¹ - ألبيرت فون أخت. (2007م): تاريخ الحملة الصليبية الأولى، من خلال الموسوعة الشامية، ج51، ص188؛ وليم الصوري. (2003م): تاريخ وليم الصوري، من خلال الموسوعة الشامية، ج45، ص504؛ قاسم. (2001م): الحملة الصليبية الأولى، ص251.

² - وليم الصوري. (2003م): تاريخ وليم الصوري، من خلال الموسوعة الشامية، ج45، ص503؛ رنسيان. (د.ت): تاريخ الحروب الصليبية، ج1، ص354-355؛ ريتشارد. (د.ت): مملكة اللاتين في القدس، ص266؛ زيتون. (1980م): العلاقات السياسية والكنسية، ص326؛ عبيد. (1970م): روما وبيزنطة، ص118؛ عطا، زبيدة. (1994م): الشرق الإسلامي والدولة البيزنطية زمن الأيوبيين، دار الامين، القاهرة، ص40؛ ماير. (1999م): تاريخ الحملات الصليبية، ص83.

لبوهمند لتحقيق أطماعه، وتنفيذ سياسته المعادية لبيزنطة وكنيستها⁽¹⁾، فقد قام بوهمند بتعيين بطريرك لاتيني كاثوليكي في كنيسة أنطاكية، وأبعد البطريرك الأرثوذكسي، الذي هرب إلى القسطنطينية، كما منع منعاً باتاً استخدام الطقوس الدينية الأرثوذكسية، وأحل محلها الطقوس الكاثوليكية، وبذلك حول إنطاكية إلى إمارة لاتينية، وهذا التحويل أدى لحدوث انشقاق في كنيسة أنطاكية ذات الحكومتين، واحدة بالمنفى بالقسطنطينية مدعومة من الإمبراطورية البيزنطية وهي أرثوذكسية، والأخرى بأنطاكية مدعومة من قبل بوهمند والبابوية وهي كاثوليكية، وقد زاد من حدة الهوة والكره بين كنيسة روما وكنيسة القسطنطينية⁽²⁾؛ هذا يؤكد أثر الشقاق العظيم ما بين كنيسة روما وكنيسة القسطنطينية مازال ماثلاً بين أعين اللاتين، وهذا يكشف سياسة بوهمند التي بدأت باللين والدواء حيال الإغريق وشعائهم، ولما حانت الفرصة وحقق أطماعه ظهرت نواياهم وكرهم الدفين للإغريق بكل تصرف ضد الأرثوذكس وشعائهم في أنطاكية، وخبر دليل على ذلك الرسالة التي كتبها بوهمند إلى البابا أوربان الثاني في (شوال 491هـ/أيلول 1098م)⁽³⁾، يتهم فيها الإمبراطور البيزنطي بالخيانة بشكل واضح، وينعت البيزنطيين والمسيحيين الشرقيين بأبشع الصفات⁽⁴⁾، وأكد بوهمند للبابا عن سعي ألكسيوس المتكرر لإبادة الصليبيين والتخلص منهم من خلال خطته وخيائنه وتخاذله⁽⁵⁾، كما يصور نفسه البطل الوحيد الذي حمل أعباء الحركة الصليبية على كاهله، وحقق نجاحاتها في الشرق⁽⁶⁾، وهذا يؤكد أن نظرة اللاتين لبيزنطة والمسيحيين الشرقيين تحمل بعداً دينياً، وكل التصرفات والاتهامات لألكسيوس عائدة للكره اللاتيني العميق للشعب البيزنطي - المهرطقين في نظرهم -، وكل ما سلف عزز العداء ما بين بوهمند والإمبراطور البيزنطي، وزاد الكراهية ما بين اللاتين الكاثوليك والإغريق الأرثوذكس. وجه الصليبيون عدة اتهامات للإمبراطور البيزنطي، منها الخيانة والتحالف مع الفاطميين ضده⁽⁷⁾، لكن هذا التحالف

¹ - الشارترى. (1990م): تاريخ الحملة إلى القدس، ص 64.

² - رنسيان. (د.ت.): تاريخ الحروب الصليبية، ج 1، ص 58؛ ريتشارد. (د.ت.): مملكة اللاتين في القدس، ص 266؛ زيتون. (1980م): العلاقات السياسية والكنسية، ص 326.

³ - الشارترى. (1990م): تاريخ الحملة إلى القدس، ص 65-67؛ وليم الصوري. (2003م): تاريخ وليم الصوري، من خلال الموسوعة الشامية، ج 45، ص 530؛ ماير. (1999م): تاريخ الحملات الصليبية، ص 85.

⁴ - Diehl. (1995.A.D): L'Europe Orientale, pp.20-24.

⁵ - الشارترى. (1990م): تاريخ الحملة إلى القدس، ص 97.

⁶ - ماير. (1999م): تاريخ الحملات الصليبية، ص 85.

⁷ - عطا. (1994م): الشرق الإسلامي والدولة البيزنطية، ص 41.

لم يذكر في المصادر العربية، ولعله مجرد اتهامات واهية نابعة من الكره اللاتيني للبيزنطيين، وبعد هذا التوتر بالعلاقات بين الصليبيين والإمبراطور البيزنطي، لم يستطع الصليبيون انتظار مساعدة ألكسيوس للتوجه نحو بيت المقدس، لذلك قرروا غزو بيت المقدس وحدهم⁽¹⁾، وتم الغزو الصليبي لبيت المقدس عام (493هـ/1099م)، وقاموا بمجزرة رهيبة بحق الأهالي كباراً وأطفالاً وشيوخاً، ونساءً، وبعدها اختاروا جودفري ملكاً على بيت المقدس⁽²⁾، وسرعان ما طردوا البطريرك الأرثوذكسي ورجال الدين الأرثوذكس، وعاملوهم بأشد أنواع العذاب والقسوة، وعينوا مكانهم بطريرك كاثوليكي، ورجال دين كاثوليك، بالتالي تم تشكيل حكومتين لبطريركية بيت المقدس: واحدة موجودة في المنفى في قبرص، وتتلقى الدعم من الإمبراطورية البيزنطية وهي أرثوذكسية، وأخرى في بيت المقدس، مدعومة من البابوية وهي كاثوليكية لاتينية⁽³⁾، وهذا دليل صارخ على أثر البعد الديني على تصرفات اللاتين، وإن الانتصار التي حققته كنيسة روما في إخضاع كنيسة بيت المقدس وكنيسة أنطاكية لنفوذها، وتقليص نفوذ كنيسة القسطنطينية، بينما بوهمند أصبح سيداً على أنطاكية، وحولها إلى إمارة لاتينية، بتعيين أسقف لاتيني، بالتالي زيادة حجم الكره والبعد بين الكنيستين.

في الواقع إن تأسيس بوهمند لإمارة لاتينية في أنطاكية، واتباعها الطقوس اللاتينية بدلاً من الإغريقية، أدى لتأسيس كنيسة لاتينية كاثوليكية في أنطاكية تنافس كنيسة القسطنطينية، وتهدد نفوذها في المنطقة⁽⁴⁾، وهذا خير دليل على تأثير الشقاق الكنسي بين كنيسة روما وكنيسة القسطنطينية على خطط وسياسات بوهمند وغيره من زعماء الحملة الصليبية الأولى مع ألكسيوس كومنين والبيزنطيين الأرثوذكس.

¹ - عاشور. (1971م): الحركة الصليبية، ج 1، ص 217؛ عطا. (1994م): الشرق الإسلامي والدولة البيزنطية، ص 42؛ يوسف. (1981م): العرب والروم واللاتين، ص 245.

² - ألبرت فون أخت. (2007م): تاريخ الحملة الصليبية الأولى، من خلال الموسوعة الشامية، ج 51، ص 142؛ ريموندا جيل. (1990م): تاريخ الفرنجة غزاة بيت المقدس، ص 265؛ الشارتر. (1990م): تاريخ الحملة إلى القدس، ص 76-77؛ كومنينا. (2004م): ألكسياد، ص 440؛ المؤرخ المجهول. (د.ت): أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس، ص 120.

³ - زيتون. (1980م): العلاقات السياسية والكنسية، ص 363.

⁴ - رنسيما. (د.ت): تاريخ الحروب الصليبية، ج 1، ص 58؛ عبيد. (1970م): روما وبيزنطة، ص 128؛ عطا. (1994م): الشرق الإسلامي والدولة البيزنطية، ص 41؛ ماير. (1999م): تاريخ الحملات الصليبية، ص 97.

بعد أن تمكن بوهمند من تأسيس إمارته اللاتينية في أنطاكية، وتقوية مركزه فيها رافضاً كل المفاوضات التي تقدم بها الإمبراطور ألكسيوس كومنين لاستعادة حقه فيها، سعى بوهمند لمد سلطته ونفوذه على المناطق والبلدان المجاورة لأنطاكية، لكي يوسع مساحة إمارته، فقام عام (493هـ/1099م) بتحريض من⁽¹⁾ دامبرت Daimbert⁽²⁾ بمهاجمة اللاذقية⁽³⁾ والسيطرة عليها بالتالي لم تعد للإمبراطورية البيزنطية أية سلطة أو نفوذ في اللاذقية، ويكون بوهمند بذلك يتوسع على حساب أملاك الإمبراطورية البيزنطية بالقوة متجاهلاً مصالح البيزنطيين بالمنطقة⁽⁴⁾. وتصرف دامبرت هذا ربما عائد للكره الشديد للإغريق، وتأثره بالشقاق الديني ما بين الطرفين.

لكن بعض المؤرخين فسروا استيلاء بوهمند على اللاذقية نابع من خطة سياسية دقيقة لحماية إمارته الجديدة من أي هجوم من قبل البيزنطيين، ولاسيما وأن اللاذقية تعد ميناءً هاماً للبيزنطيين في جنوب أنطاكية، وموقعها هذا يسهل على ألكسيوس كومنين فكرة الهجوم على أنطاكية وإعادتها لحضيرته، كما استبعدوا فكرة تحريض دامبرت لفكرة التوسع اللاتيني على حساب الإمبراطورية البيزنطية، وهو بالمرحلة الأولى من منصبه الديني على بطريركية بيت المقدس، مما يزيد الخلاف بين الشرق والغرب المسيحيين وبين بيزنطة والصليبيين، وكون الصليبيين مازالوا يحتاجون المدد والعون من الإمبراطورية البيزنطية، وبالتالي يزداد الخلاف بين الكنيستين الارثوذكسية والكاثوليكية⁽⁵⁾، لكن في الحقيقة إن الخلاف الديني كان قد وصل إلى مرحلة متأزمة بين الكنيستين، وخاصة بعد عزل البطريرك البيزنطي في أنطاكية، وتعيين محله بطريرك لاتيني، ويعد هذا دليلاً إلى أن الخلاف الكنسي هو الدافع وراء كره دامبرت للإغريق، بالتالي هذا الكره سيدفع غالباً دامبرت لتحريض بوهمند بالتوسع على حسابهم.

لكن السياسة المعادية للبيزنطيين التي اتبعتها بوهمند، وهدفه توسيع رقعة إمارته اللاتينية على حساب أملاك الإمبراطورية البيزنطية وأراضيها انتهت عام (494هـ/1100م)، فقد أسر بوهمند على يد الأتراك المسلمين

¹ - كومنين. (2004م): ألكسياد، ص 443؛ ماير. (1999م): تاريخ الحملات الصليبية، ص 95.

² - دامبرت: رئيس أساقفة بيزا الذي عينه البابا أوربان الثاني في عام (493هـ/1099م) بطريراً على القدس وظل بطريراً حتى عام (497هـ/1103م). زبيدة، عبلة المهدي. (2000م): القدس تاريخ وحضارة، دار القمة للطباعة، د.ط.، ص 138؛ ماير. (1999م): تاريخ الحملات الصليبية، ص 96.

³ - اللاذقية: مدينة تقع على ساحل بحر المتوسط وكانت تتبع للبيزنطيين، وهي من أعمال طرابلس، امتازت بامتلاكها مرفأً محصناً، وقلعتين منيعتين على تل مشرف، مما جعل موقعها استراتيجياً ومنيع. الحموي. (1995م): معجم البلدان، ج 3، ص 169.

⁴ - زيتون. (1980م): العلاقات السياسية والكنسية، ص 150.

⁵ - عاشور. (1971م): الحركة الصليبية، ج 1، ص 261؛ ماير. (1999م): تاريخ الحملات الصليبية، ص 95.

وهو يواصل سياسته التوسعية⁽¹⁾، وتسلم الحكم بعده، ابن أخته تانكريد، الذي⁽²⁾ نجح في تقوية سلطته ونفوذه في أنطاكية، وتابع سياسة بوهمند التوسيعية على حساب الإمبراطورية البيزنطية، ولاسيما وإن تانكريد كان يحمل كرهاً وحقدًا مضاعفًا للبيزنطيين عما كان يحمله بوهمند، لذلك سعى للقضاء على الوجود البيزنطي بإمارة أنطاكية، من خلال تحويل الكنائس الشرقية في أنطاكية إلى المذهب اللاتيني الكاثوليكي، لكي يمحو أية سمة أو طابع لبيزنطة في أنطاكية، هذا أدى لزيادة العداء والكره والتوتر بين الكنيستين⁽³⁾، وهذا يؤثر بشكل سلباً وضع العلاقات السياسية والعسكرية بين البيزنطيين والصليبيين؛ في الحقيقة كان أثر الشقاق الديني واضحاً بكل تصرف عدائي ضد البيزنطيين، وكان تصرف تانكريد هذا دليل واضح على أن الخلاف الديني مائل أمام عينه، وينعكس على خطته السياسية والعسكرية تجاه البيزنطيين.

وفي هذه الأثناء وصل جيش صليبي جديد إلى القسطنطينية عام (495هـ/1101م)، بسبب رسائل القادة الصليبيين المتكررة، تطلب المدد من الغرب الأوروبي، لفك أسر بوهمند من الأتراك المسلمين فلم يكن تصرفهم وسياستهم مع البيزنطيين مختلفاً عن تصرف وسياسة حملة عام (491هـ/1097م).

تفاوض ألكسيوس كومنين مع الجيش الصليبي بمساعدة ريموند الصنجيلي عام (495هـ/1101م) والذي كان زائراً في القسطنطينية عند ألكسيوس كومنين، فسهل عليه مهمة التفاوض والاتفاق مع الصليبيين⁽⁴⁾، واتباع ألكسيوس معهم السياسة ذاتها التي اتبعها مع جيوش عام (491هـ/1097م)، فرحب بهم، وأمدهم بالمؤن، الهدايا والمدد، وأوصلهم لضفة البوسفور الآسيوية⁽⁵⁾؛ لكن هذه الحملة أخفقت في فك أسر بوهمند وبقي تانكريد على حكم أنطاكية⁽⁶⁾، وفي عام (496هـ/1102م) حقق تانكريد نجاحاً باهراً في سياسته التوسعية، وضم اللاذقية لأنطاكية، وبذلك استطاع

¹ - ابن الأثير. (1997م): الكامل في التاريخ، ج10، ص300؛ ابن العديم. (1997م): زبدة حلب في تاريخ حلب، ج1، ص358؛ ألبرت فون أخت. (2007م): تاريخ الحملة الصليبية الأولى، من خلال الموسوعة الشامية، ج51، ص181؛ كومنين. (2004م): ألكسياد، ص441.

² - الشارترى. (1990م): تاريخ الحملة إلى القدس، ص120-121؛ قاسم. (1990م): ماهية الحروب الصليبية، ص112.

³ - عاشور. (1971م): الحركة الصليبية، ج1، ص378-379.

⁴ - ألبرت فون أخت. (2007م): تاريخ الحملة الصليبية الأولى، من خلال الموسوعة الشامية، ج51، ص206؛ متى الرهاوي. (2009م): تاريخ متى الرهاوي، ص115؛ ماير. (1999م): تاريخ الحملات الصليبية، ص102.

⁵ - فيتالي. (2008م): التاريخ الكنسي، ص212؛ كومنين. (2004م): ألكسياد، ص440.

⁶ - ألبرت فون أخت. (2007م): تاريخ الحملة الصليبية الأولى، من خلال الموسوعة الشامية، ج51، ص209؛ متى الرهاوي. (2009م): تاريخ متى الرهاوي، ص115؛ ماير. (1999م): تاريخ الحملات الصليبية، ص103.

الحصول على معبر بحري للصليبيين إلى الغرب الأوروبي⁽¹⁾، وحاول ألكسيوس استعادة حقوقه في إمارة أنطاكية، التي استولى عليها بوهمند، والتي وصلت العلاقة بينه وبين ألكسيوس إلى نزاع مسلح، عندما عاد بوهمند لحكم أنطاكية بعد إطلاق سراحه من الأسر عام (497هـ/1103م)، وقد رافض بشكل قطعي كل ادعاءات وطلبات ألكسيوس بإعادة أنطاكية للحضيرة البيزنطية⁽²⁾.

أيقن ألكسيوس كومنين خطورة بقاء أنطاكية بيد الصليبيين، وخاصة بعد وضوح سياستهم العدائية وكرهمم الديني للبيزنطيين، وهذا من جانبه سيكون حاجزاً أمام مصالح الإمبراطورية البيزنطية في الشرق الإسلامي، لذلك سعى ألكسيوس كومنين للحصول على حقه في أنطاكية بالقوة⁽³⁾، فحاصر اللاذقية بشكل محكم، وسيطر على أغلب المناطق الهامة والاستراتيجية المجاورة لأنطاكية، وأمام هذا التضيق قرر بوهمند الهرب إلى الغرب اللاتيني الكاثوليكي، ليجمع حملة صليبية جديدة، لكن هذه المرة ليست ضد الشرق الإسلامي، بل ضد الإمبراطورية البيزنطية الأرثوذكسية، وضد إمبراطورها ألكسيوس كومنين الخائن في نظره⁽⁴⁾.

وهكذا انتهت فترة التعاون بين الصليبيين والبيزنطيين أمام أنطاكية، وظهور أثر البعد الديني والشقاق ما بين كنيسة روما وكنيسة القسطنطينية بشكل واضح في كل تصرف من الجانب الصليبي، ليؤكد على الحقد والكراهة للبيزنطيين-المهرطقين في نظرهم-، بينما كان الإمبراطور البيزنطي يتعامل مع الصليبيين بشكل سياسي ودبلوماسي، ليحقق مصالحه ويحمي عاصمته من تخريبهم وحقدهم، وأكبر دليل على حقد وكراهة اللاتين لبيزنطة وشعبها الحملة التي بشر بها بوهمند، والتي كان للشقاق الديني أثر كبير في خروجها من الغرب اللاتيني إلى القسطنطينية.

¹ - الشارترتي. (1990م): تاريخ الحملة إلى القدس، ص 130؛ كومنينا. (2004م): ألكسياد، ص 442؛ رنسيومان. (د.ت): تاريخ الحروب الصليبية، ج1، ص 90؛ ماير. (1999م): تاريخ الحملات الصليبية، ص 103.

² - ألبرت فون أخت. (2007م): تاريخ الحملة الصليبية الأولى، من خلال الموسوعة الشامية، ج 51 ص 293-241؛ الشارترتي. (1990م): تاريخ الحملة إلى القدس، ص 130؛ فيتالي. (2008م): التاريخ الكنسي، ص 244؛ ماير. (1999م): تاريخ الحملات الصليبية، ص 103.

³ - عاشور: الحركة الصليبية، ج1، ص 394؛ ماير. (1999م): تاريخ الحملات الصليبية، ص 104.

⁴ - ألبرت فون أخت. (2007م): تاريخ الحملة الصليبية الأولى، من خلال الموسوعة الشامية، ج 51 ص 246؛ رنسيومان. (د.ت): تاريخ الحروب الصليبية، ج1، ص 78.

5- تأسيس إمارة إنطاكية الصليبية وإسقاط ادعاء الإمبراطور البيزنطي فيها وأثر ذلك في تحريض

بوهمند البابوية للتبشير بحملة صليبية ضد بيزنطة عام (501هـ / 1107م).

إن السياسة العدائية التي انتهجها بوهمند ضد الإمبراطورية البيزنطية وإمبراطورها ألكسيوس كومنين، وتأسيس إمارته الصليبية اللاتينية في أنطاكية متجاهلاً اتفاقية عام (491هـ / 1097م)، بالإضافة إلى السياسة التوسيعية التي قام بها على حساب أملاك الإمبراطورية البيزنطية، ورفضه القاطع إعادة إنطاكية للإمبراطور البيزنطي ألكسيوس كومنين على الرغم من طلباته المتكررة بذلك، حث ألكسيوس لمواجهة بوهمند وسياسته المعادية بالقوة⁽¹⁾، لكن بوهمند لم يتمكن من الصمود أمام هجمات ألكسيوس كومنين، لذا قرر اللجوء إلى الغرب اللاتيني لتجهيز حملة صليبية ضد بيزنطة⁽²⁾، ووصل إلى الغرب بخداعه لقوات ألكسيوس التي تشدد مراقبتها على الطرق الساحلية المؤدية إلى الغرب⁽³⁾، مسلماً شؤون أنطاكية وإدارتها إلى ابن اخته تانكريد، وبحال وصوله إلى إيطاليا، راسل ألكسيوس بطريقة قاسية مليئة بالتهديد والوعيد، باقترب قدومه لتدمير القسطنطينية ومن فيها⁽⁴⁾، وأكد للغرب اللاتيني أن الهجوم على القسطنطينية والاستيلاء عليها يجب أن يكون الوجهة الأساسية لأي جيش صليبي سينطلق نحو الشرق⁽⁵⁾، مستغلاً الشقاق الديني، وكره اللاتين للإغريق الذي كان واضحاً بكل مواقف اللاتين حيال الإمبراطور البيزنطي والمسيحيين الشرقيين.

وكانت ردة فعل اللاتين في إيطاليا، وخاصة رجال الدين على قدوم بوهمند مليئة بالترحاب والحب، ولاسيما أنه استطاع كسب ودهم من خلال، منح الكنائس الكاثوليكية ما معه من محتويات دينية كان قد استولى عليها من الشرق الأرثوذكسي، والأهم من ذلك استطاع كسب ثقة وتأيد البابا الجديد⁽⁶⁾

¹ - كومنين. (2004م): ألكسياد، ص443

² - ألبرت فون أخت. (2007م): تاريخ الحملة الصليبية الأولى، من خلال الموسوعة الشامية، ج51، ص246.

³ - Diehl. (1995.A.D): L'Europe Orientale, pp.53-56.

⁴ - ألبرت فون أخت. (2007م): تاريخ الحملة الصليبية الأولى، من خلال الموسوعة الشامية، ج51، ص260؛ كومنين. (2004م): ألكسياد، ص452-454

Diehl. (1995.A.D): L'Europe Orientale, p.56.

⁵ - الشارتر. (1990م): تاريخ الحملة إلى القدس، ص143

⁶ - الشارتر. (1990م): تاريخ الحملة إلى القدس، ص134؛ رنسيان. (د.ت): تاريخ الحروب، ج1، ص81؛ عاشور. (1971م): الحركة الصليبية، ج1، ص397.

باسكال الثاني Pascal II (493-512هـ/1099-1118م)⁽¹⁾، الذي كان شديد الحماس للقضية الصليبية، كما تودد إلى الملك الفرنسي، ودخل في علاقة مصاهرة معه، وتزوج من ابنته، مما منحه الكثير من الدعم والمدد لحملته الجديدة من الجانب الفرنسي⁽²⁾، وأتبع بوهمند سياسة معينة لحشد الغرب اللاتيني ضد الإمبراطورية البيزنطية، فنشر بين اللاتين في الغرب أخباراً سوداويةً، وسلبيةً عن دور الإمبراطور البيزنطي ألكسيوس كومنين الفعال في إخفاق الحملات الصليبية على الشرق بين عامي (495-497هـ/1101-1103م)، وكما أكد على خيانة ألكسيوس كومنين للقضية الصليبية وأهدافها، كما كانت وجهة نظر بوهمند بخيانة ألكسيوس راسخة في عقول المؤرخين اللاتين، الذين أكدوا على خيانة ألكسيوس للقضية الصليبية، واتهامه الدائم بالخداع⁽³⁾، واستغل بوهمند الكره الذي كان في قلب اللاتين الذين يعتبرون الإغريق مخادعين ومهرطقين من قبل قيام الحركة الصليبية لتحريض الغرب ضد البيزنطيين⁽⁴⁾.

في الحقيقة نجح في تأجيج الرأي العام في الغرب اللاتيني الكاثوليكي ضد البيزنطيين الأرثوذكس، من خلال زرع فكرة خيانة ألكسيوس في عقولهم⁽⁵⁾، ونجح بوهمند في خطته، ولقيت دعوته للقيام بحملة صليبية ضد الإمبراطورية البيزنطية ترحيباً من قبل الغرب الأوروبي اللاتيني، كما تم دعم خطته وحملته من قبل البابا باسكال الثاني، الذي انتهج نهج البابا جريجوري السابع، الذي كان من الداعمين لسياسة النورمان المعادية للبيزنطيين عام (474-478هـ/1081-1085م)⁽⁶⁾، ولعل الخلاف الكنسي ما بين كنيسة روما وكنيسة القسطنطينية وكره باسكال الثاني لبيزنطة هو الدافع وراء دعم البابا لمشروع بوهمند ضد بيزنطة.

¹ - باسكال الثاني: ولد عام (442هـ/1050م)، كان رئيس دير القديس كلiment ودخل في صراع مع الإمبراطور الألماني هنري الخامس، وتوفي محاصراً في روما عام (512هـ/1118م). فيتالي. (2008م): التاريخ الكنسي، ص 134؛ الربيعي. (د.ت): موقف الإمبراطورية البيزنطية من قادة الحملات الصليبية، ص 416.

² - وليم الصوري. (2003م): تاريخ وليم الصوري، من خلال الموسوعة الشامية، ج 45، ص 717؛ سمث. (1999م): الحملة الصليبية الأولى، ص 219.

³ - فيتالي. (2008م): التاريخ الكنسي، ص 305؛ متى الرهاوي. (2009م): تاريخ متى الرهاوي، ص 119-120؛ وليم الصوري. (2003م): تاريخ وليم الصوري، من خلال الموسوعة الشامية، ج 45، ص 717؛ رنسيان. (د.ت): تاريخ الحروب، ج 1، ص 81.

⁴ - Diehl. (1995.A.D): L'europe Orientale, pp. 13-19.

⁵ - متى الرهاوي. (2009م): تاريخ متى الرهاوي، ص 120.

⁶ - رنسيان. (د.ت): تاريخ الحروب، ج 1، ص 81؛ زيتون. (1980م): العلاقات السياسية والكنسية، ص 365.

ودليل ذلك رأيه ونظرته إلى كنيسة القسطنطينية: بأنها منحرفة عن العقيدة المسيحية السليمة، بالإضافة لاتهامات الصليبيين المتكررة بخيانة الإمبراطورية البيزنطية للقضية الصليبية، التي وثقها المؤرخ المجهول في كتابه، الذي حمله بوهمند معه إلى الغرب، ووضعه في متناول اللاتين، ليشحن قلوبهم بالمزيد من الكره تجاه الإمبراطورية البيزنطية⁽¹⁾. ويتضح مما سلف نجاح بوهمند في تشويه مكانة الإمبراطور البيزنطي ألكسيوس كومنين بين رجال الدين، والشعب اللاتيني الكاثوليكي، مستغلاً الكره الديني الذي خلفه الشقاق الديني العظيم في نفوس اللاتين. في الحقيقة أثر الشقاق الديني هو من ساعد بوهمند على إقناع الشعب اللاتيني بالتهم التي وجهها لألكسيوس كومنين، بالتالي يكون الشقاق الديني العظيم، هو المسؤول والمتحكم بالعلاقات السياسية والعسكرية بين الصليبيين والبيزنطيين، وهو المسؤول عن زيادة الكره بين الطرفين، وتعميق نظرة اللاتين السلبية تجاه البيزنطيين.

بناءً على ما تقدم، جهز بوهمند حملته بكل سهولة ويسر، ووجه هدفها نحو القسطنطينية للاستيلاء عليها، وكان دعم البابا لهذه الحملة، قد أضاف عليها نوعاً من القداسة والشرعية الدينية، ولاسيما بعدما سلم بوهمند شارة القديس بطرس وعيين مندوباً بابوياً، ليشارك مع بوهمند في حملته ضد بيزنطة المهرطقة، وليبشر بهذه الحملة في أنحاء الغرب اللاتيني⁽²⁾. ويتضح مما سلف ان الخلفية الدينية للشقاق الكنسي ما بين كنيسة روما وكنيسة القسطنطينية، هو المسوغ المباشر لقبول اتهامات بوهمند ضد بيزنطة - المهرطقة في نظر الغرب اللاتيني -، ودعم البابوية لمشروع بوهمند ضد القسطنطينية، كما كانت المسوغ الرئيسي لتصرفات اللاتين من سلب ونهب وتخريب ضد المسيحيين الشرقيين في ضواحي القسطنطينية مما يؤكد أن الشقاق الديني كان ماثلاً أمام أعين اللاتين في كل موقف حيال الإمبراطورية البيزنطية، وهو الذي أثر على طبيعة العلاقات بين الإمبراطور البيزنطي وزعماء الحملة الصليبية الأولى.

¹ - عبيد. (1970م): روما وبيزنطة، ص151.

² - الشارتر. (1990م): تاريخ الحملة إلى القدس، ص143؛ فيتالي. (2008م): التاريخ الكنسي، ص305؛ سمث. (1999م): الحملة الصليبية الأولى، ص219.

بالإضافة للدعم الديني من البابوية لحملة بوهمند، حصل أيضاً على دعم عسكري من قبل الملك الفرنسي، استطاع من خلاله ضرب حصار محكم على مدينة دوروزو عام (501هـ/1107م)⁽¹⁾، وهكذا انكشفت نوايا بوهمند الأساسية والجهورية التي حاول جاهداً إخفاءها عن ألكسيوس كومنين، فقد سعى بوهمند لتحقيق هدف أبيه جويسكارد، الذي فشل في تحقيقه في حملة عام (474هـ/1081م)، لذلك سعى بوهمند لتجيش الغرب اللاتيني بدعم ديني من البابوية، والتوجه للقضاء على بيزنطة، والاستيلاء على القسطنطينية، وتحقيق حلمه وحلم أبيه، لكن ألكسيوس كان في وجه بوهمند، فقد جمع قواه العسكرية والدبلوماسية لمواجهة بوهمند، ولاسيما إنه امتلك قوة بحرية ضخمة، استطاع من خلالها السيطرة والتحكم بالبحر الأدرياتيكي، كما تودد وتقرب من الجمهوريات الإيطالية، وتحالف مع البندقية، ومنحها امتيازات تجارية في القسطنطينية، مقابل الوقوف جنبه في حربه مع بوهمند، كما حاول الإمبراطور البيزنطي إثبات عدم صحة اتهامات بوهمند له، من خلال دفع فدية مالية ضخمة للخليفة الفاطمي⁽²⁾ أبو علي منصور بن أحمد (495-524هـ/1101-1130م)⁽³⁾ للإطلاق سراح عدد كبير من الصليبيين الذين وقعوا في الأسر، وأكرمهم وأوصلهم إلى بلادهم في الغرب اللاتيني، لعلهم يكشفون الستار عن اتهامات بوهمند، وتنتضح الحقيقة⁽⁴⁾، هذا يدل أن الإمبراطور مازال يفكر بطريقة سياسية بعيدة عن أي خلفية دينية. وبهذه الاستعدادات الضخمة والذكية من قبل ألكسيوس كومنين، استطاع القيام بهجوم مزدوج وعنيف على بوهمند، جعله داخل دائرة مغلقة ومحكمة من قبل البيزنطيين، فقد منع الأسطول البندقي وصول أي نوع من المدد والمعاونة للصليبيين، وقد شدد الجيش البيزنطي ضرباته وهجومه على بوهمند وجيشه، الذي عانى من نقص المؤن والمجاعة، حتى إنه انتشر وباء خطير بين صفوف جيش بوهمند، فلم يكن أمام بوهمند إلا الرضوخ لقوة ألكسيوس،

¹ - ألبرت فون أخت. (2007م): تاريخ الحملة الصليبية الأولى، من خلال الموسوعة الشامية، ج51، ص270؛ وليم الصوري. (2003م): تاريخ وليم الصوري، من خلال الموسوعة الشامية، ج45، ص718؛ سميث. (1999م): الحملة الصليبية الأولى، ص82-83.

Diehl. (1995.A.D): L'europe Orientale, p.57.

² - كومنين. (2004م): ألكسياد، ص466؛ رنسيان. (د.ت): تاريخ الحروب الصليبية، ج1، ص83.

Diehl. (1995.A.D): L'europe Orientale, p.25.

³ - أبو علي منصور بن أحمد: ولد عام (490هـ/1097م) نصبه الأفضل شاهنشاه يوم وفاة أبيه المستعلي عام (459هـ/1101م) وتلقب عند توليته بلقب الأمر بأحكام الله، وهو الخليفة الفاطمي العاشر والإمام العشرين للإسماعلية المستعلية، مات عام (524هـ/1130م). البهيجي، إيناس محمد. (د.ت): تاريخ الدولة الفاطمية، مركز الكتاب الأكاديمي، دط، ص138.

⁴ - كومنين. (2004م): ألكسياد، ص466؛ رنسيان. (د.ت): تاريخ الحروب الصليبية، ج1، ص83.

Diehl. (1995.A.D): L'europe Orientale, p.25.

والتفاوض معه لتسوية المسألة بأقل خسائر ممكنة⁽¹⁾، وبعد جلسة مطولة من النقاشات والتفاوض بين بوهمند وألكسيوس، اتفق الطرفان على تسوية مناسبة، وتوقيع معاهدة عام (502هـ/1108م)، سميت معاهدة ديفول Devol⁽²⁾، وقد تعهد بوهمند في هذه المعاهدة على قسم يمين التبعية والطاعة للإمبراطور البيزنطي ألكسيوس كومنين وولي عهده أيضاً، وتعهد بعدم معاداة الإمبراطورية البيزنطية، أو الدخول في أي مشروع عسكري مسلح ضدها، وأن يعمل لحسابها وصالحها طوال حياته، وأن يعيد إلى بيزنطة كل البلدان التي احتلتها، وخاصة أنطاكية⁽³⁾، والأهم من ذلك أكد الإمبراطور ألكسيوس كومنين على وجوب تعيين بطريرك أرثوذكسي لكنيسة أنطاكية، وهذا البطريرك يختاره الإمبراطور البيزنطي من ضمن رجال الدين البيزنطيين الأرثوذكسيين، لإن حماية المسيحيين الشرقيين مسؤولية الإمبراطور فقط، وحماية المسيحيين الشرقيين تقضي منع التعامل بالطقوس اللاتينية في كنائسها⁽⁴⁾، ولعل في هذا البند تظهر الخلفية الدينية للشقاق الكنسي في سياسة الكسيوس. ولاسيما أن الإمبراطور البيزنطي أدرك دور البابوية في خروج الحملات الصليبية نحو الشرق، فإن الانتصارات التي حققتها الحركة الصليبية في الشرق، هو نصر محتوم لكنيسة روما والبابوية، ونصر البابوية يكون في تقوية الكاثوليكية، وتعزيز مكانتها في الشرق⁽⁵⁾، كل هذا سيكون حتماً على حساب نفوذ كنيسة القسطنطينية، وسلطانها وسلطة بطريركها في المنطقة، وهذا ما لا يريده ألكسيوس والبيزنطيون، لذلك أكد على بند أن لا تتبع بطريركية أنطاكية الطقوس اللاتينية الغربية، وأن يكون بطريركها أرثوذكسياً، لأن هذا يعدّ انتصار لمكانة بطريركية القسطنطينية، ولعل هذا دليل أن للبعد الديني أثراً في التأكيد على هذا البند.

¹ - ألبرت فون أخت. (2007م): تاريخ الحملة الصليبية الأولى، من خلال الموسوعة الشامية، ج 51، ص 271؛ فيتالي. (2008م): التاريخ الكنسي، ص 306؛ كومنينا. (2004م): ألكسياد، ص 509؛ سمث. (1999م): الحملة الصليبية الأولى، ص 229.

Diehl. (1995.A.D): L'europe Orientale, p.25.

² - ألبرت فون أخت. (2007م): تاريخ الحملة الصليبية الأولى، من خلال الموسوعة الشامية، ج 51، ص 272.

Diehl. (1995.A.D): L'europe Orientale, p.25

³ - الشارتر. (1990م): تاريخ الحملة إلى القدس، ص 143؛ فيتالي. (2008م): التاريخ الكنسي، ص 306؛ كومنينا. (2004م): ألكسياد، ص 530؛ رنسيان. (د.ت): تاريخ الحروب الصليبية، ج 1، ص 85.

⁴ - كومنينا. (2004م): ألكسياد، ص 537؛ رنسيان. (د.ت): تاريخ الحروب الصليبية، ج 1، ص 85.

⁵ - عبيد. (1970م): روما وبيزنطة، ص 72.

في الواقع كانت الحركة الصليبية بمثابة العصا السحرية للبابوية، وقد حققت لها هدفاً لطالما حلمت به، وهو نشر لواء الكاثوليكية في الشرق، وتقليص نفوذ كنيسة القسطنطينية فيه، فاستطاعت السيطرة على الكنائس الشرقية في المناطق التي أسس فيها الصليبيون إماراتهم اللاتينية، وعينت بطريركاً لاتينياً كاثوليكياً في على أنطاكية بدلاً من البطريرك الأرثوذكسي، وكذلك في بيت المقدس عينت بطريركاً لاتينياً كاثوليكياً بدلاً من البطريرك الأرثوذكسي، وهذا حلم لطالما حلمت به البابوية، وبالتالي حصلت على الزعامة الدينية على الكنائس الشرقية والغربية معاً، وأبعدت كنيسة القسطنطينية عن هذه الزعامة⁽¹⁾ تكمن أهمية معاهدة ديفول في توضيح الطريقة التي يفكر بها ألكسيوس في مسألة منح الإقطاعات والأراضي ذات المواقع الاستراتيجية، فكان هدف ألكسيوس السيطرة البيزنطية على أملاك الإمبراطورية البعيدة عن القسطنطينية، بطريقة غير مباشرة عن طريق بطريرك أرثوذكسي يسيطر على الكنيسة الشرقية، ويفرض الطقوس الأرثوذكسية، بصرف النظر عن الحاكم السياسي الذي يحكم في هذه المناطق⁽²⁾، وربما كان للبعد الديني والشقاق الديني العظيم أثر في طريقة تفكير ألكسيوس، لكن بالمجمل كان يفكر بطريقة سياسية دبلوماسية بعيداً عن الحقد والكراهة.

أنهت معاهدة ديفول أحلام بوهمند في القضاء على الإمبراطورية البيزنطية وطموحاته، وعاد مهزوماً إلى إيطاليا، تاركاً وراءه جيشه الذي انسحب بشكل عشوائي، مقسماً إلى قسمين: قسم أكمل مسيره، وفضل الوصول إلى بيت المقدس، والقسم الآخر عاد مكسوراً مهزوماً إلى الغرب اللاتيني؛ وظل بوهمند في إيطاليا لم يعد إلى إمارته التي أقطعها ألكسيوس له بشروط، ومات في إيطاليا عام (505هـ/1111م)، تاركاً إمارته تحت حكم ابن أخته تانكريد، الذي تجاهل قرارات معاهدة ديفول عام (502هـ/1108م)، فمن وجهة نظره لم يعد لاتفاقية ديفول أية شرعية على الإطلاق، لأنها وقعت مع بوهمند، وبوهمند قد مات، لذلك عاد لسياسته التوسيعية على حساب الإمبراطورية البيزنطية، معلناً بهذا التصرف سياسته المعادية والكراهة للبيزنطيين، وظل عائقاً بوجه ألكسيوس، و متمسكاً بأنطاكية حتى وفاته عام (506هـ/1112م)⁽³⁾، وأخفق ألكسيوس في إعادة إنطاكية لحضيرته بوساطة القوة العسكرية، لذا

¹ - زيتون. (1980م): العلاقات السياسية والكنسية، ص 366.

² - عاشور. (1971م): الحركة الصليبية، ج 1، ص 397.

³ - ألبيرت فون أخت. (2007م): تاريخ الحملة الصليبية الأولى، من خلال الموسوعة الشامية، ج 51، ص 273-296؛ الشارتر. (1990م): تاريخ الحملة إلى القدس، ص 143؛ كومنينا. (2004م): ألكسباد، ص 547-548؛ رنسيما. (د.ت): تاريخ الحروب الصليبية، ج 1، ص 86.

التجأ إلى الحلول الدبلوماسية والتقرب من البابوية ليوضح حقيقة سياسته البعيدة عن الاتهامات السلبية التي صور بها⁽¹⁾، وقد كانت الظروف في الغرب اللاتيني لصالح ألكسيوس كومنين، وداعمة لمخططاته السياسية في الشرق، وجنوب إيطاليا على حدٍ سواء، وخاصة بعد وضوح أطماعه في جنوب إيطاليا بعد وفاة بوهمند الغرب الأوروبي، لذلك تودد وتقرب من البابا باسكال الثاني، الذي كانت ظروفه مناسبة لخلق جو من التفاهم والتقارب مع ألكسيوس كومنين، الذي استغل مسألة أسر البابا باسكال من قبل الإمبراطور الألماني⁽²⁾ هنري الخامس (Henry IV) (500-519هـ) (1106-1125م)⁽³⁾، فبدأ ألكسيوس بإرسال الكلام المعسول للبابا باسكال وللشعب اللاتيني، يؤكد لهم رفضه القاطع لاعتداءات الإمبراطور الألماني، وسياسته العدوانية ضد البابا، وأكد لهم أن قوتهم ومقاومتهم ستساعدهم في التغلب على اعتداءات الإمبراطور الألماني، كما طرح مسألة توحيد كنيسة روما وكنيسة القسطنطينية تحت سلطة البابا، مقابل تسلم الإمبراطور ألكسيوس التاج الإمبراطوري من البابا باسكال الثاني، الذي رحب بفكرة توحيد الكنائس تحت سلطانه ووافق عليها، لكن البابا كان رافضاً فكرة دمج موضوع توحيد الكنائس مع فكرة تسليم ألكسيوس البيزنطي التاج الإمبراطوري، لذلك كانت رسائله خالية كلياً من أية فكرة تخص التاج، وتمحورت فقط بفكرة زعامته على الكنائس المسيحية بعد توحيد كنيسة روما مع كنيسة القسطنطينية تحت زعامة البابوية.

في الواقع حاول ألكسيوس كومنين تجاهل رفض بطريرك القسطنطينية ورجال الدين الأرثوذكس على مسألة توحيد كنيسة روما وكنيسة القسطنطينية تحت سلطة البابا واستنكارهم، وذلك طمعاً في تحقيق أهدافه السياسية بالحصول على التاج، كما تجاهل ادعاءات البابا المتكررة، والواضح في رسائله على حرمان كنيسة القسطنطينية من استقلالها، وإخضاعها لكنيسة روما، إن مسألة الوحدة بين الكنيستين أصبحت صعبة المنال⁽⁴⁾، لكن إذا كان الإمبراطور البيزنطي قد تناسى الشقاق الديني العظيم الذي حصل عام (446هـ/1054م) بين الكنيستين من أجل

¹ - سمث. (1999م): الحملة الصليبية الأولى، ص 241؛ ماير. (1999م): تاريخ الحملات الصليبية، ص 105.

² - فيتالي. (2008م): التاريخ الكنسي، ص 134؛ رنسيان. (د.ت): تاريخ الحروب الصليبية، ج 1، ص 88.

Diehl. (1995.A.D): L'europe Orientale, pp.25-29.

³ - هنري الخامس: هو كونراد ابن هنري الرابع، تمرد على أبيه عام (436هـ/1044م) واستطاع أن يستولي على العرش عام (500هـ/1106م) وظل في الحكم تسعة عشر عاماً، دخل في نزاع مع البابا باسكال الثاني، وقام باعتقاله بعدما حاصر مدينة روما عام (441هـ/1049م). فيتالي. (2008م): التاريخ الكنسي، ص 134.

⁴ - عبيد. (1970م): روما وبيزنطة، ص 152-153.

مصالحه، فإن رجال الدين الأرثوذكس لم ينسوا، ورفضوا فكرة توحيد الكنائس وعارضوها، فكيف لهم أن يؤيدوا الفكرة، ومازالت كنيسة روما تنعت كنيسة القسطنطينية والمسيحيين الشرقيين بالهرطقة والانحراف عن العقيدة المسيحية الصحيحة؟ وكيف لها أن تدعم هذه الفكرة وكنيسة روما هي التي ساندت وأيدت، وبشرت لحملة بوهمند عام (501هـ/1107م)، للقضاء على القسطنطينية؟ فكان رفض بطريركية القسطنطينية لفكرة توحيد الكنائس مدفوعة بخلفية دينية للشقاق الكنسي عام (446هـ/1054م). ويتبين مما سلف أن موضوع وحدة الكنائس، من المواضيع التي تحمل الكثير من الصعوبة في تسويتها، ولاسيما وإن كلاً من الطرفين يحمل الكره للآخر، وكل طرف ينعت الآخر بأبشع الأوصاف. ولا يغيب عن البال الأثر السلبي الذي تركته الحركة الصليبية في نفوس البيزنطيين، بسبب عدوان اللاتين وكرههم الواضح للبيزنطيين، وعدم التزامهم بوعودهم للإمبراطور البيزنطي، بإعادة الأراضي التي يتم الاستيلاء عليها، وتعيين بطريرك لاتيني على الكنائس الشرقية، وإجبارهم على التعامل بالطقوس اللاتينية، وكل ما سلف، أثر بشكل سلبي على قبول البيزنطيين فكرة الوحدة بين الكنيستين، بالإضافة إلى أن الحركة الصليبية قد أثرت على قضية الوحدة بين الكنائس، بالإضافة إلى سعي الإمبراطور البيزنطي ألكسيوس كومنين إلى فرض سلطته السياسية على الغرب اللاتيني، من خلال تسلم التاج الإمبراطوري من البابوية، وسعي البابا باسكال الثاني من جهة أخرى للسيطرة على الزعامة الدينية على كنائس العالم المسيحي، فأصبح تباين ما بين أهداف الطرفين اللذين يتفاوضان على فكرة الوحدة، لتحقيق كل طرف منهما أطماعه الخاصة⁽¹⁾، أيقن ألكسيوس كومنين أن خطته في التودد والتقرب من البابوية لتحقيق أطماعه السياسية في الغرب اللاتيني قد أخفقت، حتى ولو طرح أحب المواضيع على مسامع البابوية وهي وحدة الكنائس تحت سلطتها، مقابل تحقيق أطماعه، كما أثبتت الحركة الصليبية لألكسيوس، كره اللاتين للبيزنطيين، ونواياهم في القضاء على القسطنطينية، والتي لولا ذكاء ألكسيوس وحكته ودفاعه عنها لكانت قد دُمِرت على يد اللاتين منذ بداية الحملة الصليبية الأولى⁽²⁾. وهكذا كان واضحاً أثر الشقاق الكنسي في تصرفات اللاتين في أثناء الحملة الصليبية الأولى، بينما كان الإمبراطور البيزنطي يفكر بطريقة سياسية بعيدة بعض الشيء عن الخلفية الدينية، بالإضافة إلى التوتر الحاد، والنزاعات المسلحة بين اللاتين الكاثوليك

¹ - زيتون. (1980م): العلاقات السياسية والكنسية، ص 385.

² - عبيد. (1970م): روما وبيزنطة، ص 153.

والإغريق الأرثوذكس، التي نتجت عن مسألة أنطاكية. فكل ما سلف انعكس بشكل سلبي على العلاقات الكنسية بين الطرفين، الذي كان له تأثير على طبيعة العلاقات السياسية والعسكرية بين الصليبيين والبيزنطيين في الأحداث التالية.

ظلت مشكلة أنطاكية الشغل الشاغل للإمبراطور البيزنطي ألكسيوس كومنين ومن جاء بعده من الأباطرة، الذين حاولوا إعادة حقوقهم فيها، سواء بالقوة أو من خلال علاقات المصاهرة السياسية التي جمعتهم مع الصليبيين، وهذا ما سيتم توضيحه لاحقاً، ويتبين مما سلف أثر الشقاق الديني العظيم على التصرفات العدوانية التي قام بها الصليبيون سواء كان في الحملة الشعبية أو في تصرفات جيوش الأمراء فقد كان الكره والحقد الديني الذي ولده أثر الشقاق الديني العظيم واضحاً في قتل وسلب ونهب أي مدينة بيزنطية يصلون لها، ولاسيما نهب القصدير عن الكنائس، بينما كانت سياسة الإمبراطور ألكسيوس كومنين مع الصليبيين بعيدة عن أثر الشقاق الديني العظيم، وجوهرها فقط التودد للصليبيين ليستغل حملتهم في تحقيق مصالح الإمبراطورية البيزنطية، كما سعى جاهداً لحماية عاصمته من شرهم وعدوانهم، وقد ظهر أثر الشقاق الديني في تصرف ألكسيوس كومنين، عندما أنتابه الشك والريبة من نوايا وأهداف اللاتين، فهو يدرك تماماً كره اللاتين للبيزنطيين بسبب الشقاق الديني العظيم، كما توضح أثر الشقاق الديني العظيم في سياسة بوهمند المعادية لنفوذ الإمبراطورية البيزنطية وكنيستها في إمارة أنطاكية، وسياسة تانكريد المشابهة لسياسة بوهمند والذي يكن الكره المضاعف للبيزنطيين، التي أدت لانتهاة فترة التعاون بين الصليبيين والبيزنطيين أمام أنطاكية مع ظهور أثر البعد الديني والشقاق ما بين كنيسة روما وكنيسة القسطنطينية بشكل واضح في كل تصرف من الجانب الصليبي ليؤكد على الحقد والكره للبيزنطيين - المهرطقين في نظرهم -، بينما كان الإمبراطور البيزنطي يتعامل مع الصليبيين بشكل سياسي ودبلوماسي ليحقق مصالحه ويحمي عاصمته من تخريبهم وحقدهم وأكبر دليل على حقد وكره اللاتين لبيزنطة وشعبها الحملة التي بشر بها بوهمند، التي كان للشقاق الديني أثر كبير في خروجها من الغرب اللاتيني إلى القسطنطينية، التي دعمتها وباركتها البابوية وكنيسة روما.

الفصل الثالث

أثر الخلاف الكنسي على العلاقات السياسية والعسكرية بين بيزنطة والصليبيين خلال الحملة الصليبية الثانية

(542-544هـ/1147-1149م)

- 1- علاقة بيزنطة مع الإمارات اللاتينية الصليبية في الشرق قبيل الحملة الصليبية الثانية بين عامي (512-539هـ/1118-1145م) وأثر الخلاف الكنسي عليها
- 2- علاقة بيزنطة مع البابوية قبيل الحملة الصليبية الثانية وأثر الخلاف الكنسي عليها
- 3- التقارب البيزنطي الألماني قبيل الحملة الصليبية الثانية وأثر الخلاف الكنسي فيه
- 4- موقف بيزنطة من الحملة الصليبية الثانية ومشاركة الإمبراطور الألماني كونراد الثالث فيها
- 5- أثر الخلاف الكنسي على علاقة الإمبراطور البيزنطي مانويل كومنين والإمبراطور الألماني كونراد الثالث في أثناء عبوره الأراضي البيزنطية
- 6- أثر الخلاف الكنسي على علاقة الإمبراطور البيزنطي مانويل كومنين والملك الفرنسي لويس السابع في أثناء عبوره الأراضي البيزنطية
- 7- إخفاق الحملة الصليبية الثانية وأثر الخلاف الكنسي في ردود أفعال الغرب اللاتيني الكاثوليكي على هذا الإخفاق

1- علاقة بيزنطة مع الإمارات اللاتينية الصليبية في الشرق قبل الحملة الصليبية الثانية بين عامي(512-539هـ/1118-1145م) وأثر الخلاف الكنسي عليها

فرض الوجود السياسي والعسكري والديني للإمارات الصليبية بالشرق على البيزنطيين قيام نوع من العلاقات مع الإمبراطورية البيزنطية التي وجهت اهتمامها الكامل لإمارة أنطاكية، بهدف إعادتها لسلطة الإمبراطورية البيزنطية، ولأسيما أن أنطاكية كانت تعدّ ذات أهمية دينية وسياسية كبيرة بالنسبة لإمبراطورية البيزنطية، لذلك سعى ألكسيوس كومنين لبسط سيطرة بيزنطة على إمارة أنطاكية، وانتزاعها من الصليبيين اللاتين، والحدّ من انتشار نفوذ كنيسة روما والكاثوليك فيها من خلال القوة حيناً، والدبلوماسية حيناً آخر، لكنه مات قبل أن يحقق غايته، وقد أكمل سعي ألكسيوس كومنين ابنه⁽¹⁾ يوحنا كومنين Iohann comnenus (512-538هـ/1118-1143م)⁽²⁾ في التقرب من إمارة أنطاكية، عن طريق مشروع مصاهرة سياسية مع أميرات أنطاكية اللاتينيات⁽³⁾، فقد وضع لنفسه خطة لإعادة أنطاكية وغيرها من الأراضي التي استحوذ عليها الصليبيون من الإمبراطورية البيزنطية، ففي عام (513هـ/1119م) أرسل وفداً بيزنطياً إلى حاكم أنطاكية⁽⁴⁾ روجر Rojer (506-513هـ/1112-1119م)⁽⁵⁾، ليعرض عليه مشروع مصاهرة يجمع ابنة روجر وأحد أمراء الأسرة الحاكمة في القسطنطينية⁽⁶⁾، لكن روجر كان قد

¹ - زيتون.(1970م): العلاقات السياسية والكنسية، ص367؛ عمران، محمود سعيد.(1985م): السياسة الشرقية للإمبراطورية البيزنطية في عهد مانويل كومنين 1143-1180م، مؤسسة المعارف، د.ط، ص73.

² - يوحنا كومنين: هو الابن الأكبر للإمبراطور ألكسيوس كومنين، ولد عام(480هـ/1087م)، واعتلى عرش الإمبراطورية عام(512هـ/1118م)، حاول جاهداً إرجاع بعض المناطق التي فقدتها الإمبراطورية البيزنطية منذ زمن بعيد، مات عام (538هـ/1143م). عوض، مؤنس.(2007م): الإمبراطورية البيزنطية دراسة تاريخية في الأسرة الحاكمة، عين للدراسات والبحوث، ط1، ص32.

³ - ابن القلانسي.(1983م): تاريخ دمشق، ص201.

⁴ - زيتون.(1970م): العلاقات السياسية والكنسية، ص190؛ عمران.(2002م): بيزنطة وحضارتها، ص282.

Bucossi and Suarez (A.A).(2016.A.D): John II Komnenos Empire Of Byzantium In The Shadow Of Father And Son، pouteldge، N.E،، p.46. lilie(R.j).(1993.A.D): Byzantium And The Crusader State 1096-1204، trans morhis، oxford، N.E، 1993، p.96.

⁵ - روجر: عرف بالأنطاكي، وتسلم ولاية أنطاكية بعد تانكريد كوصي عن بوهمند الثاني ابن بوهمند الأول سنة (506هـ/1112م)، وقام بعلاقات مصاهرة مع مملكة بيت المقدس وإمارة الرها، وكُنّ له المسلمون كرهاً كبيراً، ومات عام(513هـ/1112م) في معركة ساحة الدم وأسر الوفد البيزنطي المرافق له. ابن القلانسي.(1983م): تاريخ دمشق، ص320؛ ابن منقذ، أسامة بن مرشد الكناني الشيرازي ت1188/584م.(د.ت) الاعتبار، تح: فليب حتى، مكتبة الثقافة الدينية، د.ط، ص118؛ ابن العديم.(1997م): زبدة الحلب، ج1، ص319-392؛ وليم الصوري.(2003م): تاريخ وليم الصوري، من خلال الموسوعة الشامية، ج46، ص800.

⁶ - زيتون.(1970م): العلاقات السياسية والكنسية، ص190؛ عمران.(1985م): السياسة الشرقية، ص73.

تأهب لقتال المسلمين، وقد شاركه في هذا القتال الموفد البيزنطي، وكانت نهاية المعركة مأساوية بالنسبة للصليبيين، فقد مات روجر عام (513هـ/1119م)، وكان مصير الوفد البيزنطي الأسر من قبل المسلمين⁽¹⁾، ولكن بعد إطلاق سراح الموفود البيزنطي، ذهب إلى أنطاكية لإتمام مهمة مشروع المصاهرة، لكن ظروف أنطاكية السياسية بعد مقتل روجر حالت دون إتمام هذه المهمة، فقد تحولت ولاية أنطاكية إلى وصاية ملك بيت المقدس⁽²⁾ بلدوين الثاني Baldwin II (512-526هـ/1118-1131م)⁽³⁾ وهذا بدوره عمل على إبعاد البيزنطيين عن أنطاكية، وحاول إقامة علاقة مصاهرة مع الأمير الأنطاكي الجديد⁽⁴⁾ بوهمند الثاني Buhemond II (520-525هـ/1126-1130)⁽⁵⁾، لعل ذلك عائد إلى أثر البعد الديني، فإنه يريد إبعاد البيزنطيين عن أنطاكية ويقف امام فكرة التصاهر. وهنا غير يوحنا كومنين خطته، وسعى للتودد من مملكة بيت المقدس، فعرض عليه مشروع مصاهرة يجمع أحد بناته مع أحد أمراء الأسرة الحاكمة في القسطنطينية، ولكن تراجع الإمبراطور يوحنا عن هذا الطلب، بسبب رغبته الشديدة في التقرب من أنطاكية وزواجه من ابنة روجر الأنطاكي⁽⁶⁾، وهنا يظهر أثر الخلاف الكنسي في سياسة يوحنا كومنين حيال أنطاكية، فلا يستطيع أحد إخفاء الانتصار الذي حققته البابوية في أنطاكية، وهو نشر الكاثوليكية وتعزيزها في أنطاكية، مما يهون على البابوية الطريق للسيطرة على الكنيسة المسيحية الأولى في أنطاكية، بالتالي

¹ - ابن القلانسي. (1983م): تاريخ دمشق، ص 201-203؛ ابن منقذ. (د.ت): الاعتبار، ص 119؛ ابن اثير. (1997م): الكامل، ج 10، ص 555-557؛ ابن العديم. (1997م): زبدة الحلب، ج 2، ص 193.

² - ابن القلانسي. (1983م): تاريخ دمشق، ص 223؛ زيتون. (1970م): العلاقات السياسية والكنسية، ص 190؛ عمران. (1985م): السياسة الشرقية، ص 73.

³ - بلدوين الثاني: هو ثالث ملوك مملكة بيت المقدس، أصبح ملكاً على بيت المقدس بعد وفاة ابن عمه بلدوين الأول عام (512هـ/1118م)، وكان قبلها أميراً على الرها، وأهم أعمال بلدوين الثاني هو تأسيس منظمة فرسان الداوية، مات عام (526هـ/1131م)، بعد أن أمضى بالسلطة ثلاثة عشر عاماً. وليم الصوري. (2003م): تاريخ وليم الصوري، من خلال الموسوعة الشامية، ج 46، ص 875؛ زكار، جوني، إسماعيل. (2011م): حروب الفرنجة، ص 172-175.

⁴ - وليم الصوري. (2003م): تاريخ وليم الصوري، من خلال الموسوعة الشامية، ج 46، ص 867؛ عبيد. (1970م): روما وبيزنطة، ص 157؛ عمران. (1985م): السياسة الشرقية، ص 173.

⁵ - بوهمند الثاني: توفي والده وهو صغير في العمر، فعاش عند أمه في إيطاليا، حتى بلغ الثامنة عشرة من عمره، بعدها توجه إلى أنطاكية، وتسلم حكمها عام (520هـ/1126م)، شكل وجوده نقمة على المسلمين، حيث حقق انتصارات متتالية عليهم، مات عام (525هـ/1130م) في معركة على يد المسلمين بعد أن حكم ثلاث سنوات وثلاثة أشهر. ابن منقذ. (د.ت): الاعتبار، ص 131؛ رنسيما. (د.ت): تاريخ الحروب الصليبية، ج 2، ص 239؛ زكار، جوني، إسماعيل. (2011م): حروب الفرنجة، ص 160-162.

⁶ - عمران. (1985م): السياسة الشرقية، ص 74.

تقليص مكانة كنيسة القسطنطينية ووجودها، ومن الطبيعي أن يسعى يوحنا كومنين للتقرب والتودد والتصاهر مع النورمان في أنطاكية ليتمكن من إعادة أنطاكية لحضيرته، واستعادة المكانة الدينية لبطيركية القسطنطينية وسيادتها في أنطاكية، لكن مصاهرته لبلدوين لم تحقق له ذلك. وقد حاول بلدوين الثاني إجهاض أي مشروع دبلوماسي سياسي يقوم به يوحنا للتقرب من أنطاكية، ومما لا شك فيه أن الأثر الديني أثر في ذلك، لأن بلدوين كان مدركاً تماماً غاية يوحنا كومنين وسياسته. لذا سارع بلدوين الثاني لتزويج ابنته أليس Alice من بوهمند الثاني⁽¹⁾، لكن سرعان ما انتهى حكم بوهمند الثاني بسبب موته في أثناء قتاله مع المسلمين عام (525/1130م)، تاركاً عرش أنطاكية عرضة للصراع بين زوجته الطموحة وابنته الصغيرة كونستانس Constance، ليقف بلدوين الثاني في وجه طموحات أليس التي لم تتوقف حتى بعد موت أبيها عام (526/1131م)، لتدخل في صراع أكثر عنفاً مع ملك بيت المقدس الجديد⁽²⁾ فولك أف أنجوي fulk of Angou (526-538/1131-1144م)⁽³⁾، الذي سعى لتزويج وريثة عرش أنطاكية إلى⁽⁴⁾ ريموند أوف بواتيه Remond of Boateh⁽⁵⁾، عندها وقفت أليس في وجه فولك، ليحتدم النزاع بينهما ولاسيما بعد مراسلة أليس للإمبراطور البيزنطي يوحنا كومنين، وعرضت عليه مشروع مصاهرة يجمع ابنتها كونستانس مع ابن يوحنا كومنين وكان هذا الطلب مرحباً به من قبل يوحنا⁽⁶⁾، لكن هذا المشروع لم يتم بسبب وصول ريموند إلى أنطاكية، واحتشاد رجال الدين الكاثوليك، وبطيرك أنطاكية حوله، مؤيدين

¹ - رنسيما. (د.ت): تاريخ الحروب الصليبية، ج2، ص281؛ عبيد. (1970م): روما وبيزنطة، ص157.

² - ابن القلانسي. (1983م): تاريخ دمشق، ص234؛ وليم الصوري. (2003م): تاريخ وليم الصوري، من خلال الموسوعة الشامية، ج46، ص880. Setton. (1969.A.D): **A History Of The Crusades**, vol II, p.137.

³ - فولك أف أنجوي: ينتمي لأسرة عريقة من أسر فرنسا، كان مقرباً من ملك فرنسا لويس السابع، الذي أرسله إلى الشرق ليصاهر بلدوين الثاني، ويستلم حكم مملكة بيت المقدس، لأن بلدوين ليس لديه ولد ذكر ليرث السلطة، وصل فولك إلى القدس عام (520/1126م)، وتزوج ميسلندا ابنة بلدوين الثاني، وتسلم الحكم عام (526/1131م)، ومات عام (538/1144م) بعد سقوطه عن جواده. زكار، جوني، إسماعيل. (2011م): **حروب الفرنجة**، ص175-176.

⁴ - عمران. (1985م): السياسة الشرقية، ص74.

⁵ - ريموند أوف بواتيه: هو من أعرق العائلات في أوروبا، وهو الأبْن الأصغر لوليم التاسع دوق أكوئين، وكان يقيم في بلاط الملك هنري الثاني. رنسيما. (د.ت): تاريخ الحروب الصليبية، ج2، ص317.

Phillips (j). (2010.A.D): **The Second Crusade**, London, 2010, p.32.

⁶ - كيناموس. (1997م): **أعمال يوحنا ومانويل كومنينوس**، من خلال الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية في، تأليف وتحقيق وترجمة سهيل زكار، دمشق، د.ط، 1997م، ج28، ص35.

زواجه من كونستانس، مستنكرين وبشدة زواجها من البيزنطيين؛ بعد هذه الأحداث هربت أليس إلى اللاذقية⁽¹⁾، وكان واضحاً أثر الخلاف الديني في تأييد بطريرك أنطاكية اللاتيني لزواج ريموند من كونستانس، ورفضه مشروع المصاهرة مع الإمبراطورية البيزنطية، لأنه لو تمت المصاهرة مع يوحنا كومنين فإنه أول عمل يقوم فيه هو تعيين بطريرك أرثوذكسي بدل البطريرك الكاثوليكي، واللاتين لن يتنازلوا عن النصر الديني الذي حققوه في أنطاكية، فمن الطبيعي دعم البطريرك اللاتيني زواج ريموند من كونستانس. وكانت ردة فعل يوحنا كومنين حادة، وأخذ يتأهب لفرض سيطرة إمبراطوريته على أنطاكية بالقوة، مسوغاً غضبه الزائد بأن زواج ريموند وكونستانس هو استنكار لسيادته في أنطاكية، ومما شجع يوحنا على اللجوء إلى القوة مع أنطاكية هو هجوم⁽²⁾ عماد الدين الزنكي (521-541هـ/1127-1146م)⁽³⁾ المتكرر للإمارات الصليبية، التي عانت من التمزق والخلافات فيما بينها، ونجح في إحداث عدة انتصارات على الصليبيين في اللاذقية، وأسر عدد وكبير منهم⁽⁴⁾، كل ما سلف منح الإمبراطور البيزنطي يوحنا كومنين الفرصة لحصار مدينة أنطاكية دون عناء يذكر، ولاسيما بعد تعاون ريموند مع فولك، وخروجه من أنطاكية على الرغم من علمه بحملة يوحنا لمساعدة فولك الأنجوي لصد هجوم عماد الدين الزنكي،

¹ - وليم الصوري. (2003م): تاريخ وليم الصوري، من خلال الموسوعة الشامية، ج46، ص898؛ رنسيما. (د.ت): تاريخ الحروب الصليبية، ج2، ص316-317؛ زيتون. (1970م): العلاقات السياسية والكنسية، ص192.

Lilie. (1993.A.D): **Byzantium and the crusader**, p.101.

² - وليم الصوري. (2003م): تاريخ وليم الصوري، من خلال الموسوعة الشامية، ج46، ص928؛ زيتون. (1970م): العلاقات السياسية والكنسية، ص193؛ عبيد. (1970م): روما وبيزنطة، ص158؛ عمران. (1985م): السياسة الشرقية، ص75.

³ - عماد الدين الزنكي: هو الزنكي بن قسيم الدولة آق سنقر، يعد مؤسس الدولة الزنكية، كونه أول حكامها، تسلم حكم الموصل وأنحاء بلاد الجزيرة العربية عام (521هـ/1127م)، ولما ازداد خطر الصليبيين في بلاد الشام والعراق، قرر مواجهتهم والقضاء على وجودهم، استطاع تحرير إمارة الرها من الصليبيين عام (539هـ/1144م) وبذلك قضى على أول أمارة صليبية، قتل عام (541هـ/1146م) وهو يحاصر قلعة جعبر. ابن القلانسي. (1983م): تاريخ دمشق، ص279-280؛ ابن الاثير. (1997م): الكامل، ج11، ص98-100؛ ابن الاثير، أبو الحسن علي بن ابي الكرم عز الدين ابن الاثير ت 630هـ/1232م. (1963م): التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية بالموصل، دار الكتب الحادثة، د.ط، ص59-76؛ ابن قاضي شهبة، أبو بكر بن أحمد بن محمد بن عمر ت 851هـ/1448م. (1971م): الكواكب الدرية في السيرة النورية، دار الكتاب الجديد، د.ط، ص93-99.

⁴ - ابن الاثير. (1997م): الكامل، ج11، ص50-53.

الذي فرض حصاراً محكماً عند⁽¹⁾ قلعة بعين⁽²⁾، وخروج ريموند لمساعدة فولك على الرغم من علمه بقدوم يوحنا ربما أنه عائد إلى سياسة ريموند في مساعدة فولك، بالمقابل فولك يساعد ريموند ضد الإمبراطورية البيزنطية.

ولكن سرعان ما تم التفاوض بين الصليبيين وعماد الدين الزنكي وسلموه الحصن، بسبب غضب الصليبيين على حصار أنطاكية⁽³⁾، ولكن ريموند لم يقدّم بأي عمل عسكري لمواجهة يوحنا، بل التجأ إلى التفاوض معه وقدم له يمين الطاعة، كما منح ريموند، عهداً كبيراً ليوحنا، منها سيطرة الإمبراطورية البيزنطية على أنطاكية وقلعتها، والموافقة على شرط يوحنا وهو تعيين بطريرك بيزنطي في أنطاكية بدلاً من اللاتيني الذي عينه الصليبيون على كنيسة أنطاكية؛ وكان وعد يوحنا مقابل تنفيذ هذا الشرط تقديم كل الدعم والمساعدة لريموند، لمواجهة أعدائه المسلمين، ووفقاً لهذا الاتفاق أصدر ريموند أوامره برفع أعلام بيزنطة فوق أبراج قلعة أنطاكية⁽⁴⁾،

وهنا تجلّى أثر البعد الديني واضحاً في طلب يوحنا بمتصيب بطريرك بيزنطي في أنطاكية بدلاً من البطريرك اللاتيني، وكيف لا وبيزنطة تدرك أن بقاء البطريرك اللاتيني يقوي مخطط فرض السيادة الكاثوليكية، ويؤكد انتصار البابوية في الزعامة الدينية، وبالتالي هذه خسارة كبيرة لبطريركية القسطنطينية.

وبذلك حقق يوحنا انتصاراً في أنطاكية كثيراً ما حلم به هو ووالده ألكسيوس كومنين، لكن هذا الانتصار كان مؤقتاً، لأنه عندما جاء وقت تطبيق ما تم الاتفاق عليه بين ريموند ويوحنا الذي توجه عام (531هـ/1137م) لمساعدة ريموند في الاستيلاء على حلب⁽⁵⁾ وشيراز⁽⁶⁾، والتي قام بحصارها مرتين، لكن في المرة الثانية فك يوحنا

¹ - كيناموس. (1997م): أعمال يوحنا ومانويل كومنينوس، من خلال الموسوعة الشامية، ج28، ص37، وليم الصوري. (2003م): تاريخ وليم الصوري، من خلال الموسوعة الشامية، ج46، ص938، عمران. (1985م): السياسة الشرقية، ص76.

² - قلعة بعين: عرفت عند المسلمين باسم بارين وهي تقع غرب مدينة حماة على الطريق الواصل بين حلب وحماة. الحموي. (1995م): معجم البلدان، ج1، ص672.

³ - ابن العديم. (1997م): زبدة الحلب، ج2، ص260-263، رنسيان. (د.ت): تاريخ الحروب الصليبية، ج2، ص341، عبيد. (1970م): روما وبيزنطة، ص159.

⁴ - ابن القلانسي. (1983م): تاريخ دمشق، ص258، كيناموس. (1997م): أعمال يوحنا ومانويل كومنينوس، من خلال الموسوعة الشامية، ج28، ص38، وليم الصوري. (2003م): تاريخ وليم الصوري، من خلال الموسوعة الشامية، ج46، ص941.

Choniates (Niketas). (1984.A.D): O City Of Byzantium Annals، trans harry magoulas، Detroit، 1984، p.22.

⁵ - وليم الصوري. (2003م): تاريخ وليم الصوري، من خلال الموسوعة الشامية، ج46، ص942، عمران. (1985م): السياسة الشرقية، ص77.

⁶ - شيراز: تقع على نهر العاصي الذي يمر بمحاذاة أنطاكية، ويدعوها البعض باسم قيسارية. وهي مدينة إسلامية، بناها محمد بن القسم بن أبي عقيل ابن عم الحجاج، وسميت بشيراز تشبيهاً لها بجوف الأسد، تميزت بمناخها المعتدل، وكثرة جبالها. بن حوقل، محمد البغدادي الموصل، أبو القاسم ت 367هـ/ 977م. (1938م): صورة الأرض، دار صادر، أفسس لين، بيروت، ج2، ص280، المقدسي، أبو عبد الله محمد بن أحمد =

كومنين الحصار، وانسحب نحو أنطاكية، وجر على نفسه غضب وكره اللاتين⁽¹⁾، لكن ما سبب فك يوحنا حصاره لشيراز، ونقضه للاتفاق المبرم مع ريموند؟ وإلى أي مدى أثر الشقاق الكنسي بهذا الانسحاب؟ أبعد تفسير ابن الأثير احتمال وجود أي أثر للشقاق الديني في موقف يوحنا كومنين، عندما أكد على خوف يوحنا من الدعم الذي سيقدمه عماد الدين الزنكي وحملته الضخمة لشيراز⁽²⁾، ولا سيما بعد معرفة يوحنا كومنين وريموند بالتجهيزات الضخمة التي يجهزها عماد الدين الزنكي لمواجهة الصليبيين⁽³⁾؛ وقد قدم وليم الصوري تفسيراً ينفي خيانة يوحنا لاتفاقية مع ريموند، ولا سيما أنه أثبت على شجاعة يوحنا كومنين، وغضبه الشديد من إهمال الصليبيين لواجبهم العسكري في أثناء الحصار، موجهين كل اهتمامهم للعب الميسر، الذي نهاهم عنه يوحنا مرات عدة⁽⁴⁾، والإهمال الذي تصرف به الصليبيون في أثناء حصار شيراز، أوحى ليوحنا عن خطة ريموند ببقاء الصليبيين غارقين باللهو بينما النصر يحوزه الجنود البيزنطيون⁽⁵⁾، بناءً على خطة ريموند غير يوحنا سياسته مع الصليبيين، وفاوض المسلمين على تسلمه المال منهم مقابل فك الحصار عن مدينة شيراز⁽⁶⁾، ولعل انسحاب يوحنا كومنين عائداً أيضاً إلى أثر الخلاف الديني على سياسة يوحنا في السعي لعدم نجاح الصليبيين في تأسيس أمارات ومواقع صليبية جديدة لهم في الشرق؛ لأن كل نجاح يحوزه الصليبيون يعزز الوجود الكاثوليكي في الشرق على حساب نفوذ كنيسة القسطنطينية. فتوجه بعد انسحابه إلى أنطاكية، ودخلها وفقاً لاتفاق عام (1137/531م) في احتفال مهيب، ولاسيما وكان أول المستقبليين لموكب يوحنا كومنين رجال الدين البيزنطيين، الذين ترقبوا هذه الفرصة بفارغ الصبر، وكان الإمبراطور البيزنطي كريماً جداً على الأهالي والمحتاجين، فقد وزع الكثير من الهبات والأموال، وبعدها وجه

=البشاري ت 482/1090م. (1991م): أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، دار صادر، بيروت، ط3، ج1، ص423؛ وليم الصوري. (2003م): تاريخ وليم الصوري، من خلال الموسوعة الشامية، ج46، ص1062.

¹ - ابن منقذ. (د.ت.): الاعتبار، ص193؛ ابن العديم. (1997م): زبدة الحلب، ج2، ص267؛ وليم الصوري. (2003م): تاريخ وليم الصوري، من خلال الموسوعة الشامية، ج46، ص944؛ رنسيما. (د.ت.): تاريخ الحروب الصليبية، ج2، ص344-345.

² - ابن الأثير. (1963م): الباهر، ص56.

³ - ابن العديم. (1997م): زبدة الحلب، ج2، ص268.

⁴ - وليم الصوري. (2003م): تاريخ وليم الصوري، من خلال الموسوعة الشامية، ج46، ص944.

⁵ - كيناموس. (1997م): أعمال يوحنا ومانويل كومنينوس، من خلال الموسوعة الشامية، ج28، ص39؛ عمران. (1985م): السياسة الشرقية، ص79.

⁶ - وليم الصوري. (2003م): تاريخ وليم الصوري، من خلال الموسوعة الشامية، ج46، ص945؛ رنسيما. (د.ت.): تاريخ الحروب الصليبية، ج2، ص347.

جل اهتمامه لمقابلة ريموند⁽¹⁾ وجوسلين الثاني Joslin II (526-539هـ/1131-1144م)⁽²⁾، ليتفاوض معهم على الطريقة سيتسلم منهم فيها أنطاكية وقلعتها؛ وقد انتهت المفاوضات ببقاء ريموند محجوراً عند الإمبراطور البيزنطي، ريثما يتشاور جوسلين مع الأمراء الصليبيين في مطالب يوحنا كومنين⁽³⁾، ربما يعود احتجاج الإمبراطور البيزنطي لريموند لأثر الخلاف الديني على عدم الثقة المتبادلة ما بين البيزنطيين والصليبيين.

لكن جوسلين الثاني رسم خطة لنفسه للتخلص من يوحنا كومنين وطلباته، من خلال تحريض الأهالي للقيام بثورة ضد الوجود البيزنطي في أنطاكية، وعمت الفوضى في أرجاء أنطاكية، وساد استنكار شعبي حاد للوجود البيزنطي، ولم يكن أمام يوحنا إلا التراجع عن طلباته، مفضلاً العودة إلى القسطنطينية بسلام، بالتالي لم يحقق يوحنا أي انتصار يذكر في أنطاكية، وكان انتصاره حبراً على ورق، لكن على أرض الواقع بقيت أنطاكية خاضعة للصليبيين⁽⁴⁾، لم يتخل يوحنا عن حلمه وحلم والده في إخضاع أنطاكية لسلطة الإمبراطورية البيزنطية، وانتظر الفرصة المناسبة ليدخل أنطاكية مجدداً، وتسنى له ذلك بعد تهديدات عماد الدين الزنكي للوجود الصليبي في أنطاكية وبيت المقدس، من خلال موجة الانتصارات التي حققها على صليبي أنطاكية وبيت المقدس عام (536هـ/1142م)⁽⁵⁾، لذلك وفي العام نفسه جهز يوحنا كومنين حملة، وتوجه بها نحو أنطاكية لإخضاعها للسيطرة

1 - وليم الصوري. (2003م): تاريخ وليم الصوري، من خلال الموسوعة الشامية، ج46، ص946؛ عمران. (1985م): السياسة الشرقية، ص80-81.

2 - جوسلين الثاني: هو من الأمراء الفرنج الذين ولدوا في الشرق، كانت أمه أرمنية وهي أخت ليون الأرمني، تسلم الحكم بعد والده عام (526هـ/1131م)، لم يكن ذا كفاءة حربية عالية، وفي عهده استرد عماد الدين الزنكي إمارة الرها إلى سيطرة المسلمين عام (539هـ/1144م). زكار، جوني، إسماعيل. (2011م): حروب الفرنجة، ص103.

3 - وليم الصوري. (2003م): تاريخ وليم الصوري، من خلال الموسوعة الشامية، ج46، ص946؛ عمران. (1985م): السياسة الشرقية، ص80-81.

4 - وليم الصوري. (2003م): تاريخ وليم الصوري، من خلال الموسوعة الشامية، ج46، ص948؛ رنسيما. (د.ت): تاريخ الحروب الصليبية، ج2، ص349؛ زيتون. (1970م): العلاقات السياسية والكنسية، ص197؛ عبيد. (1970م): روما وبيزنطة، ص162؛ عمران. (1985م): السياسة الشرقية، ص81.

5 - ابن العديم. (1997م): زبدة الحلب، ج2، ص276-277؛ كيناموس. (1997م): أعمال يوحنا ومانويل كومنينوس، من خلال الموسوعة الشامية، ج28، ص40.

طبيعة العلاقات السياسية والعسكرية ما بين البيزنطيين والصليبيين، ولعل ردة فعل يوحنا كومنين بسبب وقوف رجال الدين اللاتين عائقاً أمام تنفيذ مخططاته بأخذ أنطاكية.

لكن رد البابا أنوسنت الثاني (Innocentius II) (542-583هـ/1130-1143م)⁽¹⁾ على ذلك، بإعلانه تحذيراً رسمياً وصريحاً لكل الجنود اللاتين الذين يخدمون ضمن الجيش البيزنطي بترك هذه الخدمة بحال قام يوحنا بالاعتداء على الصليبيين وإماراتهم الموجودة في الشرق⁽²⁾، وهذا المرسوم الذي أصدره البابا عائد إلى الخلفية الدينية وأثرها على علاقة الصليبيين اللاتين بالبيزنطيين. في الحقيقة مرسوم البابا يعكس الهاجس الذي تعاني منه البابوية من مسألة أي نجاح أو تقدم تحرزه الإمبراطورية البيزنطية في أنطاكية، لأن هذا النجاح السياسي سيتبعه حتماً نجاح ديني، وتعيين رجال دين بيزنطيين في أية منطقة يسيطرون عليها، وهذا ما لا تحبذه البابوية وتسعى جاهدة لمنعه⁽³⁾، بعد إخفاق محاولات يوحنا المتكررة في السيطرة على أنطاكية، قرر التقرب من فولك الأنجوي ملك بيت المقدس، فراسله ليعلمه بنيته التوجه مع جيشه نحو بيت المقدس لتقديم المدد لفولك ضد أعدائه المسلمين، لكن فولك رفض أي مدد أو مساعدة يقدمها يوحنا كومنين، كما عارض مسألة تواجد يوحنا وجيشه في مملكة بيت المقدس، مسوغاً هذا الرفض بعجز موارد بيت المقدس وخزintها عن تمويل جيش يوحنا كومنين، وإنه يرحب بيوحنا مع فرقة من جنوده فقط، بحال رغب في زيارة الأراضي المقدسة⁽⁴⁾، وموقف فولك الأنجوي من طلبات يوحنا، عكس سياسته فولك الراضية للوجود البيزنطي في الشام، والسيطرة على أنطاكية⁽⁵⁾، وذلك بسبب أثر البعد الديني على سياسته حيال الإمبراطورية البيزنطية. وقد سعى يوحنا للانتقام من فولك وريموند، واستعادة أنطاكية، وتأسيس إمارة

¹ - أنوسنت الثاني: اسمه الحقيقي جريجوري Gregory، وعندما تسلم منصب البابوية لُقّب بأنوسنت الثاني، كان رئيس الأساقفة في كنيسة القديس أنجلو. Angelo. تسلم منصب البابوية بعد وفاة البابا هونوريوس الثاني عام (524هـ/1130م) وتوفي عام (538هـ/1143م). البيشاوي، سعيد عبد الله. (2006م): الممتلكات الكنسية في مملكة بيت المقدس الصليبية، دار الشبياء، رام الله، ط3، ص226.

² - رنسيما. (د.ت): تاريخ الحروب الصليبية، ج2، ص349؛ زيتون. (1970م): العلاقات السياسية والكنسية، ص368.

Bucossi and Suarez. (2016.A.D): John II Komnenos, p.125.

³ - Phillips. (2010.A.D): The Second Crusade, p.45.

⁴ - وليم الصوري. (2003م): تاريخ وليم الصوري، من خلال الموسوعة الشامية، ج46، ص983؛ عبيد. (1970م): روما وبيزنطة، ص165؛ عمران. (1985م): السياسة الشرقية، ص83.

⁵ - Setton. (1969.A.D): A History Of The Crusades, vol II, p.132.

لابنه مانويل كومنين لكنه مات قبل تحقيق أي من هذه المساعي⁽¹⁾؛ وأثر الشقاق الديني كان واضحاً على طبيعة العلاقات السياسية والعسكرية بين الصليبيين ويوحنا كومنين، من خلال دفاع اللاتين عن إمارة أنطاكية، وعدم خضوعهم لطلبات يوحنا المتكررة والملحة للحصول على أنطاكية، ومن خلال رفض فولك أي وجود ليوحنا وجيشه في الشام. والتقارب الظاهري الذي حصل بين الإمارات الصليبية ويوحنا كومنين، كان بسبب وجود خطر تمثل بسياسة عماد الدين الزنكي المعادية للصليبيين، التي فرضت على الصليبيين نوعاً من التعاون مع الإمبراطورية البيزنطية، لكن هذا التعاون اعتراه الارتياح والكره المتبادل بين الطرفين⁽²⁾، ودليل ذلك: سرعة ريموند بالتوجه نحو مدن كيليكيا التابعة للبيزنطيين، للسيطرة عليها عندما سمع بوفاة يوحنا كومنين، لكن مانويل كومنين الذي تسلم السلطة بعد والده واجه اعتداء لريموند وهزمه، كما واجه طموحات⁽³⁾ ثوروس الثاني Thorous II (539/565هـ-114-1169م)⁽⁴⁾، في إنشاء إمارة له في أرمينية، واستفاد من تنازع الإمارات الصليبية وضعفها ولا سيما بعد موت فولك الأنجوي الذي خلفه ابنه⁽⁵⁾ بلدوين الثالث Baldwin III (538-558هـ/1143-1162م)⁽⁶⁾، وحدث نزاع حاد بين ريموند وصاحب الرها الأمير⁽⁷⁾ جوسلين الثاني Joslin II (526-539هـ/1131-1144م)،

¹ - كيناموس. (1997م): أعمال يوحنا ومانويل كومنينوس، من خلال الموسوعة الشامية، ج28، ص46؛ رنسيما. (د.ت): تاريخ الحروب الصليبية، ج2، ص359.

Bucossi and Suarez. (2016.A.D): John II Komnenos, p.46.

² - عاشور. (1971م): الحركة الصليبية، ج2، ص564.

³ - كيناموس. (1997م): أعمال يوحنا ومانويل كومنينوس، من خلال الموسوعة الشامية، ج28، ص52.

Choniates. (1984.A.D): Annals, p.31.

رنسيما. (د.ت): تاريخ الحروب الصليبية، ج2، ص319؛ زيتون. (1970م): العلاقات السياسية والكنسية، ص201؛ عبيد. (1970م): روما وبيزنطة، ص179؛ عمران. (1985م): السياسة الشرقية، ص110.

Lilie. (1993.A.D): Byzantium And The C`rusader, p.100.

⁴ - ثوروس الثالث: هو ابن الزعيم ليو الأرمني، أُسر هو ووالده على يد يوحنا كومنين عام (531هـ/1137م)، استطاع الهروب من الأسر عام (538هـ/1143م)، وأقام ثورة ضد البيزنطيين، ونجح في تثبيت حكم الأرمن في قليقطة، توفي عام (565هـ/1169م). عاشور. (1971م): الحركة الصليبية، ج2، ص673-685.

⁵ - رنسيما. (د.ت): تاريخ الحروب الصليبية، ج2، ص375.

⁶ - بلدوين الثاني: هو أبن الملك فولك الأنجوي، توفي أبوه وعمره إحدى عشرة سنة، فتولت أمه مليساندا الوصاية عليه، حاصر دمشق مع الحملة الصليبية الثانية عام (543هـ/1148م)، مات عام (558هـ/1162م). وليم الصوري. (2003م): تاريخ وليم الصوري، من خلال الموسوعة الشامية، ج46، ص997-999.

⁷ - رنسيما. (د.ت): تاريخ الحروب الصليبية، ج2، ص384.

ولاسيما بعد رفض ريموند تقديم أية مساعدة لجوسلين الثاني⁽¹⁾، إبان تهديد عماد الدين الزنكي الوجود الصليبي في إمارة الرها لذا خطط عماد الدين الزنكي لضرب التواجد الصليبي في الشام، وحدد هدفه باسترداد إمارة الرها، وتم له ذلك في (28 جمادى الأول عام 539هـ/25 كانون الأول عام 1144م)⁽²⁾، وخلقت انتصارات عماد الدين الزنكي في الرها نوعاً من التقارب بين ريموند ومانويل كومنين، فقد طلب ريموند من مانويل عام (539هـ/1145م) المدد والمساعدة لصد أي تقدم يقوم به عماد الدين الزنكي ضد أنطاكية⁽³⁾، لكن شروط مانويل لتقديم المدد لريموند كانت قاسية وخادشه لعجرفة اللاتين وكرامتهم، فقد طلب توجه ريموند نحو قبر يوحنا كومنين، والتماس العفو منه عن سياسته الخائنة للموائيق⁽⁴⁾.

هذا إن دل على شيء فإنه يدل على أثر الخلاف الكنسي في زيادة الحقد والكراهة في قلوب البيزنطيين حيال الصليبيين، التي تؤثر سلباً على طبيعة العلاقات بين الطرفين. نفذ ريموند شروط مانويل من غير تردد، كما أعلن الطاعة والتبعية للإمبراطور مانويل، مقابل تقديم مانويل المدد والعون العسكري للتصدي للمسلمين⁽⁵⁾، لكن الأوضاع السياسية في الإمبراطورية البيزنطية، وكثرة الأخطار المحدقة بحدودها، حال دون تنفيذ مانويل عهده مع ريموند، ولاسيما الفوضى التي حدثت داخل الإمبراطورية البيزنطية لإبعاد مانويل عن العرش، بالإضافة لخطر النورمان في صقلية، وخروج مانويل من عاصمته لمساعدة الصليبيين يحقق للطامعين أهدافهم، لذلك فضل مانويل البقاء في عاصمته لصد أي خطر يهددها، من التوجه للدفاع عن الصليبيين⁽⁶⁾، مما أثار غضب الصليبيين وعدّوا

¹ - وليم الصوري. (2003م): تاريخ وليم الصوري، من خلال الموسوعة الشامية، ج46، ص1002؛ عمران. (1985م): السياسة الشرقية، ص128.

² - ابن القلانسي. (1983م): تاريخ دمشق، ص278-279؛ ابن الأثير. (1997م): الكمال، ج10، ص98-100؛ ابن الأثير. (1963م): الباهر، ص67؛ أبو شامة، أبو القاسم شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي ت1267/665م. (2002م): الروضتين في أخبار الدولتين، تح: إبراهيم شمس الدين، ط1، ج1، ص137؛ ابن قاضي شهبة. (1971م): الكواكب الدرية، ص116-117.

³ - Setton. (1969.A.D): A History Of The Crusades, vol II, p.135.

⁴ - كيناموس. (1997م): أعمال يوحنا ومانويل كومنينوس، من خلال الموسوعة الشامية، ج28، ص54.

Choniates. (1984.A.D): Annals, p.66.

⁵ - Choniates. (1984.A.D): Annals, p.66.

رمضان، عبد العزيز. (2017م): بيزنطة والغرب الاوربي 1143-1180م، القاهرة، د.ط، ص103.

⁶ - كيناموس. (1997م): أعمال يوحنا ومانويل كومنينوس، من خلال الموسوعة الشامية، ج28، ص56؛ عمران. (1985م): السياسة الشرقية، ص132-133.

عدم مساعدة مانويل لإمارة الرها خيانة للصليبيين وحركتهم وأهدافهم⁽¹⁾، وهذه الاتهامات نابعة من كره الصليبيين للبيزنطيين، بسبب الخلفية الدينية التي عملت على زيادة الكره بين الطرفين،. وكان لسقوط الرها أثر كبير في نفوس الصليبيين واللاتين في الغرب اللاتيني، والذين سارعوا لإرسال النجادات لاستعادة إمارة الرها من المسلمين، وخرجت الحملة الصليبية الثانية من الغرب اللاتيني، التي سيكون لها دور كبير في زيادة الحقد والكره، وتعميق الهوة ما بين الصليبيين والبيزنطيين⁽²⁾

¹ - وليم الصوري. (2003م): تاريخ وليم الصوري، من خلال الموسوعة الشامية، ج46، ص1003.

² - رنسيما. (د.ت): تاريخ الحروب الصليبية، ج2، ص317-399؛ زيتون. (1970م): العلاقات السياسية والكنسية، ص202؛ عاشور. (1971م): الحركة الصليبية، ج2، ص614-615.

2- علاقة بيزنطة مع البابوية قبيل الحملة الصليبية الثانية وأثر الخلاف الكنسي عليها

سعى الإمبراطور البيزنطي يوحنا كومنين تحقيق أهدافه وأطماعه في الغرب من خلال تقاربه مع البابوية، وأدرك أن هذا التقارب لن يحصل إلا عن طريق طرح موضوع وحدة الكنيستين البيزنطية والرومانية وقد استغل موضوع الوحدة الكنسية ليحقق أهدافه السياسية⁽¹⁾، بينما أشارت بعض المراجع إلى أن البابوية سعت للتودد للإمبراطور يوحنا من أجل تحقيق حلمها في توحيد الكنيستين تحت سلطانها⁽²⁾، لكن هذا مستبعد، لأنه من ضمن مشاريع يوحنا كومنين استعادة التاج الروماني من الأباطرة الجرمان، وليتم ذلك لابد من التقارب من البابوية والمبادأة معهم في التفاوض بموضوع محبذ إليهم، وهو وحدة الكنائس.

لذا أرسل الإمبراطور البيزنطي الهدايا، والذهب مع رسالة إلى البابا كالستوس الثاني (513-518)kalestius II (1119-1124م)⁽³⁾، وكانت الرسالة مليئة بالود واللفظ، مشيراً إلى المنفعة الكبيرة التي ستعم على الغرب الأوروبي والإمبراطورية البيزنطية من وراء توحيد الكنيستين، لكن هذه الود والكرم والعبارات الرنانة كانت حبراً على ورق، ولم تحقق أية خطوة فعلية بما يخص وحدة الكنائس، ولكن يوحنا كومنين لم ييأس، وراسل عام (520هـ/1126م) البابا⁽⁴⁾ هونوريوس الثاني (518-524هـ/1124-1130م)⁽⁵⁾، الذي خلف كالستوس على منصب البابوية، وشرح له سعادته بحال تم توحيد الكنيستين الشرقية والغربية، لكن يوحنا وضع الفرق بين السلطة الدنيوية التي تعد من صلاحيات الإمبراطور، وبين السلطة الروحية التي تعد من صلاحيات البابوية، ولكن مسألة الوحدة بين الكنائس ظلت مسألة ورقية، ولم يقم أي من الطرفين بأي تصرف جاد لتنفيذها،

¹ - عبيد. (1970م): روما وبيزنطة، ص174.

Lilie.(1993.A.D): Byzantium And The Crusader, p.97.

² - زيتون. (1970م): العلاقات السياسية والكنسية، ص377.

³ - كالستوس الثاني: اسمه غي دي فين Gee de feen، وعندما تسلم منصب البابوية عام (513هـ/1119م) لُقّب بـكالستوس الثاني، توفي عام (518هـ/1124م). البيشاوي. (2006م): الممتلكات الكنسية، ص130؛ الجنزوري، عليّة. (د.ت): البابوية والإمبراطورية الرومانية، دار الفكر العربي، دط، ص29.

⁴ - زيتون. (1970م): العلاقات السياسية والكنسية، ص133؛ عبيد. (1970م): روما وبيزنطة، ص174.

Lilie.(1993.A.D): Byzantium And The Crusader, p.44.

⁵ - هونوريوس الثاني: اسمه لامبرت Lambert، تسلم البابوية عام (518هـ/1124م)، ولقب هونوريوس الثاني، يعود بأصالة إلى بولونيا، استمر في الحكم البابوية حتى عام (524هـ/1130م) وخلفه البابا أنوسنت الثاني. وليم الصوري. (2003م): تاريخ وليم الصوري، من خلال الموسوعة الشامية، ج46، ص901؛ البيشاوي. (2006م): الممتلكات الكنسية، ص170.

في الحقيقة كان يوحنا كومنين يسعى من وراء طرحه لموضوع الوحدة بين الكنائس إلى تحقيق هدفه في الحصول على التاج الإمبراطوري، والسيطرة السياسية على الغرب الأوروبي والشرق البيزنطي في آن واحد⁽¹⁾.

وكان دائماً أثر البعد الديني والكره المتبادل بين الطرفين يقف عائقاً في إتمام أي مشروع يجمع البابوية مع الإمبراطورية البيزنطية.

وأثر الشقاق الديني كان واضحاً في السطور التي خطها رجال الدين البيزنطيين واللاتين معاً، وفي ردة فعلهم على فكرة وحدة الكنائس والطقوس المتبعة عند كل طرف. فظهر في الغرب الأوروبي خلال القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي نظام ديراني جديد ترأسه⁽²⁾ القديس برنارد كليرفو Bernard de klerfu⁽³⁾، الذي امتلك فلسفة خاصة به، التي تؤكد على مكانة وحقوق وصلاحيات البابوية، وأكد على مثالية وتميز سياسة وفلسفة البابا غريغوري السابع، وكان إعجابه بسياسة غريغوري السابع واضحاً جداً، و كان شديد الانتماء والمدافعة عن نظرية رئاسة كنيسة القديس بطرس على جميع الكنائس وزعامتها، وإن البابوات الذين خلفوا القديس بطرس يمتلكون صلاحياته نفسها، ومن يعارض هذه الحقيقة يعرض نفسه لغضب الرب، وأكد على وجوب معاقبة أي شخص يخالف هذه النظرية مهما كانت مكانته وسلطته⁽⁴⁾، وكان السمو والمكانة لكنيسة روما التي نادى بها برنارد تعارض استقلالية بطريركية القسطنطينية، وتوضح أثر الخلاف الديني في نظرية برنارد، ومن الواضح أن الأباطرة البيزنطيين أدركوا عبثية وجود وحدة بين الكنائس، وعبثية تحقيق أهدافهم في الغرب من خلال طرح موضوع الوحدة، لأنهم فهموا حجم أثر الشقاق الديني العظيم في نفوس ومشاعر رجال الدين البيزنطيين واللاتين معاً، وقد أدرك كلاً من يوحنا ومانويل كومنين أن أي تطبيق لسياسة غريغوري السابع سيكون على حساب مكانة بطريركية القسطنطينية وهذا مالم يقبله رجال الدين البيزنطيين.

¹ - عبيد.(1970م): روما وبيزنطة، ص170.

Bucossi and Suarez.(2016.A.D): John II Komnenos, p.44.

² - عبيد.(1970م): روما وبيزنطة، ص175.

³ - برنارد كليرفو: ولد قرب ديجون وسط فرنسا عام(483هـ/1090م)، وهو مؤسس دير كليرفو وأول رئيس له، تولى مهمات دينية عدة، قدم مساندة ورعاية لأعضاء منظمة الداوية، توفي عام(548هـ/1153م). الربيعي.(د.ت): موقف الإمبراطورية البيزنطية من قادة الحملات الصليبية، ص468.

⁴ - عبيد.(1970م): روما وبيزنطة، ص173.

وما يؤكد ذلك النزاع الديني الذي وقع عام (530هـ/1136م) بين أحد رجال الدين اللاتين الزائرين للقسطنطينية، وبين رئيس أساقفة نيقوميديا، واحتدم النزاع بسبب النقاش في اختلاف الطقوس والأعراف الكنسية بين الطرفين، مما أدى لنت كل واحد الآخر بجملة من الشتائم والتهامات، كما رفض رئيس أساقفة نيقوميديا بشكل قاطع ادعاءات البابوية في زعامتها لكنائس العالم المسيحي في الشرق والغرب⁽¹⁾، وهذا دليل واضح على أثر الخلاف الكنسي إنه مازال واضحاً في مشاعر كلا الطرفين ومفاهيمهم. وفي عام (531هـ/1137م) أرسل الإمبراطور البيزنطي سفراءه المهنيين إلى الإمبراطور الألماني⁽²⁾ لوثر الثاني (Lwther II 519-538هـ/1125-1127م)⁽³⁾، ليقدم له التبريكات لما حققه من انتصارات ضد ملك صقلية⁽⁴⁾ روجر الثاني (Rojer II 523-549هـ/1128-1154م)⁽⁵⁾، وفي البلاط الألماني دار نزاع لاهوتي حاد بين أحد اللاهوتيين البيزنطيين المبعوثين مع السفارة المهنة للوثر الثاني، وبين أحد رجال الدين اللاتين المتطرفين بكرهه للبيزنطيين، وكان جوهر الخلاف التباينات العقائدية ما بين الكاثوليك اللاتين، والأرثوذكس البيزنطيين، ووصل النزاع لمرحلة الانفجار، ونعت كل طرف الآخر بالهرطقة والكفر والانحراف⁽⁶⁾، هذا يؤكد على أثر الخلاف الديني وزيادة الحقد والكره بين الطرفين، وقد بدا واضحاً أثر الخلاف الكنسي على موقف اللاتين، وعلى سياسة يوحنا كومنين في الإمارات الصليبية. ولاسيما بعد إصرار يوحنا كومنين السيطرة على أنطاكية، بتوجيه حملة بيزنطية لحصارها عام (531هـ/1137م)، ونجح في ضم عدة مناطق في كيليكيا، واتباع سياسة معينة في تقليص النفوذ الكاثوليكي فيها، من خلال تنصيب رجال

¹ - زيتون. (1970م): العلاقات السياسية والكنسية، ص 377.

Bucossi and Suarez. (2016.A.D): John II Komnenos, p.124.

² - عبيد. (1970م): روما وبيزنطة، ص 175.

³ لوثر الثاني: كان دوق سكسونية عام (500هـ/1106م)، وبعد وفاة الإمبراطور الألماني هنري الخامس، عُين ملك على ألمانيا عام (519هـ/1125م)، بإجماع من أمراء ونبلاء ألمانيا، تمتع بمكانة مميزة بين الشعب الألماني، دخل بمنازعات عديدة مع هنري الخامس، تم تنويجه امبراطورا على الإمبراطورية الرومانية المقدسة عام (528هـ/1133م) على يد البابا أنوسنت الثاني. الجنزوري. (د.ت): البابوية والإمبراطورية الرومانية، ص 31.

⁴ - رنسيما. (د.ت): تاريخ الحروب الصليبية، ج 2، ص 403، عبيد. (1970م): روما وبيزنطة، ص 175.

⁵ - روجر الثاني: فرض سيادته على الأملاك النورماندية بعد موت وليام بن بورصا بن جويسكار عام (521هـ/1127م)، واعترفت به البابوية دوقاً على صقلية وابوليا وكلايريا عام (523هـ/1128م)، تم تنويجه ملك ع صقلية عام (525هـ/1130م)، وبذلك أصبح أحد ملوك أوروبا الأقوياء، دخل في صراع شبه دائم مع الإمبراطورية البيزنطية والبابوية أيضاً بسبب أطماعه، مات عام (549هـ/1154م) وتسلم بعده ابنه وليم الأول. زيتون. (1970م): العلاقات السياسية والكنسية، ص 219-221.

⁶ - عبيد. (1970م): روما وبيزنطة، ص 175.

Bucossi and Suarez. (2016.A.D): John II Komnenos, p.124.

دين بيزنطيين أرثوذكس في كنائسها بدلاً من رجال الدين اللاتين الذي تم طردهم ونفيهم⁽¹⁾، فكان رد البابوية عنيفاً وسريعاً، فقد أصدر البابا أنوسنت الثاني مرسوماً عام (1138/532م) -كما ذكر سالفاً- يطلب من الجنود اللاتين العاملين تحت سلطة الإمبراطورية البيزنطية من ترك الجيش البيزنطي، عند قيام يوحنا كومنين بالعدوان على الإمارات الصليبية في الشرق⁽²⁾، وهذا المرسوم يعكس حجم الارتياح الذي تعيشه البابوية من أي نجاح ممكن للإمبراطورية البيزنطية تحقيقه في أنطاكية، ولاسيما أن البابوية تدرك جيداً حجم أثر الشقاق الديني في سياسة البيزنطيين، فإذا دخلوا أنطاكية وسيطروا عليها سياسياً فإن الطقوس والأعراف الأرثوذكسية ستحل محل طقوس وأعراف الكاثوليك، والبطريرك البيزنطي سيعين مكان البطريرك اللاتيني، وبذلك سياسة البابوية وانتصاراتها في كتلكة الكنائس الشرقية في أنطاكية ستزول بشكل تام، بمجرد سيطرة الإمبراطورية البيزنطية على إمارة أنطاكية، كل ما سلف شكل ارتياباً في نفوس البابوية من فكرة نجاح البيزنطيين من السيطرة على أنطاكية، وكان المرسوم الذي أصدره البابا أنوسنت الثاني بمثابة حاجز لمنع تقدم البيزنطيين نحو أنطاكية، بالتالي تمنع أي نجاح سياسي أو ديني تحققه الإمبراطورية البيزنطية، فهذا المرسوم وأبعاده، وأسبابه وغاياته، يوضح المدى الكبير لتأثير الخلاف الديني ما بين الطرفين⁽³⁾. وأدرك رجال الدين البيزنطيين الأطماع الكنسية والدينية، التي تسعى البابوية للوصول إليها، وحاول رجال الدين البيزنطيين الوقوف بوجه أفكار البابوية، وادعاءاتها في حقها بزعامه كنائس العالم المسيحي، وقد ظهر نخبة من رجال الدين البيزنطيين الذين انغمسوا بدراسة القانون الكنسي واللاهوت ليسيطروا كتب ومقالات، تؤكد مكانة كنيسة القسطنطينية وسموها، وتستنكر ادعاءات البابوية وفلسفتها وسياستها، ففي عام (1143/538م) كتب أحد الفلاسفة البيزنطيين مقالاً صغيراً وبعثه إلى ملك صقلية، وضح فيه مكانة مدينة القسطنطينية، ورفعة مركزها السياسي، كونها عاصمة لأهم الإمبراطوريات في العالم، ويؤكد مكانتها الدينية، كونها بطريركية مسكونية، وقد أشار إلى مكانة كنيسة روما المتدنية، ولاسيما بعدما سيطر عليها حكام برايرة⁽⁴⁾؛ هذا دليل

¹ - زيتون. (1970م): العلاقات السياسية والكنسية، ص 379.

² - رنسيما. (د.ت): تاريخ الحروب الصليبية، ج 2، ص 349.

Bucossi and Suarez. (2016.A.D): John II Komnenos, p.125.

³ - زيتون. (1970م): العلاقات السياسية والكنسية، ص 378.

⁴ - عبيد. (1970م): روما وبيزنطة، ص 176.

واضح على أثر الخلاف الكنسي في فكر رجال الدين اللاتين والبيزنطيين على حد سواء، الذي كان له دور في زيادة الحقد والكره المتبادل بين الطرفين، وكان العامل الأساسي لإجهاض أي تفاوض بمشروع وحدة الكنيستين. وهكذا لم ينجح التفاوض ما بين الإمبراطورية البيزنطية والبابوية بشأن الوحدة بين الكنيستين قبيل الحملة الصليبية الثانية، ولم تنتج عن أية خطوة عملية بسبب أثر الخلفية الدينية الواضح في مواقف الطرفين اللذين ينعتان بعضهما بالكفر والوثنية:

3- التقارب البيزنطي الألماني قبيل الحملة الصليبية الثانية وأثر الخلاف الكنسي فيه

أدت طموحات وأطماع روجر الثاني ملك صقلية، واستيلائه على مناطق استراتيجية هامة في شمال إفريقيا، وتهديداته شبه الدائمة والمتكررة للإمبراطورية البيزنطية ومصالحها، لخلق جو من التقارب ما بين الإمبراطورية البيزنطية والإمبراطورية الألمانية، ففي عام (1135/529م) حدثت مراسلات ما بين يوحنا كومنين الذي بادر بهذه المراسلات وبين الإمبراطور لوثر الثاني⁽¹⁾، لكن هذا التقارب لم يحد من نفوذ روجر الذي استطاع الحصول من البابوية على لقب "ملك" عام (1130/525م)⁽²⁾، وبالتالي شكل خطراً على سيادة الإمبراطور الألماني ومكانته، والإمبراطور البيزنطي معاً، كما شكل خطراً مضاعفاً على مقاطعات الإمبراطورية البيزنطية في جنوب إيطاليا⁽³⁾، وأطماع روجر ونشاطاته التوسعية لم تقف عند الغرب الأوروبي والشمال الإفريقي فحسب، بل سعى للسيطرة على إمارة أنطاكية الصليبية، وكل ما يتبعها من مناطق، بحجة أنه الوريث الوحيد لابن عمه بوهمند الأول⁽⁴⁾، وأطماع روجر في إمارة أنطاكية شكلت حالة من الارتياح والتوتر عند يوحنا كومنين، الذي وجه كل اهتمامه للسيطرة على أنطاكية، وسلخها من سيطرة اللاتين⁽⁵⁾، هنا يوضح أثر البعد الديني في سياسة يوحنا كومنين، بامتلاك عدو قوي مثل روجر لإمارة أنطاكية سيزيد من نفوذه، فيها ويدعم مشروع الكتلكة، وكل هذا سيتم على حساب سيادة بيزنطة السياسية والدينية، وكل هذا يعكس أثر الخلاف الديني على سياسة يوحنا كومنين في التقارب من الأباطرة الألمان.

¹ - زيدان، عبد السلام. (2016م): العلاقات البيزنطية في ضوء الحملة الصليبية الثانية، مجلة جامعة البعث، العدد 14، ص 4؛ عبيد. (1970م): روما وبيزنطة، ص 168.

Phillips. (2010.A.D): **The Second Crusade**, p.132.

² - كيناموس. (1997م): أعمال يوحنا وماتويل كومنينوس، من خلال الموسوعة الشامية، ج 28، ص 56؛ وليم الصوري. (2003م): تاريخ وليم الصوري، من خلال الموسوعة الشامية، ج 46، ص 898.

³ - رمضان. (2017م): بيزنطة والغرب، ص 104.

Roche and Jensen(j.j). (2015.A.D): **The Second Crusade Holy Ware On The Periphery Of Latin Christ Endow**, brepols, N.E, 2015, p.184.

⁴ - وليم الصوري. (2003م): تاريخ وليم الصوري، من خلال الموسوعة الشامية، ج 46، ص 899؛ رنسيان. (د.ت): تاريخ الحروب الصليبية، ج 2، ص 317.

Lilie. (1993.A.D): **Byzantium And The Crusader**, p.97.

⁵ - عبيد. (1970م): روما وبيزنطة، ص 167.

Bucossi and Suarez. (2016.A.D): **John II Komnenos**, p.39.

تم تشكيل حلف ثنائي ضد روجر يجمع الإمبراطورية البيزنطية، مع الإمبراطورية الألمانية، ولاسيما بعد ما هدد طموح روجر وأطماعه مصالح الإمبراطورية الألمانية في إيطاليا، وبناءً على التحالف البيزنطي الألماني، وجه لوتر الثاني حملة عسكرية ضخمة بتمويل بيزنطي عام (1136هـ/530م) نحو إيطاليا، ونجح في السيطرة على بعض المدن الإيطالية⁽¹⁾؛ أبعدت هذه الحملة خطر روجر عن حدود الإمبراطورية البيزنطية، وشغلته حتى يتسنى للإمبراطور يوحنا كومنين من توجيه حملة نحو أنطاكية عام (1137هـ/531م)، ومن دون الخوف على حدودها من عدوان روجر الثاني، لكن روجر استعاد ممتلكاته في إيطاليا بسرعة، وأبعد الخطر الألماني⁽²⁾، فقرر يوحنا كومنين توجيه حملة عسكرية لأنطاكية مجدداً، لعله يحقق مبتغاه ويسيطر عليها، كما سعى لصد أطماع روجر الثاني، هذا دفعه لتجديد التحالف والتقارب مع الإمبراطورية الألمانية بشكل أمتن من الحلف السالف، عن طريق طرح مشروع مصاهرة سياسية تجمع الإمبراطوريتين، ففي عام (1140هـ/535م) سطر يوحنا كومنين رسالة إلى الإمبراطور الألماني الجديد⁽³⁾ كونراد الثالث Conrad III (523-547هـ/1138-1152م)⁽⁴⁾، وعرض فكرة زواج ابنه مانويل من إحدى أميرات الأسرة الحاكمة الألمانية، وكانت ردة فعل كونراد على هذا الطلب مليئة بالسعادة والرضى، لذلك سرعان ما راسل يوحنا كومنين وأعلن موافقته على مشروع زواج بيرتا Bertha اخت زوجة كونراد -من مانويل كومنين، وكما فتح مفاوضات بشأن التحالف المشترك ضد روجر الثاني⁽⁵⁾، وعندما زادت تهديدات روجر الثاني للإمبراطورية البيزنطية، راسل يوحنا كومنين كونراد الثالث عام (1142هـ/537م)، مؤكداً له على مشروع التعاون

¹ - كيناموس (1997م): أعمال يوحنا ومانويل كومنينوس، من خلال الموسوعة الشامية، ج28، ص101؛ زيتون (1970م): العلاقات السياسية والكنسية، ص227؛ عبيد (1970م): روما وبيزنطة، ص169.

Lilie.(1993.A.D): Byzantium And The Crusader, p.102.

² - زيتون (1970م): العلاقات السياسية والكنسية، ص223.

³ - عمران (2002م): بيزنطة وحضارتها، ص275؛ عمران (1985م): السياسة الشرقية، ص109.

Roche and Jensen.(2015.A.D): The second crusade, p.184.

⁴ - كونراد الثالث: هو حفيد هنري الرابع من جهة الأم، كان دوق سوابيا، بعد موت لوتر الثاني دخل في صراع على العرش مع هنري المتكبر Henry the Proud، اعتلى العرش الألماني عام (1138هـ/523م)، وهو أول ملوك أسرة هوهنشتاوفن، مات عام (1152هـ/547م). حسين، عبد المجيد (2015م): تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، ص186؛ عبد الحميد، رأفت (1998م): قضايا في تاريخ الحروب الصليبية، عين للدراسات والبحوث الإنسانية، الاسكندرية، ط1، ص24.

⁵ - فريزنغ (1977م): تاريخ أوتو فريزنغ، من خلال الموسوعة الشامية، ج28، ص338؛ رمضان (2017م): بيزنطة والغرب، ص105؛ زيتون (1970م): العلاقات السياسية والكنسية، ص224؛ عمران (1985م): السياسة الشرقية، ص109.

Roche and Jensen.(2015.A.D): The Second Crusade, p.148.

المشترك، وطلب يوحنا كومنين من كونراد توجيه حملة للانتقام من روجر⁽¹⁾، وبعد هذه المفاوضات أرسلت الإمبراطورية البيزنطية سفارة إلى البلاط الألماني لكي توصل الأميرة الألمانية بيرتا إلى القسطنطينية⁽²⁾، حاول روجر الثاني إجهاض التحالف المشترك بين الإمبراطوريتين، من خلال تقاربه ومراسلاته للبلاط البيزنطي، لكن يوحنا كومنين كان عندها على فراش الموت⁽³⁾، ظل التحالف بين الإمبراطورية البيزنطية والألمانية قائماً حتى بعد موت يوحنا كومنين وتسلم الحكم البيزنطي مانويل كومنين، الذي واجه تحديات داخلية، وأطماع ريموند صاحب أنطاكية، لذلك قرر تمثين التحالف مع الإمبراطورية الألمانية، لذلك راسل مانويل كومنين الإمبراطور كونراد الثالث عام (1145/540م)، وطلب منه عدداً من الجنود الألمان للخدمة في الجيش البيزنطي، في الحقيقة تجاهل كونراد بعض الخلافات التي تمت بينه وبين مانويل بخصوص اللقب الإمبراطوري، وأكد في مفاوضاته مع مانويل على وجوب إتمام الزواج بين بيرتا ومانويل⁽⁴⁾، وفي عام (1146/541م) تم الزواج بين مانويل كومنين والأميرة الألمانية بيرتا⁽⁵⁾ وبعد إتمام مشروع المصاهرة بين مانويل كومنين وكونراد الثالث، قدم الإمبراطور الألماني تعهدات كبيرة لصهره مانويل كومنين، أهمها إرسال عدد كبير من الجنود الألمان للخدمة في الجيش البيزنطي، وتأكيد كونراد على وقوفه في وجه أعداء الإمبراطورية البيزنطية، التي سعت من وراء هذا الزواج للتحالف مع الإمبراطور الألماني ضد روجر الثاني وأطماعه في أنطاكية⁽⁶⁾، وهكذا أثر الخلاف الديني كان واضحاً في سياسة يوحنا كومنين ومانويل كومنين، لأن أي نجاح سياسي ممكن أن يحققه روجر الثاني على المناطق التابعة لبيزنطة سيتبعه نجاح كنسي،

¹ - عبيد. (1970م): روما وبيزنطة، ص 170.

² - زيدان. (2016م): العلاقات الألمانية البيزنطية، ص 14.

Bucossi and Suarez. (2016.A.D): **John II Komnenos**, p.125. Phillips. (2010.A.D): **The second crusade**, p.133.

³ - رمضان. (2017م): بيزنطة والغرب، ص 105؛ زيتون. (1970م): العلاقات السياسية والكنسية، ص 225؛ عبيد. (1970م): روما وبيزنطة، ص 171.

⁴ - رمضان. (2017م): بيزنطة والغرب، ص 105؛ زيدان. (2016م): العلاقات الألمانية البيزنطية، ص 15؛ عبيد. (1970م): روما وبيزنطة، ص 181.

⁵ - فريزنغ. (1977م): تاريخ أوتو فريزنغ، من خلال الموسوعة الشامية، ج 28، ص 338.

Choniates. (1984): **Annals**, p.32.

⁶ - كيناموس. (1997م): أعمال يوحنا ومانويل كومنينوس، من خلال الموسوعة الشامية، ج 28، ص 54؛ زيتون. (1970م): العلاقات السياسية والكنسية، ص 224؛ عبيد. (1970م): روما وبيزنطة، ص 181.

Bucossi and Suarez. (2016.A.D): **John II Komnenos**, p.125. lillie. (1993.A.D): **Byzantium the Crusader**, p.148.

وسيكون هذا النجاح على حساب مكانة كنيسة القسطنطينية وسيادتها، لذلك توجهت بيزنطة للتقارب مع الابطرة الألمان.

لكن مساعي الإمبراطورية البيزنطية انهارت، عندما اشترك كونراد الثالث في الحملة الصليبية الثانية، مما أدى إلى توتر العلاقات بين الإمبراطورين⁽¹⁾

¹ - رمضان.(2017م): بيزنطة والغرب، ص120؛ عاقل.(1967م): الإمبراطورية البيزنطية، ص285-287؛ عبيد.(1970م): روما وبيزنطة، ص182؛ عمران.(2002م): بيزنطة وحضارتها، ص275.

4- موقف بيزنطة من الحملة الصليبية الثانية ومشاركة الإمبراطور الألماني كونراد الثالث فيها

دعا البابا يوجين الثالث Eugenius III (540-546هـ/1145-1153م)⁽¹⁾، للقيام حملة صليبية ثانية وطلب من القديس برنارد التبشير لهذه الحملة في أرجاء الغرب الأوروبي⁽²⁾، وأكد أن أسباب الحملة استعادة الرها من المسلمين بعد أن استردها عماد الدين الزنكي من الصليبيين عام(539هـ/1144م)، ولقد وجه البابا عام (540هـ/1145م) مرسوماً إلى الملك الفرنسي⁽³⁾ لويس السابع Louis VII (531-576هـ/1137-1180م)⁽⁴⁾ يدعو فيه إلى الاشتراك في الحملة الصليبية الثانية، وحدث اجتماع بين مبعوث البابا القديس برنارد ولويس السابع عام (541هـ/1146م) في مدينة⁽⁵⁾ فيزلاي Fezelay⁽⁶⁾ ومُنح صليب أرسل خصيصاً له من البابا يوجين الثالث، وتابع برنارد رحلته التبشيرية في غرب أوروبا، حتى قابل الإمبراطور الألماني كونراد الثالث، الذي رفض المشاركة في الحملة الصليبية الثانية⁽⁷⁾، وكان رفض كونراد ناتجاً عن الاضطرابات الداخلية التي تعاني منها ألمانيا حين ذاك، وخوفه على تقاربه مع الإمبراطورية البيزنطية، لأن اشتراكه بالحملة قد يحول التقارب إلى توتر⁽⁸⁾، في هذه الأثناء وصل للإمبراطور البيزنطي رسائل ودية من البابا يوجين، والملك الفرنسي لويس، ومن القديس برنارد،

¹ - يوجين الثالث: اسمه باجانيلي، اعتلى المنصب البابوي عام (540هـ/1145م)، ولقب بيوجين الثالث، كان قبل استلامه المنصب البابوي راهباً في دير كليرفو، مات في تيفولي عام (546هـ/1153م). الربيعي. (د.ت): موقف الإمبراطورية البيزنطية من قادة الحملات الصليبية، ص 468.

² - زيدان. (2016م): العلاقات الألمانية البيزنطية، ص 15، مسيلي، أحمد. (2016م): دور البابوية في الحملات الصليبية على المشرق الإسلامي (488-588هـ/1095-1192م)، رسالة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيك، أشراف عبد العزيز بوكنة، جامعة الجزائر، بوزريعة، ص 149.

³ - حسين، محمد توفيق. أمين، عبد الأمير محمد. (د.ت): التاريخ الأوروبي في العصور الوسطى، جامعة بغداد، د.ط، ص 240؛ عمران. (1985م): السياسة الشرقية، ص 136.

⁴ - لويس السابع: ولد عام (513هـ/1120م) وهو ابن لويس السادس، دخل في نزاع مع البابا أنوسنت الثاني واستطاع تثبيت سلطته بدعم من رجال الدين وساند البابا ألكسندر الثالث ضد فريديك بربروسا، ضم إقليم أكتين جنوب غرب فرنسا عام (545هـ/1152م) من خلال مصاهرة سياسية، مات في باريس عام (576هـ/1280م). الربيعي. (د.ت): موقف الإمبراطورية البيزنطية من قادة الحملات الصليبية، ص 469.

⁵ - فريزنغ. (1977م): تاريخ أوتو فريزنغ، من خلال الموسوعة الشامية، ج 28، ص 346؛ رنسيما. (د.ت): تاريخ الحروب الصليبية، ج 2، ص 399؛ عمران. (1985م): السياسة الشرقية، ص 137.

⁶ - فيزلاي: تقع في فرنسا، وكانت تتبع لإقليم بورجنديا Bourgogne. محمد، المطوي. (1982م): الحروب الصليبية في المشرق والمغرب، دار الغرب الإسلامي، ط 2، ص 69.

⁷ - رمضان. (2017م): بيزنطة والغرب، ص 114؛ رنسيما. (د.ت): تاريخ الحروب الصليبية، ج 2، ص 409؛ عبد الحميد. (1998م): قضايا في الحروب الصليبية، ص 37؛ عبيد. (1970م): روما وبيزنطة، ص 184.

⁸ - زيدان. (2016م): العلاقات الألمانية البيزنطية، ص 5.

يطلبون من مانويل تقديم العون والمساعدة والمؤن اللازمة للحملة الصليبية الثانية، إبان عبورها ضمن الأراضي البيزنطية، وأكد برنارد على تعامل مانويل كومنين بشكل إيجابي مع الجنود الصليبيين، مؤكداً له أنه أمل العالم المسيحي الشرقي والغربي⁽¹⁾، ولعل كلام برنارد هذا عبارة عن شعارات رنانة مبالغ فيها، ودبلوماسية معينة سار عليها برنارد لتسهيل مهمة الحملة الصليبية الثانية، ولاسيما والكره الواضح بين اللاتين والبيزنطيين، يناقض تلك العبارات المعسولة التي خطها برنارد لمانويل كومنين، لأن أثر الخلاف الديني والحق كان واضحاً في الحملة الصليبية الأولى، وواضحاً في اتهامات الغرب اللاتيني للبيزنطيين في خيانة القضية الصليبية.

ورد مانويل على رسائل اللاتين برسالة مليئة بالترحاب، موجهة للبابا وللملك الفرنسي، مؤكداً رغبته في مساعدة الصليبيين، لكن بشرط تقديم الحملة الفرنسية التبعية والطاعة للإمبراطور البيزنطي، مثلما فعل صليبيو الحملة الأولى، كما طلب من البابا إرسال مندوب بابوي لكي يمنع أي عدوان صليبي على الشعب البيزنطي والأراضي البيزنطية⁽²⁾، ويتضح من ذلك إدراك مانويل كومنين كمية الكره الذي يكنه الغرب لشعبه وأرضه، بسبب الخلاف الديني الذي كان مؤثراً على تفكير الطرفين، ويزيد من الكره المتبادل بينهما. ففي عام (542هـ/1147م) عقد الصليبيون اجتماعاً حضره سفراء الإمبراطور مانويل كومنين، وعرضوا رغبة مانويل كومنين في مساندة الصليبيين، شريطة إعلان الحملة الفرنسية تبعيتها للإمبراطورية البيزنطية وإمبراطورها مانويل كومنين، لكن السفراء النورمان الذين أرسلهم روجر لحضور الاجتماع رفضوا هذه الشروط، وقدموا عروضهم للفرنسيين بتقديم روجر كل التسهيلات اللازمة للصليبيين من مؤن وجنود، ونقل الصليبيون إلى سوريا، كما قدموا تحذيراً للفرنسيين من قبول أية مساعدة من البيزنطيين الخائنين للقضية الصليبية، لكن الملك الفرنسي رفض كل عروض روجر الثاني، وأعلن قيادته للحملة عبر الأراضي البيزنطية⁽³⁾، لكن المصادر اللاتينية استنكرت ثقة الملك لويس بالبيزنطيين، الذين طالما

¹ - رمضان.(2017): بيزنطة والغرب، ص115؛ رمضان، عبد العزيز.(2008م): بيزنطة والحروب الصليبية، دار الفكر العربي، القاهرة، د.ط، ص25؛ عبيد.(1970م): روما وبيزنطة، ص185-186.

Lilie.(1993.A.D): Byzantium And The Crusader, p.150.

² - رمضان.(2017م): بيزنطة والغرب، ص117؛ رمضان.(2008م): بيزنطة والحروب الصليبية، ص25؛ عبيد.(1970م): روما وبيزنطة، ص186؛ عمران.(1985م): السياسة الشرقية، ص122-177.

Lilie.(1993.A.D): Byzantium And The Crusader, p.150.

³- Deuil(odoo).(N.D): De Profection Ludovici VII in Orientem, columbia universty press, new York, p.10-12.=

خانوا الحركة الصليبية⁽¹⁾، وأضح أن وجهة النظر هذه متأثرة بالخلاف الكنسي الذي يسيطر على العقلية الصليبية. وكانت مفاوضات مانويل ولويس السابع تسير بشكل جيد، حتى أعلن الإمبراطور الألماني كونراد الثالث رغبته بالمشاركة بالحملة الصليبية الثانية⁽²⁾، وذلك ليمنع الملك الفرنسي من التفرد بالنصر الذي ستحققه الحملة الصليبية الثانية في الشرق، وتظهر كأن الإمبراطور الألماني هو الزعيم الأول للغرب الأوروبي⁽³⁾، وبهذه المشاركة يتقرب من البابا يوجين الثاني الذي لم يعينه بشكل رسمي إمبراطوراً على الإمبراطورية الرومانية المقدسة، وبذلك كسب رضى البابا وتأييده في تسلمه التاج من جهة، ومشاركته بالحملة تمنحه صفة الحاكم السياسي للعالم المسيحي الذي سيواجه أعداء المسيحية بما فيهم البيزنطيون، ويؤكد بذلك حقوق الإمبراطورية الألمانية في حكم الإمبراطورية البيزنطية، وإخضاع شعبها لسلطته السياسية، وسلطة البابا الدينية من جهة ثانية⁽⁴⁾، هذا ما يدركه مانويل تماماً، لذلك ثار غضباً كالبركان عند سماعه أخبار مشاركة كونراد بالحملة⁽⁵⁾، وإن ردة فعل مانويل هذه تحمل بعداً دينياً، لإدراكه التام أن أي نجاح يحققه كونراد، هو نجاح للبابوية وللكاتوليك بشكل عام على حساب الإمبراطورية البيزنطية والمسيحيين الشرقيين، الذي هو مسؤول عن الدفاع عنهم وحمايتهم.

وإن نزاع كونراد وتأكيده على تفرده باللقب الإمبراطوري، سيثير حرباً بينه وبين مانويل كومنين على اللقب والمكانة الإمبراطورية، بالإضافة إلى مشاركة كونراد تعني زيادة المسؤوليات المترتبة على الإمبراطورية البيزنطية في أثناء مرور الصليبيين عبر أراضيها، وأن مشاركة كونراد الثالث أغضبت مانويل كومنين، لأن هذه المشاركة ستؤثر على الاتفاق الذي حصل بين مانويل كومنين ولويس السابع ولاسيما أن لويس ملك فرنسا قبل بشروط مانويل بإعلان التبعية والولاء لمانويل، لكن هذا القبول كان قبل مشاركة كونراد الثالث بالحملة الصليبية الثانية، والذي ألغى

=رمضان.(2017م): بيزنطة والغرب، ص116؛ رمضان.(2008م): بيزنطة والحروب الصليبية، ص38؛ زيتون.(1970م): العلاقات السياسية والكنسية، ص226؛ عبيد.(1970م): روما وبيزنطة، ص187؛ عمران.(1985م): السياسة الشرقية، ص138.

Lilie.(1993.A.D): **Byzantium And The Crusader**, p.149.

¹ - Deuil.(N.D): **De perfection Ludovici VII**, pp.14-16.

² - فريزنغ.(1977م): تاريخ أوتو فريزنغ، من خلال الموسوعة الشامية، ج28، ص352؛ رنسيما.(د.ت): تاريخ الحروب الصليبية، ج2، ص412؛ زابوروف، ميخائيل.(1986م): الصليبيون في الشرق، تر: الياس الشاهين، دار التقدم، موسكو، د.ط، ص1؛ عبيد.(1970م): روما وبيزنطة، ص188؛ عمران.(1985م): السياسة الشرقية، ص137.

³ - عبد الحميد.(1998م): قضايا في الحروب الصليبية، ص65.

⁴ - رمضان.(2017م): بيزنطة والغرب، ص123،

⁵ - عبيد.(1970م): روما وبيزنطة، ص194.

التعهدات السالفة ما بين لويس السابع ومانويل كومنين، ولا سيما أن مانويل لم يجد طريقة يفرض بها على كونراد إعلان تبعيته للإمبراطور البيزنطي، لأنه مساوٍ في المكانة والحقوق مع الإمبراطور البيزنطي، بالتالي مشاركة كونراد في الحملة الثانية منعت من خضوع الصليبيين للإمبراطورية البيزنطية في أثناء مرورهم عبر الأراضي البيزنطية⁽¹⁾؛ ويتوضح مما سلف أن الصليبية الثانية جاءت لتشكل ارتياباً وخوفاً مضاعفين لمانويل وحكمه، ولتسبب خطراً وفوضى في الإمبراطورية البيزنطية بشكل مضاعف مما شكلته الحملة الصليبية الأولى⁽²⁾.

وفي الحقيقة أثارت أنباء عبور الحملة الصليبية الثانية الأراضي البيزنطية الخوف والقلق في قلوب البيزنطيين، ولاسيما إن العدوان والفوضى والسلب والتدمير التي قامت به الحملة الصليبية الأولى مازالت محفورة في نفوس وعقول البيزنطيين، التي دلت على تأثير الصليبيين بالشقاق الديني العظيم، الذي ولد الكره والحقد الديني، الذي تحكم بكل تصرفاتهم العدوانية مع البيزنطيين الأرثوذكس⁽³⁾، كل الأعمال العدوانية التي قامت به الحملة الصليبية الأولى، جعل الأباطرة البيزنطيين على قناعة تامة أن الهدف الحقيقي للحملة الصليبية هو الاستيلاء على القسطنطينية، وهذا اليقين سبب الكثير من القلق لدى مانويل كومنين، لذلك سارع لترميم الأسوار والقلاع في القسطنطينية وتقويتها، لتهيئ لأي هجوم يقوم به الصليبيون على القسطنطينية⁽⁴⁾، وإن هذا الرعب الذي شكلته الحملة الصليبية الثانية في نفوس البيزنطيين، يدل على أن البيزنطيين لا يخشون خطر السلاجقة والمسلمين بقدر خوفهم من نوايا الصليبيين وأهدافهم ضد القسطنطينية⁽⁵⁾، وفي هذا أشارات واضحة على أثر الشقاق الديني العظيم، والكره المتبادل بين الطرفين الذي زاد من حدته الحملة الصليبية الأولى.

بالإضافة إلى ذلك: مكانة الأشخاص الذين قادوا الحملة الصليبية الثانية شكل أزمة للإمبراطور البيزنطي في وضع خطة للتعامل معهم وإخضاعهم، فلم يستطع مانويل أن يفرض عليهم إعلان التبعية له، لأنهم يتساوون

¹ - رمضان.(2017م): بيزنطة والغرب، ص99، رمضان.(2008م)، بيزنطة والحروب الصليبية، ص25، زيدان.(2016م): العلاقات الألمانية البيزنطية، ص17.

² - عبد الحميد.(1998م): قضايا في الحروب الصليبية، ص119.

³ - رمضان.(2017م): بيزنطة والغرب، ص110.

⁴ - Choniates.(1984.A.D): Annals, p.36.

رمضان.(2008م): بيزنطة والحروب الصليبية، ص24؛ عبد الحميد.(1998م): قضايا في الحروب الصليبية، ص119.

⁵ - رمضان.(2017م): بيزنطة والغرب، ص111؛ عاشور.(1971م): الحركة الصليبية، ج2، ص644.

Lilie.(1993.A.D): Byzantium And The Crusader, p.148.

معه بالمكانة والسلطة، ومما زاد من شكوك وتوتر مانويل إدراكه أن الملك لويس والإمبراطور كونراد يعدون قدومهم وانتصاراتهم في الشرق امتداداً طبيعياً لأملاكهم في الغرب؛ بالتالي سيكون الإمبراطور كونراد والملك لويس بمثابة حاملي حقوق المسيحيين في الشرق، وما يؤكد ذلك خضوع لويس السابع وكونراد الثالث لسيطرة رجال الدين الكاثوليك، الذين نمو بداخلهم إحساسهم بالواجب المقدس في مشاركتهم في الحملة التي ستدافع عن المسيحيين في الشرق ضد أعدائها، التي كانت الإمبراطورية البيزنطية من بينهم بسبب مطالباتها، وحماتها المتكررة ضد أنطاكية سعياً لضمها لحضيرتها⁽¹⁾، وهذا ما تدركه الإمبراطورية البيزنطية، وبذلك يتضح البعد الديني في سياسة كل من الطرفين، ويتضح مما سلف أثر الشقاق الديني العظيم على توتر مانويل كومنين، وموقفه من الحملة الصليبية الثانية، لأن أي نجاح يحققه الملك الكاثوليكيان سيؤثر سلباً على مكانة كنيسة القسطنطينية، وبالتالي على السيادة السياسية والدينية للإمبراطورية البيزنطية في الشرق.

وبذلك تكون الحملة الصليبية الثانية خطراً هدد أمن الإمبراطورية البيزنطية ووجودها، ولاسيما بعد تأكيد الغرب اللاتيني على إرساله حملات صليبية كلما ما احتاج المسيحيون الصليبيون في الشرق مساعدة من الغرب اللاتيني⁽²⁾، وكل ذلك سيؤجج بدون شك النزاع بين اللاتين المقتنعين بمسؤوليتهم بحماية مسيحي الشرق، وبين البيزنطيين المستكرين لهذه القناعة، التي تعد حماية المسيحيين في الشرق من صلاحيات الإمبراطورية البيزنطية فقط، وعدت وجود الصليبيين في الشرق، والدعم الذي يحصلون عليه من الغرب انتهاك لحقوقها وصلاحياتها⁽³⁾، بالإضافة إلى تناقض قيام الحملة الصليبية الثانية مع سياسة مانويل كومنين الخارجية في آسيا الصغرى، فإن انشغاله بالحملة الثانية سيمنح أعداءه فرصة لتهديد حدود الإمبراطورية البيزنطية، ولكي يتفادى ذلك عقد معاهدة سلام مع السلاجقة لمدة إثني عشر عاماً⁽⁴⁾، كما ستعيق الحملة الثانية أطماع مانويل في أنطاكية وسياسته، وسيقوي وجود الحملة الثانية الإمارات الصليبية وسيوحد صفهم مما يمنع مانويل من تنفيذ خطته في الحصول على أنطاكية.

¹ - رمضان.(2017م): بيزنطة والغرب، ص112.

² - رمضان.(2017م): بيزنطة والغرب، ص112.

Lilie.(1993.A.D): Byzantium And The Crusader, p.148.

³ - عبد الحميد.(1998م): قضايا من الحروب الصليبية، ص110.

⁴ - زيتون.(1970م): العلاقات السياسية والكنسية، ص228؛ عبيد.(1970م): روما وبيزنطة، ص188.

Lilie.(1993.A.D): Byzantium And The Crusader, p.149.

وقد سلفُ الذكر أثر الشقاق الديني في رغبة البيزنطيين الملحة في امتلاك أنطاكية-، كما ألغت قيام الحملة الثانية أي تعاون أو تحالف حصل بين الإمبراطورية البيزنطية، والإمبراطورية الألمانية، بسبب مشاركة الإمبراطور الألماني كونراد الثالث بهذه الحملة، مع احتمالية قيام نزاع عسكري بين كونراد وجيوشه العابرين الأراضي البيزنطي، ومع القوات العسكرية البيزنطية التي ستؤدي إلى تدمير التحالف الألماني البيزنطي بشكل كامل، بالتالي إعطاء فرصة لتحقيق أطماع روجر في أنطاكية، التي سلف وبين أثر الخلاف الديني من مخاوف بيزنطة من أطماع روجر في أنطاكية⁽¹⁾، وبدلت الحملة الثانية تحالف كونراد الثالث ومانويل كومنين ضد روجر وأطماعه، إلى فرصة مناسبة لتجديد روجر تهديداته ضد الإمبراطورية البيزنطية وممتلكاتها في جنوب إيطاليا⁽²⁾، بالإضافة للمشاكل التي شكلتها مشاركة كونراد بالحملة على مانويل كومنين، عانى من مشاركة لويس السابع ملك فرنسا بسبب سياسته المحابية والمتطرفة للصليبيين في الشرق، بالإضافة إلى صلة القرابة التي كانت تجمع لويس بصليبي الشرق من جهة، والنورمان في أنطاكية وإيطاليا من جهة أخرى كل ما سلف شكل ارتياباً كبيراً في نفس مانويل كومنين⁽³⁾، وهذه المخاوف البيزنطية توضح أثر الشقاق الديني العظيم في خوف مانويل كومنين من الحملة الصليبية الثانية، ومن أهداف ونوايا الملوك المشاركة فيها، وكيف لا والغرب اللاتيني ينظر للبيزنطيين على أنهم كفرية وليسوا مسيحيين حقيقيين، وخائنين للقضية الصليبية، ولاسيما أن الكره والحقد زاد بين الطرفين فيما بعد الحملة الأولى.

¹ - زيتون.(1970م): العلاقات السياسية والكنسية، ص227؛ عبيد.(1970م): روما وبيزنطة، ص188.

² - رمضان.(2017م): بيزنطة والغرب، ص113؛ زيتون.(1970م): العلاقات السياسية والكنسية، ص270.

Ostrogorsky.(1998.A.D): History Of The Byzantine State, p.345.

³ - رمضان.(2017م): بيزنطة والغرب، ص114-115.

Lilie.(1993.A.D): Byzantium And The Crusader, p.150. Magdalino(P).(1993.A.D): The Empire Of Manuel

I "Komnenos 1143-1180, Cambridge university press, N.E, p.50.

5- أثر الخلاف الكنسي على علاقة الإمبراطور البيزنطي مانويل كومنين والإمبراطور الألماني كونراد

الثالث في أثناء عبوره الأراضي البيزنطية.

كان كونراد وجيشه الذي يشمل عدداً كبيراً من الفرسان والخيالة، وبعض اللصوص والخارجين عن القانون، هو أول من توجه في نحو الشرق⁽¹⁾، وسلك كونراد الطريق البري الذي يمر داخل الأراضي البيزنطية، وعاصمتها القسطنطينية حتى يصل إلى الشام، وعند بلوغ الجيش الألماني أراضي المجر، بعث الإمبراطور البيزنطي مانويل كومنين رسالة يتساءل فيها ما إذا كان وجود كونراد في الأراضي البيزنطية بصفته عدواً أو صديقاً، وأكد كونراد أنه لا يحمل العداوة للبيزنطيين، وخضع لشروط مانويل بلا تردد، وجعل الأمراء الألمان المشاركين معه بالحملة يقسمون يمين التبعية والولاء للإمبراطور مانويل⁽²⁾، وظل الأمر يسير بسلام وبدون فوضى أو توتر بين كونراد والبيزنطيين، بدليل ما سطره كونراد من تفاصيل لإحداثيات الأمور لمستشاره⁽³⁾ ويبالد webald⁽⁴⁾، وأكد معاملة البيزنطيين الإيجابية والخالية من أي مظهر من مظاهر العدوان لكونراد وجيشه خلال دخولهم وعبورهم الأراضي البيزنطية⁽⁵⁾؛ لكن هذا السلام لم يدم، فالألمان لم يستطيعوا إخفاء جشعهم وطمعهم وحقدهم الديني ضد البيزنطيين، فقاموا بأعمال السلب والقتل، ورفضوا دفع ثمن الأقوات التي يشترونها من البيزنطيين⁽⁶⁾، ونالت مدينتا فيليبوبوليس philippopolis⁽⁷⁾ وأدريانوبل

¹ - فريزنغ. (1977م): تاريخ أوتو فريزنغ، من خلال الموسوعة الشامية، ج28، ص352؛ زابوروف. (1986م): الصلبيون في الشرق، ص175. Phillips. (2010.A.D): The Second Crusade, p.169.

² - كيناموس. (1997م): أعمال يوحنا ومانويل كومنينوس، من خلال الموسوعة الشامية، ج28، ص81 Choniates. (1984.A.D): Annals, p.36.

رمضان. (2017م): بيزنطة والغرب، ص120؛ عمران. (1985م): السياسة الشرقية، ص141.

³ - رنسيما. (د.ت): تاريخ الحروب الصليبية، ج2، ص418.

⁴ - ويبالد: رئيس دير ستافيلوت، وهو مستشار الإمبراطور الألماني كونراد الثالث، والإمبراطور فردريك بربروسا. عبيد. (1970م): روما وبيزنطة، ص119.

⁵ - رنسيما. (د.ت): تاريخ الحروب الصليبية، ج2، ص419.

⁶ - Deuil. (N.D): De Perfection Ludovici Vii, p.43-48.

زابوروف. (1986م): الصلبيون في الشرق، ص177؛ عمران. (1985م): السياسة الشرقية، ص142.

⁷ - فيليبوبوليس: مدينة مقدونية، تقع جنوب تراقيا على شواطئ بحر إيجه، تعرضت لحروب عنيفة عدة عبر التاريخ، استولى عليها فردريك بربروسا أثناء الحملة الصليبية الثالثة، نتج عنه نزاع عنيف بين الإمبراطور الألماني الإمبراطور البيزنطي. الربيعي. (د.ت): موقف الإمبراطورية البيزنطية من قادة الحملات الصليبية، ص306-307.

Adrianople⁽¹⁾ الحصنة الكبرى من العدوان والقتل واستباحة الدماء⁽²⁾، حتى إن المصادر اللاتينية أشارت إلى عدوان الجيش الألماني على البيزنطيين، ومدى الدمار والحرائق التي تسببوا بها في الأراضي البيزنطية، لدرجة أن الجيش الفرنسي الذي سار على الدرب نفسه الذي سار عليه الجيش الألماني لم يجد ما يستفيد منه في قوته⁽³⁾. هذا يؤكد على الكره والحقد الذي خلفه الشقاق الديني العظيم في قلوب اللاتين اتجاه البيزنطيين الأرثوذكس، بدليل كمية العدوان والقتل والأهوال التي ارتكبتها الجيش الألماني بحق البيزنطيين. وكانت ردة فعل الإمبراطور مانويل كومنين على العدوان الألماني لمدنه وشعبه عنيفة، حيث أرسل فرقة عسكرية بيزنطية لمواجهة عبث، واعتداء الألمان، مما أدى إلى وقوع نزاع حاد بين الطرفين، وبعدها تواصل مانويل مع كونراد الثالث، وقدم له تحذيراً بالابتعاد عن القسطنطينية، ونصحه بالتوجه نحو آسيا الصغرى لينفذ في مدينة اللاذقية، وأكد على أمان هذا الطريق، وبحال استمرار كونراد بتقدمه نحو القسطنطينية سيقوم مانويل بمواجهته بالقوة⁽⁴⁾.

رفض كونراد نصيحة مانويل، وسعى لمواجهة تحذيره بالعنف والقوة، وأكمل طريقه وطريق جيشه نحو القسطنطينية⁽⁵⁾، وتوترت العلاقات بين كونراد ومانويل بشكل خطير بتجاهل كونراد لتحذيرات مانويل، ووصل التوتر لمرحلة قرر فيها مانويل تجهيز كمين عسكري يقضي فيه على كونراد وجيشه، لكنه غير مخططه بشكل مفاجئ

¹ - أدريانوبل: مدينة تقع على جانبي المصبصة غربي نهر سيحان، وهي حالياً أدنة شمال غرب إستانبول. الإصطخري، أبو أسحاق إبراهيم بن عمر ت346هـ/975م. (1839م): صور الأقاليم، دن، دط، ص34؛ الربيعي. (د.ت): موقف الإمبراطورية البيزنطية من قادة الحملات الصليبية، ص481.

² - كيناموس. (1997م): أعمال يوحنا ومانويل كومنينوس، من خلال الموسوعة الشامية، ج28، ص84.
Choniates. (1984.A.D): Annals, p.37 .

رنسيما. (د.ت): تاريخ الحروب الصليبية، ج2، ص421؛ زابوروف. (1986م): الصليبيون في الشرق، ص178.
Phillips. (2010.A.D): The Second Crusade, p.172.

³ - Deuil. (N.D): De perfection Ludovici Vii، pp.47-49. Roche and Jensen: the Second Crusade, p.188.
زابوروف. (1986م): الصليبيون في الشرق، ص178.

⁴ - كيناموس. (1997م): أعمال يوحنا ومانويل كومنينوس، من خلال الموسوعة الشامية، ج28، ص40؛ رمضان. (2017م): بيزنطة والغرب، ص124، رنسيما. (د.ت): تاريخ الحروب الصليبية، ج2، ص420؛ عمران. (1985م): السياسة الشرقية، ص142؛ ويست، أنتوني. (1997م): الحروب الصليبية، تر: شكري نديم، شركة النبراس، بغداد، دط، ص86.

⁵ - Deuil. (N.D): De perfection Ludovici Vii، pp.49-50 ،

ويست. (1997م): الحروب الصليبية، ص86.

من المواجهة بالقوة العسكرية إلى المواجهة بالدبلوماسية⁽¹⁾، لعل مانويل أراد عبور الألمان من أرضه بأقل الخسائر الممكنة وبشكل سلمي.

ودليل ذلك كرم مانويل الزائد مع كونراد الثالث عندما وصل إلى القسطنطينية، لكن جيش كونراد قابل هذا الكرم والدبلوماسية بالقتل والعنف والتدمير ضد البيزنطيين ومدنهم⁽²⁾، هذا يدل أن اللاتين لا يستطيعون إخفاء كرههم الديني للبيزنطيين المدفوع بأثر الشقاق الديني العظيم.

وقد وقعت بين الإمبراطور البيزنطي مانويل كومنين، والإمبراطور الألماني كونراد الثالث حرب كلامية حادة شتم فيها الطرفان بعضهما بجملة من الشتائم والتهجمات السلبية، وبعد هذه الشتائم الحادة التي تراشقها الطرفان، أدرك مانويل ضعف كونراد من السيطرة على جيشه، لذا قرر أن يوقف عدوان الجيش الألماني بالقوة العسكرية⁽³⁾.

وكانت ردة فعل كونراد مليئة بالكره والعدوانية، حيث هدد مانويل كومنين بالهجوم على القسطنطينية والاستيلاء عليها، وتعيين بطريك لاتيني عليها، ليصلح اعوجاجها وظلالها، مما جعل العلاقات بين الإمبراطور الألماني، والإمبراطور البيزنطي تصل لمرحلة الانفجار⁽⁴⁾.

ويتبين من الوهلة الأولى أن السبب الحقيقي لتأزم العلاقات ما بين البيزنطيين والألمان هو حرب الألقاب والصراع على المنزلة الإمبراطورية، بينما كان أثر الشقاق الديني العظيم يستتر خلف حرب الألقاب والصراع على المنزلة الإمبراطورية، كيف لا وكونراد إمبراطور المملكة الرومانية المقدسة الكاثوليكية وممثل العالم المسيحي

¹ - كيناموس.(1997م): أعمال يوحنا ومانويل كومنينوس، من خلال الموسوعة الشامية، ج28، ص85؛ رنسيان.(د.ت): تاريخ الحروب الصليبية، ج2، ص421؛ عبيد.(1970م): روما وبيزنطة، ص190؛ ويست.(1997م): الحروب الصليبية، ص87.

² - كيناموس.(1997م): أعمال يوحنا ومانويل كومنينوس، من خلال الموسوعة الشامية، ج28، ص91؛ عمران.(1985م): السياسة الشرقية، ص143.

Roche and Jensen.(2015.A.D): The Second Crusade, p.194.

³ - Choniates.(1984.A.D): Annals, p.39 .

رمضان.(2017م): بيزنطة والغرب، ص122؛ رمضان.(2008م): بيزنطة والحروب الصليبية، ص27.

⁴ - كيناموس.(1997م): أعمال يوحنا ومانويل كومنينوس، من خلال الموسوعة الشامية، ج28، ص87.

Choniates.(1984.A.D): Annals, p.40 .

رنسيان.(د.ت): تاريخ الحروب الصليبية، ج2، ص428؛ عبد الحميد.(1998م): قضايا في الحروب الصليبية، ص113.

Roche and Jensen.(2015.A.D): The Second Crusade, p208.

الكاثوليكي قائد الحملة الصليبية المباركة من قبل البابا الكاثوليكي نحو الشرق، ليدافع عن الإمارات الصليبية اللاتينية في الشرق التي عملت داخل إماراتها على مشروع كتلكة الكنائس المسيحية الشرقية، ويعد هذا انتصاراً كنسياً للبابوية على حساب كنيسة القسطنطينية وسيادتها في الشرق، وبالتالي أي انتصار لكونراد في الصليبية الثانية يعد انتصاراً كنسياً للبابوية على حساب مكانة وسيادة كنيسة القسطنطينية وتهديداً واضحاً لمصالح مانويل في الشرق وأهدافه.

كما بدا واضحاً أثر الشقاق الديني العظيم في التصرف العدواني الذي قام به الجيش الألماني على المسيحيين الشرقيين، والشعب البيزنطي، بالإضافة للسلب والنهب والتدمير الذي قاموا به في الأراضي البيزنطية، وليكون تهديد كونراد المليء بالحقد الديني على مهاجمة القسطنطينية، والاستيلاء عليها، وتصحيح ظلالها، من خلال تعيين بطريرك لاتيني فيها أكبر دليل على أثر الشقاق الديني في نفوس اللاتين، وهذا الحقد هو الذي يتحكم بأعمال العنف التي يقوم بها الألمان. وكل ما سلف يؤكد أن فكرة الشقاق الديني مازال ماثلاً أمام أعين اللاتين على كافة طبقاتهم وترجم الكره والحقد بعدوان على مدينة القسطنطينية الأرثوذكسية. وعدوان كونراد، وتحديه الواضح لأمن الإمبراطورية البيزنطية، فرض على مانويل كومنين خلق جو من التفاهم مع المسلمين السلاجقة، ليس لتشكيل حلف ضد الحملة الثانية، وإنما لكي يحمي حدود إمبراطوريته من أي اعتداء من قبل السلاجقة، ويعطي كل اهتمامه لمواجهة تهديدات النورمان من جهة، وعدوان كونراد من جهة أخرى⁽¹⁾؛ في الحقيقة إن الكره الذي يكنه الألمان والفرنسيون لبعضهم البعض، ساعد مانويل كومنين لإيجاد صيغة للتفاهم مع كونراد، الذي قبل عرض مانويل في نقل الجيش الألماني إلى آسيا الصغرى من خلال أسطول بيزنطي، كما قدم مانويل كومنين الأسلحة والإمدادات الغذائية للجيش الألماني، كما زودهم بعدد من المرشدين البيزنطيين⁽²⁾، كما قدم مانويل لكونراد نصائح هامة تتعلق بالطريق الآمن الذي يجب اتباعه هو وجيشه، لكن كونراد صم أذنيه عن هذه النصائح، كما رفض عرض مانويل كومنين في إرسال فرقة عسكرية بيزنطية تساعد كونراد في حملته، مقابل جعل فرقة ألمانية من جيش كونراد تخدم

¹ - زابوروف. (1986م): الصليبيون في الشرق، ص181.

Lilie. (1993.A.D): **Byzantium And The Crusader**, p.148.

² - عبيد. (1970م): روما وبيزنطة، ص191-192؛ عمران. (1985م): السياسة الشرقية، ص143.

في الجيش البيزنطي⁽¹⁾، ولعل غاية مانويل من وراء ذلك العرض الحصول على شرف النجاح الذي ستحققه الحملة الصليبية الثانية. ولعل قصد من زرع فرقة عسكرية بيزنطية ضمن الجيش الصليبي، الحصول على أي فرصة تمكنه من استعادة إمارة أنطاكية، وفرض السلطة البيزنطية عليها⁽²⁾، ولعل في هذا دور للخلفية الدينية، وخاصة أن بيزنطة أدركت الارتباط العميق بين الجانبين السياسي والديني في مسألة أنطاكية، لذلك حاول مانويل من خلال عرضه هذا ضمان حقوقه في أنطاكية، ليوقف برنامج الكتلكة، ويؤكد على حقوق بيزنطة والسيادة فيها.

ويتضح من رفض كونراد لكل طلبات ونصائح الإمبراطور مانويل، إبعاد مانويل عن أي انتصار يحققه هو وجيشه الألماني بالتالي يظهر وكأنه الزعيم المسيحي الوحيد الذي يحق له حماية الصليبيين المسيحيين في الشرق، بالتالي تفكير كونراد يحمل بعداً دينياً لأثر الشقاق الديني العظيم.

بعد رفض كونراد المستمر لكل نصائح مانويل، فضل الأخير عدم التدخل وترك كونراد وجيشه يواجهون مصيرهم، لكنه لم يبخل عليهم بالمؤن والأسلحة والمرشدين⁽³⁾، وسار كونراد وجيشه عبر الطريق الذي ينتهي عند مدينة قونية، وهناك قسم الجيش لقسمين، قسم عبر نحو اللاذقية، وقسم سار نحو قونية، وكان هذا القسم بقيادة كونراد، لكنه تعرض لكثير من الكوارث والأهوال، منها المجاعات ووعورة الطريق، والكمائن التي نصبها السلاجقة للجيش الألماني، وأمام هذه الأهوال هرب المرشدون البيزنطيون⁽⁴⁾، خوفاً من الذبح على يد الألمان، الذين سيتهمونهم بالخيانة بشكل قطعي، بعد هذه الخسائر المتتالية التي تعرض لها جيش كونراد، قرر العودة نحو نيقية⁽⁵⁾، ولاسيما وأن خسائره كانت فادحة حتى هو لم يسلم من الأذى وقد تعرض لبعض الجروح البالغة التي كادت أن تقتله، وفي

¹ - كيناموس.(1997م): أعمال يوحنا ومانويل كومنينوس، من خلال الموسوعة الشامية، ج28، ص91.
Choniates.(1984.A.D) : **Annals**, p.40.

² - رنسيان.(د.ت): تاريخ الحروب الصليبية، ج2، ص413.
Vasiliev.(1971.A.D): **History Of The Byzantine Empire**, vol II, pp.71-74.

³ - رمضان.(2017م): بيزنطة والغرب، ص124؛ عبيد.(1970م): روما وبيزنطة، ص192؛ عمران.(2002م): بيزنطة وحضارتها، ص281؛ عمران.(1985م): السياسة الشرقية، ص143.
Lilie.(1993.A.D): **Byzantium And The Crusader**, p.148.

⁴ - كيناموس.(1997م): أعمال يوحنا ومانويل كومنينوس، من خلال الموسوعة الشامية، ج28، ص91-92.
Choniates: **Annals**, p.41. Deuil.(N.D): **De Perfection Ludovici Vii**, p.76. Ostrogorsky.(1998.A.D): **History Of The Byzantine State**, p.340

⁵ - زابوروف.(1986م): الصليبيون في الشرق، ص179؛ عمران.(1985م): السياسة الشرقية، ص145.

نيقية التقى جيش كونراد، مع الجيش الفرنسي وملكه لويس السابع⁽¹⁾، وبالكوارث المتتالية التي حلت على جيش كونراد، رسمت مصير الحملة التي ستؤدي إلى وجود توتر ونزاع كبير بين البيزنطيين والصليبيين فيما بعد، ولاسيما أن الصليبيين سيحملون مسؤولية فشلهم في حملتهم على البيزنطيين الخائنين للصليبيين والحركة الصليبية ككل⁽²⁾، ومنها أن البيزنطيين خلطوا الدقيق بالجير لكي يسموا الصليبيين، لكن هذا الاتهام مستبعد، ولعل الوباء الذي حل بالجيش الألماني عائد إلى كثرة الجثث التي يصدر عنها النتن، وليس للإمبراطور البيزنطي أي يد فيها⁽³⁾، كما أكدت المصادر اللاتينية خيانة المرشدين البيزنطيين الذين تعاملوا مع السلاجقة للتخلص من الصليبيين، وإن هروب المرشدين، وترك الألمان في منطقة لا يعرفون خباياها، يواجهون مصيرهم المحتوم من القتل والموت، يؤكد خيانة البيزنطيين وتعاملهم مع السلاجقة⁽⁴⁾، وكل هذه الاتهامات نابعة من كره اللاتين الكاثوليك للبيزنطيين الأرثوذكس، وأثر الشقاق الديني العظيم الذي جعل كل تصرفات البيزنطيين بمكان شك وريبة. ولعل كل هذه الاتهامات تستبعدا رسالة كونراد الثالث التي سطرها إلى مستشاره، وأكد فيها إصراره على اتباعه الطريق المؤدية نحو مدينة قونية، وقد أشار إلى كرم مانويل في تقديمه المؤن والأسلحة للجيش الألماني، ولم يكتب كونراد عن أية خطة متفق عليها ما بين المرشدين والسلاجقة⁽⁵⁾، وكان هرب المرشدين البيزنطيين يحمل بعداً دينياً لأثر الشقاق الديني العظيم ما بين اللاتين والبيزنطيين، وذلك لأن المرشدين على يقين تام أن الصليبيين الكارهين لكل ما هو بيزنطي سيحملون نقص المؤن، وهجوم السلاجقة على الصليبيين، على عاتق المرشدين البيزنطيين، وكانوا على يقين، أن الصليبيين سيقضون عليهم بحجة الخيانة، لذلك فضلوا الهرب على بقائهم تحت رحمة الصليبيين الكارهين لهم، ولكنهم وقعوا في أثناء هربهم في أيدي السلاجقة، الذين علموا حال الصليبيين منهم، وتشجعوا لهجوم عليهم، وقتلهم من دون

¹ - كيناموس. (1997م): أعمال يوحنا ومانويل كومنينوس، من خلال الموسوعة الشامية، ج28، ص92؛ وليم الصوري. (2003م): تاريخ وليم الصوري، من خلال الموسوعة الشامية، ج46، ص1041-1042.

Deuil.(N.D): De Perfection Ludovici VII, p.95.

² - عمران. (1985م): السياسة الشرقية، ص147.

³ - عبيد. (1970م): روما وبيزنطة، ص193.

⁴ - وليم الصوري. (2003م): تاريخ وليم الصوري، من خلال الموسوعة الشامية، ج46، ص1034-1036.

⁵ - عمران. (1985م): السياسة الشرقية، ص146.

Phillips.(2010.A.D): The Second Crusade, p.177 .

وجود اتفاق مسبق بينهم وبين المرشدين⁽¹⁾؛ وهكذا كان للخلاف الديني أثر واضح في تصرفات الألمان العدوانية بحق المسيحيين الشرقيين، وتهديد كونراد الثالث لمانويل في الهجوم على القسطنطينية، كما كان واضحاً هذا الأثر في الكره الشديد للبيزنطيين، والشك في نواياهم، وخاصة اتهامهم بالخيانة التي أدت إلى إخفاق صليبية كونراد، بالمقابل كان للخلاف الديني أثر كبير في سياسة مانويل تجاه كونراد، لكن يستتر خلف حرب الألقاب والصراع على المنزلة الإمبراطورية، فان مانويل كان يدرك تماماً أن كونراد يعد نفسه السيد الأعلى للإمارات الصليبية، قدم من الغرب وقد حمل على عاتقه مهمة الدفاع عن المسيحيين الشرقيين - والتي هي وثنية في نظره-، وبالتالي السيطرة عليها، وتنفيذ سياسة الكتلة على حساب كنيسة القسطنطينية، ولعل هذه السياسة تؤكد لمانويل إن أي نجاح يحققه كونراد في الشرق هو نجاح للبابوية وللكاتوليك على حساب كنيسة القسطنطينية وسيادتها ومكانتها.

¹ - عمران.(1985م): السياسة الشرقية، ص147.

6- أثر الخلاف الكنسي على علاقة الإمبراطور البيزنطي مانويل كومنين والملك الفرنسي لويس

السابع في أثناء عبوره الأراضي البيزنطية.

توجهت الحملة الفرنسية نحو الشرق بشكل منظم بعد أخذ البركات من البابوية⁽¹⁾، وبدأت النزاعات بين القوات الصليبية الفرنسية والرعايا البيزنطيين منذ وصولهم للأراضي البيزنطية، وقد سوغت المصادر اللاتينية أن العدوان الذي قام به الجيش الصليبي الفرنسي في الأراضي البيزنطية، عائد إلى جشع البيزنطيين المعتادين عليه، وطمعهم وغشهم وتلاعبهم بالموازن⁽²⁾، يتضح من ذلك أن اللاتين قادمون إلى الشرق محملين ذاكرتهم بالإضافة للأطماع الاقتصادية، أثر الشقاق الديني العظيم، وكيف لا وهم يعدون اليونان هراطقة ووثنيين، فإن ما سلف يبين أثر الخلاف الديني في عقلية المؤرخين اللاتين⁽³⁾، وقد رسم مانويل لنفسه سياسة معينة للتعامل مع لويس السابع، فقد بعث رسالة للويس السابع مع مجموعة من السفراء البيزنطيين الذين يتمتعون بالدبلوماسية الفذة، وهذه الدبلوماسية لم تعجب اللاتين، وعدوه نوعاً من النفاق والتلاعب، حتى إن اللاتين تعاملوا مع السفراء بأسلوب خالٍ من اللباقة، واتهموهم بالغموض الذي يستتر خلفه الكثير من الخداع⁽⁴⁾؛ هذا يدل أن الخلفية الدينية واضحة في كمية الكره وطريقة كلام الصليبيين.

وقد عرض السفراء البيزنطيون على لويس طلبات مانويل كومنين وأهمها: تقديم لويس وعوداً للإمبراطور البيزنطي بعدم إثارة الفوضى والشغب والعدوان في الأراضي البيزنطية، وضد الشعب البيزنطي، كما طلب مانويل من لويس أن يعيدوا للحظيرة البيزنطية كل الأراضي التي سيستولون عليها في الشرق، التي كانت تابعة للبيزنطيين⁽⁵⁾،

¹ – Deuil.(n.d): **De Perfection Ludovici Vii**, p.20.

عمران.(1985م): السياسة الشرقية، ص149.

² – Deuil.(N.D): **De Perfection Ludovici Vii**, p.25.

³ – منصور، طارق.(د.ت): القسطنطينية في الكتابات الصليبية 1096-1204م، جامعة عين شمس، مصر، د.ط، ص4-5.

⁴ – كيناموس(1997م): أعمال يوحنا ومانويل كومنينوس، من خلال الموسوعة الشامية، ج28، ص92.

Deuil.(N.D): **De Perfection Ludovici Vii**, p.29.

عمران.(1985م): السياسة الشرقية، ص149.

⁵ – رمضان.(2017م): بيزنطة والغرب، ص126، رنسيان.(د.ت): تاريخ الحروب الصليبية، ج2، ص422، عبيد.(1970م): روما وبيزنطة، ص195.

Phillips.(2015.A.D): **The Second Crusade**, p.195.

وهذا جزء من خطة مانويل في الاستفادة من الحملة الصليبية الثانية قدر الإمكان في تحقيق مصالح الإمبراطورية البيزنطية⁽¹⁾، وقد وافق لويس السابع على طلب مانويل الأول، لكن لم يقدم أي جواب على الطلب الثاني، مقتصرًا رده على إمكانية مناقشة ذلك عند مقابلة الإمبراطور مانويل كومنين⁽²⁾، في الحقيقة كان لويس السابع مدركاً تماماً خطة مانويل في استغلال الحملة الصليبية الثانية لتحقيق مصالح الإمبراطورية البيزنطية، وكان لويس رافضاً بشكل قطعي تقديم أية مساعدة لمانويل كومنين وإمبراطوريته، لذلك حاول مناقشة هذا الموضوع مع مانويل ليضغط عليه ويلغي طلب مانويل سالف الذكر، ولأسيما أن لويس السابع كان على يقين بأن حملته لها غرض مقدس، ومدعومة من البابوية الكاثوليكية لتحقيق أهداف مقدسة، وليس لتقديم مساعدات للإمبراطورية البيزنطية الأرثوذكسية، الذي يجب أن يدعم الحملة المقدسة دون قيد أو شرط⁽³⁾، سلك لويس السابع وجيشه الطريق نفسه الذي سلكه كونراد الثالث وجيشه، وبسبب العدوان الذي قام به جيش كونراد على البيزنطيين، تمنع البيزنطيون من تقديم أية مساعدة لحملة لويس السابع، وامتنعوا عن فتح متاجرهم، وبيع أي شيء للصليبيين⁽⁴⁾، فقام الصليبيون من الحصول على ما يريدون من سلع وأقوات بالقوة، فهاجموا البيزنطيين وبيوتهم ومتاجرهم، ونهبوا ما فيها، ثم دمروا كل ما وجدوه أمامهم⁽⁵⁾، وإن وحشية القوات الفرنسية وعدوانها على المسيحيين، إن دل على شيء إنما يدل على أثر الخلاف الديني وعلى زيادة الكره الصليبي تجاه اليونان الأرثوذكس.

عند وصول سفراء لويس السابع، وبعض الفرق العسكرية الفرنسية التي سبقت الملك لويس إلى القسطنطينية، قام الأهالي البيزنطيون بإغلاق أسواقهم ومتاجرهم بشكل كامل، لكي يجبروا الصليبيين ترك

¹ - عمران.(1985م): السياسة الشرقية، ص149.

Lilie.(1993.A.D): Byzantium And The Crusader, p.148.

² -Deuil.(N.D): De Perfection Ludovici Vii, p.29 .

رمضان.(2008م): بيزنطة والحروب الصليبية، ص31؛ العريني، السيد باز.(1999م): الشرق الأوسط والحروب الصليبية، القاهرة، د.ط، ص554-558.

³ - رمضان.(2017م): بيزنطة والغرب، ص126.

⁴ - Deuil.(N.D): De Perfection Ludovici Vii, pp.33-41.

رنسيبان.(د.ت): تاريخ الحروب الصليبية، ج2، ص433؛ عبيد.(1970م): روما وبيزنطة، ص195؛ عمران.(1985م): السياسة الشرقية، ص150.

⁵ - Phillips.(2010.A.D): The Second Crusade, p.200.

القسطنطينية، والذهاب نحو آسيا الصغرى، وحدث ما خطط له التجار البيزنطيون، لكن فرقة من الجيش الفرنسي فضلت البقاء في القسطنطينية، مما أثار غضب البيزنطيين، الذين هجموا بقيادة فرقة من البشنق على الفرقة الفرنسية لإجبارها على مغادرة عاصمتهم، وعلى أثر هذه الحادثة قام الفرنسيون بشكوى للإمبراطور البيزنطي مانويل كومنين عن هذه الحادثة، وقد سمح لهم مانويل بالبقاء بالقرب من أحد قصور العاصمة، وأمن لهم سوقاً تجاريةً لشراء حاجياتهم بسهولة⁽¹⁾، لكن الصدام بين فرقة من البشنق التي تخدم في الجيش البيزنطي والجيش الفرنسي تكرر مجدداً، مما أثار غضب الفرنسيين الذين قاموا بمواجهة البشنق، وبعدها أسرعوا لمقابلة الإمبراطور ليشكو له عدوان رعاياه المتكرر، وقد قدم مانويل للفرنسيين الأعذار والتسويعات عن عدم معرفته شيء عن العدوان على الفرنسيين وتودد للفرنسيين وسمح لهم بأن يعسكروا بالقرب من قصره، وأمن لهم ما يلزمهم من مؤن وطعام⁽²⁾، وفي هذا الأثناء وصلت للفرنسيين أنباء عن تفاصيل التقارب الذي حدث بين البيزنطيين والسلاجقة، وسارعت المصادر اللاتينية لنعت مانويل كومنين بالغدر والخيانة⁽³⁾، لكن في الحقيقة لم تكن المعاهدة التي أبرمها مانويل مع سلطان قونية هي السبب في كره اللاتين لمانويل وللإغريق بشكل عام؛ وإنما السبب هو أثر الشقاق الديني العظيم الذي كان واضحاً في كتابات المؤرخين اللاتين، ولاسيما الراهب أودو دويل وتحامله الواضح والشديد على الكنيسة البيزنطية وعقيدتها وطقوسها. وكان البعد الديني للشقاق الديني العظيم يتجلى في كتاباته التي سطرها فقط للسخرية والانتقاص من بيزنطة وكنيستها.

يتضح مما سلف مدى التصدع والشقاق الكبير الذي أصبح يفصل بين اللاتين والبيزنطيين على المستوى العقائدي⁽⁴⁾، ونعت المؤرخ اللاتيني الراهب دويل بيزنطة وكنيستها بشكل واضح بالهرطقة والكفر، مستنداً على تباين

¹ - Deuil.(N.D): **De perfection ludovici Vii**,p.47.

رنسيما. (د.ت): **تاريخ الحروب الصليبية**، ج2، ص424؛ عبيد.(1970م): **روما وبيزنطة**، ص166؛ عمران.(1985م): **السياسة الشرقية**، ص150.

² - عبيد.(1970م): **روما وبيزنطة**، ص197.

³ - Deuil.(N.D): **De perfection ludovici Vii**, p.49.

العريني.(1993م): **الشرق الأوسط والحروب الصليبية**، ج1، ص549-553؛ عمران.(1985م): **السياسة الشرقية**، ص151.

⁴ - الصوا.(2004م): **من البابا أوربان الثاني، ص44، عبيد.(1970م): روما وبيزنطة**، ص197؛ منصور.(د.ت): **القسطنطينية في الكتابات الصليبية**، ص41.

الطقوس والأعراف الدينية ما بين اللاتين والبيزنطيين، بالإضافة إلى قضية عدم تساوي الأب والابن بالجواهر، كما سوغ الراهب أودو دويل اتهاماته للبيزنطيين بعدة مسوغات واهية وهي إن البيزنطيين لا يحترمون طقوس وأعراف النساء اللاتينيات بعد زواجهم من بيزنطيين، فإنهم يجبرونهن على العمادة مرة ثانية حسب الطقوس البيزنطية، كما كان البيزنطيون يطهرون مذابحهم بعد صلاة اللاتين فيها؛ يؤكد كل ما سلف مدى الكره والحقد الديني الموجود بقلب اللاتين، رجال دين كانوا أو علمانيين، أو جنوداً عاديين، ويعدونهم أعداء للمسيحية ولقضية الحركة الصليبية مثلهم مثل السلاجقة، وأكد اللاتين أن سفك الدم البيزنطي شيء مقدس، ومن جواهر أعمال الجندي الصليبي⁽¹⁾، وكل ما سلف من اتهامات ونعوت لاتينية للبيزنطيين، ولاسيما قضية الإفتاء بسفك الدم البيزنطي يؤكد على أثر الشقاق الديني العظيم، الذي ولد كماً هائلاً من الكره والحقد الديني، وهذا الكره هو الذي يحرك الأفعال العدوانية، والخطط والنوايا اللاتينية للهجوم على القسطنطينية، وقتل شعبها وتصحيح كنيسته. وهذا الكره الديني في قلوب اللاتين كان مانويل يدركه تماماً، كما سيؤثر بشكل سلبي على علاقة مانويل كومنين من الحملة وموقفه⁽²⁾، بالإضافة لكل ما سلف، فقد كانت حملة لويس السابع تشكل توتراً وريبة كبيرة في نفس مانويل كومنين، وذلك لعلاقته الوطيدة، وصلة قرابته مع صليبي الشرق من جهة، ونورمان أنطاكية وإيطاليا من جهة ثانية، بالإضافة تشبعه بآراء رجال الدين التي عدت قادة الحملة الصليبية الثانية الحامين الحقيقيين للمسيحيين في الشرق من خطر السلاجقة والبيزنطيين على حد سواء⁽³⁾، وهذا دليل آخر يوضح أثر الشقاق الديني العظيم في سياسة لويس في عد البيزنطيين المسيحيين الشرقيين من أعداء اللاتين الكاثوليك، مثلهم مثل المسلمين⁽⁴⁾.

وفي الحقيقة كان لويس بقمة العجرفة والتصلب، فقد رفض كل النصائح التي قدمها مانويل له، بما يتعلق بالطريق الذي يجب أن يعبره الجيش الفرنسي، حتى طلب مانويل بإعادة القوات الفرنسية للأراضي التي استولى عليها السلاجقة، قبل بقتور ومماطلة، كما شكل مشروع التحالف الثنائي الذي يجمع لويس السابع وروجر الثاني

¹ – Deuil.(N.D): De Perfection Ludovici Vii, p.51–70.

عبيد.(1970م): روما وبيزنطة، ص198.

² – الصوا.(2004م): من البابا أوربان الثاني، ص44.

³ – رمضان.(2017م): بيزنطة والغرب، ص127.

⁴ – Lilie.(1993.A.D): Byzantium And The Crusader, p.149.

ربية كبيرة في قلب مانويل كومنين من حملة لويس السابع، وقد أيد رجال الدين الفرنسيون هذا التحالف، الذي سيوجه ضد بيزنطة، للهجوم على القسطنطينية والاستيلاء عليها⁽¹⁾، وقبل وصول الملك لويس وجيشه إلى مشارف القسطنطينية، قابل سفراءه الذين سبقوه إليها، وقام السفراء بتحريض الملك لويس على مانويل كومنين والإمبراطورية البيزنطية الخائنة، التي تقاربت من أعدائهم السلاجقة، وتحالفت معهم، كما أخبروه عن اعتداء البشنق المتكرر عليهم⁽²⁾، وبدأ السفراء الصليبيون يشجعون الملك لويس السابع على فكرة التحالف المشترك مع روجر الثاني، للقضاء على القسطنطينية والبيزنطيين الذين لا يعدون مسيحيين حقيقيين، ويجب على الصليبيين قتلهم وسفك دمائهم، لأن هذا من جوهر أعمال الجندي الصليبي في الحرب المقدسة⁽³⁾.

وكل ما سلف من حقد وكره للبيزنطيين عائد إلى الشقاق الديني العظيم ما بين كنيسة روما وكنيسة القسطنطينية. وما يؤكد ذلك طرح رجال الدين الفرنسيين المساهمين بالحملة الصليبية الثانية على ملكهم لويس السابع، مشروع غزو القسطنطينية والاستيلاء عليها، مستندين بذلك إلى اتهاماتهم للبيزنطيين أنهم ليسوا مسيحيين حقيقيين، وعاصمتهم ليست بلداً مسيحياً سوى بالاسم فقط، ولا سيما أن مانويل كومنين إمبراطور بيزنطة، وأباه من قبله اعتدوا على أنطاكية الصليبية مرات عدة، سعوا للسيطرة عليها، كما عينوا على كنيسة بطريركاً بيزنطياً، وكان لويس على قناعة تامة بما قاله رجال الدين الفرنسيون، لكنه رفض مشروعهم رغبةً منه في الوصول إلى الأراضي المقدسة بالسرعة القصوى⁽⁴⁾، وهذا يدل أن أثر الشقاق الديني العظيم مازال ماثلاً أمام أعين الصليبيين بغض النظر إذا كان صليبيّاً عادياً أو من الرهبان، وهذا يؤكد أن أثر الشقاق الديني العظيم هو السبب في حث الملك الفرنسي في غزو القسطنطينية من قبل الصليبيين.

¹ - رمضان.(2017م): بيزنطة والغرب، ص127.

² - عمران.(2002م): بيزنطة وحضارتها، ص281؛ عمران.(1985م): السياسة الشرقية، ص151.

Lilie.(1993.A.D): Byzantium And The Crusader, p.150.

³ - Deuil.(N.D): De Perfection Ludovici Vii, p.69.

رنسيما. (د.ت): تاريخ الحروب الصليبية، ج2، ص433؛ عبد الحميد.(1998م): قضايا في الحروب الصليبية، ص70؛ ماير.(1999م): تاريخ الحروب الصليبية، ص154.

⁴ - زابوروف.(1986م): الصليبيون في الشرق، ص182؛ عبيد.(1970م): روما وبيزنطة، ص199.

كان الإمبراطور البيزنطي مانويل كومنين مدركاً تماماً حجم الكره والحقد الديني الذي يشحن قلوب اللاتين الذي يحرك أفعالهم العدائية ضد البيزنطيين. وكان على علم تام بالأفكار التي تدور في عقل اللاتين، لذلك رسم لنفسه سياسة معينة لتعامله مع لويس السابع، وهي التودد منه والتقرب إليه، ليكسب صداقته لعله في ذلك يبعد خطر هجوم الحملة الصليبية الثانية والجيش الفرنسي عن عاصمته القسطنطينية، لذلك قام بالترحيب بلويس السابع عند وصوله للقسطنطينية، وهياً موكباً عظيماً ضم أفضل العلمانيين والكهنوت البيزنطيين، ليستقبلوا لويس ويرافقوه إلى القصر الإمبراطوري⁽¹⁾، وبعد الاستقبال المهيّب والترحيب العظيم الذي قام به مانويل كومنين، توجه برفقة لويس السابع بزيارة إلى أهم الأماكن الدينية والمقدسة في القسطنطينية، كما قام بتعريف لويس السابع على جمال القسطنطينية وحضارتها، وبعد الرحلة التي فرح بها لويس، قام مانويل بإعداد مأدبة فاخرة من الطعام للويس السابع ورجاله⁽²⁾، على أن هذا الكرم والترحاب الذي قدمه مانويل كالعادة، قبول بنكران للجميل والشعور بالريبة من جانب الصليبيين، ويدل على الحقد الديني والكره الكبير الذي يتحكم بتصرفاتهم. بدليل ما قام به جيش لويس السابع من فوضى وعدوان وسلب وقتل داخل العاصمة البيزنطية، وبعد استنكار البيزنطيين لتصرفات الصليبيين العدوانية، قام الصليبيون بإشعال النار في البساتين المشجرة، والمتاجر والبيوت البيزنطية، لينتقموا من استنكار البيزنطيين لتصرفاتهم العدوانية⁽³⁾، كل ما سلف يؤكد على أثر الخلاف الكنسي في التحكم في التصرفات العدوانية للصليبيين حيال البيزنطيين.

كما أُنضح أثر الشقاق الديني العظيم في السطور التي خطها الراهب الفرنسي أودو أوف دويل عن التباين في الطقوس والأعراف الدينية ما بين كنيسة روما، وكنيسة القسطنطينية المنحرفة، عندما تزامن وجود لويس السابع

¹ - رنسيان.(د.ت): تاريخ الحروب الصليبية، ج2، ص431؛ عمران.(1985م): السياسة الشرقية، ص151؛ منصور.(د.ت): القسطنطينية في الكتابات الصليبية، ص13.

² - كيناموس.(1997م): أعمال يوحنا ومانويل كومنينوس، من خلال الموسوعة الشامية، ج28، ص93.
Deuil.(N.D): De perfection ludovici Vii, pp.65-68.

³ - رمضان.(2017م): بيزنطة والغرب، ص129؛ عبيد.(1970م): روما وبيزنطة، ص200.

وجيشه في القسطنطينية مع حلول عيد⁽¹⁾ القديس دنيس St. Denis⁽²⁾، وكان الاحتفال بهذا العيد من الأشياء المشتركة بين كنيسة روما وكنيسة القسطنطينية، لكن طقوس هذا الاحتفال تختلف بين الكنيستين -اختلاف في الصلوات والترانيل واستخدام الخبز المخمر في تناول في الكنيسة وحتى الاختلاف في طريقة اللباس-، وهذا ما تم انتقاده من قبل اللاتين، فقد أرسل مانويل كومنين موكباً مرموقاً يضم أفضل الأساقفة ورجال الدين في القسطنطينية إلى معسكر الملك لويس السابع، لمشاركة الصليبيين بهذا العيد، وكانت اتهامات وانتقادات اللاتين على طقوس البيزنطيين في هذا الاحتفال لاذعة، ولاسيما عندما شتموا رجال الدين البيزنطيين بأنهم⁽³⁾ خصيان⁽⁴⁾؛ ويشير ذلك بدون شك على أثر الصراع الكنسي ما بين كنيسة روما وكنيسة القسطنطينية، والذي يشحن اللاتين بمشاعر الكره للبيزنطيين، وتجاهل كل مظاهر الضيافة والكرم البيزنطية.

في الواقع إن رجال الدين اللاتين المرافقين للويس، كانوا يضمرون عداوة شديدة للإمبراطورية البيزنطية وكنيستها الضالة -في نظر اللاتين-، وتجلّى ذلك بوضوح من خلال شحن أفكار لويس السابع بفكرة غزو القسطنطينية المهرطقة، والتي تدعي المسيحية⁽⁵⁾، هذا يؤكد أن للبعد الديني دور في تأجيج مشاعر الكره ضد القسطنطينية وشعبها وحكامها، وكان مانويل يدرك ذلك تماماً، لذا سعى بأقصى جهده للإسراع بفكرة وصول لويس وجيشه إلى آسيا الصغرى، لكي يبعد شغب الصليبيين وخطرهم وكرهم عن العاصمة البيزنطية⁽⁶⁾، هذا الخطر الذي شغله عن صد اعتداء روجر الثاني الذي استغل فرصة انشغال مانويل بالحملة الصليبية الثانية، للسيطرة على بعض الجزر التي تعدّ من أملاك بيزنطة في إيطاليا، وسلب الكثير من المال والذهب والسلع منها وحملها إلى

¹- Deuil.(N.D): De Perfection Ludovici Vii, p.70-

منصور.(د.ت): القسطنطينية في الكتابات الصليبية، ص45.

² - القديس دنيس: هو أول أساقفة باريس، وبذل مجهوداً لتحويل الناس إلى المسيحية، تعرض للاضطهاد بالقرن الثالث الميلادي على يد الإمبراطور داكيسوس Dacesus، واستشهد بقطع رأسه، وتقول الأسطورة، أنه التقط رأسه وسار فيه عدة أميال، انتشرت طقوس تبجيله خارج فرنسا، ويتم الاحتفال بعيد القديس دنيس من قبل المسيحيين الكاثوليك والأرثوذكس. موسى، ميشال(د.ت): عندا تموت الأساطير، دار المشرق، القاهرة، ط1، ص100.

³-Deuil.(N.D): De Perfection Ludovici Vii, p.70-

منصور.(د.ت): القسطنطينية في الكتابات الصليبية، ص45.

⁴ -الخصيان: مفرد خصي، وهو من استؤصل خصيتاه.ابن منظور، أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ت711هـ/1311م.(د.ت): لسان العرب، مج الأول، ص411؛ عبد المنعم، محمد.(2005م): معجم الألفاظ العربية في اللغة الفارسية، الرياض، ج1، ص494.

⁵ - رمضان.(2017م): بيزنطة والغرب، ص128؛ عبد الحميد.(1998م): قضايا في الحروب الصليبية، ص108؛ عبيد.(1970م): روما وبيزنطة، ص199.

⁶ - عبيد.(1970م): روما وبيزنطة، ص206.

مملكته⁽¹⁾، لكن بعيداً عن أي تأثير للخلاف الديني، خطط مانويل لحماية عاصمته وبلاده من الخطر الصليبي، ليستطيع توجيه جهوده وقوته لصد تهديدات النورمان⁽²⁾، وليحقق ذلك قام ببحث معلومات مفادها أن الجيش الألماني بقيادة كونراد الثالث، يحتفلون بانتصاراتهم الباهرة على السلاجقة في آسيا الصغرى⁽³⁾، وعلى أثر هذه الإشاعة التي زرعت الغيرة في قلب لويس من انتصارات كونراد، وافق على فكرة عبور جيشه لآسيا الصغرى، وتوجه نحو مدينة خلقيدونية⁽⁴⁾، وقبل خروج الصليبيين من القسطنطينية قاموا بعدوان عنيف ضد التجار البيزنطيين، وهب مانويل للدفاع عن رعاياه، فأغلق جميع الأسواق أمام الصليبيين، وعندها طلب لويس السابع من مانويل فتح الأسواق، وكان قبول مانويل مشروطاً بإعلان نبلاء الجيش الفرنسي وأمراءه الطاعة والتبعية لمانويل كومنن، لكن الفرنسيين استكروا هذا الطلب بشدة، ورفضوا ذلك بحجة أنهم لا يقدمون الطاعة لحاكم وثني⁽⁵⁾، وكل ذلك يدل على أثر الخلاف الكنسي على سياسة الأمراء الفرنسيين والملك الفرنسي حيال البيزنطيين، بالمقابل كان مانويل لا يفكر بالخلاف الديني، وإنما همه الأول هو حماية عاصمته ورعاياه من عدوان الصليبيين، ليستطيع التوجه لصد عدوان روجر الثاني. وانتهت المفاوضات بين لويس ومانويل، بتقديم لويس تعهدات بعدم استحواذ الفرنسيين على أراضي تابعة للبيزنطيين، مقابل تزويد مانويل الفرنسيين بالمؤن وفرقة عسكرية بيزنطية لتدلهم على خبايا الطريق في آسيا الصغرى⁽⁶⁾، لكن هذا الاتفاق لم يتم بسبب رفض لويس السابع لطلب مانويل في التحالف معه ضد اعتداءات روجر الثاني على الإمبراطورية البيزنطية⁽⁷⁾؛ وفي مدينة نيقية التقى لويس السابع وجيشه مع كونراد الثالث، الذي قص

¹ - كيناموس.(1997م): أعمال يوحنا ومانويل كومنينوس، من خلال الموسوعة الشامية، ج28، ص143.

Choniates.(1984.A.D): **Annals**, p.43.

Lilie.(1993.A.D): **Byzantium And The Crusader** , p.148. Setton.(1969.A.D): **A History Of The Crusades**, vol II, p.135.

² - عمران.(1985م): السياسة الشرقية، ص151.

³ - Deuil.(N.D): **De Perfection Ludovici Vii**, p.73.

⁴ - زابوروف.(1986م): الصليبيون في الشرق، ص182.

⁵ - Deuil.(N.D): **De Perfection Ludovici Vii**, p.75. Phillips.(2015.A.D): **The Second Crusade**, p.200.

رنسيما. (د.ت): تاريخ الحروب الصليبية، ج2، ص433؛ ماير.(1999م): تاريخ الحملات الصليبية، ص154-155.

⁶ - Deuil.(N.D): **De Perfection Ludovici Vii**, pp.77-79.

زابوروف.(1986م): الصليبيون في الشرق، ص183؛ عمران.(1985م): السياسة الشرقية، ص153.

⁷ - عبيد.(1970م): روما وبيزنطة، ص201.

عليه الكوارث التي تعرض لها⁽¹⁾، وتم الاتفاق بين العاهلين أن يعبروا الطريق الساحلي حتى يصلوا إلى اللاذقية، لكن تقدم الجيش الفرنسي على الجيش الألماني، وسخرية الفرنسيين المتكررة والجارحة من الإخفاق الذي لحق بهم، جعل كونراد يتوقف عن متابعة الرحلة مع لويس السابع⁽²⁾، وكان الإمبراطور يعلم بتحركات الصليبيين وأخبارهم، والمرض الذي ألم بكونراد الثالث، لذلك سارع للتواصل مع كونراد الثالث، وطلب منه القدوم إلى القسطنطينية، ليتم علاجه فيها⁽³⁾، لم ينتظر لويس وصول كونراد الثالث إليه، لذلك فضل إتمام مسيره⁽⁴⁾ على الرغم من التحذيرات التي قدمها مانويل كومنين له من كمين يعدّه السلاجقة، وقدم نصيحة للويس بتجنب الطرق التي يتواجد بها السلاجقة، ويتوجه نحو القلاع البيزنطية لكي يحمي نفسه وجيشه من أي اعتداء يحدث من قبل السلاجقة، لكن مانويل نبه لويس من ردود فعل البيزنطيين إذا تعرضوا للاعتداء من قبل الصليبيين⁽⁵⁾. ولعل في ذلك توضيحاً أن سياسة مانويل حيال لويس بعيدة عن أي تأثير للخلاف الديني بين الطرفين، وتتفي اتهام اللاتين تحالف مانويل مع السلاجقة ضد الصليبيين.

لكن لويس صم أذنيه عن نصائح مانويل وسار بتعنت نحو أنطاكية، وعندما اقترب من غرب أنطاكية، كان السلاجقة بانتظارهم، ودارت معركة وادي مندريس عام (543هـ/1147م) وهوجموا السلاجقة على الصليبيين هجوماً عنيفاً، راح ضحيته عدد كبير من الصليبيين⁽⁶⁾، وبعد خسائرهم أمام السلاجقة تعرضوا لمحنة أخرى بعد اجتيازهم مدينة اللاذقية، وهي حدوث عاصفة مطرية حادة مترافقة مع عاصفة ثلجية، جعلت حالتهم تزداد سوءاً

¹ - فريزنغ. (1977م): تاريخ أوتو فريزنغ، من خلال الموسوعة الشامية، ج28، ص359؛ زابوروف. (1986م): الصليبيون في الشرق، ص113. Phillips.(2010.A.D): **The Second Crusade**, p.177.

² - وليم الصوري. (2003م): تاريخ وليم الصوري، من خلال الموسوعة الشامية، ج46، ص1043. Deuil.(N.D): **De Perfection Ludovici Vii**, p.108.

عاقل. (1967م): الإمبراطورية البيزنطية، ص288.

³ - كيناموس. (1997م): أعمال يوحنا ومانويل كومنينوس، من خلال الموسوعة الشامية، ج28، ص95-96؛ رنسيما. (د.ت): تاريخ الحروب الصليبية، ج2، ص435؛ العريني. (1993م): الشرق الأوسط والحروب الصليبية، ج1، ص551؛ عمران. (1985م): السياسة الشرقية، ص155. Deuil.(N.D): **De Perfection Ludovici Vii**, pp.103-105.

⁵ - رنسيما. (د.ت): تاريخ الحروب الصليبية، ج2، ص236؛ عمران. (1985م): السياسة الشرقية، ص155. Deuil.(N.D): **De Perfection Ludovici Vii**, pp.111-123.

زابوروف. (1986م): الصليبيون في الشرق، ص184؛ ماير. (1999م): تاريخ الحملات الصليبية، ص155.

واستغل السلاجقة ذلك، وهجموا مجدداً على الصليبيين، وقتلوا عدداً كبيراً منهم، واصيب الملك لويس السابع بجراح بالغة على أثر هذا الهجوم⁽¹⁾، وقد حملت المصادر اللاتينية مسؤولية هذه الكوارث، لخيانة مانويل كومنين وتحالفه مع السلاجقة للقضاء على الصليبيين⁽²⁾، لكن ذلك مستبعد، لأن الإمبراطور مانويل قدم نصائحه للصليبيين كي يصلوا إلى الأراضي المقدسة بسلام. وبعد هذه الكوارث التي حلت بلويس وجيشه، فضل التوجه إلى إمارة أنطاكية على متن سفن بيزنطية، غير مكترث لمصير جيشه الذي يتعرض لهجوم السلاجقة، ولم يقتصر الهجوم على الصليبيين، بل هجم السلاجقة على البيزنطيين أيضاً، واحتذى الصليبيون والبيزنطيون داخل القلاع البيزنطية، ليتفادوا القتل على يد السلاجقة⁽³⁾، لكن الراهب أودو أوف دويل يشير إلى عكس ذلك، ويؤكد على منع البيزنطيين من دخول الصليبيين إلى قلاعهم، وإن المسلمين الأتراك هم من أطعموا الصليبيين، وقدموا لهم العلاج للمصابين والجرحى، على عكس البيزنطيين الذين سرقوا الطعام والمال الذي قدمه لهم المسلمون⁽⁴⁾، بصرف النظر عن مدى صحة كتابات الراهب أودو أوف دويل، لكن هذه الكتابات تحمل بعداً دينياً، فعندما يقارن معاملة المسلمين للصليبيين، وهم الأعداء الذين حرروا الرها، وبسببها خرجت الحملة الصليبية الثانية وبين البيزنطيين المسيحيين، فهذا دليل واضح أن الأثر الديني والكره والحقد الدفين وراء تفكير الصليبيين: إن البيزنطيين هم أعداء المسيحية مثلهم مثل المسلمين.

سعى لويس ليحقق انتصاراً حتى ولو كان ضئيلاً لحملته في الشرق، لذا توجه إلى بيت المقدس، متجاهلاً اقتراحات أمير أنطاكية وأمير بيت المقدس اللذين يسعيان لاستغلال الحملة لمصالحهم، وفي بيت المقدس اجتمع

¹ - ولیم الصوري.(2003م): تاریخ ولیم الصوري، من خلال الموسوعة الشامية، ج46، ص1047؛ عبید.(1970م): روما وبيزنطة، ص202؛ عمران.(1985م): السياسة الشرقية، ص157.

Phillips.(2010.A.D) : **The Second Crusade**, p.200.

²- Deuil.(N.D): **De Perfection Ludovici Vii**, p.113.

رنسيماں.(د.ت): تاریخ الحروب الصليبية، ج2، ص442.

³ - عمران.(1985م): السياسة الشرقية، ص159.

⁴ - Deuil.(N.D): **De Perfection Ludovici Vii**, p.113 .

رنسيماں.(د.ت): تاریخ الحروب الصليبية، ج2، ص437.

مع كونراد الثالث، وملك بيت المقدس، وقرروا توجيه الحملة صوب دمشق ومحاصرتها والهجوم عليها⁽¹⁾، لكنهم أخفقوا في تحقيق مساعيهم، وفكوا حصارهم عن دمشق، وانسحبوا في (11 ربيع الآخر 543هـ / 28 تموز 1148م)⁽²⁾، وهكذا أخفقت الحملة الصليبية الثانية، التي توجهت من الغرب بدعوة من البابوية، لاستعادة الرها وتقوية الوجود الصليبي في الشرق، ولم تتجح في تحقيق مساعيها⁽³⁾، وكان فرح البيزنطيين كبيراً بإخفاق الحملة الصليبية الثانية⁽⁴⁾، وذلك بسبب إدراك الإمبراطورية البيزنطية إن أي دعم للوجود الصليبي في الشرق، سيكون عائفاً أمام فرض السيطرة السياسية والدينية البيزنطية على إمارة أنطاكية⁽⁵⁾،

ولعل ذلك يحمل بعداً دينياً - كما سلف الذكر -، عن الانتصار الكنسي الذي حققته البابوية في أنطاكية، وذلك على حساب مكانة كنيسة القسطنطينية، ومن الطبيعي أن يكون أي دعم للوجود الصليبي في الشرق على حساب ما تدعيه بيزنطة في أنطاكية، وعلى حساب سيادة كنيسة القسطنطينية في الشرق، لذا يتضح أثر الخلاف الكنسي في فرحة البيزنطيين من إخفاق الحملة الصليبية الثانية. وبعد إخفاق الحملة الثانية في تحقيق مساعيها عاد كونراد إلى الغرب اللاتيني، لكنه عرج صوب القسطنطينية، وعقد حلفاً مشتركاً مع مانويل كومنين عام (544هـ/1149م) لمواجهة روجر الثاني واعتدائه، واقتسام أملاكه في إيطاليا⁽⁶⁾، بينما كانت رحلة لويس مليئة بالمشاكل، ولاسيما مشكلة هجوم البيزنطيين على السفينة التي كانت تنقل لويس⁽⁷⁾، وأثارت هذه المشكلة غضب

¹ - وليم الصوري. (2003م): تاريخ وليم الصوري، من خلال الموسوعة الشامية، ج46، ص1050-1053؛ زابوروف. (1986م): الصليبيون في الشرق، ص185؛ عبيد. (1970م): روما وبيزنطة، ص204؛ عمران. (1985م): السياسة الشرقية، ص161؛ ماير. (1999م): تاريخ الحملات الصليبية، ص155-156.

² - ابن القلانسي. (1983م): تاريخ دمشق، ص305؛ ابن منقذ. (د.ت): الاعتبار، ص70-71؛ ابن الأثير. (1997م): الكامل، ج11، ص130؛ ابن الأثير. (1963م): الباهر، ص88-90؛ أبو شامة. (2002م): الروضتين، ج1، ص52؛ ابن واصل، محمد بن سالم بن نصر ت 697هـ/1292م. (1953م): مفرج الكروب في تاريخ بني أيوب، تح: جمال الدين الشيال، القاهرة، د.ط، ج1، ص1130.

³ - عاشور. (1971م): الحركة الصليبية، ج2، ص635-636؛ عمران. (1985م): السياسة الشرقية، ص162-163.

⁴ - عمران. (1985م): السياسة الشرقية، ص163.

⁵ - Ostrogorsky. (1998.A.D): History Of The Byzantine State , p.340.

⁶ - فريزنغ. (1977م): تاريخ أوتو فريزنغ، من خلال الموسوعة الشامية، ج28، ص316؛ كيناموس. (1997م): أعمال يوحنا ومانويل كومنينوس، من خلال الموسوعة الشامية، ج28، ص96.

Roche and Jansen. (2015.A.D): The Second Crusade, p.210.

⁷ - Deuil. (N.D): De perfection Ludovici Vii, p.109.

رنسيان. (د.ت): تاريخ الحروب الصليبية، ج2، ص460؛ زابوروف. (1986م): الصليبيون في الشرق، ص183.

الفرنسيين وكرههم ضد البيزنطيين، وطالبوا بتوجيه حملة عسكرية صوب القسطنطينية الخائنة-حسب ادعائهم- للانتقام منهم⁽¹⁾؛ هكذا يتضح أثر الخلاف الديني في تصرفات كل من الجيشين الألماني والفرنسي العدوانية، وحجم المعاناة التي عاشتها بيزنطة منذ وصول الجيوش الألمانية والفرنسية إلى أراضيها، وحتى عودتها إلى بلدانها، فقد أحدث الجيشان الفوضى والقتل والسلب والنهب حول القسطنطينية، فقد كان أثر الخلاف الديني واضحاً جداً في كتابات الراهب الفرنسي أودو أوف دويل، وفي تحريض الملك لويس السابع لغزو القسطنطينية والاستيلاء عليها، مما جعل مانويل يخشى على عاصمته من قاندي الحملة الصليبية الثانية، وحاول الإسراع في عبورهم، أو نصحهم في اجتياز طريق البسفور، لحماية عاصمته، ولأنه مدرك تماماً حجم الكره والحقد الذي سوف يؤكد العدوان على الرعايا البيزنطية في العاصمة نفسها، الذي خلفه الشقاق الديني العظيم الكنسي بين اللاتين والبيزنطيين. وإن حالة الوفاق التي تمت بين مانويل وكونراد بعد إخفاق الحملة الصليبية الثانية، عائدة إلى إيجاد مانويل حليفاً ليصد هجوم روجر الثاني وتهديداته المتكررة على أملاك الإمبراطورية البيزنطية، وقد أثرت مسألة أنطاكية على موقف الإمبراطورية البيزنطية غير المحبذ لقيام الحملة الصليبية الثانية، وقد ظهر أثر للخلاف الديني في موقف مانويل بفرحه وترحيبه بإخفاق الحملة الصليبية الثانية، وذلك لأن أي نجاح للصليبية الثانية في الشرق يعزز روح الاستقلالية عن الإمبراطورية البيزنطية، ويفقدها نفوذها في الشام وخاصة في أنطاكية وبالتالي تناقص نفوذ كنيسة على حساب تزايد نفوذ كنيسة روما؛ ويتضح مما سلف أثر الخلاف الكنسي على سياسة كل من الإمبراطور البيزنطي مانويل كومنين، وقادة الحملة الصليبية الثانية وموقفهم، وعلى زيادة الحقد والكره المتبادل بين الطرفين.

¹ - عمران.(1985م): السياسة الشرقية، ص164.

7- إخفاق الحملة الصليبية الثانية وأثر الخلاف الكنسي في ردود أفعال الغرب اللاتيني الكاثوليكي على

هذا الإخفاق.

بعد إخفاق الحملة الصليبية الثانية في تحقيق مساعيها وأهدافها، عادت إلى الغرب اللاتيني لتسوغ هذا الإخفاق بحجج واهية، وأهمها خيانة الإمبراطورية البيزنطية الضالة والكافرة وحاكمها الوثني للقضية الصليبية، وحمل الصليبيون كل إخفاقهم على الإمبراطورية البيزنطية، كيف لا وهي بنظر الغرب اللاتيني مهرطقة، وبعيدة كل البعد عن المسيحية، ورعاياها هم أعداء للمسيحيين، وقتلهم واجب على كل جندي صليبي⁽¹⁾، وسطرت كتابات المؤرخين اللاتين بين طياتها قصص غدر وخيانة القسطنطينية المهرطقة الخالية من الإيمان والوفاء⁽²⁾؛ وكان المسوغ العائد لكل ما سلف، هو أثر الخلاف الكنسي المائل في عقلية اللاتين وذاكرتهم وقلوبهم، والذين مازالوا يعدّون بيزنطة وشعبها وإمبراطورها مهرطقين كفرة، وكتابات الراهب أودو أوف دويل دليل واضح على ذلك⁽³⁾، وطالب الغرب اللاتيني بوجوب تجهيز حملة لغزو القسطنطينية، والاستيلاء عليها، والقضاء على غدرها وخيانتها المنكرة للصليبيين ولل قضية الصليبية بشكل خاص، وبدأ رجال الدين اللاتين والأساقفة، يجوبون أوروبا للتبشير بحملة صليبية مقدسة ضد الإمبراطورية البيزنطية⁽⁴⁾، وساعد رجال الدين في الدعوة للحملة الصليبية ضد القسطنطينية روجر الثاني ملك صقلية، الذي اشترك مع الصليبيين في كرههم وحقدهم على البيزنطيين، الذي وجد في دعوة رجال الدين للحملة ضد القسطنطينية تحقيقاً لأهدافه وطموحاته في القضاء على الإمبراطورية البيزنطية، وليحقق ذلك، بدأ يبيث الأخبار في أرجاء الغرب الأوروبي عن خيانة البيزنطيين، وغدرهم للحملة الصليبية الثانية⁽⁵⁾، ولاقت دعوة روجر ورجال الدين اللاتين تأييداً وقبولاً من قبل البابا يوجين الثالث، الذي رحب بمشروع تحالف يجمع الصليبيين مع روجر الثاني، للقضاء على القسطنطينية وكنيستها، وقد وافق البابا يوجين الثالث الكاره لكل ما هو

¹ - عبيد. (1970م): روما وبيزنطة، ص205؛ عمران. (1985م): السياسة الشرقية، ص164.

² - Deuil. (N.D): De Perfection Ludovici Vii, pp.66-91.

رنسيما. (د.ت): تاريخ الحروب الصليبية، ج2، ص441؛ عبد الحميد. (1998م): قضايا في الحروب الصليبية، ص71.

³ - زابوروف. (1986م): الصليبيون في الشرق، ص186.

⁴ - عبيد. (1970م): روما وبيزنطة، ص206؛ عمران. (2002م): بيزنطة وحضارتها، ص281.

⁵ - رمضان. (2017م): بيزنطة والغرب، ص135.

Vasiliev. (1971.A.D): History Of The Byzantine Empire, vol II, p.423.

بيزنطي على المشروع الذي عرضه عليه الملك الفرنسي لويس السابع، بشأن التحالف مع روجر الثاني للهجوم على القسطنطينية المنحرفة والاستيلاء عليها⁽¹⁾؛ أثر الخلاف الكنسي على موقف البابوية المرحب لتوجيه حملة مقدسة ضد بيزنطة، ولاسيما وإن الحقد الديني هو الذي كان يوجه سياسة البابوية واللاتين حيال البيزنطيين. في الحقيقة كان الإمبراطور الألماني كونراد الثالث، هو الطرف الوحيد في الغرب اللاتيني الذي وضع كرم مانويل وموقفه الإيجابي مع الحملة الصليبية الثانية، وتقديره العون لكونراد عندما ساءت حالته، مما أثار غضب البابا يوجين الثالث الذي راسل كونراد برسالة شديدة اللهجة فيها نوع من التهديد والتذكير أن انتماءه الديني يجب أن يوجه لحماية الكنيسة الأم كنيسة روما، وليس كنيسة القسطنطينية المنحرفة والضالة، والتحالف والتوافق يجب أن يقام مع البابوية، وليس مع حكام خائنين للقضية الصليبية، ومنحرفين عن العقيدة المسيحية الصحيحة⁽²⁾؛ وهنا يتضح موقف البابا يوجين من حلف كونراد الثالث ومانويل، إنه مدفوع بأثر الشقاق الديني العظيم، فهو يعد أي تحالف مع الإمبراطورية البيزنطية وكنيستها سيكون حتماً ضد كنيسة روما وسيادتها في غرب أوروبا وإيطاليا. وكانت ردة فعل البابوية من تحالف كونراد الثالث مع مانويل، التقرب من روجر الثاني والتحالف معه، وبدؤوا يدعو لحملة مقدسة ضد الإمبراطورية البيزنطية، وقد سعى في الدعوة لهذه الحملة المقدسة، القديس برنارد ورجال الدين اللاتين، الذين بثوا أفكارهم العدائية لبيزنطة داخل بلاط روجر الثاني، وضمن الغرب اللاتيني الذين أكدوا على ضرورة الانتقام من البيزنطيين الخائنين للحركة الصليبية، وسوغوا ذلك أن العدو الحقيقي للصليبيين وللمسيحية أجمع هم البيزنطيون⁽³⁾ وقامت عدة اجتماعات لمناقشة تفاصيل التجهيز للحملة المقدسة، وقد سلم البابا يوجين الثالث كامل الصلاحيات بهذه الحملة للملك الفرنسي لويس السابع⁽⁴⁾، وتصرف البابا يوجين الثالث يعد دعماً وتأييداً واضحاً وصريحاً لإعداد وتوجيه حملة مقدسة للقضاء على القسطنطينية وكنيستها⁽⁵⁾؛ هكذا اتفق الغرب اللاتيني على

¹ - رمضان.(2008م): بيزنطة والحروب الصليبية، ص45؛ رنسيومان.(د.ت): تاريخ الحروب الصليبية، ج2، ص416؛ عبيد.(1970م): روما وبيزنطة، ص240.

² - رمضان.(2017م): بيزنطة والغرب، ص134؛ زينون.(1970م): العلاقات السياسية والكنسية، ص236.

³ - رمضان.(2008م): بيزنطة والحروب الصليبية، ص46؛ عبيد.(1970م): روما وبيزنطة، ص243.

⁴ - عمران.(2002م): بيزنطة وحضارتها، ص281.

Vasiliev.(1971.A.D): History Of The Byzantine Empire, vol II, p.423.

⁵ - عبيد.(1970م): روما وبيزنطة، ص243.

الانتقام من الإمبراطورية الخائنة، وراح الحلفاء اللاتين يستعدون لتوجيه حملة بقيادة روجر الثاني للقضاء على بيزنطة الأرثوذكسية الخائنة لأهداف الصليبيين-حسب ادعائهم-، الذين توجهوا نحو الشرق بدعوة من البابا الزعيم الديني للكاثوليك⁽¹⁾، وإن أثر الشقاق الديني العظيم أعمى على تفكيرهم، فوجهوا حقدهم تجاه القسطنطينية - الخائنة في نظرهم-، وتناسوا أن أطماع روجر الثاني واعتدائه على أملاك الإمبراطورية البيزنطية إبان الحملة الصليبية الثانية، هو بحد ذاته تصرف خائن للحملة الصليبية الثانية وأهدافها، ولاسيما عند استغلاله انشغال الإمبراطور مانويل كومنين في مساعدة الصليبيين في العبور عبر أراضيهم، وغزا أملاك الإمبراطورية البيزنطية في إيطاليا، واستولى عليها، وشكل تهديداً مباشراً لسواحل الإمبراطورية البيزنطية الغربية، صارفاً نظره عن مساهمة مانويل الثاني في تقديم مساعدة للحملة الصليبية الثانية، بالإضافة إلى تجاهل الخيانة التي قام بها رجال الحملة الصليبية الثانية، عندما حاولوا حرف الحملة الصليبية الثانية عن هدفها الجوهري، وهو استعادة الرها من المسلمين، والوصول إلى بيت المقدس وتحويلها نحو القسطنطينية، منشغلين عن هدف الحملة الأساسي، بالتفكير بكيفية الهجوم على القسطنطينية، التي عاثوا فيها فساداً وتدميراً وقتلاً وسلباً، وتجاهلوا كل هذا بتأثير عميق بالخلفية الدينية، ولم يتذكروا سوى شيء واحد، هو الخيانة البيزنطية، كل هذا خلق جواً من التقارب بين البابوية وروجر الثاني⁽²⁾، لكن التقارب البابوي الصقلي تعرض لضربة قاسية من⁽³⁾ مجلس السيناتو⁽⁴⁾ في روما، الذي استنكر وقوف البابوية مع روجر الصقلي، وسعى للتقارب مع الإمبراطور الألماني كونراد الثالث، لإعادة البابا يوجين الثالث لصوابه، وعلى أثر ذلك عانى الغرب اللاتيني من فوضى وتحالفات متناقضة، بعضها يدعم خيانة الإمبراطورية البيزنطية، ووجوب الانتقام منها ومعاقبتها وبعضها يعارض ذلك⁽⁵⁾؛ فهل كانت بيزنطة بالفعل خائنة لقضية الصليب؟ وإلى أي مدى أثر الشقاق الديني العظيم على سياسة مانويل كومنين وتعامله مع الحملة الصليبية الثانية وقوادها؟ في الحقيقة لم تؤثر الخلفية

¹ - رمضان.(2008م): بيزنطة والحروب الصليبية، ص46.

² - رمضان.(2017م): بيزنطة والغرب، ص134؛ رنسيما. (د.ت): تاريخ الحروب الصليبية، ج2، ص443؛ زابوروف.(1986م): الصليبيون

في الشرق، ص181؛ عبد الحميد.(1998م): قضايا في الحروب الصليبية، ص113-121.

³ - عبيد.(1970م): روما وبيزنطة، ص242.

⁴ - مجلس السيناتو: هو مجلس الشيوخ الروماني، تم أنشائه عام (509ق.م) ويعد مجلساً استشاري، وكان مسؤول عن تعيين المناصب المدنية والعسكرية المهمة في الإمبراطورية، وإعلان الحروب وتوجيه الجيوش، وكان أعضائه من الطبقة الأرستقراطية. العبادي، مصطفى(1981م): الإمبراطورية الرومانية النظام الإمبراطوري ومصر الرومانية، دار النهضة العربية، دط، ص114

⁵ - عبيد.(1970م): روما وبيزنطة، ص242.

الدينية على سياسة مانويل مع قادة الحملة الصليبية الثانية، والصليبيين الذين اعتادوا على الأفعال العدوانية بحق رعاياه البيزنطيين، فقد رسم مانويل لنفسه سياسة معينة للتعامل مع الحملة الصليبية الثانية، وهي التودد لهم وتقديم النصح والارشادات والمؤن، وكل ذلك لكي يحمي عاصمته، ويحافظ على سلامتها من كره وحقد الصليبيين، فحاول بأقصى جهده إبعاد الصليبيين عن عاصمته، والتسريع من عملية عبورهم إلى آسيا الصغرى، لكن أثر الشقاق الديني العظيم في رغبة مانويل الدفينة في إخفاق الحملة، وفرح مانويل كومنين من إخفاق الحملة الصليبية الثانية في تحقيق مساعيها بالشرق، تؤكد ذلك لأنه - كما ذكر سالفاً - أي نجاح للصليبية الثانية هو نجاح للبابوية، وتعزيز من قوة الصليبيين في الشرق على حساب سيطرة بيزنطة السياسية والدينية في أنطاكية. وسعى مانويل بأقصى جهده لحماية عاصمته من خطر الصليبيين الذين لم يفوتوا أية فرصة في قتل أو سلب رعاياه البيزنطيين، وتدمير المناطق التي مروا منها.

والحق يقال ليس من المنصف ملامة مانويل كومنين، لأنه مثل أي حاكم سياسي في ذلك العصر، يسعى لحماية حكمه وبلاده من الأخطار والتهديدات المترتبة به، بالتالي إخفاق الحملة الصليبية الثانية في الشرق يدعم أهداف مانويل كومنين في أنطاكية، ومطامعه لكن ليس من صالحها أن يكون لها يد في هذا الإخفاق، لأنها تدرك ردة الفعل اللاتينية ستكون توجيه حملة صليبية للانتقام من الإمبراطورية البيزنطية⁽¹⁾. كان مانويل مدركاً تماماً مدى الكره والحقد الديني الذي يكنه الغرب الكاثوليكي للشرق البيزنطي الأرثوذكسي، وكان على علم أن هذا الكره سيدفع اللاتين لاتهامه هو وشعبه بالغدر، ثم تجهيز حملة لغزو القسطنطينية⁽²⁾، لم يستطع مانويل أن يقف مكتوف الأيدي، وينتظر اعتداء اللاتين المتحالفين مع روجر، لذلك قام بجملة من الأعمال الدبلوماسية مع القوى المجاورة له، لعله يستطيع من خلالها صد اعتداء الغرب اللاتيني الكاثوليكي والمدعوم من البابوية وتحالفاته ضد القسطنطينية، ففي عام (1149/544هـ) تقرب من جمهوريتي بيزا وجنوة، وعقد اتفاقاً معهم فحواه التحالف ضد روجر الثاني، وحصار مملكته صقلية حصاراً محكماً مزدوجاً من جهتي الغرب والشرق⁽³⁾، ثم راسل حليفه الألماني

¹ - رمضان. (2017م): بيزنطة والغرب، ص135؛ عبد الحميد. (1998م): قضايا في الحروب الصليبية، ص160.

² - عبد الحميد. (1998م): قضايا في الحروب الصليبية، ص105.

³ - عبيد. (1970م): روما وبيزنطة، ص244.

كونراد الثالث، طالباً منه تجهيز حملة عسكرية ضخمة ضد ملك صقلية روجر الثاني، لكن في هذه الأثناء كانت صحة كونراد في تراجع واعتلال، لذلك كان رده مليئاً بالأعذار على تأخير تجهيز حملة ضد روجر، لكن هذه الحملة ستكون على أهبة الاستعداد في حال شفائه⁽¹⁾.

في الحقيقة إن الحلف والتقارب الذي كان ما بين الإمبراطور البيزنطي مانويل كومنين، والإمبراطور الألماني كونراد الثالث كان العثرة في وجه تنفيذ مشروع الحملة المقدسة اللاتينية لغزو القسطنطينية، الذي رسمه الملك الفرنسي لويس السابع، وملك صقلية روجر الثاني، بدعم وتأييد من البابا يوجين الثالث⁽²⁾، وقد كان لمراسلة مجلس السيناتو لكونراد، وطلبه في وضع حد لتحالفات البابا يوجين المرفوضة من قبل المجلس، دور فعال في قلب الموازين السياسية في الغرب اللاتيني، ولاسيما بعد معرفة البابا بقدوم كونراد الثالث إلى روما ليعيد السلام لها، بالإضافة إلى ارتياب البابا يوجين الثالث من أطماع روجر الثاني وطموحاته في إيطاليا، وتقارب روجر الثاني مع البابا المنافس للبابا يوجين الثالث. كل ما سلف غير موازين القوى السياسية في الغرب اللاتيني لصالح مانويل كومنين⁽³⁾، وخلقت التحديات السالفة التي واجهت البابا يوجين الثالث، جواً للتقارب والتفاوض مع كونراد الثالث، فقد راسل البابا يوجين وبيالد مستشار كونراد الثالث، وطلب مساعدته في التقارب مع كونراد الثالث، ليتم الصلح بين الطرفين، ونجح وبيالد في مهمته، وأصبحت البابوية على وفاق مع كونراد الثالث، الذي استطاع الوقوف في وجه الحملة اللاتينية ضد القسطنطينية⁽⁴⁾، وعلى ذلك أخفقت الحملة المقدسة التي دعا إليها البابا يوجين الثالث وحليفاه لويس السابع، وروجر الثاني، في تنفيذ خططها والتوجه نحو القسطنطينية للاستيلاء عليها، لكنها زادت من الكره والتنافر بين الإمبراطورية البيزنطية، والغرب اللاتيني، ووضحت أثر الشقاق الديني العظيم في أفكار كل من الطرفين، فمن الجانب اللاتيني الكاثوليكي، أثر الشقاق الديني على فكرة وجوب غزو القسطنطينية والاستيلاء عليها،

Ostrogorsky.(1998.A.D): **History Of The Byzantine State**, p.350.

¹ - رمضان.(2017م): **بيزنطة والغرب**، ص157؛ عبيد.(1970م): **روما وبيزنطة**، ص245.

² - Setton.(1969.A.D): **History Of The Crusades**, vol II,p. 512.

³ - رمضان.(2008م): **بيزنطة والحروب الصليبية**، ص48؛ زيتون.(1970م): **العلاقات السياسية والكنسية**، ص236.

⁴ - عبيد.(1970م): **روما وبيزنطة**، ص246.

لأنها خائنة للقضية الصليبية وللصليبيين، ونجاح أية حملة صليبية نحو الشرق مرهون بفكرة القضاء على بيزنطة، أما من الجانب البيزنطي، فإن أثر الشقاق الديني على أفكارها في يقينها إن خطر الصليبيين والغرب اللاتيني، أكبر وأفظع على الإمبراطورية البيزنطية من خطر السلاجقة، ولا سيما وأن الغرب اللاتيني الكاثوليكي المدعوم من البابوية لا يعدّها مسيحية بالجوهر، ووجب على الإمبراطورية البيزنطية مواجهة هذا الخطر بالخطط الدبلوماسية والعسكرية إن لزم الأمر⁽¹⁾.

¹ - رمضان. (2017م): بيزنطة والغرب، ص136؛ عبد الحميد. (1998م): قضايا في الحروب الصليبية، ص100.

الفصل الرابع

أثر الخلاف الكنسي على العلاقات السياسية والعسكرية بين بيزنطة والصليبيين خلال الحملة الصليبية الثالثة عام (584-587هـ/1188-1191م)

1- علاقة بيزنطة مع الإمارات اللاتينية الصليبية في الشرق قبل الحملة الصليبية الثالثة وأثر

الخلاف الكنسي فيها

2- علاقة بيزنطة مع البابوية قبل الحملة الصليبية الثالثة وأثر الخلاف الكنسي فيها

3- علاقة بيزنطة مع الغرب اللاتيني قبل الحملة الصليبية الثالثة

4- علاقة الإمبراطور البيزنطي إسحق الثاني أنجيلوس مع الإمبراطور الألماني فردريك

بربروسا في أثناء عبوره الأراضي البيزنطية عام (585-586هـ/1189-1290م)

5- أثر الخلاف الكنسي على علاقة الإمبراطور البيزنطي إسحق الثاني أنجيلوس من الملك

الإنكليزي ريتشارد قلب الأسد في أثناء عبوره الأراضي البيزنطية عام (587هـ/1291م)

6- موقف الإمبراطور البيزنطي إسحق الثاني أنجيلوس من حملة الإمبراطور الألماني هنري

السادس عام (592-593هـ/1196-1197م) وتأثيراته الكنسية

1- علاقة بيزنطة مع الإمارات اللاتينية الصليبية في الشرق قبل الحملة الصليبية الثالثة وأثر الخلاف

الكنسي فيها

لن يتم فهم علاقة بيزنطة بالغرب اللاتيني والبابوية قبل الحملة الصليبية الثالثة، وأثر الشقاق الديني العظيم فيها، لابد من تسليط الضوء على علاقة بيزنطة مع الإمارات اللاتينية الصليبية في الشرق، وكيف أثرت المصالح السياسية تارة، والشقاق الديني تارة أخرى، على طبيعة هذه العلاقات في هذه الحقبة.

تعرض الإمبراطور البيزنطي مانويل كومنين لتحديات خارجية كبيرة على حدود إمبراطوريته الشرقية، منها تزايد خطر سلطان قونية بشكل كبير، على حساب أملاك الإمبراطورية البيزنطية، بالإضافة إلى ظهور ثوروس الأرمني، الذي قام بتمرد عنيف ضد الإمبراطورية البيزنطية في كيليكيا، وأسس إمارة أرمنية هناك بالتعاون مع اللاتين، ولعل وقوف اللاتين بصف ثوروس ضد بيزنطة له علاقة بالخلفية الدينية، والذين دعموا ثوروس للتوسع على حساب الإمبراطورية البيزنطية في كيليكيا، بالإضافة إلى قوة⁽¹⁾ نور الدين محمود الزنكي(541-569هـ/1146-1174م)⁽²⁾، الذي وضع على عاتقه مواجهة الصليبيين في الشرق، بالتالي شكلت قوته خطراً حقيقياً للوجود الصليبي في الشرق⁽³⁾؛ حاول الإمبراطور البيزنطي مانويل كومنين استغلال ضعف الإمارات الصليبية أمام قوة نور الدين، وسعى للحصول على ما تبقى من أعمال الرها من أرملة جوسلين الثاني، واستطاع مانويل كومنين ضم هذه الأعمال لحضيرة بلاده، لكن اللاتين الموجودين في هذه المناطق فضلوا الرحيل عنها على خضوعهم لحكم البيزنطيين، وتوجهوا نحو إمارة أنطاكية، وكانت من ضمن اللاتين الذين وصلوا إلى أنطاكية أرملة جوسلين الثاني⁽⁴⁾، ولعل ذلك عائدٌ إلى أثر الخلاف الديني ما بين اللاتين والبيزنطيين، كيف لا واللاتين يعدون البيزنطيين مسيحيين غير حقيقيين.

¹ - عمران.(1985م): السياسة الشرقية، ص224-225.

² - نور الدين: هو ابن عماد الدين الزنكي، ويلقب بالملك العادل، حكم حلب بعد وفاة والده، وقام بتوسيع إمارته، ووجد مصر والشام، مشى على درب والده في مواجهة الصليبيين، ومحاولة القضاء على وجودهم، تمكن من تحقيق انتصارات ملموسة على الصليبيين في أنطاكية وبيت المقدس وطرابلس، توفي عام(569هـ/1174م). ابن الأثير.(1997م): الكامل، ج11، ص154-155؛ ابن الأثير.(1963): الباهر، ص102-104؛ أبو شامة.(2002م): الروضتين، ج1، ص72.

³ - عاشور.(1971م): الحركة الصليبية، ج2، ص672.

⁴ - عمران.(1985م): السياسة الشرقية، ص226.

لكن نور الدين استطاع السيطرة بشكل سريع على أعمال الرها وطرد القوات البيزنطية منها⁽¹⁾، وتعرض مانويل لهزيمة ثانية في كيليكيا، بقيام ثوروس الأرمني بالتوسع والسيطرة على مناطق تتبع للحكم البيزنطي، والاعتداء على حاكمها البيزنطي، مما اضطر مانويل كومنين لتعيين حاكم بيزنطي جديد، وأرسله لمواجهة عدوان ثوروس، وقد أرسل مانويل كومنين مع حاكم كيليكيا البيزنطي سفراء بيزنطيين ليتوجهوا نحو إمارة أنطاكية بناء على دعوة من أميرتها كونستانس، وقد قام السفراء البيزنطيون بعرض مشروع الزواج على كونستانس من يوحنا روجر John Roger أرمل شقيق الإمبراطور مانويل كومنين، ولكن هذا العرض قوبل باستنكار حاد من وجهاء إمارة أنطاكية اللاتين، لكي يمنعوا أي تدخل مباشر أو غير مباشر للإمبراطورية البيزنطية بإمارتهم⁽²⁾، ولعل ذلك عائداً أيضاً إلى الخلفية الدينية، فإن أي سيطرة للبيزنطيين على أنطاكية، سيتبعها مباشرة تعيين بطريرك أرثوذكسي بدل البطريرك اللاتيني.

كان ثوروس في هذه الأثناء يحقق انتصارات هامة في منطقة كيليكيا، حتى أصبح سيداً شرعياً وحاكماً فعلياً لكيليكيا، بدعم ومساندة من أتباعه الأرمن واللاتين على حدٍ سواء⁽³⁾، واجه مانويل كومنين قوة ونفوذ ثوروس المتزايد بخطة دبلوماسية، وهي التودد إلى سلطان قونية ركن الدين مسعود (510-551هـ/1116-1156م) لتشكيل حلف ضد ثوروس، مقابل دفع مانويل مبالغ ضخمة من المال لسلطان قونية، لكن كانت نهاية هذا التحالف ضرراً على مانويل، لأن سلطان قونية هاجم ثوروس في البداية، ثم عقد معه معاهدة عام (548هـ/1153م) نصت على إعلان ثوروس فروض الطاعة لسلطان قونية، مقابل تحالف الطرفين ضد الإمبراطورية البيزنطية، غضب مانويل كومنين بالبداية عند سماع أنباء هذا التحالف، لكنه عاد مجدداً للتودد لسلطان قونية السلجوقية قلعج أرسلان الثاني (551-584هـ/1156-1188م)، وعقد معه معاهدة عام (553هـ/1158م)، تؤكد على التزام حكومة قونية

¹ - وليم الصوري. (2003م): تاريخ وليم الصوري، من خلال الموسوعة الشامية، ج46، ص1086.

² - كيناموس. (1997م): أعمال يوحنا ومانويل كومنينوس، من خلال الموسوعة الشامية، ج28، ص127-128؛ زينون. (1980م): العلاقات السياسية والكنسية، ص204؛ عمران. (1985م): السياسة الشرقية، ص226.

³ - كيناموس. (1997م): أعمال يوحنا ومانويل كومنينوس، من خلال الموسوعة الشامية، ج28، ص126.

Choniates. (1984.A.D): Annals, p.70.

باحترام حدود الإمبراطورية البيزنطية في آسيا الصغرى⁽¹⁾، وكان غضب مانويل كومنين شديداً في عرقلة مشروع المصاهرة مع كونستانس الأنطاكية، وقد زاد من حدة هذا الغضب، مشروع زواج كونستانس من⁽²⁾ رينولد Renolad⁽³⁾، ولاسيما أن مانويل كومنين عد زواج كونستانس من رينولد منافياً لأوامره وحقوقه في إمارة أنطاكية، وقد أدرك رينولد أن غضب مانويل ممكن أن يجر عليه حرباً وهو بغنى عن ذلك، لذا حاول التقرب من مانويل، وطلب العفو منه، وقدم رغبته لقبول شروط مانويل كومنين، وكانت طلبات مانويل من رينولد تجهيز حملة ممولة من قبل البيزنطيين، وموجهة ضد ثوروس الأرمني، لم يعارض رينولد على طلبات مانويل كومنين وتم توجيه الحملة ضد ثوروس، ولكن نهايتها كانت مشابهة لحملة سلطان قونية، فقد، قد حلف بين رينولد وثوروس ضد الإمبراطورية البيزنطية، مسوغاً رينولد في خذلانه لمانويل كومنين، إن الأخير لم يقدّر الحملة بشكل كافٍ⁽⁴⁾، وهذا مستبعد، بسبب سياسة مانويل الموجهة بشكل قوي للتخلص من ثوروس، من خلال تمويل حملة عسكرية يقودها رينولد. ولعل رينولد أدرك إذا ما تم للإمبراطور البيزنطي التخلص من ثوروس وتهديداته المستمرة للإمبراطورية البيزنطية، فإن مانويل سيتفرغ لبسط سيطرته السياسية والدينية على إمارة أنطاكية، والتدخل بشؤونها الداخلية، لذا قرر التحالف مع ثوروس ضد البيزنطيين، وقرر الحليفان الجدد الاعتداء على أملاك الإمبراطورية البيزنطية، واختاراً أفضل الجزر وأغناها وأكثرها ثراء بين الجزر التابعة للسلطات البيزنطية، وهي⁽⁵⁾ جزيرة قبرص Cuprous⁽⁶⁾.

¹ - عمران. (1985م): السياسة الشرقية، ص 227.

² - كيناموس. (1997م): أعمال يوحنا ومانويل كومنينوس، من خلال الموسوعة الشامية، ج 28، ص 178؛ رنسيما. (د.ت): تاريخ الحروب الصليبية، ج 2، ص 557-558.

³ - رينولد: هو من صليبي الحملة الثانية رافق لويس السابع من بيت المقدس إلى أنطاكية، وتزوج من كونستانس عام (548هـ/1153م). البيشاوي. (2006م): الممتلكات الكنسية، ص 268.

⁴ - وليم الصوري. (2003م): تاريخ وليم الصوري، من خلال الموسوعة الشامية، ج 46، ص 1065؛ زيتون. (1980م): العلاقات السياسية والكنسية، ص 205.

⁵ - رنسيما. (د.ت): تاريخ الحروب الصليبية، ج 2، ص 561؛ زبوروف. (1986م): الصليبيون في الشرق، ص 190.

⁶ - قبرص: تقع على شرق البحر المتوسط، وكانت خاضعة للبيزنطيين، واحتلها ريتشارد قلب الاسد عام (587هـ/1191م)، في عام (593هـ/1197م)، حتمها أسرة لوزنيان اللاتينية، وأخضعها لسلطة البابا والإمبراطور الألماني. الربيعي. (د.ت): موقف الإمبراطورية البيزنطية من قادة الحملات الصليبية، ص 484.

في الواقع أدرك حاكم قبرص نية المتحالفين الجدد لغزو جزيرته، لذلك أعد لهم كميناً محكماً، استطاع من خلاله هزيمة اعتداء ثوروس ورينولد⁽¹⁾، لكن المصادر اللاتينية تشير إلى انتصار المتحالفين، واعتقال حاكم قبرص، وعانت قوات رينولد وثوروس فساداً في الجزيرة ونهبوا كل ما وقع تحت أيديهم، حتى الكنائس المسيحية والأديرة المقدسة تعرضت للنهب والتدمير، وقام رينولد بفرض ضرائب باهظة على أهل جزيرة قبرص، وإجبارهم على شراء ما تم سلبه من سلع ومواشي من قبل القوات المتحالفة، لكي يتفادى عناء نقلهم إلى أنطاكية⁽²⁾، وإن هذه الوحشية والعدوان حتى على الكنائس المسيحية والأديرة، يوضح أثر البعد الديني والكره ضد المسيحيين الشرقيين، ويبين أنهم لا يفوتون أية فرصة للانتقام والاعتداء على البيزنطيين.

وكانت ردة فعل مانويل الغاضب على حملة رينولد على جزيرة قبرص سريعة وذكية، حيث قام بإغلاق الموانئ البيزنطية أمام السفن اللاتينية القادمة من الغرب اللاتيني إلى الإمارات الصليبية في الشرق، مما أثار حفيظة الصليبيين في بيت المقدس، ولا سيما بلدوين الثالث الذي استنكر عمل رينولد الذي جعل العلاقات الصليبية والبيزنطية تسوء، في وقت كانت فيه الإمارات الصليبية تتعرض لتهديدات نور الدين، وتحتاج مساعدة ومساندة من البيزنطيين لمواجهة هذه التهديدات⁽³⁾؛ حاول بلدوين الثالث تهدئة الأوضاع بين رينولد ومانويل كومنين، وتقرب من مانويل، وطلب منه الزواج من أميرة بيزنطية، لم يعترض مانويل كومنين على مشروع المصاهرة مع بلدوين الثالث، واختار له ابنة أخيه الأميرة ثيودورا Theodora، وتم الزواج بين ثيودورا وبلدوين الثالث عام (553هـ/1158م)⁽⁴⁾ وفي الواقع إن تودد بلدوين من مانويل لم يكن بدافع حب، وإنما لضمان حليف قوي بوجه نور الدين الزنكي.

¹ - كيناموس. (1997م): أعمال يوحنا ومانويل كومنينوس، من خلال الموسوعة الشامية، ج28، ص178.

² - وليم الصوري. (2003م): تاريخ وليم الصوري، من خلال الموسوعة الشامية، ج46، ص1170؛ زيتون. (1980م): العلاقات السياسية والكنسية، ص206؛ ماير. (1999م): تاريخ الحملات الصليبية، ص172.

³ - عمران. (1985م): السياسة الشرقية، ص220.

⁴ - وليم الصوري. (2003م): تاريخ وليم الصوري، من خلال الموسوعة الشامية، ج46، ص1171؛ زيتون. (1980م): العلاقات السياسية والكنسية، ص207.

قرر مانويل كومنين الانتقام من رينولد وثوروس، ورسم لنفسه خطة مفادها: نشر أخبار عن تجهيز الإمبراطور لحملة موجهة ضد السلاجقة، ولكن هذه الحملة في مضمونها موجهة لقتال رينولد وثوروس، ومباغتتهم للقضاء عليهم، وقاد مانويل كومنين الحملة بنفسه، وتوجه لثوروس الذي حاله الحظ عندما وصلتته أنباءً من باب المصادفة، من أحد الحجاج اللاتين، عن قيادة مانويل لحملة موجهة نحو كيليكيا⁽¹⁾، فأسرع ثوروس للهرب مع عائلته وما استطاع حمله من أموال نحو جبال كيليكيا الوعرة⁽²⁾، وغياث ثوروس عن كيليكيا منح مانويل كومنين فرصة دخول المدينة دون عناء يذكر، وتسلم السلطة المطلقة فيها⁽³⁾؛ بعد نجاح مانويل في كيليكيا، خاف رينولد على حياته ومكانته، وراسل مانويل كومنين يطلب منه الصّفح والعفو، ويعرض عليه مفاتيح قلعة أنطاكية، لكن مانويل كان مصراً على الانتقام من رينولد وتأديبه، لكن رينولد استجاب لنصيحة الصليبيين وهي: وضع نفسه تحت رحمة مانويل، لعله يحافظ على حياته⁽⁴⁾، وبعد عناء شديد وإلحاح من بعض حاشية الإمبراطور، استطاع رينولد مقابلة مانويل كومنين، وأعلن توبته، وطلب العفو من مانويل، لكن مانويل أراد كسر شوكة اللاتين وإذلال رينولد على مرأى من المعسكر البيزنطي، وبوجود رهبان لاتين حفاة الأقدام، فقد أجبر مانويل رينولد ليعفو عنه بالسير على قدميه بلا حذاء، وبلا غطاء للرأس، بثياب رثة بالية، والحبل ملفوف على عنقه⁽⁵⁾

ولعل قصد مانويل من إذلال الرهبان، الانتقام من العدوان الذي شنّه رينولد ورجاله لكنيسة قبرص ورهبانها وأديرتها، وهنا يظهر البعد الديني وأثره على كيفية انتقام الإمبراطور البيزنطي من الرهبان الكاثوليك؛ وفي الواقع كان تصرف مانويل مقصوداً لإذلال اللاتين بشكل كامل. وقد أكد وليم الصوري على هذا عندما أشار أن الخلاف

¹ - كيناموس.(1997م): أعمال يوحنا ومانويل كومنينوس، من خلال الموسوعة الشامية، ج28، ص179؛ عمران.(2002م): بيزنطة وحضارتها، ص283؛ عمران.(1985م): السياسة الشرقية، ص229.

² - وليم الصوري.(2003م): تاريخ وليم الصوري، من خلال الموسوعة الشامية، ج46، ص1174.

³ - ابن القلانسي.(1983م): تاريخ دمشق، ص350؛ كيناموس.(1997م): أعمال يوحنا ومانويل كومنينوس، من خلال الموسوعة الشامية، ج28، ص179.

⁴ - زيتون.(1980م): العلاقات السياسية والكنسية، ص207؛ عمران.(1985م): السياسة الشرقية، ص235.

⁵ - كيناموس.(1997م): أعمال يوحنا ومانويل كومنينوس، من خلال الموسوعة الشامية، ج28، ص181؛ عاشور.(1971م): الحركة الصليبية، ج2، ص673؛ العريني.(1993م): الشرق الأوسط والحروب الصليبية، ج1، ص642؛ عمران.(1985م): السياسة الشرقية، ص335؛ ماير.(1999م): تاريخ الحملات الصليبية، ص172.

الديني قد أثر على شحن الطرفين لكَمَّ كبيرٍ من الكره المتبادل، حتى أدى إلى قصد مانويل بإلحاق العار بالصلبيين، من خلال المشهد الذي أخرج رينولد فيه⁽¹⁾، وقد قدم الإمبراطور البيزنطي ثلاثة شروط لكي يقبل بالعفو عن رينولد وهي: تسليم رينولد مفاتيح قلعة أنطاكية للحاميات البيزنطية، ومنح إمارة أنطاكية فرقاً عسكرية تخدم ضمن الجيش البيزنطي عند الحاجة، والأهم من كل ذلك أن يعين بطريك بيزنطي أرثوذكسي على كنيسة أنطاكية يختاره رجال الدين البيزنطيين، وتنحية البطريرك اللاتيني ومن تعيين أي بطريك لاتيني على كنيسة أنطاكية⁽²⁾. ويتبين مما سلف: أن أثر الخلفية الدينية واضحة في تأكيد مانويل سيادته الدينية والسياسية على أنطاكية، مما يؤكد على رفع من مكانة كنيسة القسطنطينية على حساب الانتصار البابوي وسياسة الكتلكة في الشرق. المهم في النهاية كان انتصار مانويل يعدّ انتصاراً لبيزنطة الأرثوذكسية على اللاتين الكاثوليك في سورية.

تدخل بلدوين الثالث ليتوسط لدى الإمبراطور مانويل كومنين، لعله يتهاون في الشروط التي فرضها على رينولد، ومنها تخفيض عدد القوات العسكرية المطلوبة من إمارة أنطاكية عند الحاجة، كما طلب بلدوين الثالث إلغاء شرط تعيين بطريك بيزنطي في كنيسة أنطاكية، وقابل مانويل كومنين هذا الطلب بالرفض والاستنكار⁽³⁾، ويتبين من طلب بلدوين الثالث بخصوص تجاهل شرط تعيين بطريكاً بيزنطياً على أنطاكية، إن الصليبيين من الممكن أن يتقبلوا أية هزيمة عسكرية، أو أذلاً من مانويل، ولكن من المستحيل تقبل السيادة الدينية الأرثوذكسية، لأن في ذلك إحراز انتصار على البابوية وسيادتها الكاثوليكية في المنطقة، وهذا يؤكد على أثر الخلاف الديني ما بين الطرفين بعد طلب بلدوين هذا، والأهم من ذلك يبين أن الخلاف الديني مازال ماثلاً أمام أعين الطرفين، ولا يمكن أن تلغيها لا مصالح شخصية، ولا مصاهرة سياسية، ولا حتى تهديد المسلمين لأي طرف من الطرفين. كما دخل بلدوين الثالث وسيطاً لثوروس عند الإمبراطور البيزنطي مانويل كومنين، وكان قبول مانويل كومنين للعفو عن

¹ - وليم الصوري. (2003م): تاريخ وليم الصوري، من خلال الموسوعة الشامية، ج46، ص1175.

² - كيناموس. (1997م): أعمال يوحنا ومانويل كومنينوس، من خلال الموسوعة الشامية، ج28، ص181؛ العريني. (1993م): الشرق الأوسط والحروب الصليبية، ج1، ص644؛ عمران. (1985م): السياسة الشرقية، ص237.

Ostrogorsky. (1998.A.D): History Of The Byzantine State, p.343.

³ - كيناموس. (1997م): أعمال يوحنا ومانويل كومنينوس، من خلال الموسوعة الشامية، ج28، ص184؛ عمران. (1985م): السياسة الشرقية، ص241-245.

ثوروس مشروطاً بوضع ثوروس بموقف الإذلال ذاته، الذي وضع فيه رينولد، كما فرض على ثوروس حلف يمين التبعية والطاعة للإمبراطور البيزنطي، وعزز موقف بلدوين الوسيط لثوروس ورينولد، مكانته عند مانويل، ومنحه الهدايا والكنوز عندما أنهى مهمته، وعاد إلى مملكته في بيت المقدس⁽¹⁾؛ وفي عام (554هـ/1159م) ظفر الإمبراطور البيزنطي مانويل كومنين بإنطاكية وحقق حلم جده ووالده، ودخل إمارة أنطاكية بموكب عظيم، وحفل فخم، تقدم فيه على رينولد والأمراء اللاتين، وكان في استقبال هذا الموكب العظيم بطريرك أنطاكية البيزنطي، مرتدياً ثيابه الكهنوتية المميزة، متبعاً الطقوس والصلوات الأرثوذكسية لتزيين هذا الحفل المهيّب، وبناءً على ذلك رفعت أعلام الإمبراطورية البيزنطية فوق قلعة أنطاكية⁽²⁾، وفي هذا المشهد تأكيد واضح من البيزنطيين على انتصار سيادة كنيسة القسطنطينية على سياسة فرض الكاثوليكية. وتم رفع الأعلام البيزنطية على قلعة المدينة، ليؤكد على سيادة الإمبراطورية البيزنطية السياسية على أنطاكية. وبذلك يتضح أثر الشقاق الديني العظيم في سياسة مانويل كومنين تجاه أنطاكية والأمراء الصليبيين. وبعد فرض مانويل سيطرته السياسية والدينية على أنطاكية، توجه بحملة مشتركة مع اللاتين في عام (554هـ/1159م)، ليعلنوا الحرب على نور الدين الزنكي، لكن بعد خروج هذه الحملة، وتجهيز قواتها لتأسيس نقطة عسكرية ليتوجهوا منها للقتال⁽³⁾، غير مانويل كومنين خطته وعقد هدنة مع نور الدين الزنكي، الذي وعد بفك أسر عدد كبير من أسرى اللاتين وبلغ ستة آلاف، وكانت الغالبية العظمى من الصليبيين الذين تم أسرهم إبان الحملة الصليبية الثانية، وقدم نور الدين الزنكي تعهدات لمانويل كومنين بالتحالف معه ضد سلطان قونية⁽⁴⁾، وكان موقف مانويل كومنين مع نور الدين والمتبدل من حالة حرب لكف شره وتهديده عن الصليبيين، إلى موقف متصالح ومهادن، أثار غضب الرأي العام الصليبي في الشرق، وعدوا هذه السياسة جزءاً

¹ - وليم الصوري. (2003م): تاريخ وليم الصوري، من خلال الموسوعة الشامية، ج46، ص1175؛ زيتون. (1980م): العلاقات السياسية والكنسية، ص208؛ العريني. (1993م): الشرق الأوسط والحروب الصليبية، ج1، ص644؛ عمران. (1985م): السياسة الشرقية، ص244-246.

² - كيناموس. (1997م): أعمال يوحنا ومانويل كومنينوس، من خلال الموسوعة الشامية، ج28، ص185.
Choniates. (1984.A.D): Annals, p.67.

عمران. (2002م): بيزنطة وحضارتها، ص283.

³ - وليم الصوري. (2003م): تاريخ وليم الصوري، من خلال الموسوعة الشامية، ج46، ص1180.

⁴ - ابن القلانسي. (1983م): تاريخ دمشق، ص357؛ ابن قاضي شهبه. (1971م): الكواكب الدرية، ص156-157؛ كيناموس. (1997م): أعمال يوحنا ومانويل كومنينوس، من خلال الموسوعة الشامية، ج28، ص186؛ عاشور. (1971م): الحركة الصليبية، ج2، ص671.

من الغدر المعتاد من البيزنطيين الذين يكونون الكره للصليبيين⁽¹⁾؛ ولعل الخلاف الديني هو السبب الذي جعل مانويل يعقد صلحاً مع نور الدين بدلاً من مقاتلته، ليبقى عقبة متينة ترزعج الوجود الصليبي، ليستطيع من خلالها تحقيق أهدافه في إحلال سيادته الدينية والسياسية على أنطاكية، وتنفيذ سياسته الخارجية التوسعية في كيليكية وسورية، وإبقاء وجود نور الدين وقوته في المنطقة، تحقق مصالح الإمبراطورية البيزنطية .

في الحقيقة إن المعاهدة التي حصلت بين نور الدين ومانويل، التي اتهم بسببها مانويل بالغدر والخيانة، قد حققت للصليبيين إنجازاً هاماً ولاسيما فيما يخص إطلاق سراح الصليبيين الذين تم اعتقالهم إبان الحملة الصليبية الثانية، والذي كان عددهم بالآلاف⁽²⁾، وفي عام (556هـ/1160م) عرض مانويل كومنين على بلدوين الثالث ملك بيت المقدس مشروع مصاهرة، ينحصر بين ماريّا Maria ابنة ريموند أوف بواتيه أمير أنطاكية المتوفي أو مليسندا Mlesanda شقيقة الكونت⁽³⁾ ريموند الثالث Remond III (547-583هـ / 1152-1187م) صاحب طرابلس⁽⁴⁾، وقد قبل بلدوين هذا العرض، واختار للإمبراطور البيزنطي مليسندا لتكون زوجة مانويل بعد وفاة زوجته الألمانية بيرتا⁽⁵⁾، وتم إرسال موافقتهم للإمبراطور على طلبه بالمصاهرة مع بلدوين، كما أرسلوا تفاصيل عن الصفات الجمالية التي تتحلى بها مليسندا، وعن تجهيزات أخيها الأمير ريموند الثالث الفاخرة والعظيمة، لكن الإمبراطور مانويل عدل عن قراره بالزواج من مليسندا، مما أثار غضب أخيها ريموند الثالث، الذي أعلن أنه سينتقم لكرامة أخته، بتوجيه حملة بحرية على السفن ذاتها التي أعدها للزواج، ليدمر سواحل بيزنطة، كما أكد على وجوب دفع

¹ - وليم الصوري.(2003م): تاريخ وليم الصوري، من خلال الموسوعة الشامية، ج46، ص1189؛ زيتون.(1980م): العلاقات السياسية والكنسية، ص209؛ عمران.(1985م): السياسة الشرقية، ص226.

² - وليم الصوري.(2003م): تاريخ وليم الصوري، من خلال الموسوعة الشامية، ج46، ص1189؛ عمران.(1985م): السياسة الشرقية، ص226.

³ - زيتون.(1980م): العلاقات السياسية والكنسية، ص209؛ عمران.(1985م): السياسة الشرقية، ص257.

⁴ - ريموند الثالث: ابن ريموند الثاني أمير طرابلس، تسلم الحكم بعد وفاة والده عام (547هـ/1152م)، لكن تحت وصاية بلدوين الثالث ملك بيت المقدس، لأن عمره كان حينها إحدى عشر عاماً، تمتع بقدرة عالية في إدارة حكم مملكته، حتى حكم بيت المقدس كوصي على بلدوين المجزوم، وبعدها دخل في نزاع على حكم مملكة بيت المقدس مع غي دي لوزنيان، مات ريموند بعد معركة حطين عام(583هـ/1187م). زكار، جوني، إسماعيل. (2011م): حروب الفرنجة، ص261.

⁵ - Lillie.(1993.A.D): Byzantium And The Crusader, p.147. Setton.(1969.A.D): A history of the crusades, vol I, pp.548-549.

مانويل كومنين كامل النفقات التي دفعها ريموند لتجهيزات الزواج⁽¹⁾ وكانت مسوغات الإمبراطور البيزنطي في رفضه لهذا الزواج، أن اختيار بلدوين الثالث لمليسندا غير مناسب له، لأنه اكتشف إنها شقيقة غير شرعية لريموند الثالث، وأصولها لا تمت للأسرة الحاكمة اللاتينية في طرابلس⁽²⁾.

في الواقع كان لأسر رينولد أمير أنطاكية على يد المسلمين عام (556هـ/1160م)، دور كبير في تراجع مانويل عن فكرة زواجه من مليسندا⁽³⁾، ولاسيما أن غياب رينولد الخاضع لشروط وسيطرة مانويل عن إمارته، أعطى فرصة لنشوء فئة متطرفة كارهة للبيزنطيين وسيطرتهم، تسعى للتحالف مع ثوروس الأرمني، وقامت هذه الفئة المتطرفة بتتحية الأميرة كونستانس عن الحكم في أنطاكية، وتعيين ابنها⁽⁴⁾ بوهمند الثالث Buhemond III (558-597هـ/1163-1201م)⁽⁵⁾، ولكي تحمي كونستانس مركزها وحكمها، راسلت الإمبراطور البيزنطي مانويل كومنين، بصفته المسؤول الفعلي عن إمارة أنطاكية، وفقاً لمعاهدة عام (554هـ/1159م)⁽⁶⁾، ونتج عن هذه المراسلة عدول مانويل عن زواجه من مليسندا، والتوجه لمساعدة كونستانس وطلب الزواج من ابنتها ماريا، وقد سعى بلدوين الثالث للوقوف في وجه كونستانس، ومانويل كومنين، لكن موافقة الأميرة ماريا ووالدتها على مشروع المصاهرة من مانويل، أخفقت مساعي بلدوين الثالث الحثيثة، وتم الاحتفال بزواج الأميرة ماريا والإمبراطور البيزنطي مانويل كومنين في كنيسة القسطنطينية، في احتفال ضخم وفقاً للطقوس البيزنطية الأرثوذكسية، بحضور بطريرك القسطنطينية وبطريرك أنطاكية البيزنطي⁽⁷⁾؛ ولعل في سياسة مانويل في العدول عن الزواج من مليسندا، وتحمل

1 - وليم الصوري. (2003م): تاريخ وليم الصوري، من خلال الموسوعة الشامية، ج46، ص1183؛ عمران. (1985م): السياسة الشرقية، ص270.

2 - كيناموس. (1997م): أعمال يوحنا ومانويل كومنينوس، من خلال الموسوعة الشامية، ج28، ص205.

3 - وليم الصوري. (2003م): تاريخ وليم الصوري، من خلال الموسوعة الشامية، ج46، ص1183.

4 - عاشور. (1971م): الحركة الصليبية، ج2، ص677؛ عمران. (1985م): السياسة الشرقية، ص269.

5 - بوهمند الثالث: هو ابن ريموند أوف بواتيه وكونستانس، تسلم حكم أنطاكية تحت وصاية أمه وحين بلوغه سن الرشد تسلم حكم مملكته بمفرده، وقع في الأسر على يد المسلمين في حلب عام (559هـ/1164م)، بعد معركة حارم واقتاده نور الدين إلى حلب ليقضي عاماً في السجن، ليخرج بعد دفع مانويل له فدية كبيرة، ثم وقع في أسر ليو الأرمني عام (590هـ/1194م)، ومات عام (597هـ/1201م). ابن الأثير. (1963م): الباهر، ج25؛ رستم. (1988م): الروم، ج2، ص153، عاشور. (1971م): الحركة الصليبية، ج2، ص907.

6 - Setton. (1969.A.D): A History Of The Crusades, vol I, p.549

7 - كيناموس. (1997م): أعمال يوحنا ومانويل كومنينوس، من خلال الموسوعة الشامية، ج28، ص205؛ وليم الصوري. (2003م): تاريخ وليم الصوري، من خلال الموسوعة الشامية، ج46، ص1193؛ باركر. (د.ت): الحروب الصليبية، ص73؛ زيتون. (1980م): العلاقات السياسية والكنسية، ص211.

عداء طرابلس الواضح له، والتوجه للزواج من ماريا الأنطاكية، وتأكيد على مراسم الزواج البيزنطية التقليدية، كلها تحمل بعداً دينياً للمحافظة على مكاسبها السياسية والدينية في أنطاكية، ومحاولة من مانويل للقضاء على الفئة المتطرفة والكارهة للبيزنطيين، وسبب هذا الكره الدفين الشقاق الديني العظيم ما بين كنيسة روما وكنيسة القسطنطينية، الذي يؤكد على استقلال كنيسة القسطنطينية وسيادتها في الشرق.

نتج عن هذه المصاهرة السياسية التي جمعت ماريا بمانويل: تثبيت أركان النفوذ البيزنطي بشكل راسخ وواضح ضمن إمارة أنطاكية، وازدياد نفوذ الإمبراطورية البيزنطية وسيادتها في أنطاكية أزعج ملك بيت المقدس الجديد⁽¹⁾ عموري الأول Amore I (559-570هـ/1163-1174م)⁽²⁾، الذي اتفق مع أمير أنطاكية بوهمند الثالث المستنكر لتدخل البيزنطيين بشؤون أنطاكية السياسية والدينية، واتفق الأميران على طلب المساعدة من الملك الفرنسي لويس السابع، للحد من ازدياد نفوذ البيزنطيين في أنطاكية، لكن لم يصلهم أي رد من الملك لويس، مما أجبرهم على التقرب مرغمين من مانويل كومنين لطلب مساعدته لمواجهة أخطار نور الدين، التي تهدد الصليبيين بشكل دائم، والذين أوقعوا بوهمند الثالث بالأسر عام (559هـ/1164م)⁽³⁾؛ لم يتراجع ثوروس الأرمني عن طموحه في كيليكيا، لذلك حاول مرة أخرى السيطرة عليها، واستطاع حاكمها البيزنطي صد اعتداء ثوروس وقتل أخيه، هذا سبب جنوناً هستيرياً لثوروس، وقرر الانتقام من البيزنطيين في كيليكيا، فقام بتكثيف هجماته على كيليكيا، مما أجبر الإمبراطور مانويل من تغير حاكم كيليكيا، وتعيين حاكم جديد لعل في ذلك يهدى غضب ثوروس، كما ساعد توسط عموري الأول بين مانويل وثوروس بالوصول إلى وفاق بين الطرفين، ودفع مانويل مبلغاً ضخماً من المال لثوروس، وأدى ذلك إلى عقد حلف مشترك ضد المسلمين عام (559هـ/1165م)⁽⁴⁾؛ قام مانويل كومنين ببذل مساح كبيرة لإطلاق سراح بوهمند الثالث، ولاسيما أنه قام بدفع مبلغ كبير من المال لنور الدين الزنكي عام

¹ - عمران (1985م): السياسة الشرقية، ص 271.

² - عموري: هو الأخ الوحيد لبلدوين الثالث الذي خلفه على حكم مملكة بيت المقدس من عام (559هـ/1163م) حتى عام (570هـ/1174م)، وقد مثل ذروة القوة بالنسبة للوجود الصليبي والتحالف مع بيزنطة. زكار، جوني، إسماعيل. (2011م): حروب الفرنجة، ص 181.

³ - ابن الأثير. (1963م): الباهر، ص 125؛ رنسيما. (د.ت): تاريخ الحروب الصليبية، ج 2، ص 589.

⁴ - ابن الأثير. (1997م): الكامل، ج 11، ص 303؛ كيناموس. (1997م): أعمال يوحنا ومانويل كومنينوس، من خلال الموسوعة الشامية، ج 28، ص 213-214؛ وليم الصوري. (2003م): تاريخ وليم الصوري، من خلال الموسوعة الشامية، ج 46، ص 1200؛ عمران. (1985م): السياسة الشرقية، ص 283.

(559هـ/1165م)، لكي يوافق على إطلاق سراح بوهمند الثالث⁽¹⁾، الذي دخل أنطاكية برفقة بطريرك بيزنطي عينه على كنيسة أنطاكية⁽²⁾. ويتضح من ذلك أن السيطرة على أنطاكية من وجهة النظر البيزنطية، هي السيطرة من خلال الكنيسة بوساطة بطريرك بيزنطي، وهذا يؤكد أن أثر الخلاف الديني هو ما يحرك سياستهم تجاه أنطاكية.

استطاعت الفئة الناقمة والكارهة للبيزنطيين، من تحية البطريرك البيزنطي، وتعيين بطريرك لاتيني في كنيسة أنطاكية وذلك عام (560هـ/1170م)⁽³⁾، وهذا أيضاً يعد دليلاً أن أثر الخلاف الديني ما بين اللاتين والبيزنطيين، والكره أدى بالتالي إلى تشكيل فئة كارهه ومعارضة للوجود البيزنطي، وكنيسته وطقوسه في أنطاكية، ومن الطبيعي أن تكون أهم أهدافه تعيين بطريرك لاتيني في بطريركية أنطاكية، وذلك لتقليص نفوذ القسطنطينية الديني والسياسي، وإعادة سياسة الكتلة في المنطقة. أما عن علاقة مانويل مع مملكة بيت المقدس، فقد ذكر سالفاً أن الإمبراطور البيزنطي مانويل كومنين قد عدل عن زواجه من مليسندا ابنة أخت بلدوين الثالث وزواجه من ماريا الأنطاكية، مما أثار غضب بلدوين الثالث⁽⁴⁾، ولعل غضب بلدوين ليس بسبب إهانة كرامة ابنة أخته فحسب، بل يعود السبب أيضاً لأثر الشقاق الديني العظيم، الذي دفع بلدوين الثالث لإحباط مشروع مصاهرة يجمع مانويل مع أميرة أنطاكية، لكي يتفادى زيادة نفوذ الإمبراطورية البيزنطية في أنطاكية. توفي بلدوين الثالث عام (558هـ/1168م)، فخلفه على عرش مملكة بيت المقدس شقيقه عموري الأول، الذي كان متشعباً بأفكار اللاتين تجاه الإمبراطورية البيزنطية، إنها عدوة للصليبيين مثلها مثل المسلمين الذين يشكلون تهديداً مباشراً للإمارات الصليبية في الشرق⁽⁵⁾، ومن الواضح إن سياسة عموري تجاه البيزنطيين تحمل بعداً دينياً، بدليل الرسالة التي بعث بها إلى لويس السابع ملك فرنسا، يحثه على إرسال المدد والعون للصليبيين في الشرق، لمواجهة تحديات وتهديد نور الدين زنكي، ومانويل كومنين،

¹ - وليم الصوري. (2003م): تاريخ وليم الصوري، من خلال الموسوعة الشامية، ج46، ص1216؛ عاشور. (1971م): الحركة الصليبية، ج2، ص907.

² - زيتون. (1980م): العلاقات السياسية والكنسية، ص211.

³ - Runciman. (1950.A.D): The Eastern Schism, p.99. Setton. (1969.A.D): A History Of The Crusades, vol I, p.556.

⁴ - عمران. (1985م): السياسة الشرقية، ص266.

⁵ - وليم الصوري. (2003م): تاريخ وليم الصوري، من خلال الموسوعة الشامية، ج46، ص1197.

لكن لويس السابع لم يرسل ردوداً بالقبول، أو حتى الرفض على طلبات عموري الأول⁽¹⁾، مما فرض على عموري خلق جو من التقارب مع مانويل كومنين، ليطلب منه العون للوقوف في وجه تهديدات نور الدين الزنكي، الذي يسعى جاهداً لتوحيد الشام ومصر تحت سلطته؛ هذا التطويق الذي يضع الصليبيين في دائرة مغلقة خاضعة لنور الدين الزنكي، ولكي يعيق عموري مخطط نور الدين الزنكي، حاول إعداد حملة بالتعاون مع البيزنطيين، وتوجيهها للاستيلاء على مصر، التي كانت خاضعة لنائب نور الدين الزنكي⁽²⁾ صلاح الدين الأيوبي (559-589هـ/1163-1193م)⁽³⁾؛ بناءً على ما تقدم راسل ملك بيت المقدس عموري الأول، الإمبراطور البيزنطي مانويل كومنين، محملاً سفراءه قضيتين: أولهما مشروع إعداد حملة مشتركة نحو مصر، والثاني، مشروع مصاهرة يجمع عموري الأول مع إحدى أميرات البيت الحاكم في القسطنطينية⁽⁴⁾، وتكللت طلبات عموري بالموافقة، ورشح مانويل الأميرة ماريا Maria البيزنطية للزواج من عموري الأول، وبذلك وطد العلاقات السياسية والدبلوماسية بين مملكة بيت المقدس والإمبراطورية البيزنطية، لكن الإمبراطور مانويل طالب بحصة مبالغ فيها من الغنائم التي ستحصل عليها الحملة المشتركة نحو مصر⁽⁵⁾؛ حاول عموري الأول التفاوض مع مانويل كومنين بشأن تخفيض النصيب المالي الذي ستجنيه الإمبراطورية البيزنطية ما بعد الحملة، وكان وليم الصوري رئيس أساقفة صور، هو الذي يقوم بالتفاوض مع مانويل كومنين⁽⁶⁾، الذي رحب بكل حماس بزيارة وليم، ونجحت مفاوضات وليم مع مانويل، بقبول مانويل

¹ - مؤرخ مجهول. (2002م): ذيل وليم الصوري، تر: حسن حبشي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ط، ص22؛ رنسيما. (د.ت): تاريخ الحروب الصليبية، ج2، ص589.

² - عمران. (1985م): السياسة الشرقية، ص290

³ - صلاح الدين: يوسف بن أيوب بن شادي، أبو المظفر، صلاح الدين الأيوبي، الملقب بالملك الناصر، ولد في تكريت عام (532هـ/1137م) ودخل مع أبيه وعمه في خدمة نور الدين الزنكي، ثم أصبح وزيراً على مصر عام (559هـ/1202م)، وانتصر في معركة حطين على الصليبيين عام (583هـ/1187م) ودخل القدس، توفي في دمشق عام (589هـ/1193م). الأصفهاني، أبي عبد الله محمد بن محمد بن حامد 597هـ/1201م. (1971م): الفتح القسي في الفتح القدسي، تح: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ط، ص116-131؛ ابن الأثير. (1997م): الكامل، ج11، ص548-554؛ أبو شامة. (2002م): الروضتين، ج3، ص177-178؛ الزركلي. (د.ت): الأعلام، ج8، ص220

⁴ - كيناموس. (1997م): أعمال يوحنا ومانويل كومنينوس، من خلال الموسوعة الشامية، ج28، ص228.

Choniates. (1984.A.D): Annals, p.72.

⁵ - وليم الصوري. (2003م): تاريخ وليم الصوري، من خلال الموسوعة الشامية، ج46، ص1258.

Choniates. (1984.A.D): Annals, p72.

الببشاوي. (2006م): الممتلكات الكنسية، ص198؛ عاشور. (1971م): الحركة الصليبية، ج2، ص695،

Lilie. (1993.A.D): Byzantium And The Crusader, p.309

⁶ - منصور. (د.ت): القسطنطينية في الكتابات الصليبية، ص7.

كومنين نصف الغنائم التي ستجنى بعد الحملة على مصر⁽¹⁾، وتم الاتفاق على حماية الإمبراطور مانويل لرعاياه المسيحيين الأرثوذكس ضمن مملكة بيت المقدس، بدليل وجود نص مكتوب باللغة اليونانية واللاتينية، داخل كنيسة السيدة العذراء الموجودة في مدينة بيت لحم، والذي يؤرخ لترميم هذه الكنيسة وتجميلها، حصل إبان حكم الإمبراطور البيزنطي مانويل كومنين والملك عموري الأول⁽²⁾؛ بعد تنامي الخطر الذي يشكله نور الدين على الإمارات الصليبية في الشرق، ولاسيما مملكة بيت المقدس، وقد حاول عموري أيضاً لضمان نجاح حملته نحو مصر، والتخلص من خطر نور الدين الزنكي، مراسلة الغرب اللاتيني، لعله يمد له يد العون والمساعدة في حملته المشتركة مع البيزنطيين نحو مصر، وليجعل اشتراك مانويل بالحملة له دور ثانوي، لكن مساعيه باءت بالإخفاق، بسبب رفض الغرب تقديم أي عون لحملة عموري الأول على مصر⁽³⁾، ولعل الخلاف الديني له أثر في طلب عموري العون من الغرب لتحديد دور بيزنطة الأساسي عن الحملة، لأنه إذا سيطرت بيزنطة على مصر القوية الغنية بالخيرات ذات الموقع الاستراتيجي الممتاز، يتبعه سيطرة دينية، وبالتالي ستكون هذه السيادة على حساب الكنيسة الكاثوليكية، وبالتالي سيتم تهديد الكيانات الصليبية بالشام من قبل البيزنطيين وكنيستها، وهذا ما لا يريده الصليبيون.

بذل مانويل كومنين جهداً كبيراً في إعداد التجهيزات العسكرية للحملة، وأعد أسطولاً بحرياً ضخماً، مهمته نقل الجنود والفرق العسكرية البيزنطية نحو مصر، كما قام بإرسال عشر سفن بيزنطية محملة بالأموال والمؤن لعموري الأول، لكي ينفق على تجهيز حملته، ولكي يعلمه عن موعد تواجد القوات البيزنطية التي خرجت نحو قبرص في (18 ذو القعدة 564هـ/ 15 تموز 1169م) لتجتمع مع قوات عموري الصليبية، لكن عموري لم يرسل رداً لمانويل عن تفاصيل خروج قواته⁽⁴⁾، وربما كان للشقاق الديني العظيم أثر في تردد عموري واستعداده، فإن الكره

¹ – Ostrogorsky.(1998.A.D): History Of The Byzantine State , p.347.

² – وليم الصوري.(2003م): تاريخ وليم الصوري، من خلال الموسوعة الشامية، ج46، ص1264؛ عمران.(1985م): السياسة الشرقية، ص299؛ عوض.(2007م): الإمبراطورية البيزنطية، ص330.

³ – عمران.(1985م): السياسة الشرقية، ص310.

Lilie.(1993.A.D): Byzantium And The crusader, p.309.

⁴ – كيناموس.(1997م): أعمال يوحنا ومانويل كومنينوس، من خلال الموسوعة الشامية، ج28، ص265-266؛ وليم الصوري.(2003م): تاريخ وليم الصوري، من خلال الموسوعة الشامية، ج47، ص1279-1281.

Choniates.(1984.A.D): Annals, pp.90-93.

عاشور.(1971م): الحركة الصليبية، ج2، ص695؛ العريني.(1993م): الشرق الأوسط والحروب الصليبية، ج1، ص719.

والريبة الموجود في قلوب الصليبيين تجاه البيزنطيين جعله في خوف من فكرة وقوع مصر في أيدي البيزنطيين، وبالتالي تشكل الإمبراطورية البيزنطية وسيادتها على مصر، تهديداً للوجود الإمارات الصليبية في الشرق.

وبعد تفكير أنجز عموري استعدادات قواته، وتوجه نحو مصر ليلتقي مع القوات البيزنطية عند نهر النيل من الجهة الشرقية، ثم توجهوا نحو مدينة⁽¹⁾ دمياط⁽²⁾، التي تعد بوابة مصر، وبحال الاستيلاء عليها من قبل الصليبيين والبيزنطيين يسيطرون على مصر بكل سهولة ويسر، لكن أبراجها الضخمة شكلت عائقاً أمام القوات المتحالفة، ومما زاد الوضع سوءاً على هذه القوات⁽³⁾، وصول دعم كبير من صلاح الدين الأيوبي، الذي أرسل عدداً كبيراً من قواته للدفاع عن مصر ولمنع الحملة من دخول دمياط، واستطاع هزيمة القوات المتحالفة هزيمة نكراء⁽⁴⁾، وبعدها ظهر جشع الصليبيين الذين أخفوا طعامهم ومؤنهم عن حلفائهم البيزنطيين، الذين عانوا من مجاعة حقيقية، حتى اضطر لشراء أقواتهم بأسعار باهضة من الصليبيين، الذين استغلوا حالة الجوع ونقص المؤن التي تعاني منها القوات البيزنطية⁽⁵⁾؛ ولعل ذلك عائد إلى أثر البعد الديني على عقلية الصليبيين، وإنه مازال ماثلاً أمام أعين الصليبيين، كما زاد من الريبة والشك في نفوس الصليبيين تجاه البيزنطيين الخوف من سيطرتهم على مصر. لكن كالعادة تصدت الأقدام الصليبية لتسويغ أي حادثة سلبية يقوم بها الصليبيون، فقد أكد وليم الصوري أن الغدر بدأ من عند البيزنطيين، الذين لم يوفوا بوعودهم في تمويل الحملة بشكل جيد وكاف⁽⁶⁾؛ ويتضح أثر الشقاق الديني في تسويغ وليم الصوري، لأن المتحالفين يجب عليهم التعاون بشكل أكثر في الأزمات والتحديات، لتحقيق هدف هذا التحالف، بينما ما حصل مع البيزنطيين والصليبيين يوضح فكرة الحقد الدفين، الذي يحمله الصليبيون للبيزنطيين.

¹ - ابن الأثير. (1963م): **الباهر**، ص 143؛ أبو شامة. (2002م): **الروضتين**، ج 2، ص 62؛ أبو الفداء. (د.ت): مختصر أخبار البشر، ص 48؛ وليم الصوري. (2003م): **تاريخ وليم الصوري**، من خلال الموسوعة الشامية، ج 47، ص 1282.

² - دمياط: من المدن العريقة الواقعة بين التنيس ومصر، وتقع على نهر النيل. الحموي. (1995م): **معجم البلدان**، ج 4، ص 317.

³ - ابن الأثير. (1997م): **الكامل**، ج 11، ص 353.

⁴ - أبو شامة. (2002م): **الروضتين**، ج 2، ص 94؛ عاشور. (1971م): **الحركة الصليبية**، ج 1، ص 714؛ العريني. (1993م): **الشرق الأوسط والحروب الصليبية**، ج 1، ص 720.

⁵ - وليم الصوري. (2003م): **تاريخ وليم الصوري**، من خلال الموسوعة الشامية، ج 47، ص 1285.

Lilie. (1993.A.D): **Byzantium And The Crusader**, p.310.

⁶ - وليم الصوري. (2003م): **تاريخ وليم الصوري**، من خلال الموسوعة الشامية، ج 47، ص 1288؛ عمران. (1985م): **السياسة الشرقية**، ص 310.

ازداد الوضع سوءاً داخل معسكر المتحالفين، وانتشرت الفوضى بعد علمهم بوصول مدد ضخ من المسلمين إلى مصر، لكن البيزنطيين أصروا على فكرة الهجوم على المدينة، بالوقت الذي أنهى فيه عموري الأول هذه الحملة، عندما أصد قراره بالانسحاب، دون إخبار حلفائه البيزنطيين، حتى يتسنى له مواجهة نور الدين الزنكي، الذي هجم على مملكته في بيت المقدس، مما أدى إلى انسحاب البيزنطيين في أواخر (565/1169م) بشكل عشوائي، مضرمين النار في أمتعتهم، لكي يهونوا على أنفسهم عناء ومشقة حملتها⁽¹⁾، ولم تتوقف معاناة القوات البيزنطية بعد الانسحاب من مصر، بل تعرضوا لعاصفة جوية قوية، أدت إلى تدمير جزء كبير من السفن البحرية⁽²⁾؛ أدرك عموري حجم الخطر الذي يشكله نور الدين الزنكي على مملكته، ولاسيما بعد هجماته المتكررة، التي تسببت بكم هائل من الدمار والخسائر، لذلك قرر معاودة تحالفه مع مانويل كومنين الذي رحب بالموضوع، لكن سرعان ما قام عموري الأول بالتودد والتقارب من⁽³⁾ وليم الثاني (562-585/1167-1189م)⁽⁴⁾، وتم الاتفاق بين الطرفين على التحالف، لتوجيه حملة بقيادة مشتركة ضد مصر، هذا التحالف أثار غضب مانويل كومنين، الذي سلف واتفق مع عموري الأول عام (567/1171م) على توجيه حملة ثانية ضد مصر، لم يكتف مانويل كومنين بالغضب، بل راسل صلاح الدين الأيوبي، وقدم له تفصيلاً كاملاً عن تجهيزات الحملة وتحركاتها، لكن موت عموري الأول حال دون مشاركة صليبي بيت المقدس في هذه الحملة⁽⁵⁾، ولعل تصرف مانويل هذا عائد إلى أثر الخلاف الكنسي بين اللاتين الكاثوليك والبيزنطيين الأرثوذكس، وكيف لا والنورمان أعداء القسطنطينية،

¹ - ابن الأثير. (1997م): الكامل، ج 11، ص 352؛ أبو شامة. (2002م): الروضتين، ج 2، ص 94؛ أبو الفداء. (د.ت): مختصر أخبار البشر، ج 2، ص 48؛ ابن الفرات، ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم ت 807/1309م. (1967م): تاريخ ابن الفرات، دار الطباعة الحديثة، د.ط، ج 1، ص 85؛ وليم الصوري. (2003م): تاريخ وليم الصوري، من خلال الموسوعة الشامية، ج 47، ص 1288-1290.

² - وليم الصوري. (2003م): تاريخ وليم الصوري، من خلال الموسوعة الشامية، ج 47، ص 1229.

Choniates. (1984.A.D): Annals, p.143 ،

³ - كيناموس. (1997م): أعمال يوحنا ومانويل كومنينوس، من خلال الموسوعة الشامية، ج 28، ص 229؛ وليم الصوري. (2003م): تاريخ وليم الصوري، من خلال الموسوعة الشامية، ج 47؛ ص 1305؛ رنسيان. (د.ت): تاريخ الحروب الصليبية، ج 2، ص 623؛ عمران. (1985م): السياسة الشرقية، ص 321؛ ماير. (1999م): تاريخ الحملات الصليبية، ص 112؛ منصور. (د.ت): القسطنطينية في الكتابات الصليبية، ص 16.

⁴ - وليم الثاني: يدعى وليم الطيب ولد عام (549/1154م)، وهو بن وليم الأول، تم تنويجه ملك على صقلية بعد موت والده وليم الأول عام (562/1167)، ومات عام (585/1189م). الربيعي. (د.ت): موقف الإمبراطورية البيزنطية من قادة الحملات الصليبية، ص 477؛ مسيلي. (2016م): دور البابوية، ص 150.

⁵ - وليم الصوري. (2003م): تاريخ وليم الصوري، من خلال الموسوعة الشامية، ج 47، ص 1390.

وهددوها أكثر من مرة منذ عهد جويسكارد الذي تلقى كامل الدعم والمساندة من البابوية، التي تساند الاعتداء النورماني الكاثوليكي على البيزنطيين وعاصمتهم الأرثوذكسية.

جدد بلدوين الرابع (Baldwin IV) (568-581هـ/1173-1185م)⁽¹⁾ ملك بيت المقدس الجديد مشروع التقارب والتودد مع مانويل كومنين، وطرح مشروع الحملة نحو مصر، ولم يبدِ مانويل كومنين أي اعتراض، لكن هذا الاتفاق لم يتعدّ حدود الحبر على ورق، فلم يجدوا صيغة تفاهم مشتركة يوافق عليها كل من الطرفين⁽²⁾. ولعل هذا عائد إلى الخلفية الدينية التي ولدت في قلب الطرفين الشك والريبة المتبادلة، حين كل من الأطراف المتحالفة كان يرتاب من فكرة تفرد سيطرة الطرف الآخر على مصر الغنية ذات الموقع الاستراتيجي، وما يجر ذلك من خسارة على الطرف الآخر.

تميز عهد مانويل كومنين بالتودد والعطف الكبير على اللاتين في الشام، دليل ذلك موقفه في فك أسراهم مقابل دفع مبالغ ضخمة من الأموال، وقدم هبات ومنحاً وكنوزاً كثيرةً لكنائسهم الكاثوليكية⁽³⁾، ولعل ذلك عائداً لميل مانويل كومنين للثقافة اللاتينية، التي تعرف عليها عن قرب بعد زواجه من أميرتين لاتينيتين⁽⁴⁾، وبعد وفاة مانويل عام (576هـ/1180م) دب بالإمبراطورية اضطرابات داخلية، وصراع على العرش، حتى وصل إلى حكم الإمبراطورية⁽⁵⁾ أندرونيكوس كومنين Andronicus komnenos (579-581هـ/1183-1185م)⁽⁶⁾، وظلت

¹ - بلدوين الرابع: هو ابن عموري الأول، وخلف والده على حكم بيت المقدس عام (568هـ/1173م)، وقد كان مصاباً بالجذام، وقد كان في الحادية عشرة من عمره عند استلامه السلطة تحت وصاية ريموند الثالث صاحب طرابلس، وعندما أتم الثامنة عشرة تسلم حكم مملكته، ومات عام (581هـ/1185م). زكار، جوني، إسماعيل. (2011م): حروب الفرنجة، ص 195-204.

² - وليم الصوري. (2003م): تاريخ وليم الصوري، من خلال الموسوعة الشامية، ج 47، ص 1354؛ عمران. (1985م): السياسة الشرقية، ص 324.

³ - وليم الصوري. (2003م): تاريخ وليم الصوري، من خلال الموسوعة الشامية، ج 47، ص 1392؛ عمران. (1985م): السياسة الشرقية، ص 354.

⁴ - عبيد. (1970م): روما وبيزنطة، ص 177.

⁵ - عمران. (2002م): بيزنطة وحضارتها، ص 284.

⁶ - أندرونيكوس كومنين: ابن عم الإمبراطور مانويل كومنين، كان يضمر العداء الخفي لمانويل وكان عدواً للطبقة الإقطاعية، ويريد الوصول إلى الحكم، فتأمر ضد الإمبراطور وعاش حياة التشرد، ولكنه عاد إلى القسطنطينية ونصب نفسه وصياً على ابن مانويل عام (578هـ/1182م)، ثم قتل ابن مانويل، وتسلم عرش الإمبراطورية عام (579هـ/1183م)، وانتهى حكمه نتيجة ثورة قامت ضده في القسطنطينية وتم قتله وتنصيب اسحق أنجيلوس عام (581هـ/1185م). وليم الصوري. (2003م): تاريخ وليم الصوري، من خلال الموسوعة الشامية، ج 47، ص 1404.

Choniates. (1984.A.D): Annals, p.154=

الاضطرابات إلى أن تسلم الحكم إسحق أنجيلوس Isaac II Angelus (581-591هـ/1185-1195م)⁽¹⁾، وبدأ معه عصر جديد، وهو عصر حكم الأسرة الأنجيلية، وأهم ما حدث في هذه الحقبة هو قيام الحملة الصليبية الثالثة. وهكذا كانت علاقة البيزنطيين بالإمارات اللاتينية في الشرق متأثرة بشكل كبير بالشقاق الديني العظيم، الذي أثر على طبيعة العلاقات السياسية والعسكرية ما بين الإمبراطورية البيزنطية والصليبيين الموجودين بالشرق، ولاسيما في مسألة السيطرة الدينية والسياسية على أنطاكية، وكان أي تعاون أو تحالف يتم بين الطرفين، يكون حسب حاجة المصالح الشخصية لكل من الطرفين، لكن أثر الشقاق الديني على إثارة الشكوك والريبة والأناية ما بين الطرفين، وظهر جلياً في الحملة المشتركة ضد مصر، ونقص المؤن البيزنطية، وأناية الصليبيين، وعدم إعطائهم المؤن اللازمة لهم. وريبة كل من الطرفين من السيطرة على مصر بشكل كامل، وما يتبعه من سيطرة دينية وهكذا كان واضحاً أثر الشقاق الديني العظيم على طبيعة العلاقات السياسية والعسكرية ما بين البيزنطيين والإمارات اللاتينية الصليبية في الشرق.

=نيكول.(2003م): معجم التراجم البيزنطية، ص80.

Setton.(19696.A.D): **A History Of The Crusades**, vol II, p.145.

¹ - إسحق أنجيلوس: تسلم الحكم في الإمبراطورية البيزنطية عام (581هـ/1185م) وظل إمبراطوراً حتى عام(591هـ/1195م) وهو من الاسرة التي تمتعت بمكانة مرموقة زمن الإمبراطور مانويل كومنين، حدث في عهده قدوم الحملة الصليبية الثالثة، وقع بعض الاتفاقات مع صلاح الدين الايوبي، تمرد عليه أخوه ألكسيوس الثالث Alexis III عام (591هـ/1195م) وسمل عينيه، وسجنه، واستطاع الخروج من الأسر بعد مجيء الحملة الصليبية الرابعة، مات عام (600هـ/1203م).

Acropolita(Georgius).(N.D): **Annals Byzantine**, P.G 140, p.587. Choniates.(1984.A.D): **Annals**, pp.292-299.

نيكول.(2003): معجم التراجم البيزنطية، ص73.

2- علاقة بيزنطة مع البابوية قبيل الحملة الصليبية الثالثة وأثر الخلاف الكنسي فيها

تميز عهد مانويل كومنين-كما سلف الذكر- بالتودد والميل الكبير للعنصر اللاتيني، وثقافتهم، وذلك بسبب زواجه من أميرتين لاتينيتين جعلناه يميل إلى الثقافة اللاتينية، لهذا شهد عصره تقارباً شديداً مع البابوية، ففي عهد⁽¹⁾ البابا هادريان الرابع (Hadrian V 549-554 هـ \ 1154-1159 م)⁽²⁾، جمعت الكنيستين بعض المودة والالطف⁽³⁾، في تلك الأثناء كان مانويل مشغولاً بصد تهديدات النورمان في جنوب إيطاليا⁽⁴⁾، الذين كانوا يشكلون تهديداً أيضاً للبابا هادريان، مما خلق نوعاً من التقارب بين مانويل كومنين والبابوية، واستغل مانويل ذلك في الحصول على التاج الإمبراطوري منها⁽⁵⁾، وكانت فرصته مواتية لتحقيق حلمه، عندما دب نزاع بين البابا هادريان الرابع والإمبراطور الألماني⁽⁶⁾ فردريك بربروسا (Fredric Barbarous 547-586 هـ \ 1125-1190 م)⁽⁷⁾، واستمر النزاع طول مدة استلام هادريان المنصب البابوي أي خلال (549-554 هـ \ 1154-1159 م)، وحاول مانويل استغلال هذا النزاع لصالحه، ورسم خطة لنفسه للتقرب من البابوية ودعمها في صراعها ضد بربروسا، لكي يحصل على التاج الإمبراطوري الذي هو حق شرعي للأباطرة البيزنطيين فقط، الذي استولى عليه الألمان أيام شارلمان⁽⁸⁾، وكان الوسط البيزنطي على قناعة تامة أن الأباطرة البيزنطيين هم المسؤولون عن تعيين البابوات، لأن المكانة البابوية السامية كانت بسبب مساعي الإمبراطور قسطنطين العظيم، وأن الأباطرة البيزنطيين الذين خلفوا قسطنطين،

¹ - حسين، أمين. (د.ت): التاريخ الأوروبي، ص 141.

Setton.(1969.A.D): History Of The Crusade, p.137.

² - هادريان الرابع: اسمه نيقولا بريكسبير وهو البابا الوحيد من أصل إنكليزي، تسلم المنصب البابوي عام (549 هـ / 1154 م) ولقب بهادريان الرابع، مات عام (554 هـ / 1159 م) ودفن في روما. وليم الصوري. (2003 م): تاريخ وليم الصوري، من خلال الموسوعة الشامية، ج 46، ص 1180.

³ - زيتون. (1980 م): العلاقات السياسية والكنسية، ص 379.

⁴ - رمضان. (2017 م): بيزنطة والغرب، ص 156.

⁵ - زيتون. (1980 م): العلاقات السياسية والكنسية، ص 380.

⁶ - كيناموس. (1997 م): أعمال يوحنا ومانويل كومنينوس، من خلال الموسوعة الشامية، ج 28، ص 171.

⁷ - فردريك بربروسا: ولد عام (514 هـ / 1120 م) وتوج إمبراطور في روما عام (550 هـ / 1155 م)، كانت علاقته مع البابوية سيئة بسبب أطماعه في إيطاليا، مات غرقاً في أرمنية عام (586 هـ / 1190 م). حسين، أمين. (د.ت): التاريخ الأوروبي في العصور الوسطى، ص 208؛ مسيلي. (2016 م): دور البابوية، ص 153.

⁸ - Choniates.(1984.A.D): Annals, p.113.

زيتون. (1980 م): العلاقات السياسية والكنسية، ص 318.

هم أصحاب الحق الشرعي في تاج روما، ويجب إعادته من الألمان⁽¹⁾، ويتبين مما تقدم أثر الخلافات الدينية بين روما والقسطنطينية على أفكار البيزنطيين وعقليتهم، ويتضح قناعة البيزنطيين على تقدم كنيسة القسطنطينية وسيادتها، وإن مكانة كنيسة روما وبابواتها تستمد فقط من عظمة الإمبراطور المسيحي الشرقي قسطنطين، ففي هذا تأكيد واضح على استقلال وسيادة كنيسة القسطنطينية وعلى تقليص مكانة البابوية وربطها فقط بعظمة الأباطرة الشرقيين.

وبناءً على قناعات البيزنطيين الراسخة بأحقية الأباطرة البيزنطيين بالتاج الإمبراطوري في روما، ووجوب إعادته من المغتصبين الألمان، بدأ مانويل كومنين يستغل مسألة النزاع البابوي مع بربروسا، لإعادة حقه في التاج الإمبراطوري من الألمان⁽²⁾؛ فضل مانويل كومنين التعامل بدبلوماسية مع البابا هادريان، لإدراكه التام لحجم الكره الذي يكنه اللاتين والبابوية للبيزنطيين، فلم يطرح في البداية طلباته، بل أخفاها وأظهر فقط موقفه الداعم والمحالف للبابا في حربه ضد أعدائه النورمان، والألمان، كما عرض على مسامح البابا قضية لطالما حلمت بها البابوية، وهي موضوع الوحدة بين كنيسة روما وكنيسة القسطنطينية⁽³⁾؛ سعى مانويل لصم آذانه عن آراء رجال الدين البيزنطيين المستكرين لفكرة الوحدة، كما حاول تجاهل أثر الخلاف الكنسي على نفسه ونفوس البيزنطيين، لكي يصل إلى حلمه في استعادة التاج الإمبراطوري في الغرب من الألمان، لكنه لم يتحمل ذلك، ففي عام 550هـ (1155م) سطر البابا هادريان رسالة إلى رئيس أساقفة تسالونيكا، تضمنت الترحيب بالوفد البابوي الذي سيناقد قضية الوحدة بين الكنائس مع الإمبراطور مانويل كومنين، كما أشار البابا هادريان إلى سمو وعلو منزلة كنيسة روما بين جميع الكنائس المسيحية، فهي الكنيسة الأم، وتضمنت رسالة البابا شيئاً من الشتم والسخرية المبطننة للبيزنطيين الأرثوذكس، عندما نعتهم بالقطيع الضال، وحملهم مسؤولية انفصالهم عن الكنيسة الأم كنيسة روما، وانحرافهم عن العقيدة الصحيحة.

¹ - كيناموس. (1997م): أعمال يوحنا ومانويل كومنينوس، من خلال الموسوعة الشامية، ج28، ص141؛ عبيد. (1970م): روما وبيزنطة، ص271.

² - عبيد. (1970م): روما وبيزنطة، ص272.

³ - زيتون. (1980م): العلاقات السياسية والكنسية، ص380.

كانت ردة فعل الإمبراطور البيزنطي مانويل كومنين مليئة بالغضب، لذلك سطر رسالة إلى الوفد البابوي فيها شيء من السخرية المزوجة بالأسى، واستنكر نعت البابا القاسي للبيزنطيين بأنهم قطع ضال، وأكد على مكانة كنيسة القسطنطينية وسموها، وقدم دلائل على ذلك، بتعداده إيجابيات كنيسة القسطنطينية وفوائدها على العالم المسيحي بشقيه الغربي والشرقي، وأكمل مانويل كلامه بالمقارنة بين الكنيستين متسائلاً من منكم حاد عن العقيدة الصحيحة واتبع الضلال؟ لكنه اتبع الدبلوماسية في نهاية رسالته، حيث أكد على ضرورة الوحدة، وإمكانية تجاهل كل المسائل المتنازع عليها، لإتمام الوحدة بحال كانت هناك نية إيجابية، وإرادة حقيقية⁽¹⁾؛ يتبين من فحوى رسالة البابا، أن أثر الشقاق الديني العظيم مازال مغروساً بقوة في عقل ومشاعر اللاتين، ولا يمكن لأي خطر خارجي، ولا حتى تشابك مصالحهم مع بيزنطة، أن يمحو هذا الأثر، كما كان رد مانويل أيضاً يحمل خلفية دينية للشقاق الديني العظيم ما بين كنيسة روما وكنيسة القسطنطينية، ويتضح أيضاً من ختام رسالة مانويل، أن الخلاف الديني قد زاد من الكره المتبادل بين الطرفين، وإنه في حال تحول الكره والحقد إلى طيبة ونية جيدة، يمكن أن يتم التوحيد، وهذا مستحيل لأن أثر الشقاق الديني مع احتكاك الطرفين إبان الحملة الصليبية الأولى والثانية، قد عمق فكرة الكره بين الطرفين.

لكن وضع البابا هادريان الحرج مع أعدائه جعله يتغاضى عن رسالة مانويل، ويخلق جواً من التقارب معه، ويرحب بفكرة الوحدة بين الكنائس، لعله يجد في مانويل كومنين حليفاً قوياً ضد تهديدات النورمان على ممتلكات البابوية في جنوب إيطاليا، وتهديدات بربوسا لسلطات البابوية، وكان في تعاون البابوية مع مانويل فائدة للإمبراطور البيزنطي، في إعادة حقه في التاج الإمبراطوري، بالإضافة إلى الانتقام من النورمان، الذين كثيراً ما شكلوا خطراً على الإمبراطورية البيزنطية، حتى إن المفاوضات استمرت بعد وفاة هادريان الرابع⁽²⁾، وسعى مانويل كومنين إلى تجاهل المسائل العقائدية التي يتنازع عليها اللاتين والبيزنطيين، كما أجبر رجال الدين البيزنطيين أن يمتنعوا عن مناقشة المسائل اللاهوتية المتنازع عليها مع اللاتين، وذلك من خلال دعوته لعقد مجمع كنسي في

¹-Choniates.(1984.A.D): **Annals**, p.122.

عبيد.(1970م): روما وبيزنطة، ص272

² - زيتون.(1980م): العلاقات السياسية والكنسية، ص360.

القسطنطينية عام (562هـ/1166م)، واستعمل سلطته ومركزه لفرض طلباته على رجال الدين الأرثوذكس⁽¹⁾، وتسلم المنصب البابوي البابا إسكندر الثالث (Ascander III) (554-577هـ/1181-1159م)⁽²⁾، بعد وفاة هادريان الرابع، واستمر مانويل كومنين في تنفيذ خطته، لتحقيق مساعيه في الوصول للتاج، من خلال التقرب من البابوية ومحالفتها ضد أعدائها، لذا راسل مانويل كومنين البابا إسكندر الثالث، لكنه في هذه المرة وضح أهدافه ونواياه من خلال مطالبه التي ناقشها مع إسكندر الثالث، وهي توحيد كنيسة القسطنطينية مع كنيسة روما بشكل رسمي تحت سلطة البابوية وسيادتها، وإنهاء الشقاق المائل بين الكنيستين، مقابل منح البابوية التاج الإمبراطوري للإمبراطور مانويل كومنين⁽³⁾، بالإضافة لتعهدات الإمبراطور البيزنطي بمنح البابا الذهب والأموال الطائلة، جاءت هذه التعهدات بوقت كان فيه البابا إسكندر الثالث بأحرج المواقف، وهي دعم الإمبراطور الألماني للبابا غير الشرعي، والمنافس للبابا إسكندر الثالث، وهو⁽⁴⁾ فكتور الرابع (Fektor IV) (544هـ/1159م)⁽⁵⁾، وكان لتهديدات فردريك ببروسا، ودعمه للبابا المعارض للبابا الشرعي إسكندر الثالث دور كبير في حماس إسكندر الثالث للتقرب من مانويل كومنين، ومراسلته ليطمئن التفاوض بالطلبات التي عرضها مانويل كومنين⁽⁶⁾؛ زاد هذا التقارب حتى وصل إلى مرحلة التحالف المشترك ضد توسعات فردريك ببروسا في جنوب إيطاليا على حساب أملاك البابوية؛ ودخل بهذا الحلف الملك الفرنسي لويس السابع، الذي راسل مانويل كومنين، وأكد على وجوب مساندة مانويل للبابا إسكندر الثالث، بصفته خليفة العظماء الذين حموا الكنيسة ضد عدوان البرابرة والمحتلين، كما دعم لويس السابع هذا الكلام، بإرساله إلى

¹ - كيناموس. (1997م): أعمال يوحنا ومانويل كومنينوس، من خلال الموسوعة الشامية، ج28، ص242.

Magdalino. (1993.A.D): Manuel I Komnenos , p.90.

² - إسكندر الثالث: تسلم الكرسي البابوية عام(554هـ/1159م) حتى عام(577هـ/1281م) ودخل في نزاع مع الإمبراطور الألماني فردريك ببروسا، وأصدر قرار الحرمان ضد الإمبراطور فكتور الرابع وأتباعه من رجال الدين المعارضين له، في مجمع ديني في مدينة تور TOWR. تواريخ أسرة بلانتغنت. (1998م)، من خلال الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية، تأليف وتحقيق وترجمة سهيل زكار، دمشق، دط، ج30، ص111؛ عاشور. (1976م): أوروبا في العصور الوسطى، ص380.

³ - زيتون. (1980م): العلاقات السياسية والكنسية، ص380؛ عمران. (2002م): بيزنطة وحضارتها، ص279.

⁴ - كيناموس. (1997م): أعمال يوحنا ومانويل كومنينوس، من خلال الموسوعة الشامية، ج28، ص221؛ وليم الصوري. (2003م): تاريخ وليم الصوري، من خلال الموسوعة الشامية، ج46، ص1180؛ حسين، أمين. (د.ت): التاريخ الأوروبي، ص210.

⁵ - فكتور الرابع: ينتمي بأصوله لعائلة عريقة، كان كاردينالاً وراهباً للكنيسة نفسها ولقب بالقديس سيشيليا Cecilia، واسمه اكتافوس وعندما اعترف به فردريك ببروسا بابا بشكل رسمي عين باسم فكتور الرابع عام(544هـ/1159م). وليم الصوري. (2003م): تاريخ وليم الصوري، من خلال الموسوعة الشامية، ج47، ص1181.

⁶ - زيتون. (1980م): العلاقات السياسية والكنسية، ص380.

مندوب البابا في فرنسا يؤكد له على مكانة أباطرة القسطنطينية، إنهم خلفاء للعظماء الذين قدموا حماية للكنيسة، في الواقع إن هذه الرسالة الموجهة من لويس السابع إلى مندوب البابا في فرنسا، تدعم الاعتقاد السائد بين البيزنطيين بشرعية الأباطرة البيزنطيين بتسلم التاج الإمبراطوري من البرابرة المعتدين⁽¹⁾، وتؤكد على مكانة الأباطرة البيزنطيين إنهم الحماة الأوائل لكنيسة روما والبابوية⁽²⁾، وفي هذه الإشارة قوة للقسطنطينية على حساب مكانة كنيسة روما، ومن الطبيعي أن مانويل كومنين يتحمس لعبارات الملك الفرنسي لويس السابع، فقد سارع إلى مراسلته بكل لطف ومحبة، ويؤكد على موقفه الداعم للبابا إسكندر الثالث ضد أعدائه ومعارضيه، كما أضاف مانويل كومنين فخره بصلة القرابة التي تجمع زوجته ماريا الأنطاكية بلويس السابع، وفي عام (559هـ/1163م) وصلت رسائل مانويل إلى مندوب البابا من خلال سفراء مانويل الذين توجهوا إلى فرنسا لإتمام مهمتهم، ولاسيما بعدما أوصى البابا بالوفد البيزنطي عند لويس السابع، الذي غير سياسته حيال البابوية والبيزنطيين، بعد تقاربه مع فردريك بربروسا، مما عرقل الاجتماع الذي يجب أن يعقد مع البابا، وعلى الرغم من عدم إتمام السفراء مهمتهم، وعدم مقابلتهم للبابا، ظلت البابوية متمسكة بتحالفها مع مانويل كومنين حتى بعد وفاة البابا المعارض، لأن فردريك بربروسا دعم منافس آخر لإسكندر الثالث، وكثف هجماته على أملاك البابوية في إيطاليا⁽³⁾، على إثر ذلك بدأ البابا إسكندر الثالث يفكر بشكل جدي في نقل التاج الإمبراطوري من الأباطرة الألمان إلى الأباطرة البيزنطيين، وجدد مفاوضاته مع مانويل كومنين الذي قدم عروضاً مغرية للبابا، منها توحيد الكنيستين القسطنطينية وكنيسة روما تحت سلطة البابا، مع منح البابا مبالغ ضخمة من المال، بالإضافة إلى إخضاع القوات البيزنطية روما وإيطاليا لسلطة البابا بالقوة⁽⁴⁾. ناقش البابا إسكندر الثالث هذه العروض المغرية مع رجاله واتباعه، وقرر إعادة المفاوضات مع القسطنطينية⁽⁵⁾. تشير المصادر البيزنطية أن البابا إسكندر الثالث وافق على عروض مانويل كومنين، واشترط، لقاء موافقته تعهد مانويل كومنين بالإقامة والعيش في مدينة روما، وقد وجد مانويل كومنين صعوبة كبيرة في تنفيذ هذا الشرط لاستحالة

¹ - عبد الحميد. (1998م): قضايا في الحروب الصليبية، ص117؛ عبيد. (1970م): روما وبيزنطة، ص273.

² - رمضان. (2017م): بيزنطة والغرب، ص178.

³ - عبد الحميد. (1998م): قضايا في الحروب الصليبية، ص45؛ عبيد. (1970م): روما وبيزنطة، ص275.

⁴ - زيتون. (1980م): العلاقات السياسية والكنسية، ص380.

⁵ - رمضان. (2017م): بيزنطة والغرب، ص156.

قبول ترك إمبراطوريته والعيش في روما⁽¹⁾، لكن خلت المصادر اللاتينية عن تفاصيل هذه المفاوضات ولم تتطرق لها أبداً، بالحقيقة باءت مفاوضات مانويل وإسكندر الثالث بالإخفاق⁽²⁾، وذلك بسبب أثر الشقاق الديني العظيم الذي لا يحويه أي نوع من المصالح المشتركة بين البابوية وبيزنطة. فقد حدث نزاع بين سفراء البابا إسكندر الثالث ومانويل كومنين حول المسائل اللاهوتية المتنازع عليها بين الكنيستين، وأهمها عن إضافة كلمة Filioque "والابن أيضاً"، كما رفض مانويل كومنين ورجال الدين البيزنطيين ادعاءات البابوية بزعامة الكنائس، الذي يحرم كنيسة القسطنطينية استقلالها⁽³⁾ وهاجم هذه الادعاءات، كما انتقد اتهام اللاتين للبيزنطيين بالضللال، لكن موقف البابا إسكندر الثالث في تقاربه مع مانويل كومنين تغير بشكل جذري ولاسيما بعد⁽⁴⁾ مواجهة الفئة اللومباردية لتهديدات فردريك بربروسا، وأوقعوا به هزيمة فادحة عام (562هـ/1167م)، ومما زاد موقف بربروسا سوءاً، انتشار وباء خطير داخل المعسكر الألماني، وبخسارة فردريك بربروسا أمام الفئة اللومباردية، وانحسار خطره، زال السبب الذي كان يجبر إسكندر الثالث للتقارب مع مانويل كومنين⁽⁵⁾، ولم يدرك مانويل تبدل موقف البابا إسكندر الثالث إلا بعدما تمت مقابلة وفده المرسل من القسطنطينية إلى روما ليتفاوض مع البابوية، بفتور وبرود كبير، مسوغاً البابا عدم إتمام المفاوضات مع مانويل كومنين، لرفض رجال الدين اللاتين كل طلبات الإمبراطور مانويل كومنين، حرص البابا على استمرار الود بين القسطنطينية وروما، لذلك كان يقوم بإرسال وفده إلى القسطنطينية لتهنئة مانويل كومنين، بأية مناسبة تحصل بالقسطنطينية، لكن دون تناول أي موضوع بشأن الوحدة أو التاج الإمبراطوري⁽⁶⁾، وفي عام (573هـ/1177م) وثق البابا صلاته مع ملك صقلية والإمبراطور الألماني فردريك بربروسا، من خلال معاهدة سلام جمعت الأطراف الثلاثة، بينما كانت القسطنطينية بموقف حرج بعد هزيمتها أمام السلاجقة في معركة

¹ - كيناموس. (1997م): أعمال يوحنا ومانويل كومنينوس، من خلال الموسوعة الشامية، ج28، ص251.

² - عبيد. (1970م): روما وبيزنطة، ص275؛ عمران. (2002م): بيزنطة وحضارتها، ص279.

³ - زيتون. (1980م): العلاقات السياسية والكنسية، ص381.

Bucossi and Suarez. (2016.A.D): John II Komnenos, p.131.

⁴ - رمضان. (2017م): بيزنطة والغرب، ص186.

⁵ - زيتون. (1980م): العلاقات السياسية والكنسية، ص382؛ عبد الحميد. (1998م): قضايا في الحروب الصليبية، ص117.

⁶ - عبيد. (1970م): روما وبيزنطة، ص276.

(1) ميريو كيفالان (572هـ/1176م)⁽²⁾؛ في الواقع كانت هزيمة ميريو كيفالان العامل الذي حرض البابا على التخلي عن القسطنطينية الضعيفة والمهزومة، والتودد من بربروسا، وموافقته على اتفاقية السلام معه⁽³⁾، ولعل ذلك له صلة بأثر الخلاف الديني ما بين روما والقسطنطينية. وكانت أيضا ردة الفعل كنيسة القسطنطينية من مشروع الوحدة بين الكنيستين يحمل بعداً دينياً، ومتأثراً بالشقاق الديني العظيم، من خلال ردة فعل بطريرك القسطنطينية⁽⁴⁾ ميخائيل الثالث Michael III (565-573هـ/1169-1177م)⁽⁵⁾، في أثناء عقد مجلس ديني محلي عام (572هـ/1176م) في مدينة القسطنطينية لي طرح موضع موافقة مانويل كومنين على الوحدة بين كنيسة القسطنطينية وكنيسة روما، فقد وضع مانويل كومنين موقفه من مشروع الوحدة، من خلال كلامه بوجوب تجاهل التباين في الطقوس العقائدية بين الكنيستين، التي تسبب نزاعاً حاداً فيما بينهما، وإن هذا النزاع كبره وعمقه أفكار رجال الدين الأرثوذكس، فما كان من ميخائيل الثالث إلا مواجهة وجهة نظر مانويل كومنين، مؤكداً على انحراف اللاتين عن العقيدة القويمة، من خلال إيمانهم بمسألة إدخال كلمة "Filioque" في صلواتهم وطقوسهم وأعرافهم، كما استنكر ميخائيل الثالث كل ادعاءات البابوية في زعامتها على كنائس العالم المسيحي، كما وضع أن نقل العاصمة من روما إلى القسطنطينية ألغى مسألة زعامة كنيسة روما، كما تعاون ميخائيل الثالث ورجال الدين البيزنطيين لإنهاء المجمع الديني المحلي، بالاتفاق على مقاطعة اللاتين الكاثوليك، وتاركين عقابهم بيد الله، وختم ميخائيل مواجهته لوجهة نظر مانويل كومنين، بتفضيله الخضوع لسيادة المسلمين السياسية، ليقينه بتسامح المسلمين مع الديانات المغايرة للديانة الإسلامية، على عكس اللاتين الذين إذا فرضوا سيادتهم الروحية على البيزنطيين، سيفرضون طقوسهم وعقائدهم الخاطئة بالقوة، في الواقع كانت وجهة نظر ميخائيل الثالث تمثل الرأي العام، الذي كان متعمقاً بعقول

¹ - كيناموس. (1997م): أعمال يوحنا ومانويل كومنينوس، من خلال الموسوعة الشامية، ج28، ص286؛ عمران. (2002م): بيزنطة وحضارتها، ص280.

² - ميريو كيفالان: هي منطقة في فريجيا Phrygia في آسيا الصغرى، محاذية لبحيرة بيشر، في جنوب تركيا وقعت فيها معركة بين السلاجقة والبيزنطيين وكانت خسارة البيزنطيين فادحة عام (572هـ/1176م). عوض. (2007م): الإمبراطورية البيزنطية، ص325-332.

³ - عبيد. (1970م): روما وبيزنطة، ص277.

⁴ - زيتون. (1980م): العلاقات السياسية والكنسية، ص381.

⁵ - ميخائيل الثالث: يلقب بانخياليس نسبةً إلى معلمه أسقف مدينة أنخالوس Anchialos. وكان يكره الصليبيين بشكل كبير، تسلم البطريركية عام (556هـ/1170م)، خلف للبطريرك لوقا فم الذهب، وكان مشهوراً برفضه التام لأي تقاهم مع اللاتين والفرنجة، مات عام (574هـ/1178م) وخلفه ثيودوسيوس الأول Theodousous I. نيكول. (2003م): معجم التراجم البيزنطية، ص51.

رجال الدين البيزنطيين، مما كان له أثر في عرقلة مسألة الوحدة بين الكنائس، مؤكداً على حماس رجال الدين البيزنطيين لاستمرار استقلال كنيستهم عن كنيسة روما⁽¹⁾، وكانت محاولات مانويل كومنين وإسكندر الثالث بشأن وحدة الكنائس هي آخر مناقشات تمت بين كنيسة روما وكنيسة القسطنطينية، وأخذت على محمل الجد، وتم لها عدة مفاوضات ومناقشات، بينما المناقشات التي تمت بين الطرفين في عهد أندرونيكوس وإسحق الثاني أنجيلوس مناقشات شكلية وزائلة، في الحقيقة كان مصير موضوع الوحدة بين الكنائس هو الفشل، لأنه كان يطرح من قبل البابوية والأباطرة البيزنطيين لتحقيق غاياتهم وأطماعهم السياسية والدينية، ولكن من دون موافقة ورضى الرأي العام الشعبي ورجال الدين البيزنطيين واللاتينيين معاً، فهذا يؤكد أن أثر الخلاف الديني ما زال ماثلاً أمام أعين الطرفين، والذي كان أهم الأسباب التي أدت لإخفاق المساعي المقدمة لتوحيد الكنيستين الشرقية والغربية، ولاسيما وجهة نظر البابوية وادعاءاتها بزعامتها للكنائس العالم المسيحي، ووجوب توحيد الكنيستين الشرقية والغربية تحت سلطة البابوية وكنيسة روما، هذا ما رفضته واستنكرته كنيسة القسطنطينية ورجال الدين البيزنطيين، والبطريرك البيزنطي الذي دافع بكل شراسة عن استقلال كنيسة القسطنطينية⁽²⁾، كما أثر على مشروع وحدة الكنائس، غايات البابوية وأطماعها، فتقاربها مع الإمبراطورية البيزنطية لم يكن من باب الود واللفظ، بل كان مدفوعاً بالخطر الذي شكله الإمبراطور الألماني فردريك بربروسا على ممتلكات البابوية في إيطاليا، ودعم البابا المعارض لإسكندر الثالث، بالتالي كان مشروع الوحدة بين كنيسة روما وكنيسة القسطنطينية يمنح البابوية فرصة لتحقيق أهدافها السياسية والدينية، بالإضافة لما كان للحركة الصليبية دور سلبي في عدم تحقيق الوحدة بين الكنائس، من خلال زيادة الحقد والكره بين البيزنطيين واللاتين، بسبب زيادة الاحتكاك بين الطرفين إبان الحروب الصليبية، ولاسيما أن البيزنطيين كانوا على يقين أن هدف الحركة الصليبية هو غزو القسطنطينية والاستيلاء عليها، وهذا ما تم للصليبيين في الحملة الصليبية الرابعة

¹ - رمضان.(2017م): بيزنطة والغرب، ص 187؛ زيتون.(1980م): العلاقات السياسية والكنسية، ص 381؛ عبيد.(1970م): روما وبيزنطة، ص 278.

Runciman.(1959.A.D): **The Eastern Schism**, p.122.

² - زيتون.(1980م): العلاقات السياسية والكنسية، ص 381.

عام(600هـ/1204م)⁽¹⁾، وبالتالي يكون الأثر الديني للخلاف الكنسي هو العامل الأساسي لإخفاق محاولات التقارب مع البابوية، وبالتالي أخفق مشروع الوحدة بين الكنيستين.

¹ - زيتون.(1980م): العلاقات السياسية والكنسية، ص382.

3- علاقة بيزنطة مع الغرب اللاتيني قبيل الحملة الصليبية الثالثة

لا بد من تسليط الضوء على علاقة بيزنطة مع الغرب اللاتيني قبيل الحملة الصليبية الثالثة، لمعرفة إلى أي مدى أثر الشقاق الديني العظيم في هذه العلاقة، لكن لا يمكن دراسة علاقة بيزنطة بكل طرف من أطراف الغرب اللاتيني على حدة، بسبب تشابك المصالح وترابطها بالأطراف كافة، فكانت في بعض الأحيان علاقة مودة وتقارب، وفي البعض الآخر علاقة توتر وتناحر.

ربطت الإمبراطورية البيزنطية مع الإمبراطور الألماني كونراد الثالث علاقة تقارب وتحالف ضد أخطار روجر الثاني، لكن هذه العلاقة تحولت من تقارب إلى نزاع بعد موت كونراد الثالث وتسلم الإمبراطور فردريك بربروسا، الذي رسم لنفسه سياسته الخاصة، التي تفرض حقوق الأباطرة الألمان في الإمبراطورية الرومانية وصلاحياتهم، كما أرسل سياسته إلى البابا يوجين الثالث، ليؤكد له أن الإمبراطور الألماني هو من يضع القوانين ويعين البابوات، لأنه إمبراطور العالم، أما الآخرون فهم برابرة⁽¹⁾، يتبين مما سلف أن لقب برابرة موجه للأباطرة البيزنطيين، وأدرك البابا يوجين الثالث أن بربروسا هو عدوها الحالي، الذي سيحجم مكانتها وسيادتها في الغرب الأوروبي، ولم تتردد لتفادي عدوانه من عقد معه صلح كونستانس عام (1153م/548هـ)، الذي قدم من خلاله فردريك بربروسا التزامات بعدم التحالف مع ملك صقلية روجر الثاني، أو مع الشعب الروماني من دون أخذ رضى وأذن البابوية، كما قدم بربروسا ليوجين الثالث تعهداً بحماية مكانة واحترام البابوية، وتوسيع ممتلكاتها في جنوب إيطاليا على حساب ممتلكات الإمبراطورية البيزنطية، بالمقابل تعهد البابا يوجين بتتويج فردريك بربروسا بنفسه إمبراطوراً على الإمبراطورية الرومانية المقدسة، وتشكيل فرقة عسكرية في جنوب إيطاليا، تمنع تدخل البيزنطيين فيها⁽²⁾، وينود هذه المعاهدة توضح أثر الشقاق الديني العظيم فهي تحالف كاثوليكي بين البابوية والإمبراطور

¹ - فريزنغ. (1977م): تاريخ أوتو فريزنغ، من خلال الموسوعة الشامية، ج28، ص365؛ حسين، أمين. (د.ت): التاريخ الأوروبي، ص208؛ عبد الحميد. (1998م): قضايا في الحروب الصليبية، ص43.

² - الجنزوري. (د.ت): البابوية والإمبراطورية الرومانية، ص38؛ رمضان. (2017م): بيزنطة والغرب، ص163؛ زابوروف. (1986م): الصليبيون في الشرق، ص198؛ زيتون. (1980م): العلاقات السياسية والكنسية، ص239.

Setton. (1969.A.D): A History Of The Crusades, vol II, p.136.

الألماني ضد بيزنطة الأرثوذكسية - الضالة عن العقيدة الصحيحة في نظرهم-، وبذلك يكون حلف لاتيني كاثوليكي ضد بيزنطة الارثوذكسية.

وما إن انتهى فردريك بربروسا من توقيع صلح كونستانس، حتى سطر رسالة للإمبراطور مانويل كومنين يشرح له فيها سياسته، التي تؤكد على مكانة الأباطرة الألمان السياسية في العالم، وتؤكد تفردهم باللقب الإمبراطوري دون غيرهم⁽¹⁾، ويتبين مما سلف أن موقف فردريك بربروسا من الإمبراطور مانويل متأثر ظاهرياً بحرب الألقاب والصراع على المنزلة الإمبراطورية، لكن في حقيقة الأمر كان الشقاق الديني العظيم هو المؤثر على موقف فردريك بربروسا الكاثوليكي من مانويل الأرثوذكسي. وعلى الرغم من أسلوب بربروسا الخالي من الود في رسالته لمانويل، طرح مشروع مصاهرة من ابن شقيق مانويل، ولكي يضمن الموافقة على هذا الطلب، لمح بنيته توجيه حملة ضد صقلية، وهذا التلميح لم يكن جذاً، لأنه يعارض بنود الصلح الذي وقعه مع البابا يوجين الثالث، بما يخص تقليص نفوذ بيزنطة في إيطاليا، لذلك لم يكن مشروع الحملة إلا طعماً لمانويل للموافقة على مشروع المصاهرة مع بربروسا⁽²⁾، أدرك مانويل كومنين مدى الخطورة الذي يشكله هذا التصاهر مع بربروسا على منزلته الإمبراطورية، ولا سيما أن فردريك بربروسا طلب يد الوريثة الشرعية للعرش الإمبراطوري، وهي ابنة شقيق مانويل كومنين الأكبر، والذي مات في عهد أبيه يوحنا كومنين، لذلك لم يتسلم السلطة، سعى مانويل للتحالف مع بربروسا، ليتفادى خطره، وبث سفراءه إلى البلاط الألماني، يعرض على بربروسا التحالف مع مانويل، لكن بشروط وضعها مانويل، تؤكد مساواته في المنزلة الإمبراطورية، وحقه في إيطاليا، مما أغضب بربروسا، وطرد سفراء مانويل كومنين، رافضاً الحلف والشروط التي حملها السفراء⁽³⁾، لكن سرعان ما عملت الظروف لصالح مانويل كومنين، فتغير الأوضاع السياسية في صقلية، جعلت مانويل غير محتاج لأي تحالف ليحقق أطماعه في إيطاليا، ويقضي على تهديدات

¹ - زابوروف. (1986م): الصلبيون في الشرق، ص198؛ عبيد. (1970م): روما وبيزنطة، ص248

² - كيناموس. (1997م): أعمال يوحنا ومانويل كومنينوس، من خلال الموسوعة الشامية، ج28، ص141؛ رمضان. (2017م): بيزنطة والغرب، ص164؛ زيتون. (1980م): العلاقات السياسية والكنسية، ص239.

³ - عبيد. (1970م): روما وبيزنطة، ص248.

مملكة صقلية، فقد وقع تمرد عنيف داخل صقلية، على أثر موت روجر الثاني وتعيين ابنه⁽¹⁾ وليم الأول William I (549-562هـ/1154-1166م)⁽²⁾، الذي احتفظ بإدارة البلاد واستبعد النبلاء من الحكم وقلص حريات المدن مما شجع البارونات على التمرد عليه، وترغم هذا التمرد كونت روبرت دي لوريتلو Robert de Loretlou⁽³⁾، وأصبح وضع وليم الأول محرّجاً، واستغل مانويل كومنين كثرة تحديات وليم الأول وتشتته في التصدي لها، وهاجم الأسطول البيزنطي إحدى السفن النورمانية التي كانت تقوم بعملية قرصنة ضد مصر⁽⁴⁾، كما استغل فردريك بربروسا وضع وليم الأول، فأرسل حملة من دون التحالف مع مانويل كومنين على إيطاليا عام(549هـ/1154م)، لكنه تعرض لاستكار رجال بلاطه لفكرة محاربة وليم الأول، وتقديم العون للمتمردين في صقلية، وعاد إلى بلاده، مما منح الفرصة المناسبة لمانويل كومنين للتقدم تأكيد حقه في إيطاليا⁽⁵⁾.

ويتضح من رفض بربروسا أي مساعدة بيزنطية في إيطاليا أنها تحمل بعداً دينياً فإنه لا يريد أي نفوذ بيزنطي أرثوذكسي في إيطاليا لذلك لم يعلم مانويل بشيء عن هذه الحملة، ولم يطلب العون منه. عندما علم المتمرّدون بعودة فردريك بربروسا إلى بلاده دون تقديم أية مساندة لهم، وقد سارعوا للتفاوض مع مانويل كومنين، لتشكيل حلف ثنائي للقضاء على وليم الأول، واستمرار الحروب في إيطاليا لصالح البيزنطيين، وحقق روبرت لوريتلو انتصارات متتالية، وسيطر على عدة قلاع ومناطق ذات موقع استراتيجي هام، كما نجح في تشكيل فرقة عسكرية ضخمة مؤلفة من عدد كبير من أعداء وليم الأول، ليتم القضاء عليه وعلى نفوذه في إيطاليا بشكل

¹ - كيناموس. (1997م): أعمال يوحنا ومانويل كومنينوس، من خلال الموسوعة الشامية، ج28، ص142؛ عاقل. (1967م): الإمبراطورية البيزنطية، ص291

² - وليم الأول: هو ابن روجر الثاني، وتسلم الحكم بعد وفاة أبيه عام(549هـ/1154م)، وظل بالحكم حتى عام(562هـ/1166م)، ولقب بالسبيء The bad بسبب قسوته. زيتون. (1980م): العلاقات السياسية والكنسية، ص237.

³ - روبرت كونت لوريتلو: هو ابن عمه الملك وليم الأول، أطلق عليه وليم الصوري اسم "باسافيلالا". وليم الصوري. (2003م): تاريخ وليم الصوري، من خلال الموسوعة الشامية، ج47، ص1120.

⁴ - كيناموس. (1997م): أعمال يوحنا ومانويل كومنينوس، من خلال الموسوعة الشامية، ج28، ص126.

Choniates. (1984.A.D): Annals, p.56.

⁵ - وليم الصوري. (2003م): تاريخ وليم الصوري، من خلال الموسوعة الشامية، ج47، ص1123؛ رمضان. (2017م): بيزنطة والغرب، ص166؛ زيتون. (1980م): العلاقات السياسية والكنسية، ص241.

جذري⁽¹⁾، ونجحت القوات البيزنطية في السيطرة على عدة مدن في جنوب إيطاليا، وإخضاعها لحكم مانويل كومنين⁽²⁾، وأمام نجاح البيزنطيين في جنوب إيطاليا، سعى البابا هادريان الرابع للمشاركة في هذه الحرب، واستغلال فرصتها لإعادة ممتلكات البابوية فيها، التي استولى عليها ملوك صقلية، وحقق البابوية مساعيها في السيطرة على بعض أملاكها التي كانت بيد الصقالبة، كما حالفت مانويل كومنين ليستمر الطرفان في حروبهم في إيطاليا⁽³⁾، وبناءً على هذا الحلف قدمت القوات البيزنطية المدد والدعم المالي والعسكري لفرق البابوية لتستمر في حربها في إيطاليا⁽⁴⁾، وتمكنت البابوية من خلال الدعم البيزنطي من السيطرة على⁽⁵⁾ برنديزي Brendeze⁽⁶⁾ عام (551هـ/1156م)، كما تمكنت القوات البيزنطية من فرض نفوذ الإمبراطورية البيزنطية وسيادتها في جنوب إيطاليا، مستغلةً مرض وليم الأول وعدم قدرته على مواجهة سلسلة من التحديات والمشاكل التي عمت مملكته⁽⁷⁾.

في الواقع لم تنعم الإمبراطورية البيزنطية بهذا النصر، بسبب النزاع الذي دب بين البيزنطيين وحلفائهم المتمردين الصقليين⁽⁸⁾، وربما يعود ذلك إلى الخلاف الكنسي، الذي زرع الريبة والشك بين الكاثوليك والأرثوذكس، والتي تمنع أي تعاون أو تحالف.

وكان لتعافي صحة وليم الأول دور كبير في إعداد حملة ضخمة لمواجهة البيزنطيين، الذين تراجعت إمكاناتهم بعد موت قائدهم العسكري، وجه وليم الأول حملته على مناطق تجمع المتمردين وسيطر عليها، وتابع

¹ - كيناموس. (1997م): أعمال يوحنا ومانويل كومنينوس، من خلال الموسوعة الشامية، ج28، ص142؛ زيتون. (1980م): العلاقات السياسية والكنسية، ص242.

² - كيناموس. (1997م): أعمال يوحنا ومانويل كومنينوس، من خلال الموسوعة الشامية، ج28، ص146.
Choniates. (1984.A.D): Annals, p.56. Setton. (1969.A.D): A History Of The Crusades, vol II, 136.

³ - وليم الصوري. (2003م): تاريخ وليم الصوري، من خلال الموسوعة الشامية، ج47، ص1138؛ رمضان. (2017م): بيزنطة والغرب، ص169؛ زيتون. (1980م): العلاقات السياسية والكنسية، ص245.

⁴ - عبيد. (1970م): روما وبيزنطة، ص250.
⁵ - كيناموس. (1997م): أعمال يوحنا ومانويل كومنينوس، من خلال الموسوعة الشامية، ج28، ص147؛ وليم الصوري. (2003م): تاريخ وليم الصوري، من خلال الموسوعة الشامية، ج47، ص1138.

⁶ - برنديزي: مدينة إيطاليا محاذية للبحر الأدرياتي من جهة الشمال، وتعد ميناء بحري هام قريبة من مدينة تارنت Tarent، واشتهر أهلها بالصباغة. بنيامين. (2002م): رحلة بنيامين، ص75.

⁷ - زيتون. (1980م): العلاقات السياسية والكنسية، ص245؛ عبيد. (1970م): روما وبيزنطة، ص251.
⁸ - عاقل. (1967): الإمبراطورية البيزنطية، ص292.

تقدمه نحو المناطق التي سيطر عليها البيزنطيون، وتعرض البيزنطيون لهزيمة نكراء في مدينة برنديزي، وتم فرض السيطرة على الأسطول البيزنطي الذي كان مليئاً بالذهب والأموال والجواهر، وأمام نجاحات وليم الأول المتتالية، خاف المتمرّدون، وفروا نحو الشمال⁽¹⁾، كما شكلت ضربة قاصمة لكل نجاحات القوات البيزنطية في جنوب إيطاليا، التي لم تتعم بها حتى أعادها وليم الأول إلى سيطرته⁽²⁾، ولم يرتح وليم الأول حتى اتجه إلى الشمال الإيطالي، وعاقب المتمرّدين ودمر كل المناطق التي كان لها يد في مساعدة المتمرّدين⁽³⁾، ولم ينسَ مواجهة القوات البابوية التي حاصرها في مدينة⁽⁴⁾ بنفنتو Benevento⁽⁵⁾، وكان البابا موجوداً من ضمن المحاصرين، لكنه سارع لطلب العفو من وليم الأول، وعرض عليه الصلح، وافق وليم الأول على العفو عن البابا هادريان الرابع ومصالحته، مقابل تنازل البابوية عن حقوقها في إيطاليا، ولم يتردد البابا المحاصر في قبول شروط وليم الأول، وتم الصلح عام (1156هـ/1156م)، وأعلن فيه وليم الأول يمين الطاعة للبابوية⁽⁶⁾، وكان لتحالف البابوية مع وليم الأول دوراً كبيراً في خلق جو من التقارب بين مانويل كومنين وفردريك بربروسا، ودخل في المفاوضات لإتمام الحلف بين الطرفين المستشار وبيالد، ولم ترصّ البابوية عن هذا التقارب، وراسل وبيالد بأسلوب خالٍ من الود واللطافة، ومليء بالتهديد والوعيد، واتهام المستشار أن تقاربه مع البيزنطيين يعدّ خيانة لكنيسة روما الكاثوليكية، وأكد البابا هادريان الرابع لوبيالد بوجوب الابتعاد عن أي تقارب مع مانويل كومنين، كما أكد البابا هادريان على ضرورة حث فردريك بربروسا للتقرب من كنيسة روما فقط⁽⁷⁾، وفي ردة فعل البابوية من مساعي وبيالد في التقارب الألماني- البيزنطي، دليل

¹ - كيناموس. (1997م): أعمال يوحنا ومانويل كومنينوس، من خلال الموسوعة الشامية، ج28، ص155-161؛ وليم الصوري. (2003م): تاريخ وليم الصوري، من خلال الموسوعة الشامية، ج47، ص1139؛ زيتون. (1980م): العلاقات السياسية والكنسية، ص246؛ عاقل. (1967م): الإمبراطورية البيزنطية، ص292.

² - Choniates. (1984.A.D): Annals, p.57.

³ - كيناموس. (1997م): أعمال يوحنا ومانويل كومنينوس، من خلال الموسوعة الشامية، ج28، ص166.

⁴ - زيتون. (1980م): العلاقات السياسية والكنسية، ص248.

⁵ - بنفنتو: مدينة إيطاليا تقع في جنوب إيطاليا في إقليم كمباني، وقريبة من مدينة أمالفي، تتميز بمحاذاتها للبحر والجبل بأن واحد، وكان الإمبراطور الألماني هنري الثالث قد تنازل عنها للبابا ليو التاسع وذلك عام (445هـ/1053م). بنيامين. (2002م): رحلة بنيامين، ص68.

⁶ - وليم الصوري. (2003م): تاريخ وليم الصوري، من خلال الموسوعة الشامية، ج47، ص1138.

⁷ - عبيد. (1970م): روما وبيزنطة، ص252-253.

واضح أنه مازال الشقاق الديني العظيم، مؤثراً في وجهة نظرهم حيال البيزنطيين، فإن أي مودة تحصل تجاه البيزنطيين يعد تأمراً وخيانةً ضد كنيسة روما الكاثوليكية.

حصلت عدة مباحثات جدية بين الإمبراطور البيزنطي والإمبراطور الألماني، من أجل توجيه حملة مشتركة ضد إيطاليا وهزيمة وليم الأول⁽¹⁾، لكن حرب الألقاب والتنازع على المكانة الإمبراطورية كانت عائقاً أمام تشكيل هذا الحلف، والقضاء على وليم الأول⁽²⁾، وحرب الألقاب هذه كانت تخفي في طياتها أثراً عميقاً تركه الشقاق الديني العظيم ما بين روما وبيزنطة. ومن هنا لم يكن هناك سبيل للتحالف بين إمبراطورين متنازعين على اللقب، وكل واحد منهم منتمي لكنيسة متصارعة مع الأخرى.

ويموت وبيالد مات أي مسعى حقيقي للتقارب بين الإمبراطوريتين الألمانية والبيزنطية، فقد حدثت وفاة المستشار وبيالد في طريق عودته من رحلة التفاوض مع مانويل كومنين، الذي سارع لإرسال رسالة إلى الإمبراطور فردريك بربروسا، ليؤكد أن وفاة وبيالد كانت طبيعية، ولم يكن لبيزنطة أي يد فيها⁽³⁾، وهذا يؤكد مشاعر الشك والكره التي جمعت العلاقات بين مانويل وفردريك بربروسا، التي أوجدتها حرب الألقاب، وأثر الشقاق الديني العظيم ما بين روما وبيزنطة.

زاد خطر وليم الأول على الإمبراطورية البيزنطية بعدما هاجم الشواطئ البيزنطية بكل عنف وشراسة ودمرها، وتابع مسيره إلى أطراف القسطنطينية، وهاجم بعض القصور والكنائس بالسهام وخربها، ولم يستطع مانويل كومنين صد هجمات وليم الأول، وتمكن من خلال وساطة البابا هادريان الرابع من عقد هدنة مع وليم الأول، لتفادي تهديداته المستمرة⁽⁴⁾، وكان موقف البابا في سعيه الحثيث لتصالح مانويل ووليم الأول، ليتفادى توقيع أي

¹ - كيناموس.(1997م): أعمال يوحنا ومانويل كومنينوس، من خلال الموسوعة الشامية، ج28، ص250.

² - عبيد.(1970م): روما وبيزنطة، ص254.

³ - عبيد.(1970م): روما وبيزنطة، ص253.

⁴ - Choniates.(1984.A.D): Annals, p.57.

رمضان.(2017م): بيزنطة والغرب، ص177.

Setton.(1969.A.D): A History Of The Crusades, vol II, p.137،

اتفاق يجمع الطرفين من دون علم البابا، بالتالي يمكن أن يكون حلفاً ثنائياً ضد البابوية، لذلك سعى بأقصى جهده للتقريب بين وليم الأول ومانويل كومنين وتم له ذلك، واتفق الطرفان على عقد هدنة لمدة ثلاثين عاماً، وتعهد خلالها وليم بفك أسرى البيزنطيين المحجوزين بسجونهم⁽¹⁾، وقدم وليم تعهدات بتقديم الدعم للأباطرة لتحقيق أطماعهم في الغرب الأوروبي⁽²⁾، وهذا يدل أن وليم كان يسعى لتشكيل حلف ضد البابوية وبربروسا، وإن البابا هادريان أدرك ذلك وتنبه للفكرة، وحاول أن يتم الحلف بمساعيه لكي لا يكون ضده. حاول مانويل تشكيل حلف دبلوماسي مع مدن شمال إيطاليا، لذا قدم عوناً ودعمًا لجزيرة أنكونا Ancona عندما تتعرض للخطر من قبل بربروسا، وتم التقارب مع أهالي بيزا Beza⁽³⁾ عام (568هـ/1172م)، ومنحهم مبالغ طائلة من المال مقابل عدم تدخلهم أو دعمهم لأداء بيزنطة، ولاسيما فردريك بربروسا⁽⁵⁾، أما جنوة Genova⁽⁶⁾ فقد جمعتها مع الإمبراطورية علاقات فائترة، بسبب تقاربها مع صقلية عام (551هـ/1156م)، وتشكيل حلف مع فردريك بربروسا عام (557هـ/1162م)، لذا سعت بيزنطة لتقليص نفوذ جنوة التجاري ضمن الإمبراطورية البيزنطية وبالتحديد في القسطنطينية، وقد خطط مانويل لذلك بعد إدراكه كمية الكره والحقد التي يكنه باقي الجاليات الإيطالية على الجنوبيين، فسعى لتحريض البنادقة والبيزيين لمهاجمة الحي الذي تسكنه الجالية الجنوبية في القسطنطينية، وتم نهب وسرقة البيوت السكنية والمتاجر الجنوبية في القسطنطينية، من قبل البنادقة والبيزيين لمدة عشرة أيام، وكانت الخسائر كبيرة، مما أدى إلى خروج

¹ - كيناموس. (1997م): أعمال يوحنا ومانويل كومنينوس، من خلال الموسوعة الشامية، ج28، ص250؛ زيتون. (1980م): العلاقات السياسية والكنسية، ص249.

² - رمضان. (2017م): بيزنطة والغرب، ص117.

Setton. (1969.A.D): A History Of The Crusades, vol II, p.138.

³ - عاقل. (1967م): الإمبراطورية البيزنطية، ص294.

⁴ - بيزا: تقع بين روما جنوباً، وجنوة شمالاً، وبالتحديد على خليج جنوة، تمتاز بمساحتها الواسعة، وأسواقها الوافرة، وبساتينها الكثيرة، كان لها دور تجاري هام في العصور الوسطى بين أوروبا والمسلمين. الإدريسي، محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس ت560هـ/1146م. (د.ت): نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، عالم الكتب، بيروت، د.ط، ص72؛ الربيعي. (د.ت): موقف الإمبراطورية البيزنطية من قادة الحملات الصليبية، ص481.

⁵ - رمضان. (2017م): بيزنطة والغرب، ص179؛ زيتون. (1980م): العلاقات السياسية والكنسية، ص225-226.

⁶ - جنوة: تقع على خليج جنوة في الساحل الشمالي للبحر الأدرياتيكي، وتعد ميناء تجارياً هاماً، وتمتلك أسطولاً بحرياً قوياً، امتازت بكثرة الثمار والمزارع، خضعت لروما عام (218ق.م)، غزاها اللومبارديين عام (641م)، قامت بدور تجاري بالاشتراك مع بيزا. لإدريسي. (د.ت): نزهة المشتاق، ص73؛ الربيعي. (د.ت): موقف الإمبراطورية البيزنطية من قادة الحملات الصليبية، ص481.

الجنوبيين من القسطنطينية⁽¹⁾، وتوتر العلاقات بين بيزنطة وجنوة عندما طالبت جنوة الإمبراطورية البيزنطية بتعويض الجنوبيين عن خسائرهم، لكن في النهاية تم الاتفاق بين الطرفين عام (566هـ/1170م) على عدم تدخل جنوة في أي حرب تدور ضد الإمبراطورية البيزنطية، مقابل منح بيزنطة امتيازات تجارية ضخمة لجنوة، لكن لم تتطرق بيزنطة إلى تعهدا بحماية الجالية الجنوبية وثروتها في القسطنطينية بحال تعرضها لاعتداء جديد⁽²⁾، ولم يمض عدة شهور على اتفاق جنوة وبيزنطة، حتى قام البنادقة بهجوم عنيف على أحياء الجنوبيين، فكانت هذه الحادثة فرصة لمانويل كومنين لدعم خزنته الخاوية، بمصادرة أملاك البنادقة والجنوبيين⁽³⁾، وسارع الجنوبيين للمطالبة بتعويضاتهم من قبل الإمبراطورية البيزنطية، التي يبدو أنها صمت آذانها عن ذلك⁽⁴⁾، وكان هناك بعض التقارب بين الإمبراطورية البيزنطية وجمهورية البندقية والتعاون ضد خطر بربروسا⁽⁵⁾، لكن سرعان ما تحول هذا التقارب إلى عدا، ولاسيما بعد تنفيذ البندقية لمشروع مصاهرة مع عدو مانويل ملك المجر عام (564هـ/1168م)، وقيام البندقية بتهديد الوجود البيزنطي في شبه الجزيرة الإيطالية، عند هجومها على إحدى السفن البيزنطية الراسية في شبه الجزيرة الإيطالية، مما أدى إلى شحن العلاقات بالكره والتحدي، حتى وصلت إلى الانفجار عام (567هـ/1171م)⁽⁶⁾، حيث رسم مانويل كومنين سياسة لنفسه لمعاقبة البنادقة، وتركز على الحد من الوجود البندقي في القسطنطينية، والقضاء على مصالحهم وثرواتهم فيها، فقد قامت الفرق العسكرية البيزنطية بالهجوم على الجالية البندقية في القسطنطينية، وإلقاء القبض على عدد كبير من البنادقة وأسرههم، ونقل أملاكهم إلى الخزينة البيزنطية⁽⁷⁾، وكان ذلك لإغناء خزنته بعد تدهورها، التي أصبحت فارغة، في الحقيقة هذه الظروف الاقتصادية

¹ - كيناموس. (1997م): أعمال يوحنا ومانويل كومنينوس، من خلال الموسوعة الشامية، ج28، ص268؛ رمضان. (2017م): بيزنطة والغرب، ص203.

² - زيتون. (1980م): العلاقات السياسية والكنسية، ص257.

³ - كيناموس. (1997م): أعمال يوحنا ومانويل كومنينوس، من خلال الموسوعة الشامية، ج28، ص268.

⁴ - رمضان. (2017م): بيزنطة والغرب، ص20؛ زيتون. (1980م): العلاقات السياسية والكنسية، ص556-558؛ عبيد. (1970م): روما وبيزنطة، ص260.

⁵ - كيناموس. (1997م): أعمال يوحنا ومانويل كومنينوس، من خلال الموسوعة الشامية، ج28، ص268.

⁶ - عبيد. (1970م): روما وبيزنطة، ص260-266.

⁷ - كيناموس. (1997م): أعمال يوحنا ومانويل كومنينوس، من خلال الموسوعة الشامية، ج28، ص269.

Choniates. (1984.A.D): Annals, pp.97-98.

رمضان. (2008م): بيزنطة والحروب الصليبية، ص53؛ عمران. (2002م): بيزنطة وحضارتها، ص278؛ عوض. (2007م): الإمبراطورية البيزنطية، ص334.

السيئة التي تعانيها خزينة مانويل جعلته يشعر بالطمع تجاه أملاك البنادقة و ثرواتهم، وسعى لاستحواذها لصالحه⁽¹⁾، بالإضافة إلى إدراك مانويل حجم الحقد والغضب الكامنين في قلوب البيزنطيين من رخاء ونعيم البنادقة، نتيجة الامتيازات التي حصلوا عليها من الأباطرة السالفين⁽²⁾، كما أيقن استجابة الشعب البيزنطي ورضاه لفكرة استملاك ثروات البنادقة لصالح خزينة الدولة البيزنطية، فيكون بذلك حقق غايتين: أولهما توفير المال الكافي لخزينة الدولة البيزنطية، بالإضافة إلى تهدئة الرأي العام الشعبي الغاضب، والحاقد على كل ما هو لاتيني⁽³⁾، بينما أشار المؤرخ البيزنطي نيكيتاس خونيئاتيس Niketa choniates أن الإمبراطور البيزنطي مانويل كومنين كان ساخطاً على تجاوز أوامره، وقراراته، من قبل الجالية البندقية الموجودة في القسطنطينية⁽⁴⁾، وفي هذا إشارة واضحة على الخلاف الديني بين الطرفين.

ونجح مانويل بتنفيذ خطته في عام (567هـ/1171م)، حيث هجم هو ورجاله على البنادقة، وألقى القبض على عشرة آلاف منهم، وزجهم في السجون التي لم تعد تتسع لأعداد البنادقة الهائلة، لذلك تم استخدام الكنائس والأديرة لتكون سجوناً، ومعتقلات للبنادقة، بالإضافة إلى استملاك ثرواتهم، وأموالهم من قبل الدولة البيزنطية⁽⁵⁾، رداً على ذلك قامت جمهورية البندقية بإعداد 120 سفينة، وهاجمت المدن التي كانت تابعة للسيادة البيزنطية⁽⁶⁾، وفي البداية انتصرت الحملة حتى إن البنادقة أجبروا البطاركة البيزنطيين على الاعتراف بخضوعهم لسلطة البابا في روما⁽⁷⁾، وذلك التصرف مدفوع بأثر الشقاق الديني العظيم ما بين روما وبيزنطة.

¹ - رمضان.(2017م): بيزنطة والغرب، ص201؛ زيتون.(1980م): العلاقات السياسية والكنسية، ص258.

² - عبيد.(1970م): روما وبيزنطة، ص263.

³ - كيناموس.(1997م): أعمال يوحنا ومانويل كومنينوس، من خلال الموسوعة الشامية، ج28، ص279.

⁴ - Choniates.(1984.A.D): Annals, p.97.

عوض.(2007م): الإمبراطورية البيزنطية، ص334.

⁵ - كيناموس.(1997م): أعمال يوحنا ومانويل كومنينوس، من خلال الموسوعة الشامية، ج28، ص280؛ عبيد.(1970م): روما وبيزنطة، ص265.

⁶ - رمضان.(2008م): بيزنطة والحروب الصليبية، ص54؛ هسي.(1984م): العالم البيزنطي، ص195-197.

Setton.(1969.A.D): A History Of The Crusades, vol II, pp.138-142

⁷ - زيتون.(1980م): العلاقات السياسية والكنسية، ص261.

لكن بعد سنة وتحديداً عام (568هـ/1172م)، أخفقت حملة البندقية، بسبب انتشار مرض خطير في معسكرهم ومات عدد كبير منهم، وتم اتهام مانويل كومنين بوضع السم في مياه الآبار التي يشرب منها البنادقة⁽¹⁾، ولا يستبعد ذلك، ويمكن أن يكون لأثر الشقاق الديني دور فعال في ذلك. ثم قامت البندقية بالتعاون مع بربروسا، بمهاجمة مدينة أنكونا Ankona⁽²⁾ حليفة مانويل عام (569هـ/1173م)، كما تقربت من صقلية، وعقدت معها معاهدة صداقة عام (571هـ/1175م)⁽³⁾؛ لذا خشي مانويل من تحالف البندقية وصقلية وبربروسا ضده، فأسرع ليتفاوض مع البندقية، ويتودد لها، وأطلق سراح أسرى عام (567هـ/1171م)، ويؤكد نيكيتاس الخونياتس، أن مانويل لم يجدد الامتيازات التجارية لجمهورية البندقية⁽⁴⁾، ويرجح الباحث عادل زيتون أن هذا الاتفاق لم يتم بعهد الإمبراطور مانويل كومنين، وإنما بعهد الإمبراطور أندرونيكوس كومنين⁽⁵⁾، لكن الأحداث لم تدل أن هناك ودّاً بين البيزنطيين والبنادقة، ودليل ذلك أن البنادقة أول المشاركين في غزو القسطنطينية في الحملة الصليبية الرابعة (600هـ/1204م)⁽⁶⁾، وإن ذلك عائد إلى الكره الكبير في قلوب البنادقة ضد البيزنطيين، بسبب الشقاق الديني العظيم الذي مازال ماثلاً أمام أعينهم، الذي زاده وعمقه تهديد البيزنطيين مصالح البنادقة التجارية في القسطنطينية.

كما كانت العلاقات تزداد سوءاً بين مانويل كومنين والإمبراطور الألماني فردريك بربروسا، الذي يعيش في قلبه كره كبير لكل ما هو بيزنطي، لذلك رسم لنفسه سياسة معادية للبيزنطيين وأملاكهم في إيطاليا، ووجه جيشه عدة مرات لمحاصرة جزيرة أنكونا التابعة للبيزنطيين، ولم يبعد خطره عنها حتى تلقى فدية كبيرة من أهلها، ولم يتوقف البرنامج المعادي لبيزنطة عند هذا الحد بل تواصل فردريك بربروسا مع السلاجقة، وبالتحديد سلطان قونية حرصه بشكل كبير على توجيه حملة للقضاء على الإمبراطورية البيزنطية⁽⁷⁾، مما جعل السلاجقة يشددون هجماتهم

¹ - عبيد. (1970م): روما وبيزنطة، ص266.

² - أنكونا: مدينة إيطاليا، تقع في وسط إيطاليا، وكانت مركز للنشاط البيزنطي في إيطاليا. زيتون. (1980م): العلاقات السياسية والكنسية، ص267.

³ - Choniates. (1984.A.D): Annals, pp.98-114.

عبيد. (1970م): روما وبيزنطة، ص265.

⁴ - Choniates. (1984.A.D): Annals, p.98.

عمران. (2002م): بيزنطة وحضارتها، ص278.

⁵ - (1980م): العلاقات السياسية والكنسية، ص267-268.

⁶ - عبيد. (1970م): روما وبيزنطة، ص267.

⁷ - Choniates. (1984.A.D): Annals, pp.113-114.

عبيد. (1970م): روما وبيزنطة، ص268؛ هسي. (1984م): العالم البيزنطي، ص197.

وعدوانهم على الإمبراطورية البيزنطية بين عامي (570-571هـ/1174-1175م)، ليكون عام (572هـ/1176م) كارثة حقيقية، وضربة قاضية للإمبراطورية البيزنطية بهزيمتها في موقعة ميريوكيفالن، بسبب تحريض بربروسا السلاجقة بشكل مستمر للقضاء على الإمبراطورية البيزنطية⁽¹⁾، وما إن سمع بربروسا بهذه الهزيمة، حتى أُنتابته موجة من الفرح العظيم⁽²⁾ وذلك مؤكد بسبب حرب الألقاب الذي يجمعهم، وبسبب أثر الخلاف الكنسي الذي زاد من كره فردريك بربروسا لكل ما هو بيزنطي.

سعى فردريك بربروسا لقطع أية صلة ود أو تقارب ممكن أن تجمع مانويل كومنين مع البابوية، خوفاً من تحالف مشترك ضد أهدافه في الغرب وفي إيطاليا، وتنفيذاً لذلك قام بعقد معاهدة تحالف مشترك مع البابا إسكندر الثالث عام (573هـ/1177م)⁽³⁾، وفي العام نفسه قام بربروسا بمراسلة الإمبراطور البيزنطي مانويل، برسالة مليئة بالاستهزاء بمكانته التي لا تتساوى مع مكانة أباطرة الإمبراطورية الرومانية المقدسة، ويؤكد له وجوب إخضاع القسطنطينية وشعبها وحكامها وكنيستها لسلطة روما وكنيستها، ويستنكر عليهم استقلال كنيسة القسطنطينية عن الكنيسة الأم كنيسة روما، وأنهى رسالته بعبارات مليئة بالشماتة والسخرية من هزيمته أمام السلاجقة، وأكد أن انتصار السلاجقة على البيزنطيين، تم بدعم بربروسا، الذي عقد تحالفاً مشتركاً مع أعداء مانويل كومنين⁽⁴⁾، هذا يوضح الكره الدفين في قلب بربروسا ضد كل ما هو بيزنطي، وذلك لأن أثر الشقاق الديني مازال ماثلاً في ذهنه بالإضافة إلى حرب الألقاب التي كانت قائمة فيما بينهم، ويتبين مما سلف أثر الشقاق الديني العظيم في سيادة الكره في قلب فردريك بربروسا ضد البيزنطيين، الذي جعله يعقد اتفاقاً مع أعداء البيزنطيين، مثل السلاجقة والبنادقة والبابوية، وذلك ليضعف مانويل سياسياً، وبذلك يكون قد فاز عليه بحرب الألقاب، وبالتالي يضعف سيادة كنيسة

¹ - وليم الصوري. (2003م): تاريخ وليم الصوري، من خلال الموسوعة الشامية، ج 47، ص 1345؛ رستم. (1988م): اليوم، ج 2، ص 160؛ عمران. (1985م): السياسة الشرقية، ص 352؛ عوض. (2007م): الإمبراطورية البيزنطية، ص 332؛ ماير. (1999م): تاريخ الحملات الصليبية، ص 183.

² - رمضان. (2017م): بيزنطة والغرب، ص 194؛ عبيد. (1970م): روما وبيزنطة، ص 269..

³ - عبيد. (1970م): روما وبيزنطة، ص 269.

⁴ - رمضان. (2017م): بيزنطة والغرب، ص 194؛ عبد الحميد. (1998م): قضايا في الحروب الصليبية، ص 46؛ عمران. (1985م): السياسة الشرقية، ص 330؛ عوض. (2007م): الإمبراطورية البيزنطية، ص 332.

القسطنطينية ومكانتها، ويحقق تفوقاً دينياً للكاثوليك وكنيسة روما، وبهذا يكون أثر الشقاق الديني العظيم واضحاً في سياسة فردريك وتحالفاته ضد البيزنطيين.

بعد وفاة مانويل كومنين (1280/576م)، دب بالإمبراطورية اضطرابات داخلية، وصراع على العرش، حتى وصل إلى حكم الإمبراطورية أندرونيكوس كومنين⁽¹⁾، الذي استغل تأثير الخلفية الدينية في نفوس البيزنطيين، وحقدهم على اللاتين الموجودين بالقسطنطينية، وبث إشاعة مفادها: أن اللاتين يدبرون مكيده قاسية للبيزنطيين، وهنا توجه البيزنطيون عام (1182/578م) بشكل عشوائي على أحياء الجاليات اللاتينية في العاصمة، وذبحوا الأطفال والنساء والشيوخ، وأشعلوا النيران في كل ما وقعت عليه أيديهم، ولم ينج من هذه المذبحة سوى عدد قليل من اللاتين الذين استطاعوا الهروب إلى الغرب اللاتيني، وشرحوا بالتفصيل عن العدوان الذي تعرضوا له على يد البيزنطيين، وطالبوا بالتأثير والانتقام السريع⁽²⁾، وإن أفعال البيزنطيين العدوانية ضد اللاتين مدفوعة بالكره الدفين والحدق الديني، الذي ولده أثر الشقاق الديني العظيم، الذي كان المحرك الفعلي لمشاعر البيزنطيين وتصرفاتهم حيال اللاتين. وهذا ما أكدته وليم الصوري عندما قال: "إن الشعب الإغريقي يحمل بشكل طبيعي مشاعر الكراهية الشديدة زادت هذه الكراهية بسبب الاختلاف بين أسرارنا المقدسة وأسرار كنيستهم"⁽³⁾، ورداً على المذبحة التي قام بها البيزنطيون، قرر فردريك بربروسا الذي يكن الكره والحدق الشديد لكل ما هو بيزنطي، ولاسيما بعد تأجج هذا الكره على أثر مذبحة عام (1182/578م) بحق اللاتين، السعي للانتقام من الإمبراطور البيزنطي⁽⁴⁾، فعقد حلفاً مع ملك صقلية وليم الثاني، وبهذا اجتمعت القوتان الغربيتان كاثوليكيّتان اللتان تضمّران الكره والحدق لبيزنطة الأرثوذكسية، فقد وجه وليم الثاني حملة بقيادته للانتقام من الإمبراطورية البيزنطية، لما قامت به من عدوان ضد

¹ - Choniates.(1984.A.D): **Annals**, p.154.

عمران.(2002م): **بيزنطة وحضارتها**، ص284.

² - وليم الصوري.(2003م): **تاريخ وليم الصوري**، من خلال الموسوعة الشامية، ج47، ص1406.

Bucossi and Suarez.(2016.A.D): **John II Komnenos**, p.128.

³ - وليم الصوري.(2003م): **تاريخ وليم الصوري**، من خلال الموسوعة الشامية، ج47، ص1406.

Bucossi and Suarez.(2016.A.D): **John II Komnenos**, p.128.

⁴ - عبيد.(1970م): **روما وبيزنطة**، ص282.

الجالية اللاتينية عام(578هـ/1182م)⁽¹⁾، لكن في الحقيقة كان أثر البعد الديني هو العامل الاساسي لكره كل ما هو بيزنطي، وكان الاستيلاء على القسطنطينية حلاً يراود النورمان من أيام جويسكارد. وأمام كل هذه المخاطر، والعوائق، أُجبر أندرونيكوس على القيام بسلسلة من الأعمال الدبلوماسية، ليعثر على من يقدم له الدعم والتأييد والمساعدة، لصد أي اعتداء تتعرض له القسطنطينية، فتودد من جمهورية البندقية، وتقرب منها وعقد معها معاهدة عام(581هـ/1185م)، حرر من خلالها الأسرى البنادقة، وأكد على التزامه بتعويض كل البنادقة الذين لحق بهم أذى وضرر على أثر الأحداث(567هـ/1171م و 578هـ/1182م)⁽²⁾، كما سعى لمراسلة البابوية وتقديم تنازلات كبيرة لها، مقابل دعمها ومساعدتها ضد حلف بربروسا ووليم الثاني، وقدم تعهدات بتوحيد الكنيستين تحت سلطة ونفوذ البابوية وكنيسة روما، لكن كل هذه المساعي باءت بالإخفاق، واستطاع وليم الثاني ملك صقلية من الوصول إلى دروزو واحتلالها، مع سلسلة من التدمير والخراب والهمجية التي قام فيها في المناطق البيزنطية التي وصل إليها وليم الثاني وجيشه المتحالف مع بربروسا، وكل ذلك ليشبعوا رغبة انتقام من أحداث عام(578هـ/1182م)⁽³⁾؛ لكن في الحقيقة كان انتقاماً من البيزنطيين الأرثوذكس المهرطقين في نظر اللاتين، وبذلك يكون أثر الشقاق الديني العظيم ما بين اللاتين واليونان هو العامل المحرك للكره والانتقام.

واقترب وصول وليم الثاني وجيشه على أبواب العاصمة البيزنطية، وأصبح الخطر يحيط بوجود الإمبراطورية البيزنطية⁽⁴⁾، بالوقت الذي كان فيه الإمبراطور البيزنطي أندرونيكوس منغمساً بملذاته الشخصية، غير آبه بمصير القسطنطينية، هذا الاستهتار الذي قابل به الإمبراطور البيزنطي الخطر المحدق بوجود كيان الإمبراطورية البيزنطية، قوبل باستنكار شعبي هائل، أدى لقيام ثورة شعبية في القسطنطينية ضد حكم أندرونيكوس كومنين، والتفوا حول إسحق الثاني أنجيلوس ليختاروه إمبراطوراً عليهم، وقام الإمبراطور الجديد بالإسكاف بأندرونيكوس، وتسليمه

¹ – Vasiliev.(1971.A.D): History Of The Byzantine Empire, p.453.

² – زيتون.(1980م): العلاقات السياسية والكنسية، ص274.

³– Choniates.(1984.A.D): Annals, p.164. Vasiliev.(1971.A.D): History Of The Byzantine Empire, vol II, p. 453.

⁴ – مؤرخ مجهول.(2002م): ذيل وليم الصوري، ص143.

Choniates.(1984.A.D): Annals, p.175.

للشعب البيزنطي الساخط عليه، ليكون لهم حرية التصرف معه، بينما قام هو بتجهيزات عسكرية ودبلوماسية، ليتصدى لخطر وليم الثاني وإبعاده عن القسطنطينية، وتفاوض مع ملك صقلية وليم الثاني بكل ود لتوقيع هدنة بين الطرفين، لم تذكر المصادر شيئاً عن تفاصيلها أو فحواها وتاريخها⁽¹⁾؛ ومع تسلم إسحق الثاني أنجيلوس السلطة، بدأ عصر جديد بالإمبراطورية البيزنطية⁽²⁾، وأهم الأحداث التي وقعت في عهد إسحق أنجيلوس هي: قيام الحملة الصليبية الثالثة⁽³⁾، التي دعا إليها الغرب اللاتيني على أثر خسارة اللاتين في معركة حطين عام (583هـ/1187م)، على يد صلاح الدين الأيوبي، الذي ظفر بالفوز، وقتل رينولد أمير الكرك لاعتدائه على الحجاز والأماكن المقدسة، كما قام صلاح الدين بأسر ملك بيت المقدس⁽⁴⁾، وعلى أثر فوز صلاح الدين في معركة حطين، سارع الصليبيون في الإمارات الشرقية لطلب العون من الغرب اللاتيني، لينقذوا ما تبقى من الصليبيين في الشرق وسعى البابا⁽⁵⁾ كليمنت الثالث (583-587هـ/1187-1191م)⁽⁶⁾ بأقصى جهده لدعوة لحملة صليبية جديدة، هدفها إعادة بيت المقدس من المسلمين، وأرسل مندوبيه وسفراءه للتبشير بالحملة الجديدة في أرجاء الغرب اللاتيني؛ في الواقع لاقت دعوة كليمنت ترحيباً كبيراً بين اللاتين، لدرجة أن ملوك فرنسا وإنكلترا رحبوا بالمشاركة بالحملة، وفرضوا على شعوبهم ضرائب باهظة، ليتمكنوا من خلالها تمويل جيوشهم المتوجهة إلى الشرق لاستعادة بيت المقدس، كما كان ترحيب فردريك بربروسا بهذه الدعوة كبيراً جداً، فقد أعلن أنه أول المساهمين في الحملة الصليبية

¹ - Choniates: **Annals**, p.199.

رستم. (1988م): **الروم**، ج1، ص170؛ زيتون. (1980م): **العلاقات السياسية والكنسية**، ص248-258؛ عبيد. (1970م): **روما وبيزنطة**، ص284؛ عمران. (2002م): **بيزنطة وحضارتها**، ص280-289.

² - Setton. (1969.A.D): **A History Of The Crusades**, vol II, p.147.

³ - عبيد. (1970م): **روما وبيزنطة**، ص285.

⁴ - عماد الاصفهاني. (1971م): **الفتح القسي في الفتح القدسي**، ص70-82؛ ابن الأثير. (1997م): **الكامل**، ج11، ص546-533؛ ابن شداد، بهاء الدين يوسف رافع ت632هـ/1235م. (1964م): **النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية**، تح: جمال الدين الشيال، دار مصر للتأليف، دط، ص94-99؛ أبو شامة. (2002م): **الروضتين**، ج3، ص177-178.

⁵ - **تواريخ أسرة بلانتغنت**. (1998م)، من خلال الموسوعة الشامية، ج30، ص206؛ حسين، أمين. (د.ت): **التاريخ الأوروبي**، ص241.

⁶ - كلمنت الثالث: اسمه الأصلي باولو سكولاري، هو أسقف برانست، وتسلم المنصب البابوية عام (583هـ/1187م)، كان له دور بإثارة حماس الصليبي لأبناء الغرب اللاتيني الأوروبي لاستعادة بيت المقدس، فرض ضريبه عرفت باسم ضريبة عشر صلاح الدين لتمويل الحملة الصليبية الثالثة، وقد مات قبل نهاية الحملة الصليبية الثالثة عام (587هـ/1191م). عاشور. (1971م): **الحركة الصليبية**، ج2، ص843؛ مسيلي. (2016م): **دور البابوية**، ص154.

الثالثة، وحدد عام (585هـ/1189م) موعد تحرك جيشه نحو الشرق⁽¹⁾، وبذلك تكون الإمبراطورية البيزنطية، ما أن ترتاح من خطر وتتنفس الصعداء، حتى تواجه خطراً أكبر، وهو قدوم الحملة الصليبية الثالثة، وهكذا كانت علاقة بيزنطة بالغرب الأوروبي قبل الحملة الثالثة، متأثرة بشكل واضح بالشقاق الديني العظيم، الذي كان العامل المحرك لتصرفات كلا الطرفين حيال الآخر، وهذا يتجلى بوضوح في أحداث الحملة الصليبية الثالثة.

¹ - عبيد. (1970م): روما وبيزنطة، ص 287.

4- علاقة الإمبراطور البيزنطي إسحق الثاني أنجيلوس مع الإمبراطور الألماني فردريك بربروسا في

أثناء عبوره الأراضي البيزنطية عام (585-586هـ/1189-1190م)

حمل فردريك بربروسا راية الصليب، وتوجه نحو الشرق، وهو طاعن في السن، وعمل تدابير دبلوماسية قبل خروجه، بالإرسال لملك المجر والإمبراطور البيزنطي، يعلمهم عن بدء حملته، ويطلب منهم مساعدة جيشه خلال مروره عبر أراضيهم، ليتسنى له ولجيشه الوصول إلى هدفه بسهولة ويسر، كما راسل حليف الأمس سلطان قونية، وطلب منه تسهيل مسألة مرور الجيش الألماني عبر أرضيه⁽¹⁾، كانت ردة فعل ملك المجر مرحبة بفردريك، ومنحه الهدايا والمدد حتى اجتاز أراضيها، بينما قام الإمبراطور إسحق الثاني أنجيلوس باعتقال سفراء بربروسا، تحت مبرر تحالف بربروسا مع الصرب والبلغان أعداء الإمبراطورية البيزنطية⁽²⁾، وكانت ردة فعل إسحق على تحالف بربروسا مع أعداء الإمبراطورية، أنه توجه نحو المسلمين، وتودد لهم، وعقد مع صلاح الدين الأيوبي اتفاقاً أكد فيه أنه سيسعى لإعاقة تقدم فردريك وجيشه نحو الشرق، ومنعهم من المرور عبر الأراضي البيزنطية⁽³⁾، وذلك عائداً إلى أثر الخلاف الكنسي بين روما والقسطنطينية الذي كان واضحاً في التصرفات العدوانية للصليبيين في الحملتين الأولى والثانية ضد البيزنطيين، ولعل أثر هذا الخلاف هو الذي دفع إسحق الثاني أنجيلوس للتودد للمسلمين والتحالف معهم ضد فردريك.

تمت المفاوضات بين الإمبراطور البيزنطي وصلاح الدين الأيوبي، وتعهد إسحق ببذل قصارى جهده لإعاقة تقدم جيش فردريك بربروسا نحو مناطق سيادة صلاح الدين⁽⁴⁾، وعد اللاتين هذا الود والتحالف الذي جمع الإمبراطور البيزنطي مع عدو الحركة الصليبية والصليبيين خيانة، وخداعاً اعتادوا عليه من الجانب البيزنطي⁽⁵⁾، وهذا الاتهام أيضاً عائداً إلى أثر الشقاق الديني العظيم، الذي جعل الحقد والكراهية تصل إلى ذروتها بين الطرفين،

¹ - أبو شامة. (2002م): *الروضتين*، ج4، ص67؛ عبيد. (1970م): *روما وبيزنطة*، ص288.

² - المؤرخ المجهول. (2002م): *ذيل وليم الصوري*، ص146-147.

Anonymous Historian.(N.D): *The Crusade Of Freder Barbarossa*, trans Loud, N.E, p.40 .

عمران. (2002م): *بيزنطة وحضارتها*، ص289.

³ - أبو شامة. (2002م): *الروضتين*، ج4، ص68.

⁴ - عبيد. (1970م): *روما وبيزنطة*، ص289.

⁵ - Anonymous Historian.(N.D): *The Crusade Of Freder*, p.60.

ولا سيما أن فردريك بربروسا قد قام بالفعل نفسه عندما تحالف مع سلطان قونية عدو البيزنطيين، فإن أعمالهم لا يعدونها خيانة، وإنما يتفخرون فيها.

وبناءً على تحالف إسحق مع صلاح الدين، وحجز السفراء الألمان في سجون القسطنطينية، قرر فردريك الانتقام من البيزنطيين الذين عدهم أعداء حقيقيين لحملته، لذلك أطلق يد جنوده في الأراضي البيزنطية، ليدمروا وينهبوا ويعيثوا قتلاً وفوضى في كل مكان يصلون إليه، ولاقت مدينة فيليبوبوليس البيزنطية نصيباً كبيراً من الكوارث والقتل والعدوان⁽¹⁾؛ في الحقيقة إن عدوانية فردريك بربروسا كانت مدفوعةً بأثر الخلاف الديني. ولا سيما أن الكره المتنامي بقلب الصليبيين انعكس على الأفعال العدوانية والقسوة والوحشية في قتل الأهالي البيزنطيين، في المناطق التي مروا منها، ونهب ممتلكاتهم وتدمير بيوتهم⁽²⁾.

أفعال بربروسا العدوانية، أرغمت أسحق الثاني أنجيلوس على إطلاق سراح سفراء بربروسا، الذين رشقوا الإمبراطور البيزنطي بتهمة السرقة وسلبهم ما كان يمتلكونه من أموال وذهب، فقرر فردريك الانتقام من إسحق الثاني والإمبراطورية البيزنطية، وراسل ابنه⁽³⁾ هنري السادس Henry VI (587-594هـ/1191-1197م)⁽⁴⁾، يعلمه بكل ما حدث لسفرائه، ويحرض على الانتقام من خيانة الإمبراطور البيزنطي، من خلال تشكيل حملة ضخمة لمهاجمة القسطنطينية، وحث فردريك ابنه على التواصل مع الشمال الإيطالي والبابوية، لتشكيل حلف ثلاثي يجهز حملة عسكرية ضد الإمبراطورية البيزنطية الخائنة، ولكي يزيد من حماس ابنه لتشكيل الحملة والحلف الثلاثي ضد الإمبراطورية البيزنطية، أكد له أنه سمع تحريضات بطريك القسطنطينية للبيزنطيين، بوجوب قتل الصليبيين وأنه

¹ - رمضان.(2008م): بيزنطة والحروب الصليبية، ص 61.

² - Anonymous Historian.(1848.A.D): The Crusade Of The Retshard, Andover, Harvard, Bohn, N.E, p.93.
Anonymous historian.(N.D): The Crusade Of Freder, p.69.

زابوروف.(1986م): الصليبيون في الشرق، ص 201؛ عبد الحميد.(1998م): قضايا في الحروب الصليبية، ص 120.

³ - عبيد.(1970م): روما وبيزنطة، ص 219؛ عمران.(2002م): بيزنطة وحضارتها، ص 290.

Setton.(1969.A.D): A History Of The Crusades, vol II, p.148.

⁴ - هنري السادس: ولد(560هـ/1165م)، هو ابن فردريك بربروسا، توج ملكاً على إيطاليا عام(582هـ/1186م)، وتوج في روما إمبراطوراً للدولة الرومانية المقدسة عام(587هـ/1191م) باسم هنري ليون، تزوج من كونستانس ابنة وليم الثاني الصقلي عام(582هـ/1186م) حصل من خلال هذا الزواج على لقب ملك صقلية عام(590هـ/1194م)، ومات بسبب إصابته بالحمى في عام(594هـ/1197م). المؤرخ المجهول.(2002م): ذيل وليم الصوري، ص 270؛ باركر.(د.ت): الحروب الصليبية، ص 99؛ حسين، أمين.(د.ت): التاريخ الأوروبي، ص 211-212.

سوف يغفر لهم خطاياهم، مقابل قتل كل بيزنطي عدداً من الصليبيين⁽¹⁾، وهذا دليل واضح على أن أثر الصراع الكنسي بين روما والقسطنطينية، مازال ماثلاً أمام أعين اللاتين واليونان على حد سواء، وهو العامل المحرك لكل تصرف عدواني يقوم به أي طرف حيال الآخر.

وحدث فردريك بربروسا جنوده للسير نحو القسطنطينية لغزوها والاستيلاء عليها، والفتك بأهلها⁽²⁾، وكانت كل منطقة يصل إليها ينتقم منها، ويحل عليها كرهه وكره جيشه للعنصر البيزنطي، ولاسيما أن أفراد جيشه تسابقوا بابتكار الطرق الوحشية التي يتم فيها قتل البيزنطيين وتدمير مدنها⁽³⁾، وهذا دليل آخر على كمية الحقد والكره العميق الذي يكنه اللاتين للبيزنطيين، والذي ولده الخلاف الديني ما بين اللاتين واليونان، والذي كان المسؤول عن تحريك أفعالهم العدوانية في المناطق البيزنطية.

وعادت حرب الألقاب بين أسحق الثاني أنجيلوس وفردريك بربروسا لتزيد من حدة الصراع بين الإمبراطورين، ولاسيما عندما أرسل إسحق الثاني رسالة إلى بربروسا، يحاوره فيها على أنه "ملك الألمان"، وينكر عليه لقب إمبراطور، مما دفع بربروسا لإرسال تهديد قاسي للهجة لإسحق الثاني، فحواه قرار بعبور الأراضي البيزنطية والدخول إلى القسطنطينية بالقوة والسلاح⁽⁴⁾، قام بربروسا لتدعيم خطته، بإقامة سلسلة من التحالفات ضد الإمبراطورية البيزنطية، فتحالف مع الأرمن، الذين قدموا له الطاعة والولاء، وسوغت المصادر البيزنطية هذا التقارب بتشابه الطقوس والأعراف والعقائد الدينية بين كنيسة الأرمن وكنيسة الكاثوليك⁽⁵⁾؛ وما سلف يبين إدراك البيزنطيين أن عدوان بربروسا وكرهه للبيزنطيين، بسبب الشقاق الديني العظيم بين كنيسة روما وكنيسة القسطنطينية، ويوضح أثر هذا الشقاق في التحكم بسياسة اللاتين العدوانية حيال البيزنطيين، التي أدت إلى كل هذا القتل والتدمير ضد البيزنطيين، وأدت أيضاً إلى تحالف الصليبيين مع الأرمن ضد بيزنطة.

¹ - Anonymous Historian.(n.d): **The Crusade Of Freder**, p.70.

زابوروف.(1986م): **الصليبيون في الشرق**، ص201.

² - عبيد.(1970م): **روما وبيزنطة**، ص290.

³ - رمضان.(2008م): **بيزنطة والحروب الصليبية**، ص51؛ عبد الحميد.(1998م): **قضايا في الحروب الصليبية**، ص121.

⁴ - زابوروف.(1986م): **الصليبيون في الشرق**، ص198؛ عبيد.(1970م): **روما وبيزنطة**، ص290.

⁵ - Choniates.(1984.A.D): **Annals**, p.282.

لم يستطع إسحق الثاني أنجيلوس مواجهة بربروسا، وهمجية جيشه ووحشيته، لذا سعى لخلق جو من التفاوض مع بربروسا، وأرسل سفراء بيزنطيين لمعسكر الألمان، ليتم عقد صلح مع الإمبراطور الألماني فردريك بربروسا ووافق بربروسا، على هذا الصلح عام (586هـ/1190م)⁽¹⁾، مقابل جملة من الشروط مجففة بحق الإمبراطورية البيزنطية، وأهمها: إفراج إسحق عن كل المعتقلين اللاتين الموجودين بالسجون البيزنطية، بالإضافة لدفع إسحق مبلغ مالي ضخم لتعويض السفراء الألمان عن خسائرهم التي حلت بهم إبان اعتقالهم عند البيزنطيين، ففتح الإمبراطور البيزنطي كامل الأسواق لتزويد الجيش الألماني باحتياجاتهم الكاملة، وبحال عدم التزام الإمبراطورية البيزنطية بفتح الأسواق، فإن جيش فردريك بربروسا سوف يتصرف بحرية، ليحصل عليها، وافق إسحق على هذه الشروط، ليتم الصلح مع بربروسا، وينقذ عاصمته من خطر الصليبيين، ونجح في مساعدة الألمان بالعبور إلى آسيا بسرعة، ليتخلص من خطرهم وعدوانهم⁽²⁾، وعند وصول بربروسا وجيشه إلى أرمينية، عملت الأقدار لصالح الإمبراطورية البيزنطية، وتخلصت من عدو لدود يضم الكره والشر للبيزنطيين وعاصمتهم، من خلال غرق بربروسا في وادي⁽³⁾ نهر الساليف Salef⁽⁴⁾ عام (586هـ/1190م)، ونتج عن موت بربروسا تشتت جيشه، وإخفاقه في تحقيق النتائج المرجوة من قيام الحملة الصليبية الثالثة، بالإضافة إلى تخلص بيزنطة من خطر عدوانه⁽⁵⁾، لكن ذلك لن يستمر، لأن هنري السادس قد ورث عن أبيه الكره والعداء لبيزنطة، وأدرك من خلال حملة والده ضعف الإمبراطورية البيزنطية، ووجوب التخلص منها، لتتم أية حملة صليبية نحو بيت المقدس بنجاح⁽⁶⁾.

1 - عبيد. (1970م): روما وبيزنطة، ص 291.

2 - المؤرخ المجهول. (2002م): ذيل وليم السوري، ص 163.

Anonymous Historian. (1848.A.D): The Crusade Of Retshard, p.96. Anonymous historian. (N.D): The crusade of Freder, p.95.

3 - أبو شامة. (2002م): الروستين، ج 4، ص 77؛ المؤرخ المجهول. (2002م): ذيل وليم السوري، ص 165-166؛ زابوروف. (1986م):

الصليبيون في الشرق، ص 207؛ عبد الحميد. (1998م): قضايا في الحروب الصليبية، ص 121؛ عمران. (د.ت): بيزنطة وحضارتها، ص 290.

4 - نهر الساليف: ذكر بالمصادر العربية بنهر البردآن، ينبع من أراضي الإمبراطورية البيزنطية، ويمر بمدينة طرسوس في الثغور الشامية، ويصب في بحر المتوسط. الحموي. (1995م): معجم البلدان، ج 1، ص 376

5 - أبو شامة. (2002م): الروستين، ج 4، ص 77؛ المؤرخ المجهول. (2002م): ذيل وليم السوري، ص 165-166؛ زابوروف. (1986م): الصليبيون

في الشرق، ص 207؛ عبد الحميد. (1998م): قضايا في الحروب الصليبية، ص 121؛ عمران. (د.ت): بيزنطة وحضارتها، ص 290.

6 - عبيد. (1970م): روما وبيزنطة، ص 239.

5- أثر الخلاف الكنسي على علاقة الإمبراطور البيزنطي إسحق الثاني أنجيلوس والملك الإنكليزي

ريتشارد قلب الأسد في أثناء عبوره الأراضي البيزنطية عام (587هـ/1191م)

توجه ملك فرنسا فيليب Philippe Augusta (576-620هـ/1180-1223م)⁽¹⁾، وريتشارد قلب الأسد Richard Hear of Lion (585-596هـ/1189-1299م)⁽²⁾ نحو الأراضي المقدسة، لكن وقع نزاع بينهما، أدى إلى سير كل طرف منهما في خط سير مختلف عن الآخر، فتوجه فيليب إلى مدينة عكا، من دون أن يشتبك مع الإمبراطورية البيزنطية، وبعد احتلال عكا فضل العودة إلى فرنسا، تاركاً مهمة مقاتلة المسلمين تقع على ريتشارد⁽³⁾، أبحر ريتشارد بأسطوله عام (587هـ/1191م)، وتوقف عند جزيرة⁽⁴⁾ كريت Craet⁽⁵⁾، وفي أثناء ذلك تعرض أسطول ريتشارد الذي يحمل خطيبته وأخته لعاصفة قوية، أبعدت الأسطول إلى شواطئ جزيرة قبرص، وكان حاكمها آنذاك⁽⁶⁾ إسحق دوكاس كومنين Isaac Doukas Comnenus (582-587هـ/1186-1191م)⁽⁷⁾، الذي أسر كل طاقم السفينة، وصادر ممتلكاتهم وأموالهم، وعندما رفضت أخت ريتشارد قبول عرض إسحق دوكاس في الإقامة في قصره، رفض منح أخت ريتشارد الماء لتروي عطش رجالها، وسارع لأخذ احتياطاته، وتحصين

¹ - فيليب: ولد في باريس عام (561هـ/1165م)، هو ابن لويس السابع، دخل بنزاع مع البابا أنوسنت الثالث، الذي أعلن ضده قراراً رسمياً بحرمانه من رحمة كنيسة روما عام (673هـ/1200)، بسبب قصص زواجه المتعدد، توفي عام (619هـ/1223م). الربيعي. (د.ت): موقف الإمبراطورية البيزنطية من قادة الحملات الصليبية، ص 485.

² - ريتشارد قلب الأسد: هو ابن الملك هنري الثاني، ولد في أكسفورد عام (522هـ/1157م)، دخل في نزاع مع أخوته على الحكم عام (569هـ/1173م)، تحالف مع فيليب ملك فرنسا ضد أبيه عام (584هـ/1189م)، مات ريتشارد عام (596هـ/1199م) في فرنسا. تواريخ أسرة بلانتغت. (1998م)، من خلال الموسوعة الشامية، ج 30، ص 193؛ المؤرخ المجهول. (2002م): ذيل وليم السوري، ص 179؛ الربيعي. (د.ت): موقف الإمبراطورية البيزنطية من قادة الحملات الصليبية، ص 484.

³ - زابوروف. (1986م): الصليبيون في الشرق، ص 205.

⁴ - عبيد. (1970م): روما وبيزنطة، ص 293.

⁵ - كريت: سماها الحموي والإصطخري باقريطش، وتقع على البحر المتوسط جنوب اليونان. الاصطخري. (1839م): المسالك والممالك، ص 51؛ الحموي. (1995م): معجم البلدان، ج 1، ص 190.

⁶ - المؤرخ المجهول. (2002م): ذيل وليم السوري، ص 197.

Anonymous Historian. (1848.A.D.): The Crusade Of Retshard, p.180 .

إديوري، بيتر. (1997م): قبرص والحرب الصليبية، دار الملتقى، بيروت، د.ط، ص 18.

⁷ - إسحق دوكاس كومنين: حكم جزيرة قبرص خمس سنوات، تمرد على أسحق الثاني أنجيلوس إمبراطور الإمبراطورية البيزنطية وأعلن استقلاله عن الإمبراطورية البيزنطية، ولقب نفسه ملك لقبرص عام (582هـ/1186م)، وكان على وفاق مع صلاح الدين الأيوبي، أسره ريتشارد قلب الأسد، واحتل الجزيرة عام (587هـ/1191م). رنسيما. (د.ت): تاريخ الحروب الصليبية، ج 2، ص 89-90.

مدينته ليصد أي هجوم يقوم به ريتشارد⁽¹⁾؛ عندما وصلت لريتشارد أخبار سفينة أخته وخطيبته، قرر الانتقام من إسحق دوкас، وتوجه نحو جزيرة قبرص⁽²⁾، ليؤدب إسحق دوкас، ويطلق سراح طاقم سفينته، ويعيد الأموال المصادرة من قبل إسحق دوкас، لكن أهل قبرص وحاكمهم هربوا إلى الجبال عندما علموا بوصول حملة ريتشارد إلى مدينتهم، ثم سعى إسحق دوкас للتفاوض مع ريتشارد، وتعهد بإطلاق سراح الأسرى، وأن يدفع مبلغاً كبيراً من المال، بالإضافة للمشاركة بحملة ريتشارد، من خلال تزويد الحملة بفرقة عسكرية بيزنطية، كما تعهد بحلف يمين الطاعة والولاء لريتشارد، وتم التصالح بين الطرفين على هذه الأساس، لكن سرعان ما نقض إسحق دوкас العهد، وأرسل لريتشارد بوجوب الرحيل عن بلاده، ورداً على ذلك جهز ريتشارد أسطوله، وتقدم نحو جزيرة قبرص للاستيلاء عليها من خلال هجوم مزدوج، الأسطول يتحرك على الشواطئ ليقضي ويدمر سفن إسحق، والقوات البرية تتقدم لداخل الجزيرة، وبعدها بدأت قوات ريتشارد بتدمير البيوت والقلاع والكنائس، ونهبت كل ما وقع تحت أيديهم، كما أسروا ابنة إسحق دوкас، الذي فر واختبأ داخل أحد الأديرة المقدسة، وعند اقتراب ريتشارد إليه، سارع لطلب العفو والسماح، ورجاه بعدم تقييده بالحديد، واستجاب ريتشارد لرغبته، وقيده بقيد من فضة، ونفاه إلى طرابلس⁽³⁾، وجمع ريتشارد من جراء استيلائه على جزيرة قبرص أموالاً هائلةً كان قد جمعها إسحق دوкас من قبل من خلال الضرائب، بعدها أكمل ريتشارد طريقه نحو عكا، بعدما وضع حامية عسكرية صليبية لتحكم الجزيرة، وكانت سياسة هذه الحامية مع أهالي قبرص البيزنطيين بقمة القسوة والعدوان، فقد منعوا رجال قبرص من إطلاق لحاهم، بصفتهم تابعين للاتين بشكل تام، ثم قام ريتشارد ببيع جزيرة قبرص لجماعة⁽⁴⁾ الداوية⁽⁵⁾، التي اتبعت سياسية دينية وسياسية معادية للبيزنطيين الأرثوذكس، من خلال فرض استخدام الطقوس الكاثوليكية في كنائس قبرص، بالإضافة للقسوة

¹ - المؤرخ المجهول. (2002م): ذيل ولیم الصوري، ص198؛ عبيد. (1970م): روما وبيزنطة، ص294.

² - باركر. (د.ت.): الحروب الصليبية، ص89.

³ - تواريخ أسرة بلانتغنت. (1998م): من خلال الموسوعة الشامية، ص239.

Anonymous Historian. (1848.A.D): **The Crusade Of Retshard**, p.184 .

زابوروف. (1986م): الصليبيون في الشرق، ص208؛ عبيد. (1970م): روما وبيزنطة، ص294.

⁴ - المؤرخ المجهول. (2002م): ذيل ولیم الصوري، ص200؛ إديوري. (1997م): قبرص والحرب الصليبية، ص19.

⁵ - الداوية: منظمة أسسها هيوغ القائد الفرنسي، الذي قدم مع الحملة الأولى في عام (513هـ/1119م)، منح بلدوين الثاني ملك بيت المقدس مكاناً لهذه المنظمة في المسجد الأقصى، وكان هدف هذه المنظمة في البداية حماية الحجاج وإيواءهم ثم تحولت إلى منظمة إرهابية. عبيد. (1970م): روما وبيزنطة، ص296.

والوحشية التي اتبعت بحق الأهالي، الذين قاموا بتمرد عنيف ضد جماعة الداوية، ولم تتخلص من هذا التمرد إلا ببيع الجزيرة إلى⁽¹⁾ جان لوزنيان ملك بيت المقدس Gay de Lusignan (885-890هـ/1191-1194م)⁽²⁾؛ وأشار المؤرخون المحدثون، أن احتلال قبرص من قبل اللاتين، لم يسبب أي انتزاع لإسحق الثاني أنجيلوس، الذي عدّ هذا الاحتلال انتقاماً من إسحق دوкас المتمرّد على الإمبراطورية البيزنطية، منذ خمس سنوات خلت، واتخذ لنفسه لقب إمبراطور، لكن هذا مستبعد، لأن الاستيلاء على أية منطقة تابعة للإمبراطورية البيزنطية، يؤكد أطماع الصليبيين بالقسطنطينية، التي ستكون من أحد أهداف اللاتين القادمة، التي شكلت خطراً على الإمبراطورية البيزنطية، وحكم إسحق أنجيلوس فيها⁽³⁾، وكان اعتداء الصليبيين على جزيرة قبرص دليلاً واضحاً على أثر الخلاف الديني في نفوس الصليبيين الكارهين للبيزنطيين، والتواقين للانتقام منهم وقتلهم، حتى لو لم يعبروا بالقسطنطينية. بالحقيقة كان هذا الاحتلال يمثل بداية علنية لحرب اللاتين على الإمبراطورية البيزنطية وممتلكاتها، ويعد دليلاً واضحاً على أطماع اللاتين في الأقاليم البيزنطية، والأهم من ذلك يوضح أثر الخلاف الكنسي في استيلاء اللاتين على إقليم هام من أقاليم الإمبراطورية البيزنطية، وفرض الطقوس الكاثوليكية، وسيادة كنيسة روما عليه، وكانت مسألة الاستيلاء على القسطنطينية، تدور في سياسة هنري السادس ابن فردريك بربروسا.

ومما يؤكد أن هذا الاحتلال مدفوع بأثر الصراع الكنسي، ما أشار إليه إديوري "إن انتزاع قبرص من اليونانيين المسيحيين، والاستيلاء الصليبي على أرض مأهولة من قبل المسيحيين خاضعة لحكم مسيحي، يعد انحرافاً، وسوف يتكرر على نطاق أشد، حتى يشكل خطراً على القسطنطينية؛ وهذا ما حصل في الحملة الصليبية الرابعة⁽⁴⁾

¹ - إديوري. (1997م): قبرص والحرب الصليبية، ص 20؛ زابوروف. (1986م): الصليبيون في الشرق، ص 208.

² - جاي لوزنيان: فارس فرنسي ولد عام (545هـ/1150م)، كان ملك لبيت المقدس من عام (582هـ/1186م) بسبب زواجه من أخت بلدوين الرابع، خسر في معركة حطين عام (583هـ/1187م)، وأسر على يد صلاح، الذي أطلق سراحه بشرط عودته إلى فرنسا، فاستقر في قبرص، وأسس فيها حكماً لعائلته. زكار، جوني، إسماعيل. (2011م): حروب الفرنجة، ص 205؛ الزيدي، مفيد. (2004م): موسوعة تاريخ الحروب الصليبية، دار اسامة، د.ط، ص 71-82.

³ - عبيد. (1970م): روما وبيزنطة، ص 296.

⁴ - إديوري. (1997م): قبرص والحرب الصليبية، ص 8.

كما أشار عبيد: أن احتلال جزيرة قبرص الأرثوذكسية من قبل اللاتين الكاثوليك، يعد تهديداً مباشراً للقسطنطينية، ويؤكد على نية اللاتين لشن حرب ضدها⁽¹⁾.

ما سلف يؤكد أثر الخلاف الكنسي في احتلال ريتشارد جزيرة قبرص البيزنطية الأرثوذكسية، وفرض سيادة كنيسة روما وطقوس كنيسة روما عليها وعلى أهلها.

¹ - (1970م): روما وبيزنطة، ص296.

6- موقف الإمبراطور البيزنطي إسحق الثاني أنجيلوس من حملة الإمبراطور الألماني هنري السادس

عام (592-593هـ/1196-1197م) وتأثيراته الكنيسة

بعد وفاة فردريك بربروسا إمبراطور الإمبراطورية المقدسة، تسلم عرش الإمبراطورية ابنه هنري السادس عام (586هـ/1190م)، ولم يرث هنري فقط عرش والده، بل ورث أيضا كره وحقد والده للبيزنطيين، واتبع نفس سياسة والده العدائية للإمبراطورية البيزنطية، وخطط للهجوم على القسطنطينية⁽¹⁾، مسوغاً ذلك المخطط بالانتقام من أسحق الثاني أنجيلوس، الذي تورط بموت فردريك بربروسا، كما زاد من كره وحقد هنري على الإمبراطورية البيزنطية واسحق الثاني أنجيلوس، الاتهامات التي وجهت لهم، عن خيانتهم للقضية الصليبية وأهدافها، ومسؤوليتهم بموت فردريك بربروسا، لذلك رسم هنري السادس سياسة لنفسه في غزو القسطنطينية، بعدّها العائق الوحيد لتحقيق أهداف الحركة الصليبية، وتعرقل أهداف الإمبراطورية الألمانية في إيطاليا، وكانت خطط هنري السادس نابعة من إدراكه الضعف الذي حل بالإمبراطورية البيزنطية، ولأسما بعد هزيمة البيزنطيين أمام السلاجقة في معركة ميريوكيفالن عام (572هـ/1176م)، الذي حقق له مخططاته بسهولة، وقد أكد الأساقفة الألمان ورجال البلاط على وجوب القضاء على الإمبراطورية البيزنطية، لأنها المسؤولة عن إخفاق بربروسا، ويجب عليهم الانتقام منها، لكي لا يذهب تعب بربروسا وجهوده مع الريح⁽²⁾، وإن أصرار الأساقفة على الانتقام من القسطنطينية عائدٌ إلى أثر العداء الديني ما بين روما والقسطنطينية، فإن أي انتصار عسكري يحققونه في القسطنطينية، سيكون على حساب كنيستها أيضاً. توجب على هنري قبل تنفيذ سياسته المعادية للبيزنطيين وغزو عاصمتهم، أن يحصل على اللقب الإمبراطوري من البابوية، ويبسط سيطرته ونفوذه على مملكة صقلية، لذلك بعد حصوله على التاج من البابوية بشكل رسمي، وجه حملة بقيادته إلى صقلية عام (587هـ/1191م)، واستطاع بسط سيطرته في جنوب إيطاليا⁽³⁾، وثم تفرغ بشكل كامل للاستعدادات لتنفيذ خطته، والتبشير بحملة صليبية مقدسة، تتجه نحو الشرق لتقضي على الإمبراطورية البيزنطية،

¹ - تواريخ: أسرة بلانتغنت. (1998م)، من خلال الموسوعة الشامية، ج30، ص264؛ المؤرخ المجهول. (2002م): نيل ولیم الصوري، ص268؛ زابوروف. (1986م): الصليبيون في الشرق، ص198.

² - إديوري. (1997م): قبرص والحرب الصليبية، ص11-50؛ عبيد. (1970م): روما وبيزنطة، ص297.

³ - تواريخ أسرة بلانتغنت. (1998م): من خلال الموسوعة الشامية، ج30، ص264.

وتتقدم نحو مملكة بيت المقدس، لذلك دعا لعقد مجلس في مدينة باري عام (591هـ/1195م)، ليناقد استعداد حملته، وتفاوض مع البابوية، لتمنح هذه الحملة المباركات والدعم، وطلب من رجال الدين الألمان أن يبشروا لهذه الحملة الجديدة في أرجاء أوروبا، التي حدد وجهتها نحو القسطنطينية للقضاء عليها، والقضاء على أباطرتها الذين كانوا منافسين دائمين للأباطرة الألمان على التاج الإمبراطوري، ومواجهة طلباتهم المتكررة بأحقيتهم بالتاج الروماني، وخطط لهذه الحملة التي تمكنه من القضاء على القسطنطينية وأباطرتها، وتجعل كنيسة القسطنطينية تابعة لكنيسة روما وتحت نفوذ البابوية، بالتالي يكون هدف صليبية هنري السادس، هدفاً سياسياً، في التخلص من إمبراطورية تتنازع على المنصب الإمبراطوري، والمنزلة السامية فيها، وهدفاً دينياً جوهره تحقيق حلم البابوية في إخضاع كنيسة القسطنطينية الضالة لسلطة كنيسة روما⁽¹⁾، وبهذا يكون أثر الشقاق الديني العظيم مسيطراً على مشاريع اللاتين العدوانية ضد بيزنطة. ويتبين مما سلف أن الحملة الصليبية التي يبشر بها هنري السادس، ويدعو لها، لم تكن ضد المسلمين، واستعادة بيت المقدس بالمقام الأول، بل كانت ضد الإمبراطورية البيزنطية، وضد البيزنطيين الأرثوذكس للاستيلاء على عاصمتهم، وإخضاع كنيستهم لسلطة البابوية، ثم التفكير باستعادة بيت المقدس، وكان هناك عدة عوامل ساعدته على تنفيذ سياسته العدوانية ضد الإمبراطورية البيزنطية منها: عقد مشروع مصاهرة سياسية مع مملكة صقلية، وإعلان آل لوزنيان في قبرص إخضاعهم لسلطة الأباطرة الألمان وكنيسة روما، كما حلف⁽²⁾ ليو الأرمني Leon II (583-616هـ/1187-1219م)⁽³⁾ يمين التبعية للإمبراطور هنري السادس، كما حدثت عدة مراسلات بين آل لوزنيان في قبرص والبابوية في روما، بشأن بسط البابوية سيادتها على جزيرة قبرص البيزنطية المحتلة من قبل اللاتين، وتم للبابوية بسط نفوذها وسيادتها على جزيرة قبرص، وتعيين رجال دين كاثوليك في كنائسها، وطردت رجال الدين البيزنطيين الأرثوذكس، كما فرضت الطقوس الكاثوليكية على أهالي قبرص⁽⁴⁾، وهذا النجاح البابوي في قبرص التي كانت تابعة لبيزنطة الأرثوذكسية، يعد نجاح لسياسة الكتلة، على حساب كنيسة

¹ - حسين، أمين. (د.ت): التاريخ الأوروبي، ص213؛ عبيد. (1970م): روما وبيزنطة، ص300.

² - زيتون. (1980م): العلاقات السياسية والكنسية، ص290؛ عاشور. (1971م): الحركة الصليبية، ج2، ص840-850.

³ - ليو الأرمني: هو ليون الثاني الأكبر، أمير أرمنية من عام (583-594هـ/1187-1198م) ثم أصبح ملك لأرمنية عام (594هـ/1198م)، حتى عام (616هـ/1219م)، وهو أول ملك أرمني حالف الصليبيين ضد السلاجقة. الربيعي. (د.ت): موقف الإمبراطورية البيزنطية من قادة الحملات الصليبية، ص483.

⁴ - عبيد. (1970م): روما وبيزنطة، ص300.

القسطنطينية، وهذا يظهر أثر الصراع الكنسي بشكل واضح في سياسة اللاتين في كتلكة أي إقليم تابع لبيزنطة؛ كل ذلك على حساب كنيسة القسطنطينية الأرثوذكسية المهرطقة في نظرهم.

وقد رأى هنري في كل ما سلف، فرصة ذهبية يستطيع من خلالها بعث مجد الإمبراطورية الرومانية من جديد، وسعى إلى السيطرة على الشرق اللاتيني، ليكون جزءاً من إمبراطوريته الغربية، ولكي يحقق مسعاه وجب عليه القضاء على الإمبراطورية البيزنطية⁽¹⁾، ويتضح هذا من خلال طلباته التي بعث بها إلى الإمبراطور البيزنطي إسحق الثاني أنجيلوس، التي تؤكد على وجوب تنازل إسحق الثاني بشكل رسمي عن أراضي البلقان، ومنحهم لهنري السادس بصفته وريث ملك صقلية وليم الثاني، كما طالب هنري السادس بمبالغ هائلة من المال، كتعويض عن خسائر حملة فردريك بربروسا، التي كانت سبب خسارتها خيانة البيزنطيين للحملة الصليبية الثالثة⁽²⁾، لم يكتف هنري بذلك، بل أكد على وجوب تشكيل أسطول بيزنطي يخدم تحت سلطة الإمبراطورية الألمانية في أثناء توجيه حملتها الصليبية الجديدة نحو الشرق، لاستعادة بيت المقدس من المسلمين، وكانت الإمبراطورية البيزنطية على يقين تام بحجم الكره والحقد الديني المزروع في نفوس وعقول اللاتين، الذي ولده الكره الديني اللاتيني حيال الإمبراطورية البيزنطية وشعبها وكنيستها الأرثوذكسية، لكي يتفادى إسحق أنجيلوس العدوان اللاتيني على بلاده وعاصمته، الذي اعتاد عليه اللاتين عندما يعبرون بحملاتهم من الأراضي البيزنطية، قرر التقرب من هنري السادس، والتودد له لكي يصل إلى اتفاقية يحمي بلاده من خلالها⁽³⁾، لكن ذلك لم يتم بسبب حدوث تمرد عسكري، وانقلاب ضد إسحق الثاني أنجيلوس، قام به⁽⁴⁾ ألكسيوس الثالث أنجيلوس Alexios III Angelus (591-591-591)

¹ - زابوروف.(1986م): الصليبيون في الشرق، ص213؛ عبيد.(1970م): روما وبيزنطة، ص308.

² - المؤرخ المجهول.(2002م): ذيل وليم الصوري، ص269.

Choniates.(1984.A.D): Annals, p.288.

³ - زابوروف.(1986م): الصليبيون في الشرق، ص213.

⁴ - المؤرخ المجهول.(2002م): ذيل وليم الصوري، ص269.

Choniates.(1984.A.D): Annals, p.299.

زيتون.(1980م): العلاقات السياسية والكنسية، ص291.

599/1195-1203م⁽¹⁾، الذي عزل أخاه وسجنه بعد أن سمل عينيه⁽²⁾، واستغل هنري السادس الاضطرابات التي عمت القسطنطينية بسبب هذا الانقلاب، وحاول السيطرة على الإمبراطورية البيزنطية، بحجة دفاعه عن حقوق أسحق الثاني أنجيلوس، الذي تربطه معه علاقة مصاهرة، بعد زواج أخ هنري السادس من ابنة إسحق الثاني⁽³⁾، فسارع هنري السادس لإثبات سلطته على الإمبراطورية البيزنطية، من خلال إرسال رسالة إلى ألكسيوس الثالث مليئة بالتهديد والوعيد على خيانتته وانقلابه على أسحق الثاني، وأكد له أنه سوف يتقدم نحو القسطنطينية ليعيد إسحق الثاني لعرشه، خاف ألكسيوس الثالث، ولم يكن يملك القدرة على مواجهة هنري السادس، لذلك حاول التودد له وملاطفته، ووعدته بدفع مبالغ ضخمة من المال إلى بلاطه في الإمبراطورية الرومانية المقدسة⁽⁴⁾، لكن بوفاة هنري السادس عام (593/1197م) تنفست الإمبراطورية البيزنطية وإمبراطورها ألكسيوس الثالث الصعداء، وزال الخطر الذي هدد وجود الإمبراطورية البيزنطية عدة سنوات⁽⁵⁾، وبوفاة هنري السادس أجل مشروع غزو القسطنطينية والاستيلاء عليها لقيام الحملة الصليبية الرابعة، التي خرجت من الغرب بهدف واضح وهو: التوجه نحو القسطنطينية للسيطرة عليها⁽⁶⁾.

¹ - ألكسيوس الثالث: تسلم الحكم بعد خلع أخاه اسحق أنجيلوس وسمل عيناه عام (591/1195م)، تميز حكمه بضعف الإمبراطورية البيزنطية، وحصول الصرب والبلغان على استقلالهم الذاتي عن الإمبراطورية البيزنطية، وعند قيام الحملة الصليبية الرابعة ترك ألكسيوس العرش وهرب بسبب تأييد قادة الحملة لأخاه المخلوع، وتم إعادة اسحق الثاني أنجيلوس إلى العرش وهرب ألكسيوس الثالث، وتم القبض عليه عام (607/1210م) وأمضى بقية حياته بأحد الدير في نيقية.

Choniates.(1984.A.D): Annals, p.299.

نيكول.(2003م): معجم التراجم البيزنطية، ص73.

² - المؤرخ المجهول.(2002م): ذيل ولیم الصوري، ص42.

³ - حسين، أمين،(د.ت): التاريخ الأوروبي، ص466؛ عبيد.(1970م): روما وبيزنطة، ص301؛ عمران.(2002م): بيزنطة وحضارتها، ص291.

⁴ - زابوروف.(1986م): الصليبيون في الشرق، ص213.

Ostrogorsky.(1998.A.D): History Of The Byzantine State, pp.412-413 .

⁵ - المؤرخ المجهول.(2002م): ذيل ولیم الصوري، ص217؛ زيتون.(1980م): العلاقات السياسية والكنسية، ص292.

⁶ - Choniates.(1984.A.D): Annals, p.313

عبيد.(1970م): روما وبيزنطة، ص304؛ عمران.(2002م): بيزنطة وحضارتها، ص291.

الفصل الخامس

أثر الخلاف الكنسي على العلاقات السياسية والعسكرية بين بيزنطة والصليبيين خلال الحملة الصليبية الرابعة وسقوط القسطنطينية عام (1204/هـ601م)

- 1- موقف البابوية من الإمبراطورية البيزنطية وكنيستها قبيل الحملة الصليبية الرابعة
- 2- دور الخلاف الكنسي في خطط الصليبيين في بيزنطة إبان الحملة الصليبية الرابعة
- 3- دور الخلاف الكنسي في حرف مسار الحملة الصليبية الرابعة إلى القسطنطينية
- 4- الحكم اللاتيني في القسطنطينية ومظاهر الخلاف الكنسي فيها
- 5- مسؤولية البابا أنوسنت الثالث في الاستيلاء على القسطنطينية
- 6- موقف حكومة نيقية البيزنطية من اللاتين

1- موقف البابوية من الإمبراطورية البيزنطية وكنيستها قبيل الحملة الصليبية الرابعة.

تسلم البابا أنوسنت الثالث (Innocentius III) (1198-1216م)⁽¹⁾ منصب البابوية عام (1198/595م)، حيث وصلت البابوية في عهده لأعلى درجات القوة والمجد والعظمة بسبب الذكاء السياسي المميز الذي تمتع به البابا أنوسنت الثالث، فضلاً عن علمه وثقافته الواسعة⁽²⁾، فقد تخصص بدراسة اللاهوت في فرنسا، ونجح في دراسة القانون في بولونيا، بالإضافة إلى إصراره على تحقيق أهدافه ومطامعه، فسعى جاهداً منذ لحظة جلوسه على كرسي البابوية، بحصر النفوذ السياسي والديني في الشرق والغرب تحت سلطة البابوية فقط⁽³⁾، فقد وضع يوم تتويجه فلسفته السياسية التي تتركز في قناعته التامة بتطبيق نظرية بطرس الرسول التي تؤكد مكانة بابا روما التي تساوي مكانة بطرس ذاته، والبابا هو الأساس المتين التي تقوم عليه الكنيسة، ويملك قرار الأمور وحلها وتقييدها سواء في السماء أو الأرض، فهو بمكانة سامية لا يعلوه سوى الله، وهذه المكانة مكنته من سيادة العالم أجمع، وسلطته تعلو على سلطة المسيحيين وغير المسيحيين من الناحية الزمنية والسياسية والدينية⁽⁴⁾ سعى أنوسنت الثالث لتنفيذ أفكاره ومعتقداته في تفرد بسلطة العالم كله من خلال سيطرته العملية على كل القضايا

¹ - أنوسنت الثالث: ولد عام (1116/510م) في مدينة أناجي Anage، وكان اسمه قبل استلامه منصب البابوية لوتاريو دي كونتي، وعندما أعتلى كرسي البابوية عام (1198/595م) ولقب بأنوسنت الثالث، ينتمي إلى عائلة عريقة، ومتأصلة في مقاطعة سيجني، أتم تخصصه الدراسي في باريس، يعد من أعظم الشخصيات التي تسلمت كرسي البابوية، أذ سعى لبسط سيطرة البابوية على السلطات الدينية والسياسية، واستطاع من تحقيق ذلك في أوروبا وفرض سلطته على ملوم أوروبا، وأباطرتها، وفي عهده خرجت الحملة الصليبية الرابعة إلى الشرق. الربيبي. (د.ت): **موقف الإمبراطورية البيزنطية من قادة الحملات الصليبية**، ص 419؛ فشر، هيرت. (1969م): **تاريخ أوروبا في العصور الوسطى**، تر: محمد مصطفى زيادة والسيد الباز الغريني، القاهرة، د.ط، ص 230-232؛ قاسم. (1990م): **ماهية الحروب الصليبية**، ص 150؛ يوسف، جوزيف نسيم. (1982م): **تاريخ العصور الوسطى الأوروبية وحضارتها**، الاسكندرية، د.ط، ص 190؛ اليوسف، عبد القادر. (1969م): **علاقات بين الشرق والغرب بين القرنين الحادي عشر والخامس عشر الميلاديين**، المكتبة العصرية، د.ط، مج 3، ص 19-20.

Tout(J). (1924.A.D): **The Empire And The Papacy 418-1273, Eight edition**, London, p.314

² - زابوروف. (1986م): **الصليبيون في الشرق**، ص 216-219.

Tout. (1924.A.D): **The Empire And The Papacy**, pp.314-315.

³ - عبد الهادي، حليلة. (2011م): **الاستيلاء الصليبي (الفرنجي) على القسطنطينية وإقامة الحكم اللاتيني فيها (601هـ-1204 م / 660هـ-1261م)**، أطروحة أعدت لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ البيزنطي، إشراف سهيل زكار، جامعة دمشق، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، دمشق، ص 54.

⁴ - عبيد. (1970م): **روما وبيزنطة**، ص 306؛ غنيم، اسمنت. (1989م): **الحملة الصليبية الرابعة ومسؤولية انحرافها ضد القسطنطينية**، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، د.ط، ص 53-55.

Tout. (1924.A.D): **The Empire And The Papacy**, p.315.

السياسية والدبلوماسية، وملكيات الأراضي والأقطاعات، حتى بالقضايا العائلية في أنحاء أوروبا ولم يستطع أحد مواجهة طموحه في ذلك، كما حاول ربط ما بين مكانته ونفوذه السياسي والديني في العالم المسيحي بالحركة الصليبية وأهدافها؛ هذا الربط هو الذي تحكم بموقفه السياسي والديني من الإمبراطورية البيزنطية، وتجلّى هذا بوضوح عندما قدم التهاني والمدح لقادة الحملة الصليبية الرابعة عندما دخلوا إلى القسطنطينية الدولة المتمردة وكنيستها المنحرفة - في نظر البابا واللاتين- وسيطرو عليها وعلى كنيستها المنحرفة، وشكلوا حكومة لاتينية فيها تحت سلطة ونفوذ البابا⁽¹⁾، في الحقيقة اسهمت الأوضاع السياسية داخل الإمبراطورية الألمانية بدور كبير في تحقيق طموحات البابا أنوسنت في السيطرة على السلطة السياسية والدينية في أوروبا، وتعزيز مكانة البابا فيها وسموه وترجمة معتقداته بشكل فعلي ضمن الإمبراطورية الألمانية بعد موت الإمبراطور الألماني هنري السادس، تاركاً أرملته وطفله ذي الثلاث سنوات يتصدیان لتمردات وثورات عنيفة في صقلية، هذا خلق جواً من التقارب بين أرملة هنري السادس والبابوية، فقد وجدت أمامها حلاً وحيداً لمواجهة الثورات وهو طلب العون والمدد من البابا أنوسنت الثالث، الذي رحب بهذا مقابل منحه كافة الحقوق الكنسية والسياسية في مملكة صقلية⁽²⁾، كما منحت البابا حق الوصاية على ابنها الصغير، بذلك أصبح البابا يملك الحق الشرعي لوراثة حكم هنري السادس وسلطاته الزمنية والسياسية، واستمرت الظروف السياسية في أوروبا تسير لصالح تحقيق أهداف البابا، فقد وقع نزاع حاد على عرش الإمبراطورية الألمانية بين⁽³⁾ فيليب من سوابيا (595-605هـ/1198-1208م) Philipp Of Swabia⁽⁴⁾ وأتو

¹ - عبد الحميد. (1998م): قضايا في الحروب الصليبية، ص48.

² - رنسيما. (د.ت.): تاريخ الحروب الصليبية، ج3، ص198؛ عبد الحميد. (1998م): قضايا في الحروب الصليبية، ص47؛ غنيم. (1989م): الحملة الصليبية الرابعة، ص55.

Tout. (1924.A.D): **The Empire And The Papacy**, pp.315-318.

³ - Longnon(J). (1949.A.D): **Le' Empire Latin De Constantinople**, et la principaute de morre cavare devox cartes, payot, paris, p.12.

⁴ - فيليب من سوابيا: هو أخ هنري السادس، وملك ألمانيا من عام (595هـ/1198م) حتى وفاته عام (605هـ/1208م)، بذل جهد لكي يحتفظ بالعرش الألماني، ودخل في نزاع مع البابوية التي أيدت منافسيه على السلطة، تزوج عام (592هـ/1195م) من ابنة الإمبراطور البيزنطي إسحق الثاني أنجيلوس وكان يأمل أن يجد في هذه المصاهرة حجة للتدخل في شؤون بيزنطة. حمزة، عادل عبد الحافظ. (2001م): العلاقات السياسية في الدولة والإمبراطورية الرومانية المقدسة زمن الحروب الصليبية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ط، ص225؛ رنسيما. (د.ت.): تاريخ الحروب الصليبية، ج3، ص202-203؛ زيتون. (1980م): العلاقات السياسية والكنسية، ص219.

دي برنسويل Otto De Brunswell⁽¹⁾، وهذا النزاع فرض على الطرفين إيجاد حليف وداعم قوي ليساندھم في تحقيق غاياتھم لذلك بدؤوا بخلق جو من التقارب مع البابا أنوسنت الثالث، فراسل أقارب أتو رسائل إلى البابا مليئة بالود والتنازلات عن كافة الحقوق السياسية في الإمبراطورية الألمانية للبابا مقابل تسليم التاج لأتو، ودعمه ضد منافسه فيليب من سوابيا⁽²⁾، ولم يقف فيليب مكتوف الأيدي بل تفاوض مع البابا أنوسنت ومنحه تنازلات ضخمة ومغرية في إيطاليا مقابل منحه التاج ودعمه ضد منافسيه، ولاسيما وأن أتو أسرع وأرسل سفراء ليتفاوضوا مع البابا ويكسبوا وده ورضاه بعد غضبه وتوبيخه الحاد لأمرأ ألمانيا بعدم الحصول على قبوله في عقد اجتماع لتعيين إمبراطور لألمانية وخاصة وأن السلطة في تعيين إمبراطور ألمانيا بيد البابوية فقط؛ لأن هذا من ضمن اختصاصاتها، ولكن كانت طلبات البابا لدعم أتو ضخمة تجعل الإمبراطورية الألمانية تابعة للبابا وسلطته التي تعلو على سلطة الإمبراطور، وتحرمه من كافة حقوقه السياسية والدبلوماسية، وتضعها بيد البابا، ليكون الحاكم المطلق لممتلكات الكنيسة على مناطق مختلفة ضمن ألمانيا وإيطاليا، ووافق سفراء أتو على طلبات البابا القاسية بلا تردد، ويتضح مما سلف المكانة والقوة التي وصل إليها البابا أنوسنت الثالث داخل أوروبا⁽³⁾، كل ما تقدم يعطي دليلاً واضحاً على أطماع البابا أنوسنت الثالث الدينية والدنيوية، كما يقدم تساؤلاً هاماً إذا كانت سياسته عدائية ومليئة بالأطماع تجاه الإمبراطورية الألمانية، كيف ستكون سياسته حيال الإمبراطورية البيزنطية وكنيستها؟ في الحقيقة عكست أطماع البابا أنوسنت الثالث وسعيه الواضح لفرض سلطته وزعامته السياسية والدينية على العالم على سياسته تجاه الإمبراطورية البيزنطية وكنيستها المليئة بالعدائية المشبعة بالحق الديني والكره، وما يؤكد ذلك ما قام به البابا أنوسنت الثالث في صربيا وبلغاريا من سعي واضح ضد مصالح الإمبراطورية البيزنطية وكنيستها الأرثوذكسية الضالة، ولاسيما إن الطابع البيزنطي والسمة الأرثوذكسية كانت ثابتة وقوية في المنطقة، وكل ذلك لبسط نفوذه وزعامته الدينية على كنائس العالم المسيحي أجمع وتوحيد الكنائس الشرقية والغربية تحت سلطانه، وساعد البابا أنوسنت في

¹ - أتو دي برنسويل: هو ابن اخت ريتشارد قلب الأسد وحفيد هنري الثاني الإنكليزي، دخل في صراع على حكم ألمانيا مع فيليب السوابي. عبد الهادي. (2011م): الاستيلاء الصليبي على القسطنطينية، ص 57.

² - عبد الحميد. (1998م): قضايا في الحروب الصليبية، ص 49؛ عبيد. (1970م): روما وبيزنطة، ص 307.

Tout. (1924.A.D): **The Empire And The Papacy**, pp.318-322.

³ - عاشور (1976م): أوروبا في العصور الوسطى، ج 2، ص 10-14؛ عبيد. (1970م): روما وبيزنطة، ص 307؛ فشر. (1969م): تاريخ أوروبا العصور الوسطى، ج 1، ص 233-235.

تنفيذ سياسته ضد مصالح الإمبراطورية البيزنطية، ما حدث بالمنطقة من نزاعات داخلية واضطرابات متعددة، فقد تدخل في هذه النزاعات بقصد استغلال هذه الاضطرابات لمنح كنائس صربيا وبلغاريا الاستقلال الديني التام عن كنيسة القسطنطينية وتحويل طقوسها وكنائسها على الكاثوليكية، بالتالي ضرب مصالح الإمبراطورية البيزنطية السياسية والدينية بشكل مقصود في أوروبا الشرقية لتقليص نفوذ وسلطة كنيسة القسطنطينية بالمنطقة، بالتالي فرض سلطة كنيسة روما وكنائسها الكنائس في أوروبا الشرقية بحجة بيان انحراف كنيسة القسطنطينية عن العقيدة المسيحية الصحيحة⁽¹⁾، ففي صربيا برز زعيمها ستيفن نيمانجا Stephen Nemanja بكل قوة، وعزز مكانة دولته ونفوذها، ولقب نفسه بالخان الأعظم، وكان تربطه بكنيسة القسطنطينية علاقة قوية؛ حيث قدمت له الكثير من الدعم والممدد في إقامة عدد كبير من الأديرة والكنائس، لكن هذه العلاقة لم تستمر بشكل جيد، فبعد موت الخان الأعظم وقع نزاع بين أبنائه - ستيفن Stephen و فولكو Folco - على تسلم الحكم، وهذا النزاع أعطى البابا أنوسنت الثالث فرصة مناسبة للتدخل في شؤون صربيا الداخلية، كما تدخل في ذلك ملك المجر، وقام كل من أنوسنت الثالث وملك المجر الدعم والمساندة لفولكو الذي راسل البابا، وطلب منه الدعم في الحصول على الحكم مقابل تنازلات هامة، ومنها سيطرة كنيسة روما على كنيسة صربيا وأملاكها، وفصلها بشكل تام عن كنيسة القسطنطينية التي ينعته البابا بالمتردة والمنحرفة والضالة، ولا تستحق الاحترام، بالتالي منح البابا فرصة مناسبة لتقليص نفوذ كنيسة القسطنطينية وجعل كنيسة صربيا تتبع الطقوس والأعراف اللاتينية، وكان رد البابا على فولكو رسالة مليئة بالترحاب، وأعلن فيها إرسال وفدٍ إلى صربيا لتصحيح الانحرافات في كنيسة الصرب، ويعد تصرف البابا في صربيا اعتداءً واضحاً على مصالح كنيسة القسطنطينية، كما حدث التقارب ذاته مع ملك المجر، وقدم له الدعم والمساندة لدعم حكمه في المجر مقابل سيطرة البابوية على كنائس المجر وفصلها عن كنيسة القسطنطينية⁽²⁾

ويتضح مما سلف أثر الخلاف الديني على سياسة أنوسنت الثالث العدوانية ضد مصالح بيزنطة

وكنيستها في الصرب.

¹ - عبد الهادي (2011م): الاستيلاء الصليبي على القسطنطينية، ص 117.

² - عبيد (1970م): روما وبيزنطة، ص 309-311.

ولم تتوقف سياسة البابا العدوانية ضد مصالح الإمبراطورية البيزنطية وكنيستها فقط بصربيا والمجر بل استمرت لتصل إلى بلغاريا والتي اسهمت الظروف لصالح البابا، ولاسيما بعد مراسلة إمبراطور بلغاريا للبابا طالباً منه الاعتراف به كإمبراطور مقابل سيطرة كنيسة روما بشكل كامل على كنائس بلغاريا⁽¹⁾، وجاء رد البابا مليئاً بالود، حيث أكد لإمبراطور بلغاريا أن طلبه منح سعادة وراحة في نفس البابوية، لكن البابا لم يتطرق لمسألة اللقب لأنها ثانوية أمام مستقبل الكنيسة البلغارية، لكن ملك بلغاريا رسم خطة لنفسه للحصول على اللقب الإمبراطوري، ففي عام (600هـ/1203م) راسل البابا أنوسنت الثالث، وأكد له ولاءه لكنيسة روما، وأشار إلى أن إمبراطور وبطربرك بيزنطة علماً بالعلاقة الجيدة التي تربطه بالبابا أنوسنت الثالث، وعرضاً عليه لقب "إمبراطور"، ولكنه يريد تسلم التاج من يد البابا، وتحت قبوله ورضاه، لذا أسرع البابا أنوسنت الثالث وأرسل مندوباً عنه لتتويج أمير بلغاريا إمبراطور وإنشاء بطريركية لمملكة بلغاريا وبذلك ضرب البابا أنوسنت الثالث بعرض الحائط مصالح كنيسة بيزنطة، وأكد علي سيادة كنيسة روما وسلطته على كنيسة بلغاريا⁽²⁾

ويتضح مما سلف مدى أثر الخلاف الكنسي في سياسة البابا أنوسنت الثالث ضد بيزنطة وكنيستها وحرصه على فصل الكنيستين الصربية والبلغارية عن كنيسة القسطنطينية، ويتضح أيضاً أن البابا أنوسنت الثالث كان بقمة الإصرار على فرض سلطة كنيسة روما والبابوية على الإمبراطورية البيزنطية وكنيسة القسطنطينية الأرثوذكسية وكتلتها وكتلكة الشعب البيزنطي⁽³⁾ في الحقيقة كانت سياسة البابا أنوسنت الثالث تنفذ وفق خطة محكمة ومدبرة رسمها البابا أنوسنت الثالث لنفسه للقضاء على سيادة ومكانة كنيسة القسطنطينية في منطقة البلقان وتعزيز الكاثوليكية في المنطقة من خلال بسط سيطرة كنيسة روما بشكل عام، بحجة انحراف كنيسة القسطنطينية عن العقيدة المسيحية الصحيحة، وضلالها ووجوب تصحيح هذا الانحراف والضلال بالقوة من خلال توحيد الكنائس الشرقية والغربية تحت زعامة وسلطة البابا وكنيسة روما⁽⁴⁾. ودليل ذلك موقف البابا أنوسنت الثالث من الإمبراطور

¹ - مؤرخ المجهول. (1995م): تاريخ المورة، من خلال الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية، تأليف وترجمة وتحقيق سهيل زكار،

دمشق، ج10، ص314، عبد الحميد. (1998م): قضايا في الحروب الصليبية، ص51.

² - مؤرخ المجهول. (1995م): تاريخ المورة، من خلال الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية، ج10، ص314، عبيد. (1970م): روما وبيزنطة، ص312-313.

³ - عبد الحميد. (1998م): قضايا في الحروب الصليبية، ص53.

⁴ - عبيد. (1970م): روما وبيزنطة، ص313.

البيزنطي ألكسيوس الثالث المتأثر بالخلفية الدينية بشكل عميق، الذي يتضح من خلال رسائل أنوسنت الثالث للإمبراطور البيزنطي عام (595هـ/1198م) يطلب منه بنبرة مليئة بالتهديد والوعيد المشاركة وتقديم الدعم للحملة الصليبية الرابعة، مرفقاً ذلك أيضاً بجملة من الانتقادات اللاذعة والقاسية على طقوس وأعراف كنيسة القسطنطينية، ونعتها بالمنشقة والضالة، وأكد أنه لا يعد كنيسة القسطنطينية كنيسة حقيقية وشرعية لأنها منحرفة عن العقيدة المسيحية القوية، كما قدم توبيخاً مبطناً بتهديد للإمبراطور ألكسيوس الثالث، يؤكد فيه على غضب المسيح بحد ذاته والشعب المسيحي بأكمله من إخفاق الإمبراطور البيزنطي بتصحيح انحراف كنيسته الضالة والمنشقة عن زعيمة الكنائس المسيحية كنيسة روما⁽¹⁾ واستمر في أسلوبه الهجومي المليء بالحقد الديني الواضح حتى وجه تهديداً مباشراً وصريحاً للإمبراطور البيزنطي ألكسيوس الثالث، بحال استمرار كنيسة القسطنطينية بضلالها، فإنه سوف يستخدم القوة ليصحح انحراف كنيسة القسطنطينية الأرثوذكسية وضلالها، مسوغاً ذلك بعدم قبوله في سير كنيسة القسطنطينية في ضلالها وانفصالها عن البابوية صاحبة الحل والربط في العالم المسيحي كله، وانشقاقها عن كنيسة روما سيدة الكنائس⁽²⁾

ويتبين مما سلف أثر الشقاق الديني مازال ماثلاً بقوة في سياسة أنوسنت الثالث وتفكيره وأهدافه وهذا جعله يرسم خطاً مدروسة ليدعو لحملة صليبية جديدة، ويوجهها نحو القسطنطينية مستغلاً الظروف السياسية التي مرت فيها بيزنطة، ليرفع عن نفسه المسؤولية، وبالتالي يكون قد رسم خطة مزدوجة شقها الأول دعوة لحملة جديدة ظاهرياً هدفها تحرير بيت المقدس، ولكن جوهرها التوجه نحو القسطنطينية والاستيلاء عليها، وشقها الثاني: استغلال الظروف التي حصلت إبان الحملة لكي يرفع مسؤولية توجيه الحملة الصليبية التي دعا لها البابا الكاثوليكي لبلد مسيحي عن عاتق البابوية حفاظاً على مكانتها الدينية وسمعتها الدينية بالتالي تتحول الحملة الصليبية الجديدة صوب القسطنطينية المنشقة، ويسيطر عليها وعلى كنيستها من دون وقوع اللوم عليه، ومراسلاته مع الإمبراطور البيزنطي ألكسيوس الثالث وسياسته العدوانية ضد مصالح كنيسة القسطنطينية في صربيا وبلغاريا تؤكد ذلك، وتوضح خطط البابا أنوسنت المدفوعة بأثر الشقاق الديني المشحون بكم كبير من الكره والحقد تجاه البيزنطيين.

¹ - عبد الهادي. (2011م): الاستيلاء الصليبي على القسطنطينية، ص118؛ غنيم. (1989م): الحملة الصليبية الرابعة، ص57.

² - عبيد. (1970م): روما وبيزنطة، ص313.

في الواقع كان هدف البابا أنوسنت من مراسلة ألكسيوس ليس الترحيب في مساهمته في الحملة الجديدة، بل سعيه الحثيث في استغلال موارد وقوة الإمبراطورية البيزنطية العسكرية والمادية في تحقيق أطماعه السياسية والدينية في بسط سيطرة البابوية الدينية والسياسية على الشرق، ويتضح ذلك من خلال عرضه لمسألتين: الأولى مساهمة الإمبراطورية البيزنطية بالحملة الصليبية الرابعة، والثانية في فرض مسألة وحدة الكنائس تحت سلطنة وزعامته، بالتالي يحقق من وراء الصليبية الجديدة أطماعه الدينية والدنيوية، وبسط سيطرته السياسية والدينية على القسطنطينية أولاً، وثم القدس⁽¹⁾، وقد توضح في فصول سالفة رغبة البابوية وسعيها الحثيث في توحيد الكنيستين تحت زعامتها وبسط نفوذها السياسي والديني على الإمبراطور البيزنطي وبطريك القسطنطينية ورغبتها في السيطرة على أملاك كنيسة القسطنطينية ومواردها وكنوزها⁽²⁾

ولم يقف أنوسنت عند هذا الحد، بل وجه رسالة إلى بطريك القسطنطينية⁽³⁾ يوحنا العاشر كمتيروس John X Kamateros (595-603هـ/1198-1206م)⁽⁴⁾ خالية من التهذيب واللباقة خالية من التحيّة المعتاد على وجودها في المراسلات بين الكنائس، بحجة العار الذي أحدثته كنيسة القسطنطينية بانفصالها عن كنيسة روما وسلطة البابوية، وقد اسقط البابا أنوسنت الثالث لقب كنيسة عن كنيسة القسطنطينية مسوغاً ذلك بانفصالها عن الكنيسة الأم كنيسة روما⁽⁵⁾، لكن كان رد كمتيروس سريعاً وقاسي اللهجة حيث رفض كل ادعاءات البابوية، ورد على أسلوب البابا وانتقاداته لكنيسة القسطنطينية بنعت كنيسة روما بانحرافها عن القانون الكنسي الذي نص عليه مجمع نيقية المسكوني عام (325م)، وأوضح كمتيروس خلو كنيسة القسطنطينية من أية مسؤولية في مسألة

¹ - عبد الهادي. (2011م): الاستيلاء الصليبي على القسطنطينية، ص 56.

² - زيتون. (1980م): العلاقات السياسية والكنسية، ص 374-377.

³ - عبد الهادي. (2011م): الاستيلاء الصليبي على القسطنطينية، ص 56.

⁴ - يوحنا كمتيروس: تسلم منصب البطريرك في القسطنطينية عام (595هـ/1198م) وعندما استولى اللاتين على القسطنطينية وعينوا بطريك لاتيني مكانه هرب إلى نيقية حيث تأسس هناك حكومة بيزنطية وظل بطريك في كنيسة نيقية الأرثوذكسية حتى عام (603هـ/1206م)، دخل في نزاع مع البابا أنوسنت الثالث وأكد على علو مكانة كنيسة القسطنطينية على كنيسة اللاتين.

Choniates.(1984.A.D): Annals, p.283. Brand(C).(1988.A.D): Byzantium Confronts The West 1180-1204, harrerd university press, Cambridge, p. 225.

نيكول. (2003م): معجم التراجم البيزنطية، ص 62.

⁵ - عبيد. (1970م): روما وبيزنطة، ص 314.

Brand.(1988.A.D): Byzantium Confronts The West, p. 225.

الانشقاق، وأكد للبابا الدور السلبي، والمسؤولية الكبيرة التي قامت بها كنيسة روما في انفصال وانشقاق كنيسة القسطنطينية عنها⁽¹⁾ ويتضح من مما سلف أن أثر الشقاق الكنسي مازال ماثلاً بقوة في قلوب وأذهان الإغريق واللاتين على حدٍ سواء.

حاول الإمبراطور البيزنطي تهدئة الأوضاع بين البطريرك البيزنطي والبابا أنوسنت الثالث، وراسل البابوية بطريقة ودية، وأوضح قبوله بقضية توحيد الكنيستين، كما سعى لتوضيح مدى الخدمات والمساعدات التي قدمتها الإمبراطورية البيزنطية للحركة الصليبية منذ قيامها، لكن بالمقابل كان الرد الصليبي على هذا الدعم بسياسة عدائية ضد الإمبراطورية البيزنطية ومصالحتها⁽²⁾ في الواقع تم التوضيح في الفصول السالفة عدم احترام الصليبيين لتعهداتهم مع الأباطرة البيزنطيين بخصوص عبور الأراضي البيزنطية بسلام، وعدم إثارة الفوضى أو لإخلال بالنظام مقابل تقديم الإمبراطورية الدعم والمؤن للصليبيين، لكن ما فعله الصليبيون كان عكس هذه التعهدات تماماً فقد أثاروا الفوضى والسلب والنهب وقتل المسيحيين الأرثوذكس الأبرياء دون أسباب، ودليل ذلك ما أقدم عليه الإمبراطور فردريك بربروسا عند عبوره الأراضي البيزنطية منذ عدة سنوات، متجاهلاً تعهداته للإمبراطور البيزنطي بالحفاظ على الأمن والهدوء خلال رحلته عبر الأراضي البيزنطية⁽³⁾، لكن محاولة ألكسيوس الثالث للتودد والتقرب من البابوية وسعيه لتوحيد الكنيستين باءت بالإخفاق بسبب توضيح ألكسيوس، أن توحيد الكنيستين لا يتم إلا من خلال تنازل أحد الطرفين عن الزعامة للطرف الآخر، وهذا ما لا يقبل فيه البطريرك البيزنطي ولا البابوية⁽⁴⁾، وما زاد من غضب البابا وحنقه ختم الإمبراطور البيزنطي ألكسيوس الثالث رسالته برغبته في الحصول على دعم البابا في استعادة الإمبراطورية البيزنطية حقوقها في جزيرة قبرص، التي استولى عليها اللاتين خلال الحملة الصليبية الثالثة، لكن كان رد أنوسنت الثالث لا يخلو من العدوانية ومن التهديد والوعيد حيث أكد للإمبراطور البيزنطي كمية الأذى الذي

¹ - Choniates.(1984.A.D): **Annals**, p.283.

عبيد.(1970م): روما وبيزنطة، ص314.

Pears (Edwin).(1987.A.D): **Fallof Constantinople "Story Of The Fourth Crusade"** derf publishers Itol, London, pp.225-227.

² - عبد الهادي.(2011م): **الاستيلاء الصليبي على القسطنطينية**، ص59.

³ - عبيد.(1970م): روما وبيزنطة، ص315.

⁴ - الربيعي.(د.ت): **موقف الإمبراطورية البيزنطية من قادة الحملات الصليبية**، ص419؛ غنيم.(1989م): **الحملة الصليبية الرابعة**، ص51-

أصابته البابوية من مطلبه المليء بالشر والنوايا السيئة ضد ملك بيت المقدس وقبرص الذي يعد تحت حماية البابوية ذاتها، ووجه البابا تحذيراً عنيفاً للإمبراطور البيزنطي من اتخاذ أي فعل يؤدي ملك بيت المقدس وقبرص، وسارع البابا أنوسنت الثالث لمراسلة ملك فرنسا، يؤكد له على أخذ الإجراءات اللازمة ضد الإمبراطورية البيزنطية بحال تعرض لقبرص وملكها بأي أذى⁽¹⁾ ولم تنته الأمور عند هذا الحد، بل راسل البطريرك البيزنطي البابا أنوسنت الثالث عام (597هـ/1200م) بأسلوب عنيف، وهاجم فيها ادعاءات البابوية في سيادة كنيسة روما على الكنائس المسيحية في العالم، وأشار في رسالته إلى سمو مكانة القسطنطينية، فهي أول عاصمة للإمبراطورية الرومانية المسيحية بعد التخلص من الوثنية، وأكد للبابا أن كل التهديد والتحذير الذي نطقت به البابوية لن يؤثر على مكانة القسطنطينية وكنيستها وسموها ولا على الطقوس والأعراف الأرثوذكسية⁽²⁾ وشرح أخطاء ادعاءات البابوية ومطالبها بعدة جمل أبرزها أن القديس بطرس قد بشر بالمسيحية في مدينة روما، وقد مات في مدينة روما، لكنه أيضاً بشر بالمسيحية في مدينة أنطاكية ولا سيما أن لفظة كلمة مسيحي لفظت لأول مرة في أنطاكية وهذا بحد ذاته يعطيها مكانة دينية هامة تجعلها تساوي كنيسة روما، وأكد على تساوي الكنائس الخمسة في المكانة وأميرها هو السيد المسيح والقديس بطرس يتساوى بالمكانة والمنزلة مع بقية القديسين الذين بشرو بالديانة المسيحية في مناطق مختلفة، واستشهد بطرس في روما لا يعطيها مكانة أكبر وأميز عن باقي المدن بل يقلل من شأنها، كما أوضح أن هناك سيداً واحداً للكنائس المسيحية أجمع وهو السيد المسيح ليس غير فبالتالي فإن شروحات البطريرك البيزنطي دحضت نظرية سمو كنيسة روما على سائر الكنائس المسيحية ومكانتها، وأكد أن سياسة التهديد والوعيد التي تنتهجها البابوية ضد كنيسة القسطنطينية ومكانتها وأعرافها، لن يغير شيئاً بالمبادئ التي تتمسك، وتنادي بها كنيسة القسطنطينية⁽³⁾

¹ - عبيد. (1970م): روما وبيزنطة، ص 314-315.

² - Brand. (1988.A.D): Byzantium Confronts The West, pp. 225-226.

³ - عبيد. (1970م): روما وبيزنطة، ص 315-316.

وهكذا يتبين مما سلف أن سياسة أنوسنت الثالث العدوانية حيال بيزنطة وكنيستها المشحونة بالحق والكره وكل هذه المشاعر السلبية كانت مدفوعة بالخلفية الدينية والتي قبولت برفض عنيف من قبل البطريرك البيزنطي ورجال الدين والعلمانيين البيزنطيين.

لكن البابا أنوسنت الثالث بذكائه السياسي والدبلوماسي، أيقن حالة الضعف السياسية والعسكرية التي تعاني منها الإمبراطورية البيزنطية، لذلك رسم لنفسه سياسة متقنة ومدروسة تمكنه من السيطرة على كنيسة القسطنطينية بالقوة⁽¹⁾ ومن الطبيعي أن سياسة أنوسنت الثالث العدوانية حيال بيزنطة وكنيستها، قد أثرت على تحويل مسار الحملة الصليبية الرابعة عن هدفها والتوجه إلى غزو مدينة القسطنطينية عام (601هـ/1204م)، ولا سيما وأن اللاتين المشاركين بالحملة الصليبية الرابعة وبالتحديد رجال الدين ينعنون البيزنطيين وكنيستهم بالهرطقة والضلال وقتلهم من الأفعال المحللة والمقبولة.

¹ - عبيد. (1970م): روما وبيزنطة، ص316

2- دور الخلاف الكنسي في خطط الصليبيين في بيزنطة إبان الحملة الصليبية الرابعة

حاول البابا أنوسنت الثالث (590-613هـ/1198-1216م) منذ تسلمه المنصب البابوي إعادة مملكة بيت المقدس بعد خسارتها في معركة حطين عام (583هـ/1187م) على يد صلاح الدين فقد بذل البابا أنوسنت الثالث جهداً كبيراً في الدعوة للحملة الصليبية الجديدة لاستعادة بيت المقدس⁽¹⁾، ففي عام (595هـ/1198م) دعا للحملة الصليبية الرابعة، وسارع للتفاوض مع الأباطرة وملوك المسيحيين ومن بينهم الإمبراطور البيزنطي ألكسيوس الثالث، لكن هذه المفاوضات باءت بالإخفاق وذلك عائداً لعدائية الأسلوب الذي تفاوض فيه البابا أنوسنت الثالث الخالي من اللطف واللباقة مع الإمبراطور البيزنطي بالإضافة إلى ردة فعل الإمبراطور ألكسيوس الثالث الذي راسل البابا وأكد فيه على عدم احترام الصليبيين للتعهدات التي تعهدوا فيها للإمبراطور البيزنطي، وأثاروا الفوضى والسلب والدمار في أرجاء الأراضي البيزنطية، ولأسيما حملة الإمبراطور الألماني فردريك بربروسا العدوانية تجاه الإمبراطورية البيزنطية⁽²⁾ بالتالي لم تلق المفاوضات التي حدثت بين البابا وألكسيوس الثالث أي نجاح، ولكن لاقت نجاحاً عظيماً في الغرب الأوروبي اللاتيني، وتم إنشاء صندوق في كل كنيسة ليجمع فيه الأموال التي تساعد الحملة وتمولها، وبدأ رجال الدين يسعون للدعوة للحملة الصليبية الرابعة، ويدعون لها بكلمات وعبارات تدعم فكرة مشروع الحركة الصليبية المقدسة لتحرير بيت المقدس، لذلك جمعوا أعداداً غفيرة من الناس في غرب أوروبا للمساهمة في الحملة الصليبية الرابعة، كما رحب البابا بقرار التوبة الذي اتخذته⁽³⁾ بلدوين دي فلاندر Bauldouin De Falander (601-602هـ/1204-1205م)⁽⁴⁾، فقد لاقت الدعوة نجاحاً كبيراً في الغرب الأوروبي، وساهم في هذه الحملة

¹ - الحريري. (1965م): الأخبار السنبة، ص 201؛ زيتون. (1980م): العلاقات السياسية والكنسية، ص 295؛ عاشور. (1976م): أوروبا في العصور الوسطى، ج 2، ص 9-10؛ عوض، مؤنس. (1999م): العلاقات بين الشرق والغرب في القرنين 12 و 13 ميلادي، عين للدراسات والبحوث الإنسانية، د.ط، ص 262.

² - الربيعي. (د.ت): موقف الإمبراطورية البيزنطية من قادة الحملات الصليبية، ص 489؛ رنسيما. (د.ت): تاريخ الحروب الصليبية، ج 3، ص 200؛ عاشور، سعيد عبد الفتاح. (د.ت): الجهاد الإسلامي ضد الصليبيين في العصر الأيوبي، القاهرة، د.ط، ص 279؛ غنيم. (1989م): الحملة الصليبية الرابعة، ص 57-58.

³ - غنيم. (1989م): الحملة الصليبية الرابعة، ص 59.

Pears. (1987.A.D): Story Of The Fourth Crusade, p.228.

⁴ - بلدوين دي فلاندر: ولد عام (567هـ/1171م) في فالنسيان valnsian، كان كونت هينو Heno، وكونت فلاندر، أصبح بعد غزو القسطنطينية أول امبراطور لاتيني في القسطنطينية عام (601هـ/1204م)، أسر من قبل حنا الثاني كالوجان Hana II galojan ملك البلغار عام (602هـ/1205م) الذي هب لمساعدة البيزنطيين، مات عام (602هـ/1205م).

Choniates. (1984.A.D): Annals, p.328.=

خبرة فرسان فرنسا، مما منحها صبغة فرنسية، كما انضم إليها أيضاً محاربون من إنكلترا وألمانيا وصقلية، وتسلم قيادة هذه الحملة القائد⁽¹⁾ ثيبوت كونت شامبي وبري Thibout Count Of Champangne and Brie⁽²⁾، وتم عقد اجتماع من قبل القادة الصليبيين المشاركين في الحملة الصليبية الرابعة لتحديد هدف الحملة وفي هذا الاجتماع لم يعلنوا عن تحديدهم للهدف بحجة أن عدد الصليبيين لم يكتمل وليس كافياً لتحديد الوجهة الأساسية للحملة وهذه الحجة غير المقنعة تم طرح التساؤل التالي هل عدم كفاية عدد الجند يمنع القادة من تحديد هدف وجهتهم الأساسية، أم القادة الصليبيين كانوا يدبرون خطة في السر بالاتفاق مع البندقية حليفهم الجديدة؟ وهل كانت الخطة التي يدبرونها في الخفاء هي تحديد القسطنطينية ذات الكنيسة الأرثوذكسية على أنها هدف رئيس للحملة للاستيلاء عليها وتأسيس حكم لاتيني فيها، وإخضاع كنيستها لسلطة البابوية؟ في الحقيقة لم يعلن الصليبيون عن وجهتهم بشكل واضح وسوغوا ذلك بحجج واهية وغير مقنعة⁽³⁾ على أي حال بعد هذا الاجتماع، قرر الصليبيون الإعلان عن هدف حملتهم وتم تحديد مصر أنها هدف الحملة الصليبية الرابعة⁽⁴⁾، وبعد تحديد هدف الحملة تعرض الصليبيون لعائق هو عدم توفر سفن بحرية تنقل المحاربين إلى مصر، وتم تجاوز هذا العائق بوجود أسطول البندقية وهو أضخم أسطول تجاري امتاز بمكانة تجارية هامة مع إمكانية استخدامه أسطولاً حربياً أيضاً⁽⁵⁾ وقرر فرسان الحملة ارسال وفد إلى البندقية وحدثت مفاوضات بين الوفد المرسل من قبل فرسان الحملة الصليبية الرابعة ودوق البندقية⁽⁶⁾

=الريبي. (د.ت): موقف الإمبراطورية البيزنطية من قادة الحملات الصليبية، ص 419.

¹ - فيلهاردين. (1995م): الاستيلاء على القسطنطينية، الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية، تأليف وتقديم وترجمة سهيل زكار، دمشق، ج 10، ص 32؛ غنيم. (1989م): الحملة الصليبية الرابعة، ص 60.

Longnon. (1949.A.D): Le, empire laten de Constantinople, p.22.

² - ثيبوت كونت شامبي: هو ابن اخ ريتشارد قلب الاسد، وابن أخت فيليب أغسطس، وشقيق لهنري كونت شامبانيا، وبعد من كبار الأمراء وأول المشاركين في الحملة الصليبية الرابعة، تم تعيينه قائداً للحملة الرابعة عام (597هـ/1200م) ومات قبل مسير الحملة الصليبية الرابعة عام (589هـ/1201م). جيون، أنوارد. (1997م): اضمحلال الإمبراطورية الرومانية وسقوطها، تر: محمد سليم سالم وآخرون، القاهرة، د.ط، ج 3، ص 212؛ رنسيما. (د.ت): تاريخ الحروب الصليبية، ج 3، ص 195؛ علي. (2002م): موقف بيزنطة من الغزو الصليبي، ص 181.

³ - عبد الهادي. (2011م): الاستيلاء الصليبي على القسطنطينية، ص 67-68.

⁴ - روبرت دي كلاري. (1995م): سقوط القسطنطينية بيد الصليبيين، الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية، تأليف وتقديم وترجمة سهيل زكار، دمشق، د.ط، ج 10، ص 205.

⁵ - Pears. (1987.A.D): Story Of The Fourth Crusade, p.231

⁶ - فيلهاردين. (1995م): الاستيلاء على القسطنطينية، من خلال الموسوعة الشامية، ج 10، ص 35؛ زيتون. (1980م): العلاقات السياسية والكنسية، ص 295؛ غنيم. (1989م): الحملة الصليبية الرابعة، ص 61.

هنري داندلو Henry Dandol (589-602هـ/1193-1205م)⁽¹⁾ وأسفرت المفاوضات عن اتفاق الطرفين على توفير البندقية السفن اللازمة لنقل المقاتلين من المشاة والفرسان والسفن أيضاً لنقل الخيول، بالإضافة إلى تقديم البندقية المؤن اللازمة لرجال الحملة وخيولهم، وتم تحديد مدة الدعم والمساعدة التي تقدمها البندقية بتسعة أشهر، بالمقابل تعهد الصليبيون بدفع أربع مراكات عن كل خيل وماركين عن كل مقاتل بالإضافة إلى امتلاك البندقية نصف ما تكسبه الحملة سواء في البر أو في البحر⁽²⁾، وكانت ردة فعل البابا أنوسنت الثالث من هذه المفاوضات ونتائجها يعترضها القبول والرضى، كما أثنى على موقف البنادقة الداعم لإعانة الحملة الصليبية الرابعة في تحقيق أهدافها⁽³⁾، في هذه الأثناء خسرت الحملة الصليبية الرابعة قائدها، فقد مات الكونت ثيوت، وقرر بعدها فرسان الحملة الرابعة الاجتماع وتعيين قائد جديد لحملتهم، وبعدها تم اختيار⁽⁴⁾ بونيفاس دي مونتفات Boniface De Montferrat⁽⁵⁾، وتم تسليمه شارة الصليب وفي عام (599هـ/1202م) توجه الصليبيون إلى جزيرة تابعة للبندقية، ليعسكروا فيها، عندها بدأت مطالب هنري داندلو المستمرة والمتكررة بالحصول على المبالغ المترتبة على الصليبيين

¹ - هنري داندلو: دوق البندقية، وكان رجلاً عند قيام الحملة الصليبية الرابعة طاعناً في السن، وقد تجاوز الستين عام، امتاز بكرمه الشديد لبيزنطة، تولى دوقية البندقية عام (589هـ/1193م)، دخل في مفاوضات مع بيزنطة حول تجديد الامتيازات التجارية، وكان له دور كبير في توجيه الحملة الصليبية الرابعة نحو القسطنطينية ليدعم أهدافه ومصالحه السياسية والاقتصادية، مات عام (602هـ/1205م)، ودفن في احتفال مهيب في كنيسة أيا صوفيا. الربيعي. (د.ت): موقف الإمبراطورية البيزنطية من قادة الحملات الصليبية، ص 419؛ رنسيان. (د.ت): تاريخ الحروب الصليبية، ج 3، ص 208.

² - فيلهاردن. (1995م): الاستيلاء على القسطنطينية، من خلال الموسوعة الشامية، ج 10، ص 37-38؛ رنسيان. (د.ت): تاريخ الحروب الصليبية، ج 3، ص 205.

Nicole(d). (1966.A.D): The Fourth Crusade And Greek And Latin Empire 1204-1266, in C.M.H, ED, Hussey, Cambridge, vol IV, part 1, pp.277-278.

³- Tessier(jules). (1884.A.D): La Quatrieme Croisade, la diversion sur zara and Constantinople, LA roux, Paris, p. 110

⁴ - زيتون. (1980م): العلاقات السياسية والكنسية، ص 269؛ غنيم. (1989م): الحملة الصليبية الرابعة، ص 65-66.

⁵ - بونيفاس مونتفات: تم تعيينه قائد الحملة الصليبية الرابعة بعد موت ثيوت عام (598هـ/1201م)، كانت تربطه صلة قرابة مع فيليب السوابي ملك المانية، فقد كان والد بونيفاس متزوجاً من صوفيا Sophia ابنة فردريك بربروسا، وهي أخت غير شقيقة لفيليب السوابي، وقد اسهم ت عائلة مونتفات بدور كبير في الحروب الصليبية، اشتهر بونيفاس بالشجاعة في القتال، وكان بلاطه في مونتفات مزدحماً بالفنانين والشعراء، مات عام (604هـ/1207م) على يد البلغار. رنسيان. (د.ت): تاريخ الحروب الصليبية، ج 3، ص 202؛ عبده، محمد عبد المنعم محمد. (2019م): علاقة البابا أنوسنت الثالث بالإمبراطورية اللاتينية في القسطنطينية 1204-1216م، مركز البحوث والدراسات التاريخية، كلية الآداب، جامعة القاهرة، المقالة 6، العدد 31، ص 279.

Longnon. (1949.A.D): Le, Empire Latin De Constantinople, p.98.

مقابل استخدامهم أسطوله للوصول إلى الشرق، لكن الصليبيين لم يمتلكوا إلا نصف المبلغ المطلوب⁽¹⁾، وعد هنري داندلو هذا التصرف نوعاً من المراوغة والكذب، وهدد الصليبيين بكل سخط وغضب أنه سوف يتركهم في الجزيرة يلاقون مصيرهم دون مؤن بحال لم يلتزموا بشروط الاتفاق الذي تم بين الطرفين عام (598/1201م)، ودفع ما يترتب عليهم من مال⁽²⁾، وقد سوغ حدة تصرفه مع الصليبيين بحجم الخسارة المادية التي تعرض لها التجار البنادقة، ولاسيما أنه قد أجبر جميع سكان البندقية على التفرغ الكامل لتجهيز أسطول حربي لنقل المحاربين الصليبيين، وهذا العمل دام أكثر من عام مما سبب للبنادقة خسائر مالية ضخمة⁽³⁾، وسعى الصليبيون بأقصى جهدهم لجمع المال للدوق هنري لكن على الرغم من جهودهم تبقى 36 ألف مارك لم يستطيعوا جمعها، لكن بذكاء داندلو ودهائه استغل هذا الموقف لصالحه وسعى بأقصى جهده للاستفادة من الحملة الصليبية الرابعة لتحقيق غاياته ومصالحه السياسية، والاقتصادية، وفاوض الصليبيين لتقديم الدعم اللازم له في احتلال⁽⁴⁾ مدينة زارا zara⁽⁵⁾ مقابل إعطاء الصليبيين الوقت الكافي لجمع المبلغ المترتب عليهم، وقد أوضح هنري داندلو للصليبيين بثناء مدينة زارا وغناها، مما أشعل طمع الصليبيين لهذه الثروات، ونجح داندلو في إغراء الصليبيين بثروات زارا، وحصل على موافقة وتأييد من فرسان وأمراء الحملة الصليبية الرابعة، وتم لداندلو الاستيلاء على زارا في (ذو القعدة 599هـ/ تشرين الثاني - 1202م)، وتم قتل عدد كبير من أهل زارا المسيحيين من قبل الصليبيين والبنادقة بعد سلب ونهب

¹ - روبرت دي كلاري.(1995م): سقوط القسطنطينية بيد الصليبيين، من خلال الموسوعة الشامية، ج10، ص208؛ فيلهاردين.(1995م): الاستيلاء على القسطنطينية، من خلال الموسوعة الشامية، ج10، ص51؛ غنيم.(1989م): الحملة الصليبية الرابعة، ص67-69.

Longnon: Le, empire Latin de Constantinople, p.30.

² - زيتون.(1980م): العلاقات السياسية والكنسية، ص296.

Tessier.(1884.A.D): La Quatrieme croisade, p.123.

³ - روبرت دي كلاري.(1995م): سقوط القسطنطينية بيد الصليبيين، من خلال الموسوعة الشامية، ج10، ص258-259.

Tessier.(1884.A.D): La Quatrieme croisade, p.123.

⁴ - غنيم.(1989م): الحملة الصليبية الرابعة، ص67-69.

Nicol.(1966.A.D): The Fourth Crusade And Greek, vol 4, p.278. Pears.(1987.A.D): Story Of The Fourth Crusade, p.247-248.

⁵ - زارا: مدينة كرواتية تقع على الساحل الإدياتيكي في مقاطعة دالماشيا، وكانت تعد من أهم المراكز التجارية بالنسبة للبندقية، وقد سيطر عليها المجر عام (582/1186م) وسعى البنادقة جاهدين لأخذها لكن لم يفلحوا. الربيعي.(د.ت): موقف الإمبراطورية البيزنطية من قادة الحملات الصليبية، ص490؛ عبده.(2019): علاقة البابا أنوسنت الثالث بالإمبراطورية اللاتينية في القسطنطينية، ص297.

Vasiliev.(1971.A.D): History Of The Byzantine Empire, vol II, pp.454-455.

المدينة وتوزيع الغنائم فيما بينهم⁽¹⁾، وكانت ردة فعل البابا أنوسنت الثالث من احتلال زارا عنيفة وعد ذلك انحراف للحملة عن هدفها الجوهري وهو التوجه إلى مصر⁽²⁾، ولعل ردة فعل البابا القاسية والمليئة بالغضب عائدة إلى تجاهل قائد وفرسان الحملة الصليبية الرابعة وجود البابا وعدم مفاوضته بهذه المسألة، ولعله لم يفكر مجرد تفكير بالأذى والظلم والقتل الذي حل بمسيحي زارا بسبب هذا العدوان، وإنما غضب لأن القرار لم يصدر بعد موافقته ومشورته. لذلك أعلن البابا قراراً رسمياً بحرمان جميع أفراد الحملة الصليبية الرابعة⁽³⁾، لذا قرروا مفاوضة البابا والتماس العذر منه وإلغاء قرار الحرمان عنهم؛ وأرسلوا وفداً يمثلهم ليتيم من خلاله التفاوض مع البابا أنوسنت الثالث⁽⁴⁾، ووافق البابا على رفع قرار الحرمان عن الصليبيين وشموله على البنادقة فقط، مسوغاً ذلك بأنه يعلم أن الخطأ الذي صدر بانحراف الحملة صوب زارا هو خطأ البنادقة فقط⁽⁵⁾.

ويتبين مما سلف إهمال وتجاهل البابا دور الصليبيين في التوجه إلى بلد مسيحي وقتل أهلها المسيحيين الأبرياء، وتقصيره في معاقبة الصليبيين المذنبين، سيعطي الصليبيين الشجاعة والدافع لينحرفوا في الحملة مرة ثانية صوب القسطنطينية والاستيلاء عليها، بالتالي يكون البابا يتهاونه مع الصليبيين، قد قام بدور كبير وفعال في انحراف الحملة الصليبية الرابعة نحو القسطنطينية والاستيلاء عليها، ولعل هذا التهاون والتقصير في العقاب يعدّ رسالة مبطنة من البابا للقادة الصليبيين يشجعهم فيها في التقدم نحو القسطنطينية، وليس نحو مصر،

¹ - فيلهاردين. (1995م): الاستيلاء على القسطنطينية، من خلال الموسوعة الشامية، ج 10، ص 59-60.

Choniates. (1984.A.D): **Annals** p.296.

رنسيما. (د.ت): تاريخ الحروب الصليبية، ج 3، ص 207؛ غنيم. (1989م): الحملة الصليبية الرابعة، ص 71-72.

² - روبرت دي كلاري. (1995م): سقوط القسطنطينية بيد الصليبيين، من خلال الموسوعة الشامية، ج 10، ص 261؛ غنيم. (1989م): الحملة الصليبية الرابعة، ص 72.

Setton (K). (1976.A.D): **The Papacy And Levant 1204-1571 The American philosophical society**, philade lphia, vol I, p.8.

³ - رنسيما. (د.ت): تاريخ الحروب الصليبية، ج 3، ص 208.

Nicol. (N.D): **The Fourth Crusade**, pp.280-281.

⁴ - روبرت دي كلاري. (1995م): سقوط القسطنطينية بيد الصليبيين، من خلال الموسوعة الشامية، ج 10، ص 212؛ فيلهاردين. (1995م): الاستيلاء على القسطنطينية، من خلال الموسوعة الشامية، ج 10، ص 65-66.

Nicol. (N.D): **The Fourth Crusade**, pp.280-281

⁵ - رنسيما. (د.ت): تاريخ الحروب الصليبية، ج 3، ص 210؛ عبده. (2019م): علاقة البابا أنوسنت الثالث بالإمبراطورية اللاتينية في القسطنطينية، ص 260؛ غنيم. (1989م): الحملة الصليبية الرابعة، ص 72.

وبالتالي تكون خطة البابا المتقنة تسير على أكمل وجه من حيث تشجيعه المبطن لجنوده الصليبيين بتقدم بالحملة نحو القسطنطينية من جهة، وإبعاد المسؤولية عن البابوية وإلقاءها على البندقية ودوقها من جهة ثانية.

في الوقت الذي كانت فيه الحملة الصليبية الرابعة تقوم بانحرافها الأول عن هدفها المنشود وهو مصر

حدثت في القسطنطينية جملةً من الأحداث الهامة وهي: وصول⁽¹⁾ ألكسيوس الرابع Alexios IV (600-

601/1203-1204م)⁽²⁾ نجل الإمبراطور إسحق الثاني أنجيلوس المخلوع إلى ألمانيا عند صهره فيليب من

سوابيا لكي يطلب المدد والمساعدة في استعادة عرشه وشرعيته في القسطنطينية⁽³⁾.

في الحقيقة كان هناك نوع من التواصل بين إسحق أنجيلوس واللاتين الذين وعدوه بتقديم العون له

ليستعيد حقه في حكم القسطنطينية، كما طلب ذات الطلب من صهره فيليب الذي كان على تواصل معه أيضاً،

كما اسهم ت ابنة إسحق أنجيلوس بدور كبير في إقناع زوجها الملك فيليب من سوابيا في تقديم المدد والمساعدة

لوالدها لاستعادة عرشه⁽⁴⁾، الذي أرسل سفراءه إلى الصليبيين ليتم الاتفاق فيما بينهم عن إمكانية مد يد العون

والمساعدة لألكسيوس الرابع ليستعيد عرشه في القسطنطينية، مقابل تعهدات ضخمة قدمها للصليبيين أهمها:

تقديم مبلغ هائل من المال للصليبيين، وتأمين خمسمئة فارس بيزنطي للمشاركة بالحملة الصليبية الرابعة ضد

مصر، بالإضافة إلى تأكيد ألكسيوس على وضع الإمبراطورية البيزنطية وكنيستها تحت سلطة البابوية، وكنيسة

روما وحكمها⁽⁵⁾

¹ - زيتون. (1980م): العلاقات السياسية والكنسية، ص298.

² - ألكسيوس الرابع: هو ابن الإمبراطور إسحق الثاني أنجيلوس الذي سجن بالقسطنطينية عقب الانقلاب الذي قام به عمه ألكسيوس الثالث سنة (593هـ/1195م)، استطاع ألكسيوس الرابع الهرب إلى الغرب اللاتيني عام (598هـ/1201م) ليطلب المساعدة من صهره فيليب السوابي وقادة الحملة الصليبية الرابعة، ليستعيد عرشه في القسطنطينية، وتم تعيينه إمبراطور على القسطنطينية عام (600هـ/1203م) لكن أثبت عجزه في الاحتفاظ بعرشه وقامت ثورة ضده في القسطنطينية بقيادة ألكسيوس الخامس دوكاس الذي تسلم الحكم وقتل ألكسيوس الرابع عام (601هـ/1203م). نيكول. (2003م): معجم التراجم البيزنطية، ص74.

³ - Choniates. (1984.A.D): Annals, pp.292-294.

عمران. (2002م): الإمبراطورية البيزنطية وحضارتها، ص292.

⁴ - Choniates. (1984.A.D): Annals, pp. 292-294.

⁵ - فيلهاردن. (1995م): الاستيلاء على القسطنطينية، من خلال الموسوعة الشامية، ج10، ص61-62؛ جيبون. (1997م): اضمحلال الإمبراطورية الرومانية، ج3، ص223؛ الربيعي. (د.ت): موقف الإمبراطورية البيزنطية من قادة الحملات الصليبية، ص490؛ رنسيان. (د.ت): تاريخ الحروب الصليبية، ج3، ص203-204؛ زيتون. (1980م): العلاقات السياسية والكنسية، ص297؛ فشر. (1969م): أوروبا في العصور الوسطى، ج1، ص245=.

ومن الطبيعي أن تطرب مسامع البابا، ويرحب بكل رضى وقبول بهذا العرض الذي كثيراً ما حلم هو ومن قبله من البابوات إخضاع كنيسة القسطنطينية وبطريكها لسلطة كنيسة روما والبابوية ونفوذها، وبذلك حقق أنوسنت الثالث مسعاه الذي عمل من أجله منذ لحظة وصوله إلى منصب البابوية⁽¹⁾، وهذا العرض حقق مساعي البابوية وإدعاءاتها في زعامة الكنائس المسيحية في العالم المسيحي من خلال توحيد الكنيستين الشرقية والغربية تحت سلطتها ونفوذها بعد قطيعة عام (445هـ/1054م)⁽²⁾ وقبول البابا لهذه العروض تحمل بعداً دينياً لتأثره بالشقاق الديني العظيم، وتؤكد استغلال البابا أنوسنت الظروف السياسية داخل الإمبراطورية البيزنطية لينفذ خطته المعدة مسبقاً بتوجيه الحملة نحو القسطنطينية، وإبعاد أي مسؤولية كانت عن عاتق البابوية وإلقائها تارَةً على البندقية ودوقها، وتارةً على ألكسيوس الرابع وظروفه السياسية داخل إمبراطوريته.

في الحقيقة كانت كل الأطراف المشاركة بالحملة مستفيدة من فكرة حرق الحملة الصليبية نحو القسطنطينية بحجة مساعدة الإمبراطور ألكسيوس الرابع بما فيهم قادة الحملة الصليبية الرابعة وحليفهم البندقية، التي عدت هذا الانحراف فرصة مناسبة للحد من نفوذ الإمبراطورية البيزنطية وسطوتها، وتحقيق مصالحها التجارية فيها والثأر من اعتداء البيزنطيين على البنادقة عام(567هـ/1171م) ومجازر عام (578هـ/1182م)، ولاسيما أن أحداث عام(567هـ/1171م) أدت إلى عرقلة المصالح التجارية للبندقية داخل الإمبراطورية البيزنطية، ولاسيما أن الأباطرة البيزنطيين لم يفوا بتعهداتهم مع البنادقة بدفع تعويضات مالية عن أحداث عام (567هـ/1171م). مما ولد مشاعر كبيرة من الحقد والكره للبيزنطيين، التي أثرت بدورها على تأجيج فكرة الانتقام في نفوس البنادقة⁽³⁾ في الحقيقة قد اسهمت العلاقة التجارية القوية التي جمعت البنادقة مع مصر بدور فعال في رغبة البنادقة في توجيه الحملة الصليبية الرابعة نحو القسطنطينية، لعل ما يؤكد ذلك المعاهدة التجارية التي عقدتها البندقية مع السلطان الأيوبي التي تزامنت مع تعهداتها للصليبيين بخصوص تأمين أسطول بندقية لضخم لينقل المحاربين الصليبيين إلى

=Nicol.(N.D): **The Fourth Crusade**, p.278. Pears.(1987.A.D): **Story Of The Fourth Crusade**, pp.273-275.

¹ -عاشور.(1971م): **الحركة الصليبية**، ج2، ص735؛ عبده.(2019م): **علاقة البابا أنوسنت الثالث بالإمبراطورية اللاتينية في القسطنطينية**، ص260.

² -عمران.(2002م): **الإمبراطورية البيزنطية وحضارتها**، ص292.

³ -رنسيما.(د.ت): **تاريخ الحروب الصليبية**، ج3، ص209.

مصر، لكن تفكيرها بحجم الأرباح المادية التي ستجنيها من خلال التقارب التجاري مع الأيوبيين في مصر جعلها تعمل بجد وذكاء لتتحكم بمسير الحملة الصليبية الرابعة وتوجهها نحو القسطنطينية، بالتالي تكون قد أبعدت الخطر عن مصر التي ترتبط معها بمعاهدة تجارية مربحة، ووجهتها نحو الإمبراطورية البيزنطية التي تكن لها الكره والعداء⁽¹⁾. ويتبين مما سلف أن فكرة الانحراف بهدف الحملة نحو القسطنطينية كانت تحقق مصالح البنادقة، وتنفذ أهداف البابوية وخططها التي سعى إليها البابا أنوسنت منذ تسلمه المنصب البابوي في السيطرة على كنيسة القسطنطينية المهرطقة في نظر اللاتين⁽²⁾، وتؤكد نظرية دور البابا أنوسنت في استغلال الظروف لتنفيذ خطته في توجيه الحملة نحو القسطنطينية مستغلاً كره البندقية للإمبراطورية البيزنطية وجشعها في كسب الأرباح والمعاهدات التجارية، ليلقي المسؤولية عليها، ويحمي البابوية وسمعتها من توجه جنود البابا نحو بلد مسيحي والاستيلاء عليه. دُكر في الفصول السالفة محاولات اللاتين المتكررة في الحملات الصليبية السالفة في الهجوم على القسطنطينية، وقد أخفقت هذه المحاولات، لكن في الحملة الصليبية الرابعة الأمر اختلف وكانت المحاولة ناجحة ومؤيد لها من قبل جميع الأطراف، ولاسيما أن الأمير البيزنطي هو من طلب من الصليبيين مهاجمة القسطنطينية لتحقيق أطماعه في العرش، متغافلاً عن الأطماع المضاعفة والضخمة التي سيحققها الصليبيون من وراء هذا الهجوم، من سلب ونهب والتخلص من الالتزامات المالية التي يجب دفعها للبنادقة، ومقدماتاً فرصة ذهبية كثيراً ما حلم بها اللاتين والبابوية بالتحديد⁽³⁾، وبناءً على ما سلف أعلن القائد العام للحملة بونيفاس دي مونتقرات قراره بالهجوم على مدينة القسطنطينية؛ مسوغاً حرف الحملة نحو القسطنطينية لتقديم العون للأمير ألكسيوس الرابع وإعادته إلى عرشه المسلوب⁽⁴⁾.

ولكن هذا المسوغ يستتر خلفه السبب الحقيقي للهجوم على القسطنطينية، وهو الحقد والكره للبيزنطيين الارثوذكس العائد إلى الخلاف الديني ما بين كنيسة روما وكنيسة القسطنطينية. ودليل ذلك ما كتبه المصادر اللاتينية عن دوافع هذا الهجوم الحقيقية، وهي أن كنيسة بيزنطة مهرطقة ومتمردة ضد مكانة وسلطة البابا ومنحرفة

¹ -رنسيما. (د.ت.): تاريخ الحروب الصليبية، ج3، ص209.

² - عبده. (2019م): علاقة البابا أنوسنت الثالث بالإمبراطورية اللاتينية في القسطنطينية، ص260-261.

³ - عبد الهادي. (2011م): الاستيلاء الصليبي على القسطنطينية، ص105.

⁴ - غنيم. (1989م): الحملة الصليبية الرابعة، ص80.

عن قانون الإيمان والعقيدة المسيحية الصحيحة، هذا جعل سيد الكنائس بابا روما يحمل الكره للقسطنطينية وكنيستها وشعبها⁽¹⁾، كما أشار رنسيمان أن رجال الدين والرهبان اللاتين المشاركين بالحملة الصليبية الرابعة شجعوا على فكرة الهجوم على القسطنطينية مسوغين ذلك بإمكانية إخضاع الكنيسة المنشقة والإغريق المنحرفين لسلطة كنيسة روما الكاثوليكية⁽²⁾، ويتضح مما سلف أن أثر الشقاق الديني هو الدافع وراء الهجوم على القسطنطينية وأن الكره الديني متشبع في قلوب اللاتين يوجه تصرفاتهم العدوانية تجاه الإغريق المنحرفين في نظرهم، ولعل هذه التصرفات تهدئ رغبة الانتقام التي في داخلهم.

في الحقيقة كان لتهاون البابا في رفع العقوبة بعد انحراف زارا عن الصليبيين دوراً كبيراً في إعطائهم تشجيعاً كبيراً من البابوية للمسير نحو القسطنطينية، ولأسيما بعد كلمات البابا المشجعة والداعمة لتوحيد صف الصليبيين ليتمكنوا من خدمة الله، ولكي يتم للصليبيين تحقيق أطماعهم تكتموا عن خبر قصر العقوبة والحرمان على البنادقة ورفعها عن الصليبيين⁽³⁾

وفي الواقع كان هناك خطة مدبرة ومحكمة بين البابوية والصليبيين في توجه الحملة نحو القسطنطينية منذ البداية، وبذلك يكون البابا قد رسم خطة مزدوجة وهي التظاهر في رفع كامل المسؤولية في انحراف زارا عن الصليبيين وتحمله للبنادقة فقط وقصر العقوبة عليهم، وتشجيع الصليبيين بدعمه لتصرفاتهم العدائية ضد البيزنطيين والهجوم على عاصمتهم بطريقة مستترة وغير مباشرة من خلال تهاونه في فرض العقوبة عليهم، أو حتى ردعهم عن انحرافهم الأول نحو زارا المدينة المسيحية، بالتالي سيكون البابا على علم تام بتوجه الحملة نحو القسطنطينية، وينتظر سماع هذه الأخبار ليرحب بها البابا وهذا سببه الخلاف الكنسي الذي أثر على مشاعر اللاتين حيال كل ما هو بيزنطي.

وتوجهت الحملة الصليبية الرابعة إلى مدينة دوروز Dorozo معها الأمير ألكسيوس الرابع، الذي قوبل

بالترحاب من قبل أهلها، وحلفوا له يمين الطاعة والتبعية، واستمرت الحملة في مسيرها نحو مدينة خلقيونية

¹ - عبيد. (1970م): روما وبيزنطة، ص339.

² - رنسيمان. (د.ت.): تاريخ الحروب الصليبية، ج3، ص211.

³ - Pears. (1987.A.D): Story Of The Fourth Crusade, p.288.

صامة اذانها عن نجدات وطلبات المدد السريع من قبل الصليبيين في سوريا لإنقاذهم من الأخطار المحدقة بهم⁽¹⁾

وكل ذلك بدافع الخلاف الديني الذي أعمى بصرهم، وأصم أذانهم عن هدفهم الحقيقي، وأصرروا على التوجه إلى القسطنطينية بحجة إعادة ألكسيوس الرابع إلى عرشه، وفي مدينة خلقيدونية بدأ الصليبيون مشوارهم العدواني على البيزنطيين المسيحيين من سلب ونهب وتدمير كل ما يقع تحت أيديهم، وهنا حاول الإمبراطور البيزنطي ألكسيوس الثالث مواجهة هذا العدوان الصليبي بالدبلوماسية والسياسة، فسعى لمفاوضة القادة الصليبيين، واطر لهم رسالة فيها شيء من الود والتبجيل للبلد الذي جاء منه اللاتين وللجنس اللاتيني ككل، وأكد لهم مكانتهم الكبيرة، موضحاً دهشته من هجومهم على بلاده المسيحية، وهم مسيحيون أيضاً، وحيادهم عن بيت المقدس، وعرض الإمبراطور ألكسيوس الثالث المال على الصليبيين مقابل الابتعاد عن عاصمته وبلاده، وبحال رفضهم هذا العرض سيواجههم بالقوة⁽²⁾، وبما أن اللاتين مشبعون بالكره والحقد على البيزنطيين فإن أي لاتيني عادي ممكن أن يغضب لأي مواجهة لاعتداءاتهم المسوغة في نظرهم، لذلك ثار أحد شعراء اللاتين بكل غضب ضد رسالة ألكسيوس الثالث وبدأ بنعت ألكسيوس بعدم شرعية حكمه لأنه مغتصب للعرش من صاحبه الشرعي ألكسيوس الرابع، ولاسيما بعد مناداة قادة الحملة الصليبية الرابعة، أمام أهالي العاصمة أن ألكسيوس الرابع هو الحاكم الشرعي للإمبراطورية البيزنطية، لكن الأهالي تجاهلوا ما سمعوا من الصليبيين⁽³⁾

في الحقيقة يعدّ تصرف الصليبيين تدخل واضح في شؤون الإمبراطورية البيزنطية، بالتالي يعد حرباً

واضحة ضد الحكومة البيزنطية.

¹ - Choniates.(1984.A.D): **Annals**, p.279

غنيم.(1989م): الحملة الصليبية الرابعة، ص82.

² - روبرت دي كلاري.(1995م): سقوط القسطنطينية بيد الصليبيين، من خلال الموسوعة الشامية، ج10، ص237؛ فيلهاردين.(1995م): الاستيلاء على القسطنطينية، من خلال الموسوعة الشامية، ج10، ص77؛ عبيد: روما وبيزنطة، ص331؛ علي.(2002م): موقف الإمبراطورية البيزنطية من الغزو الصليبي، ص186.

³ - Choniates.(1984.A.D): **Annals**,p.296.

غنيم.(1989م): الحملة الصليبية الرابعة، ص91.

وحاصر الصليبيون القسطنطينية، بتشجيع ودعم مضاعف من الأساقفة اللاتين المشاركين بالحملة التي كان حماسهم كبيراً جداً، وسرعان ما تمكنوا من السيطرة على قلعة تتحكم في مدخل ميناء القسطنطينية، وتم شن غارات عنيفة على المدينة من الجهة البرية، والجهة البحرية معاً، فقد وقعت معركة عنيفة بين اللاتين والبيزنطيين خسر على أثرها البيزنطيون عدة أبراج هامة من أبراج العاصمة⁽¹⁾ ولم يكن هناك أي تدابير عسكرية لمواجهة اللاتين من جانب الإمبراطور البيزنطي ألكسيوس الثالث، فقد تميز بالبلادة والتقاعد وحبه للبخ والمال⁽²⁾، ودليل ذلك قيامه بجمع ما استطاع من مجوهرات وأموال وكنوز نفيسة، وهرب من القسطنطينية، وتركها تواجه مصيرها المجهول، لكن الفئة الشعبية في القسطنطينية حاولت إنقاذ مدينتها من الدمار والفوضى، من خلال إطلاق سراح إسحق أنجيلوس، وإعادته للعرش، وسارع إسحق بمراسلة الصليبيين يخبرهم بأنه استعاد عرشه⁽³⁾، وبعد التفاوض بين الصليبيين وإسحق الثاني أنجيلوس والتأكد من تأييده وموافقه على العهود التي قدمها ابنه الأمير ألكسيوس الرابع لهم لقاء تقديم العون له لاستعادة عرشه، التي كان أهمها خضوع الإمبراطورية البيزنطية لسلطة روما وكنيستها، والالتزام بدفع 200 ألف مارك فضي، سمح الصليبيون لألكسيوس الرابع من دخول العاصمة، كما أيدوا تنصيبه إمبراطوراً مشاركاً في العرش مع والده إسحق الثاني أنجيلوس عام (600هـ/1203م) وعندها طالبه الصليبيون بالوفاء بتعهداته معهم، لكنه حاورهم في مسألة منحه عاملاً كاملاً حتى يستطيع جمع المبلغ المترتب عليه، مقابل تحمل نفقات الصليبيين بشكل تام طوال هذا العام، وقبل الصليبيون اقتراح ألكسيوس الرابع بكل ترحيب⁽⁴⁾ وبعد سماح الصليبيين بمشاركة ألكسيوس الرابع الحكم على أنه

¹ - روبرت دي كلاري. (1995م): سقوط القسطنطينية بيد الصليبيين، من خلال الموسوعة الشامية، ج10، ص241؛ فيلهاردين. (1995م): الاستيلاء على القسطنطينية، من خلال الموسوعة الشامية، ج10، ص81-88.

Choniates. (1984.A.D): Annals, p.298. Nicol. (N.D): The Fourth Crusade, vol4, p.282.

² - Choniates. (1984.A.D): Annals, p.299.

³ - Choniates. (1984.A.D): Annals, p.299.

رنسيان. (د.ت): تاريخ الحروب الصليبية، ج3، ص213-214؛ عمران. (2002م): الإمبراطورية البيزنطية وحضارتها، ص293.
Pears. (1987.A.D): Story Of The Fourth Crusade, p.311. Setton. (1969.A.D): A History Of The Crusades, vol II, p.150

⁴ - فيلهاردين. (1995م): الاستيلاء على القسطنطينية، من خلال الموسوعة الشامية، ج10، ص92؛ رستم. (1988م) الروم، ج2، ص178؛ غنيم. (1989م): الحملة الصليبية الرابعة، ص93.

Nicol. (N.D): The Fourth Crusade, p.283. Setton. (1976.A.D): The Papacy And Levant, vol I, p.11

إمبراطور مع والده إسحق الثاني، قام ألكسيوس الرابع بمنح الصليبيين الحق بدخول العاصمة البيزنطية لزيارتها والتجول فيها، لكن فرض عليهم شرطاً بدخول كل مجموعة على حدة ويكون عددها محدداً لكي لا يثيروا الفوضى في المدينة⁽¹⁾، وكانت ردة الفعل الشعبي والرأي العام في الإمبراطورية البيزنطية غاضباً ومستكراً لسياسة ألكسيوس الرابع لا لأنه أرهقهم بالضرائب الباهظة فحسب، بل لأنه منح بعض ممتلكات، وأواني الكنيسة الأرثوذكسية الثمينة والمقدسة لدى البيزنطيين هدية للبنادقة، هذا التصرف أثار غضب كنيسة القسطنطينية ورجال الدين داخل المدينة، بالإضافة إلى ضعف إمكانية الإمبراطور ألكسيوس الرابع في ردع عدوان والنهب والفوضى الذي يتسبب به اللاتين داخل القسطنطينية، أو في ضواحيها.⁽²⁾ وهذا العدوان يؤكد على كره اللاتين للبيزنطيين ورغبتهم العارمة في الاستفادة من أي فرصة للانتقام منهم وكل هذا مدفوعاً بأثر الشقاق الكنسي.

وبعد هذا رافق قائد الحملة الصليبية الرابعة بونيفاس دي مونتفرت وبعض الأمراء الصليبيين الإمبراطور ألكسيوس الرابع في جولة لأنحاء الإمبراطورية، وفي أثناء انشغال الإمبراطور في جولته حدث نزاع عنيف بين اللاتين المقيمين داخل القسطنطينية والبيزنطيين الذين استنكروا وجود اللاتين وتحكمهم في مقاليد الحكم⁽³⁾؛ ونتج عن ذلك قيام بعض المجهولين بإشعال النار في المدينة، ووجد البيزنطيون صعوبة بالغة في إخمادها، وقد استمرت النار مشتعلة قرابة أسبوع كامل حتى امتدت إلى الأديرة والكنائس والأحياء الكنسية، وراح ضحيتها عدداً كبيراً من الاطفال والنساء⁽⁴⁾، ثار ألكسيوس الرابع غضباً على أثر أفعال اللاتين العدوانية والنتائج الكارثية التي خلفتها بعاصمته، وقرر تبديل سياسته حيال الصليبيين والتودد من شعبه الساخط، وكسب مشاعره⁽⁵⁾ وخاصة أنه على علم

¹ - روبرت دي كلاري.(1995م): سقوط القسطنطينية بيد الصليبيين، من خلال الموسوعة الشامية، ج10، ص248-249؛ رنسيان.(د.ت): تاريخ الحروب الصليبية، ج3، ص215.

Pears.(1987.A.D): Story Of The Fourth Crusade, p.314.

² - Choniates.(1984.A.D): Annals, pp.301-302.

علي.(2002م): موقف بيزنطة من الغزو الصليبي، ص185-186.

³ - غنيم.(1989م): الحملة الصليبية الرابعة، ص93-94.

⁴ - فيلهاردن.(1995م): الاستيلاء على القسطنطينية، من خلال الموسوعة الشامية، ج10، ص98-99.

Choniates.(1984.A.D): Annals, p.303.

رنسيان.(د.ت): تاريخ الحروب الصليبية، ج3، ص216؛ ويست.(1997م): الحروب الصليبية، ص144.

Nicol.(N.D): The Fourth Crusade, pp.282-283.

⁵ - غنيم.(1989م): الحملة الصليبية الرابعة، ص94.

تام بالكراهية التي يكنها شعبه للاتين بدافع الخلاف الكنسي وهو الدافع ذاته الذي حث اللاتين على إحراق القسطنطينية.

في الواقع ظهرت موجة من الاستياء الشعبي ضد سياسة إسحق الثاني وابنه الإمبراطور ألكسيوس الرابع المحابة للاتين، حتى وصلت لدرجة عدم احترام الشعب البيزنطي لحكامهم الذين منحوا اللاتين فرصة للتدخل في الشؤون الداخلية والسياسية لدولتهم⁽¹⁾، لذا قرر ألكسيوس الرابع تبديل سياسته حيال الصليبيين والتودد إلى شعبه الساخط، وكسب مشاعره⁽²⁾

ويتضح مما سلف أثر الخلاف الكنسي في كمية الحقد والكره في قلوب اللاتين ضد البيزنطيين من خلال إحراق المدينة، ونهبها والتسبب في قتل الأطفال والنساء البيزنطيين حرقاً، بالإضافة إلى التدخل في شؤون البلاط البيزنطي الداخلية والسياسية وما سينتج عنه من غزو القسطنطينية مسوغين ذلك بدوافع اقتصادية وسياسية، باعتباره واجهة لإخفاء الحقد الديني العائد إلى الشقاق العظيم عام (445هـ/1054م)، كما ظهر أثر الخلاف الديني في ردة فعل المؤرخ البيزنطي نيكيتاس الخونياتيس عندما وصف مشاعر الشعب البيزنطي الساخطة على ألكسيوس الرابع وأبيه بسبب تقاربهم من اللاتين، وفي غضب رجال الدين من منح ألكسيوس الرابع ممتلكات كنيسة القسطنطينية للبنادقة⁽³⁾.

¹ – Choniates.(1984.A.D): **Annals**, pp.305–306.

² – غنيم.(1989م): **الحملة الصليبية الرابعة**، ص94.

³ – Choniates.(1984.A.D): **Annals**, pp.303-306.

3- دور الخلاف الكنسي في حرف مسار الحملة الصليبية الرابعة إلى القسطنطينية

تأخر كثيراً ألكسيوس الرابع في إدراك حجم الخطأ الذي وقع فيه في منحه اللاتين الكارهين للبيزنطيين فرصة ذهبية للوصول إلى القسطنطينية التي كثيراً ما حلموا بالسيطرة عليها، والتنكيل بشعبها الأرثوذكسي والانتقام منهم لتهدئة حقدهم الدفين، وعندما أدرك حجم خطأه قرر تغيير سياسته تجاه اللاتين⁽¹⁾، بدأ الإمبراطور يعامل الصليبيين "بتعالٍ" كما أشار فيلهاردين، ولم يعد يذهب لمعسكرهم كما كان يفعل سالفاً، كما منع عنهم المنح والهدايا التي كان يقدمها باستمرار للصليبيين، وكان رد الصليبيين مليئاً بالتهديد والوعيد، فقد أرسلوا وفداً إلى ألكسيوس الرابع يحمل معه تهديداً صريحاً وعنيفاً ضده وضد والده، بأنهم سوف يستخدمون معهما القوة بحال لم يلتزموا بتعهداتهما⁽²⁾، وهنا فإن اللاتين تعدوا حدود الكره الديني، والسلب والنهب، والتدخل بشؤون الإمبراطورية السياسية والداخلية، حتى وصلوا إلى درجة تهديد الإمبراطور ذاته بداخل بلاطه الإمبراطوري بجرأة غير معهودة⁽³⁾، وكانت ردة فعل ألكسيوس الرابع على تهديد اللاتين الصريح له ولمكانته وعرشه مليئة بالغضب والشديد، فقد أكد للصليبيين أنه لن يدفع لهم المال المترتب عليه، ووجوب مغادرة بلاده، أو سوف يجعلهم يغادرون بالقوة⁽⁴⁾، وأراد معاقبة الوفد اللاتيني الذي تجرأ وهدد الإمبراطور، لكن الحرس الإمبراطوري أخفق في الإمساك بالوفد اللاتيني الذي نجا من الموت بأعجوبة⁽⁵⁾ حتى إن دوق البندقية هنري داندلو قابل ألكسيوس الرابع، وخاطبه بكلام خالٍ من اللباقة، وهدده بالحاق الأذى فيه عندما قال "نحن رفعناك من الوحل، ولكن في مقدورنا إغراقك فيه من جديد... إنني منذ هذه اللحظة فصاعداً سألحق بك الأذى بكل ما في قدرتي"⁽⁶⁾.

¹ - عبيد. (1970م): روما وبيزنطة، ص 339.

² - روبرت دي كلاري. (1995م): سقوط القسطنطينية بيد الصليبيين، من خلال الموسوعة الشامية، ج 10، ص 252؛ فيلهاردين. (1995م): الاستيلاء على القسطنطينية، من خلال الموسوعة الشامية، ج 10، ص 100؛ رنسيما. (د.ت): تاريخ الحروب الصليبية، ج 3، ص 218؛ غنيم. (1989م): الحملة الصليبية الرابعة، ص 94.

³ - غنيم. (1989م): الحملة الصليبية الرابعة، ص 96.

⁴ - روبرت دي كلاري. (1995م): سقوط القسطنطينية بيد الصليبيين، من خلال الموسوعة الشامية، ج 10، ص 254؛ رنسيما. (د.ت): تاريخ الحروب الصليبية، ج 3، ص 218.

⁵ - جيبون. (1997م): اضمحلال الإمبراطورية الرومانية وسقوطها، ج 3، ص 238.

⁶ - روبرت دي كلاري. (1995م): سقوط القسطنطينية بيد الصليبيين، من خلال الموسوعة الشامية، ج 10، ص 255-256.

ويتضح مما سلف أن قادة الحملة الصليبية الرابعة، قد خططوا لغزو القسطنطينية منذ البداية وساعدهم في ذلك الظروف الداخلية في الإمبراطورية البيزنطية وسياسة ألكسيوس حيالهم، واتخذوا من كل ما سلف مسوغاً لغزو القسطنطينية التي كانوا منذ خروجهم من الغرب الأوروبي يسعون لغزوها.

وبدأ النزاع بين الصليبيين المعتدين والبيزنطيين المدافعين عن عاصمتهم بشتى الوسائل، فقد قاموا بضرب النار على سفن اللاتين الذين أُنابهم الهلع بعد رؤية النار تشتعل في السفن، ولكن سرعان ما اكتشفوا أن النار لم تمس سفن اللاتين، وإنما طالت السفن البيزية فقط، وبعد إخفاق البيزنطيين في إلحاق الضرر بالسفن اللاتينية سعوا لإبعاد ألكسيوس الرابع عن العرش، وتقربوا من مستشار ألكسيوس الرابع وصهره، الذي عارض سياسته المحابية لللاتين وهو⁽¹⁾ مورزوفلوس Moursphlas (601هـ/1204م)⁽²⁾، لكن ما حصل لم يردع ألكسيوس الرابع من التودد مرة أخرى لللاتين لمساعدته ضد مورزوفلوس مقابل منحهم قصر⁽³⁾ بلاشيرين Blacheran⁽⁴⁾، لكن نجح مورزوفلوس بالإطاحة بحكم ألكسيوس الرابع، وتخلص منه عن طريق وضع القليل من السم في طعامه، ولم يستطع إسحق الثاني تحمل وقع الخبر، ومات بعد موت ابنه مباشرةً، وبذلك انفرد مورزوفلوس بالحكم، وقرر مواجهة الصليبيين والبنادقة والتخلص من سيطرتهم وخطرهم⁽⁵⁾ في الواقع كان موت ألكسيوس الرابع على يد مورزوفلوس مسوغاً قوياً بيد اللاتين لمواجهة الإمبراطور الجديد، والثأر لألكسيوس الرابع، وقد حيكت هذه الخطة بشكل محكمة

¹ - Choniates.(1984.A.D): Annals,p.307.

غنيم.(1989م): الحملة الصليبية الرابعة، ص96.

Nicol.(N.D): The Fourth Crusade, p. 284. Pears.(1987.A.D): Story Of The Fourth Crusade, p. 388.

² - مورزوفلوس: تسلم الحكم بعد ثورة قامت ضد ألكسيوس الرابع وتسلم الحكم عام (601هـ/1204م)، ولقب بألكسيوس الخامس دوكاس بسبب كثافة حواجبه وبروزها الواضح، ودامت مدة حكمه أربعة أشهر، وكان يمثل الفرقة الناقمة والحاقد على اللاتين لذلك رفض الاستجابة إلى مطالب الصليبيين أأخذوا رفضه مبرر للاستيلاء على القسطنطينية بالقوة، وهرب ألكسيوس الخامس بعد دخول الصليبيين إلى القسطنطينية. نيكول.(2003م): معجم التراجم البيزنطية، ص74.

³ - Choniates.(1984.A.D): Annals, p.308.

⁴ - قصر بلاشيرين: من أهم قصور الإمبراطورية البيزنطية، بناه الإمبراطور مانويل كومنين، كانت جدرانه وأعمدته مغطسة بالذهب، وحتى العرش الموجود في القصر كان مصنوع من الذهب. غنيم.(1989م): الحملة الصليبية الرابعة، ص87.

⁵ - فيلهاردين.(1995م): الاستيلاء على القسطنطينية، من خلال الموسوعة الشامية، ج10، ص104-105.

Choniates.(1984.A.D): Annals, p. 311.

رنسيما. (د.ت): تاريخ الحروب الصليبية، ج3، ص218.

Ostrogorsky.(1998.A.D): History Of The Byzantine State, p.315. Pears.(1987.A.D): Story Of The Fourth Crusade, pp.329-330.

ووضعت بمسوغات واهية لغزو القسطنطينية، وهي الثأر لمقتل الإمبراطور البيزنطي الشرعي ألكسيوس الرابع، ولاسيما أن ألكسيوس الرابع كان خاضعاً لهم وقدم تنازلات كبيرة للاتين، وبموته لم يعد هناك فرصة للحصول على هذه التنازلات⁽¹⁾؛ لذلك سعوا لغزو القسطنطينية بتشجيع ودعم مندوبي البابا أنوسنت الثالث ورجال الدين المشاركين بالحملة الذين أكدوا ضرورة وجوب إخضاع البيزنطيين بالقوة لسلطة كنيسة روما والبابوية، وأن قتال البيزنطيين أمر موافق عليه من قبل رجال الدين المفوضين من قبل البابوية، وكل من يساهم في هذا القتال سيحصل على الغفران المقدس⁽²⁾، ويتبين مما سلف أن أثر الخلاف الديني واضح بردود وأفكار رجال الدين وأن سبب تشجيعهم الكبير للتوجه إلى القسطنطينية هو للانتقام من البيزنطيين المنشقين وإخضاعهم بالقوة لسلطة كنيسة روما وأن مسألة الثأر لألكسيوس الرابع ما هي إلا حجج وهمية لتحقيق حلم اللاتين في إخضاع كنيسة القسطنطينية لسلطتهم وبالتالي سنوا قوانينهم الخاصة التي تساعدهم في الوصول إلى مطامعهم، وقدموا الغفران المقدس لكل من يشارك في الحرب ضد البيزنطيين، متناسين أن الكره الديني القائم في نفوس وقلوب اللاتين لا يحتاج إلى غفران ولا من أي سلطة، فأنهم كثيراً ما حلموا في القضاء على البيزنطيين والسيطرة على كنيستهم.

حاول الإمبراطور الجديد مواجهة الصليبيين، وراسلهم بكل عنف مقدماً لهم مهلة أسبوع ليغادروا الإمبراطورية البيزنطية، وإلا سيتعامل معهم بالقوة، لكن رد الصليبيين جاء واضحاً ومليناً بالعناد الممزوج بالتهديد في احتلال القسطنطينية، وأخذ مستحقاتهم التي وعدهم بها ألكسيوس الرابع⁽³⁾ في الحقيقة أن الصليبيين وجدوا من أوضاع بيزنطة الداخلية، وخلع ألكسيوس الرابع فرصة وتسويغاً يخفون وراءه حقدهم وكرههم للبيزنطيين وكنيستهم المنشقة، ليحققوا حلمهم في مهاجمة القسطنطينية والاستيلاء عليها.

وما يثبت ذلك كلام رجال الدين اللاتين المشاركين بالحملة الصليبية الرابعة الذي يوضح أثر الشقاق الديني ما بين كنيسة روما وكنيسة القسطنطينية في الهجوم على القسطنطينية، فقد نعتوا بشكل متكرر كنيسة القسطنطينية

¹ - pears.(1987.a.D): **Story Of The Fourth Crusade**, p.331.

² - فيلهاردين.(1995م): **الاستيلاء على القسطنطينية**، من خلال الموسوعة الشامية، ج10، ص105.

Pears.(1987.A.D): **Story Of The Fourth Crusade**, p.331.

³ - روبرت دي كلاري.(1995م): **سقوط القسطنطينية بيد الصليبيين**، من خلال الموسوعة الشامية، ج10، ص257-258.

Choniates.(1984.A.D): **Annals**,p.311.

عبد الهادي.(2011م): **الاستيلاء الصليبي على القسطنطينية**، ص193.

بالتمرّد على كنيسة روما، وأكدوا أن كنيسة بيزنطة منشقة ومهرطقة، ولم يكتفوا بذلك فقد قالوا: أن البيزنطيين أعداء السيدة العذراء، وأن بيزنطة خانت قضية الحركة الصليبية منذ قيامها، والأهم أنهم أكدوا على فكرة الغفران لكل من يساهم في غزو القسطنطينية وأن الهجوم على القسطنطينية هو تحقيق لإرادة الله التي بشر بها البابا أوربان الثاني وخلفاؤه⁽¹⁾

وكل هذا فيه دلائل واضحة أن أثر الشقاق بين الكنيستين كان من ضمن الدوافع الأساسية التي جعلت الصليبيين يوجهون الحملة الصليبية الرابعة ضد القسطنطينية والاستيلاء عليها ولعل أثر الخلاف الديني هو السبب المباشر المستتر خلف الأسباب السياسية والاقتصادية لغزو القسطنطينية.

على كل حال سرعان ما قام مورزفلوس بتجهيزات عسكرية دفاعية لمواجهة الصليبيين، كما هيا الأبراج والأسوار ليتم من خلالها ضرب الصليبيين وإبعاد خطرهم عن القسطنطينية وهنا أقر مندوب البابا وجوب الهجوم على القسطنطينية، والاستيلاء عليها لوضعها تحت سلطة كنيسة روما والبابوية، بالتالي جهزوا الصليبيين أنفسهم، وشحنوا همّتهم للاستيلاء على القسطنطينية وغزوها بالقوة⁽²⁾.

وموقف المندوب البابوي يؤكد على أثر الشقاق الديني في توجيه الحملة صوب القسطنطينية.

واجتمع الصليبيون والبنادقة في (ربيع الأول 601هـ/ آذار - مارس 1204م)، وقرروا الاستيلاء على القسطنطينية، وإقامة حكم لاتيني فيها، واتفقوا على توزيع الغنائم فيما بينهم، حتى أنهم اتفقوا على اقتسام المناصب والحكم في القسطنطينية بعد الاستيلاء عليها من خلال اختيار ستة أشخاص من الصليبيين وستة من البنادقة، ويتم انتخاب الرجل الأصح بينهم ليتوج إمبراطوراً في القسطنطينية، ويختار البطريرك من الطرف الذي لم يختار منه الإمبراطور⁽³⁾، وهذه المؤامرات والخطط من قبل اللاتين للسيطرة على القسطنطينية لم تكن جديدة، فقد وضع في

¹ - رمضان.(2008م): بيزنطة والحروب الصليبية، ص65؛ عبيد.(1970م): روما وبيزنطة، ص339-340.

² - Choniates.(1984.A.D): Annals,p.312.

زيتون.(1980م): العلاقات السياسية والكنسية، ص299.

³ - روبرت دي كلاري.(1995م): سقوط القسطنطينية بيد الصليبيين، من خلال الموسوعة الشامية، ج10، ص263-264؛ مؤرخ المجهول.(1995م): تاريخ المورة، من خلال الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية، ج10، ص306؛ رنسيان.(د.ت): تاريخ الحروب الصليبية، ج3، ص219-220.

Setton.(1976.A.D): The Papacy And Levant, vol I, p.12.

الفصول السالفة السياسة العدائية التي يتبعها اللاتين ضد الإمبراطورية البيزنطية والمدفوع بأثر الخلاف الكنسي ضد مصالح بيزنطة منذ القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، في جنوب إيطاليا، وما يدعم تأكيد أثر الخلفية الدينية هو تأييد البابوية لأي عمل عدائي يتوجه ضد بيزنطة.

كذلك دعمت، وأيدت البابوية في القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي اعتداء جويسكارد عام (474هـ/1081م) على بيزنطة وبعد جويسكارد استمرت البابوية بدعم ابنه بوهمند في هجومه على بيزنطة عام (501هـ/1207م)، ولا يغيب عن البال سياسة فريدريك وابنه هنري السادس العدوانية ضد الإمبراطورية البيزنطية المليئة بالكره لكل ما هو بيزنطي⁽¹⁾ كل هذا الكره والعداء مدفوع بأثر الخلاف الديني والشقاق ما بين كنيسة روما وكنيسة القسطنطينية الذي سينتج عنه الاستيلاء على القسطنطينية عام (601هـ/1204م)

قام الصليبيون بالهجوم الأول على القسطنطينية بكل قوة، ودافع البيزنطيون عن مدينتهم ببسالة، مما أدى لتقهقر الصليبيين بعد تدمير العديد من آلاتهم الحربية على يد البيزنطيين المدافعين عن مدينتهم⁽²⁾، وكان لهذه الهزيمة وقع عنيف في قلوب الصليبيين، لكن سرعان ما قام رجال الدين اللاتين بشحن همم الصليبيين بتأكيد لهم على مساعدة الإله لهم في حربهم ضد البيزنطيين المنشقين⁽³⁾

وهذا دليل أن الكره الديني يعد من الأسباب التي دفعت اللاتين لغزو القسطنطينية، وكل مسوغات الصليبيين بمساعدة ألكسيوس الرابع هي تسويغات واهية لتحقيق حلم اللاتين والبابوية في إخضاع الإغريق وكنيستهم لسلطة البابا في روما.

وبعد إخفاق الهجوم الأول على القسطنطينية وضع الصليبيون خطة محكمة لتحقيق لهم هدفهم في الاستيلاء على القسطنطينية بناءً على هذا بدأ حصار الصليبيين للقسطنطينية، ووقعت معركة عنيفة بين الصليبيين والبيزنطيين، واستطاع خلالها الصليبيون السيطرة على عدة أبراج سهلت لهم عملية الوصول إلى العاصمة

¹ - عبيد. (1970م): روما وبيزنطة، ص336.

² - Choniates.(1984.A.D): Annals, p.312. Pears.(1987.A.D): Story Of The Fourth Crusade, pp.339-341.

³ - عبد الهادي.(2011م): الاستيلاء الصليبي على القسطنطينية، ص292.

البيزنطية⁽¹⁾، ومما ساعد اللاتين في نجاح خطتهم ودخولهم إلى القسطنطينية هو دعم اللاتين المقيمين في القسطنطينية الذين أشعلوا النيران في مناطق مختلفة من المدينة ليتسنى للصليبيين التحرك والتقدم بسرعة لداخل القسطنطينية⁽²⁾، وبذلك يكون اللاتين قد أحرقوا القسطنطينية للمرة الثالثة منذ مجيء الحملة الصليبية الرابعة إليها، وكان عدد البيوت التي تعرضت للضرر الكامل كبير جداً⁽³⁾

سعى البيزنطيون لإنقاذ عاصمتهم من حقد اللاتين، وطلبوا الدعم والمدد من المسلمين الأتراك الذين صموا أذانهم عن نداءات البيزنطيين⁽⁴⁾، وهرب الإمبراطور مورزوفلوس بعد عجزه عن مواجهة الصليبيين عبر القرن الذهبي، مصطحباً معه الكنوز والنفائس، وعندها سارع بونيفاس وسيطر على خيمة الإمبراطور المهزوم، وسقطت القسطنطينية بيد الصليبيين والبنادقة عام (13 ربيع الآخر 601هـ / 14 نيسان 1204م)⁽⁵⁾، لكن حاول رجال الدين إيجاد إمبراطوراً بديل مورزوفلوس الذي هرب، وترك القسطنطينية تواجه مصيرها المجهول على يد اللاتين، واختاروا⁽⁶⁾ ثيودور لاسكاريس Theodore I Lascaris (605-619/1208-1222م)⁽⁷⁾ ليكون إمبراطوراً على الإمبراطورية

¹ - ابن العبري. (د.ت): تاريخ مختصر الدول، ص 396.

Choniates. (1984.A.D): Annals, pp.312-313.

عبد الهادي. (2011م): الاستيلاء الصليبي على القسطنطينية، ص 205؛ غنيم. (1989م): الحملة الصليبية الرابعة، ص 97.

Setton (1969A.D): A History Of The Crusades, vol II, p.151.

² - ابن الأثير. (1997م): الكامل، ج 10، ص 197؛ رنسيان. (د.ت): تاريخ الحروب الصليبية، ج 3، ص 221؛ عبد الهادي. (2011م): الاستيلاء الصليبي على القسطنطينية، ص 207.

³ - فيلهاردين. (1995م): الاستيلاء على القسطنطينية، من خلال الموسوعة الشامية، ج 10، ص 113؛ غنيم. (1989م): الحملة الصليبية الرابعة، ص 97.

⁴ - ابن الأثير. (1997م): الكامل، ج 10، ص 198.

⁵ - روبرت دي كلاري. (1995م): سقوط القسطنطينية بيد الصليبيين، من خلال الموسوعة الشامية، ج 10، ص 201.

Choniates. (1984.A.D): Annals, p.314.

رنسيان. (د.ت): تاريخ الحروب الصليبية، ج 3، ص 221.

Brand. (1988.A.D): Byzantium Confronts The west, p.257. Longnon. (1949.A.D): Le' empire Latin de

Constantinople, pp.46-48. Pears. (1987.A.D): Story of the fourth crusade, pp.343-345.

Vasiliev. (1971.A.D): History Of The Byzantine Empire, vol II, p.418.

⁶ - Brand. (1988.A.D): Byzantium Confronts The West, p.257.

⁷ - ثيودور لاسكاريس: إمبراطور نيقية من عام (605/1208م) حتى عام (619/1222م)، ولد سنة (571/1175م)، ينتسب إلى العائلتين الكومنينية والإنجيلية، فقد تزوج من أنا Ana ابنة الإمبراطور البيزنطي ألكسيوس الثالث أنجيلوس، وقد أسهم هو وأخيه قسطنطين Castanet بدور بارز في الدفاع عن القسطنطينية خلال الحصار الأول والثاني لها. عمران. (2002م): الإمبراطورية البيزنطية وحضارتها، ص 294؛ نيكول. (2003م): معجم التراجم البيزنطية، ص 294.

البيزنطية ولكي يواجه اللاتين، فقد سعى جاهداً لتأسيس مقاومة مسلحة لمواجهة الاحتلال اللاتيني، لكن ردة فعل أهالي القسطنطينية اعتراه البرود والفتور فما كان من ثيودور إلا التوجه إلى نيقية ليؤسس إمبراطورية بيزنطية فيها ليكون من خلالها مقاومة قوية ومنظمة لمواجهة اللاتين ويطردهم من القسطنطينية⁽¹⁾، وهكذا استطاع الصليبيون أن يستولوا على مدينة من أهم وأقوى المدن في ذلك العصر، وحققوا حلم البابوية في الاستيلاء على كنيسة القسطنطينية واشبعوا شعورهم الانتقامي. بعد استيلاء الصليبيين والبنادقة على القسطنطينية، قاموا بنهب كل ما وقع تحت أيديهم، وجمعوا عدداً هائلاً من الغنائم والكنوز، واقتسموها فيما بينهم، كما أفرغوا جام حقدهم وغضبهم بقتل أي بيزنطي يصادفهم حتى ارتمت أعداداً هائلة من جثث البيزنطيين⁽²⁾ وبعد أن انتهى الصليبيون من فكرة الانتقام من البيزنطيين، والسلب والنهب سعت البندقية للاستحواذ على أنفس الكنوز وأفضل الأقمشة وأجمل التماثيل التي جمعت بها كنائسها، ودورها⁽³⁾، وباعت قسماً من هذه الكنوز إلى المسلمين، ولاسيما حليفتها التجارية مصر، فقد عجت أسواق مصر بالمنتجات المنهوبة من الإمبراطورية البيزنطية⁽⁴⁾

ولعل العدوانية التي اتبعها الصليبيون بحق البيزنطيين من قتل وعنف تؤكد على أثر الشقاق الديني في أذهان اللاتين، وتنفيذ ما كان صليبياً الحملة الثانية توافقين له وهو قتل كل البيزنطيين دون تأنيب ضمير بحجة أنهم ليسوا مسيحيين سوى بالاسم فقط، كما حقق هذا العدوان أحلام بربروسا وابنه هنري السادس في تدمير القسطنطينية، والأهم من ذلك أنها حققت إرادة الله التي بشر بها البابا أوربان الثاني وخلفاؤه من البابوات حتى أنوسنت الثالث.

¹ – Choniates.(1984.A.D): Annals,p.314.

عبد الهادي.(2011م): الاستيلاء الصليبي على القسطنطينية، ص 209.

² – فيلهاردن.(1995م): الاستيلاء على القسطنطينية، من خلال الموسوعة الشامية، ج 10، ص 114؛ رنسيما. (د.ت): تاريخ الحروب الصليبية، ج 3، ص 222.

Brand.(1988.A.D): Byzantium Confronts The West, p.258. Vasiliev.(1971.A.D): History Of The Byzantine Empire, vol II, p.422.

³ – Pears.(1987.A.D): Story Of The Fourth Crusade, p.346.

⁴ – ابن إبيك الدواداري، أبو بكر بن عبد الله ت 709هـ/1309م.(1972م): الدرر المطلوب في أخبار بني أيوب، تح: سعيد عبد الفتاح عاشور، د.ط، القاهرة، ج 7، ص 161.

فقد كان العنف والهمجية التي اتبعها الصليبيون بحق البيزنطيين بعد استيلائهم على القسطنطينية مبالغاً

فيه، فلم يسلم شبر أرض من عدوانهم، وكانت صرخات النساء والأطفال تدوي في سماء القسطنطينية⁽¹⁾

وما يوضح أثر الخلاف الديني في نفوس الصليبيين أعمالهم الهمجية المليئة بالحق الديني الذي قاموا بها

بحق الكنائس والأديرة الأرثوذكسية، فسارعوا لدخول كنيسة آيا صوفيا الأرثوذكسية وقطعوا الغطاء الموجود على

المذبح إرباً صغيرة⁽²⁾، ولم يكتفوا بهذا أو بالأحرى هذا العمل لم يطفئ نار حقدهم الديني، بل توجهوا إلى الكتب

المقدسة وهم في حالة خمر وسكر، ووسخوا الكتب وداسوا عليها بأقدامهم، وجعلوا الكنائس الأرثوذكسية المقدسة

والأديرة مكاناً لربط خيولهم وحيواناتهم، بعد ما مزقوا كل أقمشتها وستائرهما بكل عنف وهمجية⁽³⁾، كما بدلوا الأيقونات

الأرثوذكسية البيزنطية إلى مقاعد للعب القمار، ووصلت همجيتهم وحقدهم الديني أن فرضوا على إحدى العاهرات

للجلوس على كرسي بطريرك كنيسة القسطنطينية، والرقص بطريقة خادشه للحياء، على أنغام أغاني فرنسية كلماتها،

إباحية، خالية من اللباقة، وبعدها توجهوا لصبوا عنفهم وكرههم حتى على مدافن الأباطرة البيزنطيين، سلبوا ما فيها

من نفائس وذهب، ورموا رفاة القديسين في أماكن متفرقة من المدينة⁽⁴⁾، وكانت أعمال العنف والوحشية والسلب

والعدوان داخل الكنائس التي قام بها الصليبيون بحق البيزنطيين وكنائسهم متوفرة بغزارة ضمن المصادر اللاتينية

التي دونت هذه المعلومات بنشوة وسعادة وبنوع من الفخر، أنهم أخضعوا الكنيسة المنحرفة لسلطة كنيسة روما،

وبذلك حققوا حلم البابوية، وهدف الحركة الصليبية الأول التي كثيراً ما حاول الصليبيون تحقيقه، ونبعت سعادتهم

من كونهم المخلصين الحقيقيين لآثار المقدسة من سلطة البيزنطيين المنحرفين والمهرطقين⁽⁵⁾

¹ – Choniates.(1984.A.D): Annals,p. 315.

² – Choniates.(1984.A.D): Annals, p.319.

رمضان.(2008م): بيزنطة والحروب الصليبية، ص65

³ – ابن العربي.(د.ت): تاريخ مختصر الدول، ص397.

Choniates.(1984.A.D): Annals,p.315.

عاشور.(1971م): الحركة الصليبية، ج2، ص736-738.

⁴ – Choniates.(1984.A.D): Annals, pp.319-326.

رنسيما.(د.ت): تاريخ الحروب الصليبية، ج3، ص222.

⁵ – رمضان.(2008م): بيزنطة والحروب الصليبية، ص65.

كل هذه الأهوال والعدوان من الصليبيين الكاثوليك ضد البيزنطيين الأرثوذكس يؤكد على أثر الشقاق الكنسي هو الدافع وراء غزو القسطنطينية، ونهبها بهذه الهمجية، وتدنيس الكنائس الشرقية ليؤكدوا حقدهم الدفين ضد كل ما هو بيزنطي وكل ما هو مسيحي شرقي.

ولم يستطع البيزنطيون رد هذه الكوارث، واكتفوا بالبكاء والنحيب والأسف على مدينتهم وما حل بهم من كوارث وأهوال، وقد ترجم المؤرخ البيزنطي نيكيتاس خونيئاتس حزنه وأسفه على مدينته بقصيدة رثاء فكتب: " أيتها المدينة أيا خير المدائن... يا منارة الأرض يا سيدة الإيمان يا حديث العالم، يا ملاذ كل خير... لقد تجرعت الثمالة من كأس غضب الرب، لقد حل بك آثمون أكثر بشاعة من ذلك الذي أصاب قديماً المدن الخمس"⁽¹⁾، وقد عبرت هذه الكلمات عن وجع البيزنطيين وحزنهم على فقد مدينتهم، وما حل بهم من أسي وظلم على يد الصليبيين الذين حققوا حلمهم المنشود، المخطط له منذ خروج الحركة الصليبية، وهي السيطرة على القسطنطينية وإخضاعها هي وكنيستها لسلطة البابا⁽²⁾

قارن البيزنطيون بين أعمال المسلمين المليئة بالرحمة والتسامح الديني عند دخولهم لمملكة بيت المقدس، وبين أعمال الصليبيين العدوانية والمشحونة بالحق الديني عند استيلائهم على القسطنطينية، وأكدوا على أفضلية سقوط القسطنطينية بيد المسلمين لكان خيراً لها ولشعبها ولكنائسها من سقوطها بيد الصليبيين الذين دمروا، ودنسوا الكنائس، وقتلوا بوحشية، وسلبوا كل ما وجدوه فوق الأرض، ولم تسلم حتى المدافن من شرهم⁽³⁾، وهكذا اتضح مكر الحركة الصليبية، وأهدافها، وأكد الغرب الأوروبي أن حركته مجرد مشروع عدواني هدفه السيطرة الاقتصادية والدينية بالقوة على بلاد المشرق بشقيه الإسلامي والمسيحي، وكما أكدت الحركة الصليبية وأهدافها تأثرها وتشبعها بأثر الشقاق الديني، مما ولد الكره والحق في نفوس اللاتين تجاه بيزنطة وشعبها وكنيستها⁽⁴⁾، وأشبعوا الصليبيين غريزة

¹ - Choniates.(1984.A.D): **Annals**, pp.315-317.

غنيم.(1989م): **الحملة الصليبية الرابعة**، ص99.

² - رمضان.(2008م): **بيزنطة والحروب الصليبية**، ص64.

³ - Choniates.(1984.A.D): **Annals**, pp.315-318. Vasiliev.(1971.A.D): **History Of The Byzantine Empire**, vol II, p.244.

عبد. (2019م): **علاقة البابا أنوسنت الثالث بالإمبراطورية اللاتينية في القسطنطينية**، ص300.

⁴ - رمضان.(2008م): **بيزنطة والحروب الصليبية**، ص66.

القتل والسلب والعدوان وبعدها وضعوا كل ما سلبوه في مكان واحد مع عدد من الحراس خشيةً من سرقة هذا الكم الهائل من الغنائم التي سيتم توزيعها ما بين الصليبيين والبنادقة⁽¹⁾، بالإضافة إلى التماثيل الغنية النادرة التي صهروها وحولها لعملات معدنية، وهذه التماثيل تعود بتاريخها لعهد الإمبراطور قسطنطين الكبير وخلفائه⁽²⁾

وهكذا تمكن الصليبيون من شفاء غلهم وحقدهم الديني على البيزنطيين المدفوع بأثر الشقاق الديني في نفوسهم وتحقيق هدفهم بالاستيلاء على القسطنطينية المهرطقة في نظرهم التي كانت كلمات رجال الدين تشجع على غزوها بحجة إنها عدوة للسيدة العذراء وأن كنيسة منحرفة، والسيطرة عليها هو تحقيق لإرادة الله⁽³⁾

هل الهرطقة في نظرهم هي الاختلاف بالطقوس العقائدية والاستقلال عن كنيسة روما؟ الم يكن تدينسهم للكنائس المسيحية ورقص العاهرات في مذابح الكنائس هرطقة بحد ذاتها؟

الم يكن قتل الاطفال وهتك أعراض النساء والراهبات هرطقة بحد ذاتها؟

هل كان القتل والعدوان والنهب هو تحقيق لإرادة الله في نظر اللاتين؟

كل هذه الأسئلة إجابتها واحدة وهي أثر الشقاق الديني ما بين كنيسة روما وكنيسة القسطنطينية واستقلال كنيسة القسطنطينية وسيادة نفوذها ولد الكره والحقد في قلوب اللاتين حتى سيرتهم لغزو القسطنطينية المسيحية وارتياب الاهوال بحقها بتسويغات سياسية واقتصادية ليستتر كل هذا وراء دوافع دينية أكد عليها رجال الدين اللاتين، بالتالي لم يكن سقوط بيزنطة في يد اللاتين عام (601هـ/1204م) نتيجة انحراف الحملة الصليبية الرابعة بل جاء خاتمة لعلاقات دينية وكنسية مريرة بين روما والقسطنطينية لتؤثر هذه العلاقات على انحراف الحملة الصليبية الرابعة وسقوط القسطنطينية.

¹ - روبرت دي كلاري.(1995م): سقوط القسطنطينية بيد الصليبيين، من خلال الموسوعة الشامية، ج10، ص275، عبده.(2019م): علاقة البابا أنوسنت الثالث بالإمبراطورية اللاتينية في القسطنطينية، ص268.

² - Choniates.(1984.A.D): Annals, p.358. Pears.(1987.A.D): Story Of The Fourth Crusade, p.355.

³ - رمضان.(2008م): بيزنطة والحروب الصليبية، ص65؛ عبيد.(1970م): روما وبيزنطة، ص339.

4- الحكم اللاتيني في القسطنطينية ومظاهر الخلاف الكنسي فيها

بعد ما شبع الصليبيون من القتل والسلب في القسطنطينية قرروا انتخاب إمبراطوراً لاتينياً جديداً للإمبراطورية الجديدة التي أقاموها في القسطنطينية⁽¹⁾، وسيتم هذا الانتخاب وفق ما تم الاتفاق عليه في معاهدة عام (1204/هـ 601م) بين البنادقة واللاتين التي تتضمن: شروط انتخاب الإمبراطور من خلال تشكيل لجنة تتألف من اثني عشر لاتينياً، ستة من الصليبيين وستة من البنادقة لانتخاب أحدهم⁽²⁾، وكان أجدر ثلاثة مرشحين لهذا المنصب هم، بونيفاس دي مونتفرات، وبلدوين أف فلاندر، والدوق هنري داندلو، لكن هنري داندلو أبعد نفسه عن هذا المنصب لعدة أسباب: منها تعارض تسلمه الحكم في الإمبراطورية اللاتينية في القسطنطينية مع الدستور السياسي لجمهورية البندقية⁽³⁾، بالتالي انحصرت المنافسة بين مرشحين طموحين وهما بونيفاس وبلدوين أف فلاندر. رأى بونيفاس نفسه الأجدر لتسلم المنصب الإمبراطوري في القسطنطينية لأنه القائد العام للحملة الصليبية الرابعة، بالإضافة إلى تزوجه من أرملة الإمبراطور البيزنطي الشرعي إسحق أنجيلوس، وهذا يمنحه الحق لتسلم المنصب الإمبراطوري⁽⁴⁾، لكن كل مساعي بونيفاس للسيطرة على الحكم في الإمبراطورية اللاتينية في القسطنطينية أحبطت من قبل الدوق هنري داندلو الذي وقف هو وأعضاء اللجنة التي ستختار الإمبراطور في وجه مخططاته⁽⁵⁾، ولاسيما أن البنادقة سعوا جاهدين لتبديل الأسرة الحاكمة في الإمبراطورية البيزنطية لكسب امتيازات تجارية هائلة، وصد هذه الامتيازات عن منافستها جنوة، وبيزا، وبما أن بونيفاس صديق جنوة المقرب من الطبيعي أن يقف هنري داندلو في وجه مساعي بونيفاس ويمنعه من تسلم منصب الإمبراطور⁽⁶⁾، ولم يكن بلدوين أف فلاندر أقل رغبة وطموحاً

¹ – Ostrogorsky.(1998.A.D): **History Of The Byzantine State** , p.375.

² – فيلهاردن.(1995م): **الاستيلاء على القسطنطينية**، من خلال الموسوعة الشامية، ج10، ص115-117.

Pears.(1987.A.D): **Story Of The Fourth Crusade**, p.336.

³ – عبد الهادي.(2011م): **الاستيلاء الصليبي على القسطنطينية**، ص219.

⁴ – فيلهاردن.(1995م): **الاستيلاء على القسطنطينية**، من خلال الموسوعة الشامية، ج10، ص118؛ مؤرخ المجهول.(1995م): **تاريخ المورة**، من خلال الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية، ج10، ص307.

Choniates.(1984.A.D): **Annals**,p.327-329.

رنسيومان.(د.ت): **تاريخ الحروب الصليبية**، ج3، ص224؛ غنيم.(1989م): **الحملة الصليبية الرابعة**، ص93.

⁵ – عبد الهادي.(2011م): **الاستيلاء الصليبي على القسطنطينية**، ص223.

⁶ – غنيم.(1989م): **الحملة الصليبية الرابعة**، ص93.

من بونيفاس في سعيه للمنصب الإمبراطوري، وساعده على تحقيق ذلك الطموح علاقته القوية والوطيدة مع الدوق البندقي هنري داندلو، بالإضافة لمكانته بين السادة الغربيين، وثروته الطائلة في فرنسا من ممتلكات ومقاطعات وأراضي، ولا يغيب عن البال عدد الفرنسيين الكبير المشاركين بالحملة، والذي يفوق عدد باقي الصليبيين والبنادقة المساهمين فيها، مما يمنح فرنسا وساداتها إمكانية قوية لتحافظ على الحكم اللاتيني في القسطنطينية المسلموبة⁽¹⁾ وعلى هذا تم تعيين بلدوين كونت فلاندر أول إمبراطور لاتيني من قبل لجنة الانتخاب، وتوج كإمبراطور شرعي بكل حفاوة في كنيسة آيا صوفيا⁽²⁾ بحضور رجال الدين والبارونات الصليبيين القادمين من بلاد الشام والذين عبروا عن سعادتهم بهذا النصر بطريقة كبيرة وكأنهم قد دخلوا مجدداً إلى بيت المقدس⁽³⁾ لعل فرح رجال الدين الصليبيين العام الذي يساوي فرحهم لو أعادوا بيت المقدس من المسلمين، يؤكد أن اللاتين يعدون المسلمين، والمسيحيين الأرثوذكس أعداء للحركة الصليبية وأهدافها والقضاء عليهم واجب على كل صليبي، بالتالي يكون أثر الشقاق الديني العظيم هو الذي ولد الكره بقلب اللاتين، حتى عدوا البيزنطيين أعداءهم، ويجب محاربتهم. وبعدها رتب بلدوين لنفسه تسمية، "بلدوين مخلص المسيح وهو إمبراطور بفضل الرب" Porphyrogenitus simper Augustus⁽⁴⁾ ولعل اتخاذه لهذه التسمية يدعم الأسباب التي قدمها رجال الدين اللاتين للاستيلاء على القسطنطينية المسيحية الأرثوذكسية بأنها إرادة الرب، وتؤكد على أثر الخلاف الديني في احتلال الصليبيين للقسطنطينية.

وبعد استقرار وضع بلدوين في حكم الإمبراطورية اللاتينية في القسطنطينية راسل البابا أنوسنت الثالث، واطر له رسالة مليئة بالفخر والسرور يبين فيها ما حققته الحملة الصليبية الرابعة من إنجازات، ووضح فرح رجال

¹ - عبد الهادي.(2011م): الاستيلاء الصليبي على القسطنطينية، ص221-222.

² - روبرت دي كلاري.(1995م): سقوط القسطنطينية بيد الصليبيين، من خلال الموسوعة الشامية، ج10، ص289؛ فيلهاردين.(1995م): الاستيلاء على القسطنطينية، من خلال الموسوعة الشامية، ج10، ص117-119؛ مؤرخ المجهول.(1995م): تاريخ المورة، من خلال الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية، ج10، ص307.

Choniates.(1984.A.D): Annals,p.328.

رنسيان.(د.ت): تاريخ الحروب الصليبية، ج3، ص225.

Pears.(1987.A.D): Story Of The Fourth Crusade, p.373. Tout.(1924.A.D): The Empire And The

Papacy, p348.

³ - Setton.(1976.A.D): The Papacy And Levant, vol I, p.14.

⁴ - Longnon.(1949.A.D): Le' Empire Latin De Constantinople, pp.52-53. Tout.(1924.A.D): The Empire And The Papacy, p348.

الدين الصليبيين في بلاد الشام بهذا الانجاز الذي يدعم أهداف البابوية في سيطرة كنيسة روما على القسطنطينية وكنيستها⁽¹⁾

وتوضح هذه الرسالة أثر الكره اللاتيني - سواء لاتين الشرق او لاتين الغرب- للبيزنطيين وكل هذا الكره ناتج عن الخلاف الديني ما بين كنيسة روما وكنيسة القسطنطينية.

وكانت ردة فعل البابا عند تسلمه رسالة بلدوين تغمرها الفرح، وشبه هذا الإنجاز بأنه منحة وعطاء من الرب، ليرفع من مكانة كنيسة روما المقدسة، واطر رسالة لبلدوين وضح فيها المسير المنحرف التي كانت تسير فيه كنيسة القسطنطينية المليء بالفجور والضلال لكنها بفضل الرب خرجت من طريق الانحراف والضلال إلى طريق الصواب من خلال انتقالها لسيطرة كنيسة روما الكاثوليكية⁽²⁾

ويتضح من رد البابا أنوسنت الثالث وفرحه بالانتصار على كنيسة القسطنطينية، ونعته لها بالمنشقة والمتكبرة أثر واضح الخلاف الديني واستقلال كنيسة القسطنطينية عن كنيسة روما، وتدعم ما جاء به رجال الدين اللاتين أن الاستيلاء على القسطنطينية هي تحقيق لإرادة الرب.

بعد انتهاء الصليبيين والبنادقة من تعيين، وتتويج إمبراطور في الإمبراطورية اللاتينية بالقسطنطينية، بدؤوا بمهمة اقتسام الأراضي البيزنطية، والإقطاعات فيما بينهم، وبذلك تمزقت وحدة الإمبراطورية البيزنطية بين أمراء الحملة الصليبية الرابعة وحليفهم البندقية التي حصلت على أفضل الأراضي البيزنطية، والتي تخدمها في تجارتها البحرية، وتعزز مكانتها التجارية، كما حصلت على ثلاثة أثمان العاصمة، وأسست حياً ضخماً للجالية البندقية لكي تواصل نشاطها التجاري بحرية مثل ما كانت عليه العادة قبل أحداث (765هـ/1171م)⁽³⁾. ويتضح من حجم المكاسب التي حصلت عليها البندقية، وأهمية المواقع الجغرافية التي سيطرت عليها، خطة الصليبيين والبنادقة منذ

¹ - عبده. (2019م): علاقة البابا أنوسنت الثالث بالإمبراطورية اللاتينية في القسطنطينية، ص269.

Longnon.(1949.A.D): **Le' Empire Latin De Constantinople**, pp35-55. Setton.(1976.A.D): **The Papacy And Levant**, vol I, p.14.

² - عبد الهادي.(2011م): الاستيلاء الصليبي على القسطنطينية، ص227.

³ - عاشور.(1971م): الحركة الصليبية، ج2، ص739؛ علي.(2002م): موقف الإمبراطورية البيزنطية من الغزو الصليبي، ص192؛ غنيم.(1989م): الحملة الصليبية الرابعة، ص94-106.

Ostrogorsky.(1998.A.D): **History Of The Byzantine State** , p.424. Tout.(1924.A.D): **The Empire And The Papacy**, p349.

بداية الحملة الصليبية الرابعة في توجيه الحملة نحو القسطنطينية وإبعادها عن مصر، ويؤكد أن تحالف البندقية والصليبيين سببه الحصول على مكاسب اقتصادية ضخمة بالإضافة إلى الكره المشترك الذي يكنه الطرفان للإمبراطورية البيزنطية، وبهذا التحالف حققت البندقية مكاسب تجارية واقتصادية هائلة، واستغلت كره اللاتين الشديد للبيزنطيين المتأثر بانقسام الكنيستين ليستولي على القسطنطينية وثرواتها، كما استغل الصليبيون حقد البنادقة على البيزنطيين، وطمعهم للمكاسب الاقتصادية والأرباح التجارية ليحققوا هدف الحركة الصليبية وحلم البابوية بإخضاع كنيسة القسطنطينية لسلطة كنيسة روما ونفوذها، واشباع طمعهم والسيطرة على الاقتصاد للإمبراطورية البيزنطية، وبالتالي أجمع كره الطرفين وأطماعهم المختلفة ضد الإمبراطورية البيزنطية ليشكلوا حلفاً مشتركاً، وبرسموا خطة محكمة منذ البداية ليوجهوا الحملة نحو القسطنطينية، وبالتالي انحراف الحملة الرابعة لم يكن بسبب المصادفة، ولا بسبب الظروف السياسية داخل الإمبراطورية البيزنطية، وإنما كان بسبب خطة دقيقة مرسومة من قبل البابوية ليستغل الظروف السياسية، وكره البنادقة للبيزنطيين ليشكل حلفاً معهم للقضاء على القسطنطينية والاستيلاء عليها والسيطرة على مواردها الاقتصادية.

ودليل ذلك التخطيط العملي لدوق البندقية في اختيار الأراضي الغنية، والمراكز التجارية الممتازة، واستطاع من خلال هذه المكاسب المميزة السيطرة على البحر المتوسط والبحر الأسود والتحكم بالطريق البحري الممتد من البندقية حتى القسطنطينية، ومنذ ذلك الحين اتخذ لنفسه لقباً جديداً هو سيد ربع ونصف ربع جميع الإمبراطورية البيزنطية، وظل خلفاء داندلو يستخدمون هذا اللقب حتى منتصف القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي⁽¹⁾ أما بالنسبة لمنصب بطريرك كنيسة القسطنطينية، فقد كان وفقاً لاتفاق عام(601هـ/1204م) بين الصليبيين والبنادقة أن الفريق الذي لم يختز منه الإمبراطور يحق له تعيين بطريرك على كنيسة القسطنطينية⁽²⁾، بالتالي كانت البندقية تمتلك الحق والسلطة الكاملة لتتصيب رجال الدين التابعين لها في كنيسة آيا صوفيا، وفقاً لهذه الصلاحية قامت بعزل الأساقفة البيزنطيين من أسقفياتهم وتتصيب أساقفة لاتين مكانهم، وتم تعيين⁽³⁾ توماس

¹ - عبد الهادي.(2011م): الاستيلاء الصليبي على القسطنطينية، ص234.

² - Ostrogorsky.(1998.A.D): History Of The Byzantine State , p.375.

³ - عبيد.(1970م): روما وبيزنطة، ص345.

Setton.(1976.A.D): The Papacy And Levant, vol I, p.14.

مورسيني Thomas Morosini (602-608هـ/1205-1211م)⁽¹⁾ بطريكاً على كنيسة آيا صوفيا، وبذلك ليكون أول بطريك لاتيني للقسطنطينية بعد هرب البطريك الشرعي يوحنا العاشر كمتيروس إلى بلغاريا، وعندها كان مورسيني لا يزال يستقر في إيطاليا وتوجه إلى القسطنطينية بعد تسلمه منصبه الجديد⁽²⁾ ويتضح من بند معاهدة عام (1204هـ/601م) بخصوص اقتسام اللاتين للقسطنطينية بما فيها مناصب الكنسية وتعيين بطريك لاتيني على كنيسة أن للخلفية الدينية أثراً واضحاً في غزو القسطنطينية والاستيلاء عليها. وقد كان هذا الاثر يستتر بعض الأحيان خلف الدوافع الاقتصادية والسياسية للبنادقة والصليبيين على حدٍ سواء⁽³⁾.

في الحقيقة كان للخلفية الدينية للشقاق الكنسي العظيم أثر كبير في ردة فعل البيزنطيين الأرثوذكس من تعيين بطريك لاتيني على كنيسةهم، وقد وصفوا البطريك اللاتيني بصفات سلبية تعكس كرههم واستنكارهم لوجوده في كنيسةهم، فنعته بالخنزير السمين والممتلئ، وبالأجرد خالي الشعر بالرأس، وانتقدوا أسلوبه في اللبس ونوعية أثوابه⁽⁴⁾ وهذا الوصف يوضح موقف البيزنطيين بالبطريك اللاتيني الجديد، وبين أثر الخلاف الديني على مشاعرهم. ولكن المستغرب كانت ردة فعل البابا أنوسنت الثالث الرافضة لتعيين مورسيني بطريك على كنيسة القسطنطينية، أليس هذا حلم البابوية منذ قرون في السيطرة الكاثوليكية على كنيسة القسطنطينية المنحرفة لتصحيح اعوجاجها؟ في الواقع البابا، أعترض ورفض الطريقة التي تم تولية فيها مورسيني منصب البطريك في القسطنطينية، ولا سيما أن البابا لم يعلم بهذا التنصيب إلا بعد عدة شهور، بالتالي البابا فقد سيطرته على القرارات السياسية والدينية التي ستحصل في الإمبراطورية اللاتينية الجديدة في القسطنطينية، وهذا يتناقض مع فلسفته ونظريته في سيطرة البابوية على السلطة الدينية والسياسية في العالم المسيحي في الشرق والغرب، بالتالي تعيين بطريك لاتيني في كنيسة

¹ - توماس مورسيني: ينتمي إلى عائلة مورسيني العريقة وهي عائلة بندقية يعود أصلها إلى مانتو Manto، ولم يكن مع الحملة الصليبية الرابعة ولا موجود بالقسطنطينية في أثناء انتخابه، تسلم منصب البطريك في كنيسة القسطنطينية عام (602هـ/1205م) حتى وفاته عام (608هـ/1211م). الربيعي. (د.ت): موقف الإمبراطورية البيزنطية من قادة الحملات الصليبية، ص 462.

² - عبد الهادي. (2011م): الاستيلاء الصليبي على القسطنطينية، ص 239؛ عبيد. (1970م): روما وبيزنطة، ص 345؛ عمران. (2002م): الإمبراطورية البيزنطية وحضارتها، ص 293.

Setton. (1976.A.D): The Papacy And Levant, vol I, p. 14.

³ - Choniates. (1984.A.D): Annals, p357.

عبد. (2019م): علاقة البابا أنوسنت الثالث بالإمبراطورية اللاتينية في القسطنطينية، ص 272.

⁴ - Choniates. (1984): Annals, p357. Longnon. (1949.A.D): Le' Empire Latin De Constantinople, p.84.

القسطنطينية بعد الاستيلاء عليها من حق البابوية ومن ضمن صلاحياتها الخاصة⁽¹⁾، ويتبين مما سلف أن البابا لم يعترض على تعيين بطريرك كاثوليكي على كنيسة القسطنطينية، لأن هذا كان حلم البابوية التي كثيراً ما حلمت به لكنه رفض طريقة تعيين مورسيني التي تعد من ضمن صلاحية البابوية، ويجب أن تتم بقرار من بابا كنيسة روما بشكل حصري⁽²⁾ لكن سرعان ما أعلن البابا أنوسنت الثالث قبوله بمورسيني على أنه بطريرك لاتيني في القسطنطينية، كما وسع من صلاحياته في منحه مسألة الموافقة على تنويع أباطرة وملوك في الإمبراطورية اللاتينية في القسطنطينية بعد مناقشة البابوية بذلك، والسماح لمورسيني بمسح الملوك بالزيت المقدس عوضاً عن البابا، بالإضافة إلى منح مورسيني اللباس الرسمي بمكانة رئيس الأساقفة، بالتالي يكون البابا قد حول موقفه من رافض لمورسيني لداعم ورافع من مكانة ورتب البطريرك لجديد⁽³⁾، لكنه احتفظ للبابوية ببعض الامتيازات التي تخص تعيين الأساقفة في كرسي البطريرك في القسطنطينية، وسعى بالتودد لمورسيني، حيث أوضح له مكانة أسقفية القسطنطينية تاريخياً على الرغم من حداثة وجودها زمنياً، وبدأ مورسيني بإحلال الطقوس والأعراف الكاثوليكية محل الطقوس الأرثوذكسية في جميع كنائس القسطنطينية، وكان مورسيني متعصباً جداً للكاثوليكية، وتعامل مع البيزنطيين بتعجرف، وفرض عليهم ذكر اسمه في قداساتهم وصلواتهم الكنسية، وبعد رفض البيزنطيين لمطلب مورسيني، أعلن منعه لقيام الصلاة في الكنائس البيزنطية، وسياسة مورسيني المعادية للبيزنطيين وصلواتهم وأعرافهم الدينية أجبرت الأساقفة والرهبان على الفرار من أديرتهم، ولاسيما بعد تضيق مورسيني على رجال الدين البيزنطيين، وعزل الأساقفة البيزنطيين الأرثوذكس وتعيين بدلاً عنهم رجال دين وأساقفة كاثوليك لاتين، ووصلت سياسة مورسيني المتعصبة ضد رجال الدين البيزنطيين إلى إنشاء⁽⁴⁾ أبرشيات⁽⁵⁾ لاتينية بحتة تتبع لأسقف لاتيني، وإلغاء الأبرشيات

¹ - عبده. (2019م): علاقة البابا أنوسنت الثالث بالإمبراطورية اللاتينية في القسطنطينية، ص272؛ عبيد. (1970م): روما وبيزنطة، ص346.

Setton. (1976.A.D): The Papacy And Levant, vol I, p.15.

² - عبد الهادي. (2011م): الاستيلاء الصليبي على القسطنطينية، ص240.

³ - غنيم. (1989م): الحملة الصليبية الرابعة، ص104.

⁴ - مؤرخ المجهول. (1995م): تاريخ المورة، من خلال الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية، ج10، ص312؛ عبيد. (1970م): روما وبيزنطة، ص346.

⁵ - الأبرشية: بالأصل كلمة يونانية، ومعناها المقاطعة أو المديرية، وهي تطلق على المنطقة التي يرعى شعبها مطران أو أسقف ويساعده الكهنة، وتعد في بعض المذاهب أصغر وحدة في النظام الكنسي، ويرأس لأسقف الكنيسة الخاصة بالأبرشية. بتلر، ألفريد (د.ت): فتح العرب لمصر، تع: محمد فريد، تح: نهلة مصطفى، دار المصرية اللبنانية، د.ط، ص157.

البيزنطية⁽¹⁾، ودعم إنشاء الكثير من الفرق الدينية اللاتينية في القسطنطينية من شأنها أن تصحح اعوجاج العقيدة الدينية الأرثوذكسية المنتشرة بين البيزنطيين، ولیدعم سياسته هذه راسل البابا أنوسنت الثالث طالباً منه إرسال رجال دين لاتين ينتمون لمكانة كهنوتية رفيعة، ومدرسين كهنوتيين، وطلاب من جامعات باريس ليساعدوه في نشر العقيدة المسيحية الصحيحة في أرجاء الإمبراطورية اللاتينية في القسطنطينية، وينشروا الإيمان القويم، ويصححوا دراسة الأدب، ولقاء ذلك سوف يكون لهم أجر روحي ومعنوي رفيع، يفوق الأجر المادي⁽²⁾، وبذلك يكون أثر الخلاف الديني واضحاً في غزو القسطنطينية أولاً والاستيلاء عليها ووضعها تحت النفوذ البابوي ثانياً، ويكون بذلك قد تحقق حلم البابوية في إخضاع كنيسة القسطنطينية لسلطانها واتباع الطقوس اللاتينية فيها، وغدت الشعائر الكاثوليكية قائمة بكنيسة آيا صوفيا.

وبذلك تكون البابوية قد وصلت لمبتغاها، وحققت مساعيها التي عملت من أجلها منذ قرون طويلة وأخضعت كنيسة القسطنطينية لسلطانها وزعامتها، وفرضت عليها طقوسها من خلال تعيين بطريرك لاتيني نائب للبابا يأخذ قرارات وأحكاماً تعزز أهداف البابوية، وبذلك تكون كنيسة القسطنطينية قد تمزقت وانفصل عنها كنيسة صربيا وبلغاريا، وهرب البطارقة البيزنطيون إلى نيقية ليعيشوا هناك بالتالي تكون الحملة الصليبية الرابعة قد رسمت الخطوط الأخيرة للعلاقات الكنسية بين اللاتين والبيزنطيين وبذلك تكون البابوية قد أخذت نار الصراع الكنسي الذي وقع بين كنيسة روما وكنيسة القسطنطينية، وألغت فكرة استقلال كنيسة القسطنطينية عن الكنيسة الأم في روما، ولكن في الحقيقة نجاح البابوية لم يدم، ولم تتجح البابوية في تحويل طقوس البيزنطيين الدينية إلى طقوس وأعراف كاثوليكية، وكانت قوة إيمان الإغريق بمعتقداتهم كبيرة لدرجة استطاعت بعد نصف قرن إزالة الزعامة اللاتينية من كنيسة القسطنطينية، بالتالي أجبت توتر العلاقات الكنسية بين اللاتين الكاثوليك، والإغريق الأرثوذكس، ومحت أية فرصة للوحدة بين الكنيستين وبذلك تكون الحملة الصليبية الرابعة قد أخذت الحقد الديني في قلب

¹ - مؤرخ المجهول. (1995م): تاريخ المورة، من خلال الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية، ج10، ص312؛ عبيد. (1970م): روما وبيزنطة، ص346.

² - عبد الهادي. (2011م): الاستيلاء الصليبي على القسطنطينية، ص238-239.

البابوية واللاتين، وحقت مساعيهم لمدة مؤقتة، ولأسيما بعد إخفاقها في كتلة البيزنطيين على الرغم من كل محاولاتها..

5- مسؤولية البابا أنوسنت الثالث في الاستيلاء على القسطنطينية

هناك العديد من النظريات المتباينة التي تشير إلى الطرف الذي تقع عليه مسؤولية حرق الحملة الصليبية الرابعة نحو القسطنطينية والاستيلاء عليها، فبعض النظريات تدعم فرضية مسؤولية بونيفاس قائد الحملة الصليبية الرابعة في حرق الحملة نحو القسطنطينية بحجة انتقام بونيفاس لأخويه اللذين تعرضا للاضطهاد والقسوة من قبل السلطة البيزنطية الحاكمة إبان خدمتهم داخل الإمبراطورية البيزنطية، بالإضافة إلى علاقته الوثيقة مع فيليب السوابي الذي طلب منه مساعدة ألكسيوس الرابع لإعادة عرشه⁽¹⁾، وبعض النظريات تدعم فرضية مسؤولية البندقية في حرق الحملة الصليبية الرابعة نحو القسطنطينية والاستيلاء عليها لكي تحد من نفوذ الإمبراطورية البيزنطية وسطوتها، والثأر من اعتداء البيزنطيين على البنادقة عام (567هـ/ 1171م) ومجازر عام (578هـ/ 1182م)، ولاسيما أن أحداث عام (567هـ/ 1171م) أدت إلى عرقلة المصالح التجارية للبندقية داخل الإمبراطورية البيزنطية، ولاسيما أن الأباطرة البيزنطيين لم يفوا بتعهداتهم مع البنادقة بدفع تعويضات مالية عن أحداث عام (567هـ/ 1171م)، بالإضافة للمجزرة التي قامت بحق اللاتين بما فيهم البنادقة المقيمون بالقسطنطينية عام (575هـ/ 1182م) زادت من رغبة البنادقة بالانتقام من البيزنطيين، ولا يغيب عن البال المنافسة التجارية الشديدة التي تجمع بين البندقية وجنوة وبيزا، التي زاد من حدتها منح الإمبراطورية البيزنطية الحماية والامتيازات التجارية لبيزا وجنوة ومنعها عن البندقية، مما أشعل نار الكراهية في نفوس البنادقة الذين يسعون بكل جهد لبسط نفوذهم على تجارة البحر المتوسط والبحر الأسود، بالإضافة للعلاقة التجارية القوية التي جمعت البنادقة مع مصر التي عقدتها البندقية مع السلطان الأيوبي والتي تزامنت مع تعهداتها للصليبيين بخصوص تأمين أسطول بندقي ضخم لينقل المحاربين الصليبيين إلى مصر، لكن تفكيرها بحجم الأرباح المادية التي ستجنيها من خلال التقارب التجاري مع الأيوبيين في مصر جعلها تعمل بجد وذكاء لتتحكم بمسيرة الحملة الصليبية الرابعة وتوجهها نحو القسطنطينية⁽²⁾

¹ - باركر. (د.ت): الحروب الصليبية، ص100؛ علي. (2019م): موقف بيزنطة من الغزو الصليبي، ص220؛ غنيم. (1989م): الحملة الصليبية الرابعة، ص13

² - الربيعي. (د.ت): موقف الإمبراطورية البيزنطية من قادة الحملات الصليبية، ص498؛ عاشور. (1971م): الحركة الصليبية، ج2، ص933؛ عبده. (2019م): علاقة البابا أنوسنت الثالث بالإمبراطورية اللاتينية في القسطنطينية، ص263؛ غنيم. (1989م): الحملة الصليبية الرابعة، ص13؛ فشر. (1969م): تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، ج1، ص245.

وهناك نظرية تدعم مسؤولية فيليب السوابي صهر إسحق أنجيلوس من خلال دعمه لعودة إسحق وابنه ألكسوس الرابع إلى العرش، وبالتالي النظرية تدعم المسؤولية المزدوجة على فيليب وإسحق أنجيلوس وابنه الذين طلبا مساعدة اللاتين لاستعادة عرشهم المسلوب⁽¹⁾، ولاسيما أنه كان هناك نوع من التواصل بين إسحق أنجيلوس واللاتين، الذين وعدوه بتقديم العون له ليستعيد حقه في حكم القسطنطينية، كما طلب ذات الطلب من صهره فيليب الذي كان على تواصل معه أيضاً⁽²⁾

وهنا قد يثار السؤال من الذي غير اتجاه الحملة من مصر إلى القسطنطينية؟

هل يوجد تحالف سابق بين قادة الحملة الصليبية ودوق البندقية؟

هل استغلت البندقية كره اللاتين الشديد للبيزنطيين المتأثر بانقسام الكنيستين لتحقيق أرباح اقتصادية وتجارية باستيلائها على القسطنطينية وثرواتها؟ وهل الكره المشترك الموجود في قلوب البنادقة والصليبيين لبيزنطة جعلهم حلفاء ضد الإمبراطورية البيزنطية منذ بداية الحملة الصليبية الرابعة وجعلهم يخططون لتحويل الحملة ضد القسطنطينية وتدميرها؟. ولعل كره اللاتين للبيزنطيين جعلهم يوجهون خطتهم نحو القسطنطينية للاستيلاء عليها وإقامة حكم لاتيني فيها⁽³⁾

في الواقع كل ما سلف من الدوافع والنظريات المتعلقة بالطرف الذي يتحمل مسؤولية حرق الحملة نحو القسطنطينية يستتر خلفها الدافع الأقوى، وهو الدافع الديني وأثر الشقاق الديني العظيم الذي حدث بين كنيسة روما وكنيسة القسطنطينية، الذي شحن مشاعر اللاتين وقلوبهم بالكره الكبير والحقد الديني والرغبة الجامحة للانتقام، وبالتالي يكون المسؤول عن هذا الانحراف البابا أنوسنت الثالث الذي أوضح فلسفته وسياسته العدائية للإمبراطورية البيزنطية وكنيستها منذ تسلمه المنصب البابوي، ووجه سياسته لفصل كنيسة الصرب وبلغاريا عن كنيسة القسطنطينية، ليقص نفوذ كنيسة القسطنطينية وسيادتها في تلك المناطق، ويضرب مصالحهم، وأعلن هدفه في بسط النفوذ البابوي وسلطة كنيسة روما، على كنيسة القسطنطينية، وهذا الهدف كان غاية البابوية المنشودة التي

¹ - غنيم. (1989م): الحملة الصليبية الرابعة، ص 13.

² - Choniates. (1984.A.D): Annals, pp.292-296.

³ - علي. (2002م): موقف بيزنطة من الغزو الصليبي، ص 180.

طالما سعوا لتحقيقه، وكل ما سلف يوضح الدور الفعال الذي اسهم به البابا أنوسنت الثالث في حرف الحملة الصليبية الرابعة نحو القسطنطينية بخطة محكمة وموضوعة بشكل مسبق⁽¹⁾

ودليل ذلك أنه منذ تسلمه المنصب البابوي وجه كل قوته وتفكيره السياسي لضرب مصالح كنيسة القسطنطينية في أوروبا الشرقية، كل ذلك تحت مسوغات واهية منها سعي البابوية لتقويم اعوجاج العقيدة عند البيزنطيين المنشقين وكنيستهم الضالة، وما يؤكد أيضاً دور البابا أنوسنت الثالث في وضع خطة مسبقة لحرف الحملة الرابعة نحو القسطنطينية، رسائله المليئة بالتهديد والوعيد الموجهة للإمبراطور البيزنطي ألكسيوس الثالث عام (594هـ/1198م)، الذي يوضح فيها غضب البابوية والمسيح بحد ذاته من ضلال كنيسة القسطنطينية وانحرافها وانشقاقها عن الكنيسة الأم في روما، وقدم تهديداً واضحاً وصريحاً للإمبراطور ألكسيوس الثالث أنه سيصحح هذا الاعوجاج بالقوة وسيوحد الكنائس تحت سلطان البابوية بالقوة بحال يكون المسؤولون عن الموضوع لم يأخذوا أي خطوة فعلية لإعادة كنيسة القسطنطينية للعقيدة المسيحية الصحيحة وابتعادها عن الضلال⁽²⁾، ويتبين مما سلف أن الشقاق الديني بين الكنيستين هو الدافع القوي في تحميل البابا المسؤولية لتوجيه الحملة ضد القسطنطينية، ورسم خطط مسبقة لذلك، وبالتالي التهديد الذي سطره البابا أنوسنت الثالث لألكسيوس الثالث تم تنفيذه عند حرف الحملة الصليبية الرابعة نحو القسطنطينية والاستيلاء عليها وإقامة حكم لاتيني فيها، وتعيين بطريرك كاثوليكي لاتيني في كنيستها يتبع للبابوية في جميع قراراته.

وما يؤكد خطط البابا أنوسنت الثالث المسبقة لتوجيه الحملة الصليبية الرابعة نحو القسطنطينية رسالته التي سطرها للبطريرك البيزنطي كمانتيروس يعلن تمرده واستنكاره لمسألة انفصال كنيسة القسطنطينية عن كنيسة روما وانشقاقها، ويهدده أنه سيمحي هذا العار ويخضع كنيسة القسطنطينية للسلطان البابوي⁽³⁾ وهذا التهديد تم تنفيذه بشكل واضح بعد غزو القسطنطينية وتعيينه على كنيسة القسطنطينية الأرثوذكسية بطريركاً كاثوليكياً، بالتالي كل ما سلف يدل بشكل واضح على الدور الفعال الذي اسهم به البابا أنوسنت الثالث في توجيه الحملة الصليبية الرابعة

¹ - عبد الهادي. (2011م): الاستيلاء الصليبي على القسطنطينية، ص 117.

² - عبيد. (1970م): روما وبيزنطة، ص 133.

³ - Brand. (1988.A.D): Byzantium Confronts The West, pp.225-226.

نحو القسطنطينية والاستيلاء عليها، فإنه رسم لنفسه خطة محكمة، وليستفيد من ظروف الحملة، ويستغلها لتنفيذ خططه وتوجيه الحملة نحو القسطنطينية، وتسنى له تنفيذ كل تهديداته ضد بيزنطة وكنيستها وتحقيق أهدافه وغاياته بعد استيلاء الصليبيين على القسطنطينية، وبذلك يكون البابا أنوسنت الثالث هو من تقع على عاتقه مسؤولية حرف الحملة الصليبية الرابعة نحو القسطنطينية. في الواقع استطاع البابا بذكائه السياسي في استغلال ظروف الحملة الصليبية الرابعة لينفذ خطته ويوجه الحملة نحو القسطنطينية. ويتضح ذلك من خلال عدة نقاط: منها تهاونه في عقاب الصليبيين الذين توجهوا إلى مدينة زارا المسيحية، ومنها تأييده لدعم الأمير البيزنطي ألكسيوس الرابع في إعادته إلى عرشه المسلوب⁽¹⁾ بالنسبة لاستغلال البابا توجه الصليبيين إلى مدينة زارا المسيحية. في الواقع أن تهاون البابا في معاقبة الصليبيين في التوجه نحو مدينة زارا المسيحية وقتل أهلها كانت رسالة مبطنة للصليبيين ليشجعهم على التوجه نحو القسطنطينية والاستيلاء عليها، ولن يسهم أي عقاب بابوي، بل كان تهاونه في مسألة زارا بمثابة دعم وتشجيع للصليبيين للتوجه نحو مدينة القسطنطينية المسيحية، بالتالي استغل هذا الانحراف ليدعم الصليبيين في التقدم نحو القسطنطينية، وبذلك يكون قد استغل هذا الانحراف لينفذ خطته، ويسيطر على القسطنطينية وكنيستها⁽²⁾ يوجد الكثير من المؤرخين اللاتين المعاصرين للحملة الصليبية الرابعة والمؤرخين المحدثين أيضاً الذين رفضوا تحميل البابا مسؤولية حرف الحملة نحو زارا بحجة غضب البابا العام عند سماعه بتوجه الحملة نحو زارا وقتل أهلها المسيحيين⁽³⁾ متجاهلين حب البابا أنوسنت الثالث للقيادة والسيطرة السياسية والدينية على مقالد الأمور وتوجه الصليبيين نحو زارا من دون أخذ موافقته ومباركته عارض رغبته الجامحة في القيادة والسيطرة، بالتالي يكون غضب البابا عائداً إلى أخذ قرارٍ بالتوجه نحو مدينة زارا من دون الرجوع إليه وعد ذلك فقدان البابوية سيطرتها على التحكم بخط سير الحملة، وجعل البندقية ودوقها تكون القرارات بيدهم متجاهلين وجود مندوب بابوي بالحملة، ولاسيما بعد رفض دوق البندقية وجود هذا المندوب بصفة مندوب أو نائب للبابا، وقبل بوجوده فقط بصفته واعظاً لا أكثر.

¹ - عبد الهادي.(2011م): الاستيلاء الصليبي على القسطنطينية، ص120.

² - عبيد.(1970م): روما وبيزنطة، ص347.

³ - فيلهاردن.(1995م): الاستيلاء على القسطنطينية، من خلال الموسوعة الشامية، ج10، ص58؛ رنسيان.(د.ت): تاريخ الحروب الصليبية، ج3، ص212؛ عبده.(2019م): علاقة البابا أنوسنت الثالث بالإمبراطورية اللاتينية في القسطنطينية، ص263-265؛ غنيم.(1989م): الحملة الصليبية الرابعة، ص65.

كل ما سلف أوحى للبابا أنه فقد سيطرته على قرارات الحملة وسيرها، لذلك أصدر قرار الحرمان الكنسي بحق كل من توجه إلى زارا.

في الحقيقة كان توجه الحملة نحو زارا بموافقة من مندوب البابا ورجال الدين الذين شجعوا على هذا الانحراف الذي يعزز إرادة البابا، وأكدوا قرارات البابا بوجود رجال الدين بالحملة لحقن الدماء المسيحية في مدينة زارا قدر الإمكان، وذلك يدل على خطة البابا أنوسنت الثالث المسبقة لتوجيه الحملة نحو القسطنطينية، وتساهله مع الصليبيين في مسألة حرف الحملة نحو زارا، لكن كانت خطته مزدوجة، وهي توجيه الحملة نحو القسطنطينية والتساهل في الحرف نحو زارا وإلقاء المسؤولية على البندقية ودوقها لأنه صاحب الفكرة في حرف الحملة نحو زارا، هذه الفكرة التي تظاهر البابا برفضها والغضب منها عند حدوثها، وأعلن قرار الحرمان على متبعيها. بالواقع كان توجه الحملة نحو زارا يصب في مصلحة البابوية، وتسهل عليها توجيه الحملة نحو القسطنطينية ليخضع كنيستها لسلطته؛ هذا يدل على مكر البابوية في إلقاء مسؤولية حرف الحملة لبلد مسيحي على عاتق البندقية، وبالوقت نفسه يحقق غايته ومساغيه ومطامعه المرسومة سلفاً، ولاسيما قدرة البابا في إعاقه تقدم الحملة نحو زارا بوصفه الزعيم الكاثوليكي الأول للصليبيين والحملة الصليبية الرابعة، ويده كلمة الحل والربط وبكلمة يستطيع حقن الدم المسيحي، بالإضافة لقدرته على دفع المال المترتب على الصليبيين وعدم إخضاعهم لضغوط دوق البندقية، ولاسيما وأن خزانة البابوية كانت مليئة بالمساعدات المالية التي تصل إليها بشكل دائم من خلال الرسوم والضرائب التي فرضت على مدن أوروبا لتدعم الحملة الصليبية الرابعة التي كان بإمكانه استخدامها لتسديد ديون البندقية لكنه لم يفعل ذلك⁽¹⁾، وهذا يدل على دور البابا في حرف الحملة نحو زارا أولاً، وثم نحو القسطنطينية لإخضاع كنيستها لسلطة كنيسة روما والبابوية مع الحفاظ على سمعة البابوية بوصفها السلطة الدينية ذات المكانة الرفيعة والأهداف السامية التي تحافظ على الدم المسيحي وإلقاء كل المسؤولية على عاتق البندقية ودوقها.

أشارت المصادر اللاتينية إلى غضب البابا من انحراف الصليبيين نحو زارا، وكتب لهم محذراً من عدم إعادة كل ما نهب إلى أصحابه المسيحيين، وإلا سيموتون وهم محرومون من رحمة الكنيسة وعفوها وأعلن البابا

¹ - عبد الهادي.(2011م): الاستيلاء الصليبي على القسطنطينية، ص 1121-1122.

قراراً رسمياً بحرمان جميع أفراد الحملة الصليبية الرابعة، لذا قرر الصليبيون مفاوضة البابا والتماس العذر منه وإلغاء قرار الحرمان عنهم، ووافق البابا على رفع قرار الحرمان عن الصليبيين وشموله على البنادقة فقط، مسوغاً ذلك بأنه يعلم أن الخطأ الذي صدر بانحراف الحملة صوب زارا هو خطأ البنادقة فقط⁽¹⁾

وسرعة البابا في العفو عن الصليبيين وسحب مسؤوليتهم عن هذا الانحراف واتهام البندقية به يدل على انتظار البابا طلب الصليبيين النادمين على فعلتهم، ليستجيب لهم بسرعة ودون تفكير أو تردد وكأنه كان يعلم ما سيقوم به الصليبيون، وبالتالي يرفع المسؤولية عنهم ويلقيها على البنادقة من جهة، ويحقق غايته ومصلحته من جهة ثانية⁽²⁾، وبعد رفعه قرار الحرمان عن الصليبيين وقصره فقط على البنادقة المسؤولين بنظر البابا عن هذا الحرف، لم يمنع الصليبيين من التعاون مع البنادقة بل شجعهم ليكونوا يداً واحدة، ويحافظوا على وحدة جيشهم وتماسكه لتتم على أيديهم خدمة الله⁽³⁾، وهذا دليل واضح على دور البابا في حفر الحملة نحو زارا ليكون ذلك تمهيداً لتوجيهها نحو القسطنطينية وإخضاع كنيسة لسلطة البابوية، ودليل أن غضب البابا من احتلال زارا وإلقائه على عاتق البندقية خطة من البابا ليخفي خلف هذا الرفض نواياه وخطته في تحقيق أهدافه من دون مساس مكانة البابوية وسمعتها بسوء.

ولاسيما أن البابا كان بإمكانه التمسك بقرار الحرمان الذي أصدره على الحملة، وبالتالي يمنع أي حفر للحملة، لكنه بذكائه السياسي استغل هذه الظروف لينفذ خطته المرسومة، ويحقق غايته المنشودة في الاستيلاء على القسطنطينية وإخضاع كنيسة لسلطته من خلال توجيه الحملة الرابعة نحو القسطنطينية⁽⁴⁾

¹ - روبرت دي كلاري.(1995م): سقوط القسطنطينية بيد الصليبيين، من خلال الموسوعة الشامية، ج10، ص213؛ فيلهاردين.(1995م): الاستيلاء على القسطنطينية، من خلال الموسوعة الشامية، ج10، ص65-66؛ زيتون.(1980م): العلاقات السياسية والكنسية، ص329؛ غنيم.(1989م): الحملة الصليبية الرابعة، ص66.

Ostrogorsky.(1998.A.D): History Of The Byzantine State, p.415.

² - عبد الهادي.(2011م): الاستيلاء الصليبي على القسطنطينية، ص123.

³ - روبرت دي كلاري.(1995م): سقوط القسطنطينية بيد الصليبيين، من خلال الموسوعة الشامية، ج10، ص213؛ زيتون.(1980م): العلاقات السياسية والكنسية، ص319.

⁴ - عبد الهادي.(2011م): الاستيلاء الصليبي على القسطنطينية، ص123.

يتضح مما سلف الدور الذي أسهم به البابا أنوسنت الثالث في حرف الحملة نحو مدينة زارا المسيحية من خلال تجاهله عن فكرة دفع ديون الصليبيين من خزينة البابوية الممتلئة، وتهاونه في معاقبة الصليبيين عن احتلال زارا بالتالي كل ما سلف كان تشجيعاً مبطناً من البابا للصليبيين للتوجه نحو القسطنطينية.

أما بالنسبة لدعم البابوية لقضية الأمير البيزنطي ألكسيوس الرابع ومساعدته ليستعيد عرشه المسلوب والذي يوضح دور البابوية في حرف الحملة الصليبية الرابعة، نحو القسطنطينية والاستيلاء عليها، ويوضح ذكاء البابا أنوسنت الثالث في استغلال ظروف الحملة لينفذ خطته المسبقة في الاستيلاء على القسطنطينية وتوجيه الحملة ضدها، فقد ذكر سالفاً أن ألكسيوس الرابع قد تواصل مع الحملة الصليبية الرابعة وطلب منهم العون لاستعادة عرشه وعرش أبيه المسلوب مقابل تعهدات ضخمة قدمها للصليبيين أهمها: تقديم مبلغ هائل من المال للصليبيين، وتأمين خمسمئة فارس بيزنطي للمشاركة بالحملة الصليبية الرابعة ضد مصر، بالإضافة إلى تأكيد ألكسيوس على وضع الإمبراطورية البيزنطية وكنيستها تحت سلطة البابوية، وحكمها وكنيسة روما في الواقع هذا ما يسعى البابا أنوسنت الثالث إلى تحقيقه من وراء الحملة الصليبية الرابعة وتوجيهها صوب القسطنطينية⁽¹⁾

في الواقع ظهر تباين بين المؤرخين فيما يخص قبول البابا أنوسنت الثالث دعم الأمير ألكسيوس الرابع، فقد أشار فيلهاردين لرفض البابا لتقديم الدعم لألكسيوس الرابع بحجة عدم رغبته في ترك هدف الحملة المنشود لتحرير بيت المقدس والتوجه لمحاربة المسيحيين⁽²⁾، بينما أشار روبرت دي كلاري أن رجال الدين المرافق للحملة الصليبية الرابعة قدموا فتوى شرعية على وجوب التوجه نحو القسطنطينية لمساعدة ألكسيوس الرابع⁽³⁾، وقد دعم صاحب المورة المؤرخ المجهول قول روبرت دي كلاري عندما أكد على قبول البابا لعرض ألكسيوس الرابع، وأفته بشرعية قتال البيزنطيين لمناصرة ألكسيوس، وكل من يموت يعد شهيداً ومغفور الخطايا⁽⁴⁾، بينما وضح الباحث

¹ - جيبون.(1997م): اضمحلال الإمبراطورية الرومانية وسقوطها، ج3، ص222-224؛ رنيمان.(د.ت): تاريخ الحروب الصليبية، ج3، ص203؛ عبده.(2019م): علاقة البابا أنوسنت الثالث بالإمبراطورية اللاتينية في القسطنطينية، ص260.

Pears.(1987.A.D): Story Of The Fourth Crusade, pp.273-275.

² - فيلهاردين.(1995م): الاستيلاء على القسطنطينية، من خلال الموسوعة الشامية، ج10، 23؛ زيتون.(1980م): العلاقات السياسية والكنسية، ص392.

³ - روبرت دي كلاري.(1995م): سقوط القسطنطينية بيد الصليبيين، من خلال الموسوعة الشامية، ج10، ص236.

⁴ - مؤرخ المجهول.(1995م): تاريخ المورة، من خلال الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية، ج10، ص386.

أسحق عبيد أن رجال الدين والأساقفة اللاتين قدموا مسوغات واضحة تؤكد على أثر الشقاق الديني في الهجوم على القسطنطينية المسيحية. وبالتالي تدل على دور البابا في غزو القسطنطينية وأهم هذه المسوغات أن القسطنطينية تمردت على كنيسة روما وكنيسة القسطنطينية منشقة ومهرطقة، وأن البيزنطيين أعداء السيدة العذراء وأن غزو القسطنطينية والاستيلاء عليها تحقيق لإرادة الله التي بشر بها البابا أوربان الثاني وخلفاؤه⁽¹⁾ وبالتالي بشر بها أنوسنت الثالث وتسويغات الأساقفة اللاتين تؤكد أن البابوية بشرت ودعت للهجوم على القسطنطينية لتحقيق إرادة الله وبالتالي تؤكد دور البابا أنوسنت الثالث في هذا الغزو.

لكن امتلاك البابا أنوسنت الثالث من الذكاء والدهاء ما يجعله بريئاً من كل الاتهامات، فقد حرص على خلو رسائله من أي كلمة تدين تورطه في مسألة دعم الأمير ألكسيوس الرابع وجعل عباراته مبهمه وغير واضحة المعنى، ولا سيما عندما سطر رسالة للإمبراطور ألكسيوس الثالث يعلمه عن وصول ألكسيوس الرابع إلى الغرب اللاتيني وطلبه يد العون من اللاتين، ووضح البابا أن سياسته حيال الأمير ألكسيوس الرابع برد غامض ومبهم حيث قال لقد أعطينا الأمير جواباً وفقاً لما نراه ضرورياً، وهنا سؤال يطرح نفسه ما هو الهدف الضروري بالنسبة للبابا؟ هل الوصول إلى بيت المقدس أهم من توحيد الكنائس تحت إمرته وزعامته؟ أم العكس؟ لكن في الحقيقة قد أثبتت بعض المنحوتات المعمارية والأثرية الهدف الأسمى والأول بالنسبة للبابا أنوسنت الثالث، وهي توحيد الكنائس تحت زعامته وإخضاع القسطنطينية وكنيستها لسلطته ونفوذه، ويستنتج من وجود منحوتة من الفسيفساء في⁽²⁾ كنيسة سان دو جوفاني الأنجيلي⁽³⁾ تعود لعام (610هـ/1213م) أن هناك اتفاق رسمي جمع البابا أنوسنت والأمير ألكسيوس الرابع قبل فيه البابا تقديم المدد والعون لألكسيوس الرابع لإعادة عرشه وعرش والده المسلوب، مقابل إخضاع كنيسة القسطنطينية لسلطة البابوية وكنيسة روما وتبين لقاء البابا أنوسنت الثالث مع الأمير ألكسيوس الرابع، بالإضافة إلى ما سطره أحد رجال الدين الذي كان من المؤقدين من زارا على روما لمقابلة البابا أنوسنت

¹ - رمضان. (2008م): بينظرة والحروب الصليبية، ص 65؛ عبيد. (1970م): روما وبينظرة، ص 339-340.

² عبد الهادي. (2011م): الاستيلاء الصليبي على القسطنطينية، ص 125.

³ - كنيسة سان دو جوفاني: تقع هذه الكنيسة في بورتا لاتينا في روما، وفي هذا المكان نفسه وضع القديس يوحنا جوفاني في الزيت المقلي بأمر من الإمبراطور دوميتيان Domitian (81-96م)، والذي خرج منه دون أي ضرر، واتسمت هذه الكنيسة على اسمه

.Hart Vauchan, Peter Hicks. (2006): Palladio, s Rome, yale university Press new Haven and landon, p.156.

Thelen. Daniel. (2015): Sants In Rome And Beyond. lulu Press, NE. p.309. Woodward, Christopher. (N.D): The Buildings of Europe, Manchester University Press, p.44.

الثالث، فقد كتب عن شدة كره البابا أنوسنت الثالث للقسطنطينية وأهلها، وعن رغبة البابا العارمة في بسط سلطانه عليها وأن يتم الاستيلاء عليها من قبل اللاتين، لكن قدر الإمكان تفادي إراقة الدماء⁽¹⁾

وهذا دليل واضح على دور البابا أنوسنت الثالث في توجيه الحملة الصليبية الرابعة نحو القسطنطينية، فمهما حاول إخفاء تورطه وحقيقة خطته المرسومة لتوجيه الحملة نحو القسطنطينية كان كرهه الكبير للإمبراطورية البيزنطية وكنيستها يكشف نواياه وخطته المرسومة لتوجيه الحملة نحو القسطنطينية والاستيلاء عليها لتشكيل حكم لاتيني فيها يتبع لسلطة البابا.

في الواقع كانت الرسائل التي سطرها البابا أنوسنت الثالث لبلدوين كونت فلاندر بعد سقوط القسطنطينية أكبر دليل على دور البابا ومسؤوليته الكبيرة في توجيه الحملة الرابعة نحو القسطنطينية. ففي عام (1204/هـ601م) قام بلدوين كونت فلاندر بعد حصوله على التاج الإمبراطوري للإمبراطورية اللاتينية الجديدة بكتابة ما ظفرت به الحملة الصليبية الرابعة من إنجازات، للبابا أنوسنت الثالث، واطر بالتفصيل كيفية دخولهم للقسطنطينية والاستيلاء عليها، وعن فرح النائب البابوي ودعائه المستمر للبابا زعيم جميع الكنائس المسيحية في العالم عند تعيين بلدوين كونت فلاندر أول إمبراطور لاتيني للإمبراطورية اللاتينية في القسطنطينية، وكانت فرحة البابا كبيرة وردة فعله سريعة⁽²⁾، فقد سطر لبلدوين كونت فلاندر رسالة مليئة بالفرح والفخر من النصر المؤزر الذي حققته الحملة الصليبية الرابعة في القسطنطينية، وسوغ فرحه الكبير بهذا النصر لأنه تم بعون ومساعدة من الرب ومن الطبيعي أن البابا يفرح لتنفيذ إرادة الرب التي أعادت كنيسة القسطنطينية المنشقة والضالة إلى الطريق الصحيح الذي تتبعه الكنيسة الأم كنيسة روما⁽³⁾

وهذا يعد خير دليل على أثر الشقاق الديني العظيم بين كنيسة روما وكنيسة القسطنطينية هو الدافع في كره البابوية واللاتين لكل ما هو بيزنطي، ويعدهم منشقين ومنحرفين ومهرطقين، ويجب تقويم انحرافهم بالقوة والسيطرة على عاصمتهم وكنيستهم، وهذا ما تم في الحملة الصليبية الرابعة التي رسم البابا أنوسنت الثالث توجيهها ومسيرها

¹ - عبد الهادي. (2011م): الاستيلاء الصليبي على القسطنطينية، ص125.

² - رمضان. (2008م): بيزنطة والحروب الصليبية، ص66؛ عبيد. (1970م): روما وبيزنطة، ص347.

³ - رنسيان. (د.ت): تاريخ الحروب الصليبية، ج3، ص230.

بخطه محكمة للاستيلاء على القسطنطينية وكل ما سلف يؤكد ذلك بالإضافة لتسويات رجال الدين والرهبان والأساقفة المشاركين في الحملة الذين دعموا فكرة التوجه إلى القسطنطينية والاستيلاء عليها ونهبها بجملة من المسوغات منها أن كنيسة القسطنطينية منشقة ومهرطقة، وأن غزوها هو تحقيق لإرادة الله، وتغفر الخطايا لكل من ساهم فيها كل ما سلف يعد دلائل واضحة على تورط البابا في توجيه الحملة الصليبية الرابعة نحو القسطنطينية والاستيلاء عليها.

لكن المصادر اللاتينية تضع صورة للبابا، أنه كاره لاستباحة الدم المسيحي، وأنه الزعيم الكاثوليكي الذي يعمل فقط لتصحيح الاعوجاج والضلال الذي بدر من كنيسة القسطنطينية، دون رغبة في إباحة الدم المسيحي وخاصة عندما أشاروا إلى غضب البابا من الجرائم والأهوال التي ارتكبتها اللاتين بحق البيزنطيين، واستنكاره كل عمل عدواني عنيف قام به اللاتين، وقام بلوم على قائد الحملة الصليبية الرابعة وتأييده عن الجرائم التي حدثت⁽¹⁾، لكن السؤال الذي يطرح نفسه هنا هل الزعيم الأول للكاثوليك وسيد العالم المسيحي وسلطة الحل والربط في يده كما سلف وأعلن عن سياسته ومركزه في العلم المسيحي، لا يستطيع ردع جنوده الصليبيين الكاثوليك الذين انطلقوا من الغرب الأوروبي بدعوة ودعم ومساندة منه من الاعتداء على المسيحيين الشرقيين؟.

في الواقع أن فكرة التأييد واللوم التي قام بها البابا أنوسنت ضد قائد الحملة الصليبية الرابعة لا ترفع عنه مسؤوليته في الاستيلاء اللاتيني على القسطنطينية، وهو يملك بيده السلطة والمكانة والقوة التي تمكنه من منع أي عمل يستكره من الأعمال العدائية يقوم بها الصليبيون ضد البيزنطيين، بحال لو كان هو فعلاً مستكراً ومعارضاً هذه الأعمال⁽²⁾، ولعل هذا اللوم والاستنكار الذي وضحه البابا ضد الجرائم التي قام بها اللاتين ضد البيزنطيين لم يكن سوى سياسة ذكية لإخفاء تورطه وهو الزعيم الكاثوليكي الديني الأول للمسيحيين بجرائم قتل ضد المسيحيين الأرثوذكس، ولكي يحافظ على سمعة البابوية ضمن العالم المسيحي ومكانتها.

في الواقع البابا ثار غضباً ليس على الجرائم التي ارتكبتها اللاتين بحق البيزنطيين الأرثوذكس وإنما كان غضبه صادراً من مسألة تعيين مورسيني بطريركاً في كنيسة القسطنطينية، واستنكار الطريقة التي تم تولية فيها

¹ - رنسيان. (د.ت): تاريخ الحروب الصليبية، ج، ص 231-232؛ غنيم. (1989م): الحملة الصليبية الرابعة، ص 100-101.

² - عبد الهادي. (2011م): الاستيلاء الصليبي على القسطنطينية، ص 126.

مورسيني منصب البطريرك في القسطنطينية، ولا سيما أن البابا لم يعلم بهذا التنصيب إلا بعد عدة شهور، بالتالي البابا فقد السيطرة على القرارات السياسية والدينية التي ستحصل في الإمبراطورية اللاتينية الجديدة في القسطنطينية، وهذا يناقض فلسفته ونظريته في سيطرة البابوية على السلطة الدينية والسياسية في العالم المسيحي في الشرق والغرب، بالتالي تعيين بطريرك لاتيني في كنيسة القسطنطينية بعد الاستيلاء عليها من حق البابوية ومن ضمن صلاحياتها الخاصة، بالإضافة إلى غضب البابا ورفضه خطط البندقية ودوقها الذي يسعى لتفرد البندقية بالسلطة الدينية في القسطنطينية واستحواذ المناصب البطريركية للبادقة فقط دون غيرهم، لكن سرعان ما وضعت تسوية بين البابا ومورسيني تمنح البابوية امتيازات تعيين البطارقة في القسطنطينية، مقابل منح الدوق هنري داندلو العفو البابوي، ورفع الحرمان الكنسي عنه⁽¹⁾، وبعد تسوية أمور البابا أنوسنت الثالث مع مورسيني لم نسمع عن غضب البابا أو تأنيبه لأي من الصليبيين على جرائمهم وتكليفهم للبيزنطيين، بالتالي عندما نظم أموره مع مورسيني زال سبب غضبه، ولم يعد يذكر، أو يؤنب اللاتين على جرائمهم، وهكذا كان للبابوية اليد الطولى في حرف الحملة الصليبية الرابعة نحو القسطنطينية والاستيلاء عليها.

في الواقع كانت خطة البابا في إخفاء نواياه، وإظهار عكسها فيما يخص توجه الحملة الصليبية الرابعة واضحة في خطابه، فقد تعتمد على طرح أفكار تؤكد أبعاد مسؤولية حرف الحملة نحو القسطنطينية والاستيلاء عليها عن عاتق البابوية، لكن حقه الديني على البيزنطيين كان يتضح بكل عبارة يسطرها، ويؤكد على دوره في الاستيلاء على القسطنطينية وتنفيذ خطته المرسومة.

فقد بينت خطابه موقفه الشكلي المستكرر لاستيلاء اللاتين على العاصمة البيزنطية، وعن جهوده المبذولة لمنع هذا الاستيلاء، كما وضع البابا حقه الديني الذي يعيش في قلبه وقلب كل اللاتين، عندما كتب عن انفصال كنيسة القسطنطينية عن الكنيسة الأم في روما، وأكد على تورطه في حرف الحملة، عندما وضع أنه سعى بكل جهد لتوحيد كنيسة روما وكنيسة القسطنطينية تحت سلطان البابوية، وهدفه المنشود في تصحيح اعوجاج العقيدة المسيحية المتبعة عند البيزنطيين، ومن واجب البابوية تقويم هذا الاعوجاج وإعادة البيزنطيين إلى العقيدة

¹ - عبيد. (1970م): روما وبيزنطة، ص 351.

الصحيحة⁽¹⁾، كما سطر البابا رسالة لأحد جال الدين وهو رئيس أساقفة مدينة تور مليئة بالنشوة من مسألة إخضاع كنيسة القسطنطينية بالقوة لسلطانه، وكسر تعالي البيزنطيين وعجرتهم⁽²⁾، فكانت رسائل البابا سالفه الذكر تؤكد على خطته ودوره في توجيه الحملة الصليبية الرابعة نحو القسطنطينية، وتوضح دوره في الاستيلاء على القسطنطينية وإخضاعها لسلطته، والأهم من ذلك تبين خطته التي تحاول إبعاد مسؤوليته عن هذا الاستيلاء، من خلال الردع الشكلي الذي قام به البابا للصليبيين، الذي يستتر خلف دعمه المبطن والفعلية لسير الحملة نحو القسطنطينية، وتهاونه مع الصليبيين بحال عدم وضع أوامره موقع التنفيذ، وكان ذلك واضحاً من خلال وضوح حقه الديني الذي ظهر فيما بين سطور التي سطرها وضحت نواياه الحقيقية في رسمه المسبق لخط سير الحملة الصليبية الرابعة وشحنه للصليبيين للتقدم نحو القسطنطينية ليتم الاستيلاء عليها وإخضاعها لسلطته بالقوة.

كذلك كتب البابا أنوسنت الثالث رسالتين: واحدة إلى قائد الحملة الصليبية الرابعة، والثانية إلى زوجته البيزنطية ماري أرملة الإمبراطور البيزنطي إسحق الثاني، وطلب في رسالته الأولى من بونيفاس الولاء المستمر لسيدة الكنائس المسيحية، كنيسة روما، وكان رد بونيفاس مليئاً بالورع، بالود والولاء للبابا أنوسنت، مؤكداً على عمله الجاد والحديث الذي يرفع من مكانة كنيسة روما، وكانت رسالته الثانية مليئة بالسعادة والتهنئة لتخلص الإمبراطورة ماري من الأعراف والطقوس الخاطئة التي كانت تتبعها، ويهنئها على اتباع الطقوس والأعراف الكاثوليكية القويمة، كما أعلن عن بسط حماية البابوية وسلطتها على ماري وزوجها وأملأها⁽³⁾، كما تفاخر بأحد رسائله التي سطرها لرجال الدين والأساقفة الذين ساهموا في الحملة الرابعة، وغزوها للقسطنطينية بالطريقة التي استطاع من خلالها إخضاع كنيسة القسطنطينية والقضاء على عجرتهم وتعاليمهم وذلمهم بالقوة، وقد استشهد بنبوءة⁽⁴⁾ النبي دانيال⁽⁵⁾ التي أكدت على قدرة الله في إذلال من يشاء، وهذه النبوءة تحققت بسيطرة البابوية وكنيسة روما على كنيسة

1 - عبد الهادي (2011م): الاستيلاء الصليبي على القسطنطينية، ص 126-127.

2 - عبيد (1970م): روما وبيزنطة، ص 315.

3 - عبيد (1970م): روما وبيزنطة، ص 315.

4 - رمضان (2008م): بيزنطة والحروب الصليبية، ص 66.

5 - النبي دانيال: هو اسم عبري معناه الله قضى وهو اسم أحد الأنبياء الأربعة الكبار في التراث اليهودي المسيحي، ولد في أورشليم، وسبي إلى بابل سنة (606 ق.م) وأتى بأمر نبوخذ نصر إلى بابل، وتعلم هناك اللغة الكلدانية، وعمل بالقصر الملكي في بابل، وقد كتب النبي دانيال السفر المعروف باسمه "سفر دانيال". السويدان، طارق (2020م): أنبياء بني إسرائيل، الإبداع الفكري، ط1، ص 287.

القسطنطينية الضالة والمنحرفة والقضاء على الإمبراطورية البيزنطية التي كانت تدعمها في هذا الضلال⁽¹⁾، وكلام البابا السالف الذكر يدل أن أثر الخلاف الديني قد تحكم بمشاعر البابوية وسياستها وعقليتها وأهدافها، بالتالي جعلها ترسم خطاً مسبقاً لسير الحملة الصليبية الرابعة نحو القسطنطينية والاستيلاء عليها والسيطرة على كنيسة، وتشكيل حكم لاتيني فيها.

وأكمل البابا رسالته لرجال الدين باتهام البيزنطيين بجملة من الاتهامات بطريقة هجومية منها عدم إمكانية البيزنطيين من فهم طبيعة السيد المسيح بشكل صحيح وسليم، وإنكارهم للمساواة بين روح القدس والابن - إن للمسيح طبيعتين بشرية وإلهية - يدل على عدم فهمهم لطبيعة السيد المسيح فحسب، بل للكتاب المقدس ككل، وطلب من رجال الدين بذل جهد مضاعف في نشر العقيدة الكاثوليكية الصحيحة وتقويم عقيدة البيزنطيين المنحرفة، ولاسيما بعد زوال السلطة الكريهة الداعمة لهذا الانحراف وسقوط كنيسة المهترئة⁽²⁾، ولم يكتف البابا أنوسنت بذلك، بل أصدر أوامره عام (601هـ/1204م) لكل رجال الدين اللاتين الموجودين في القسطنطينية بوجوب التعامل في الطقوس والأعراف اللاتينية الكاثوليكية داخل الكنائس البيزنطية في جميع أرجاء الإمبراطورية البيزنطية، ومنع الطقوس والأعراف البيزنطية المنحرفة، حتى يكون كل النظام الكنسي في الشرق والغرب يتبع لسلطة البابا وكنيسة روما، ولتأكد من تنفيذ الأوامر سيرسل نائباً بابوياً ينوب عنه في الإمبراطورية اللاتينية الجديدة في القسطنطينية ليشرف على شؤون كنيسة بيزنطة⁽³⁾

يتضح مما سلف وضح دور البابا أنوسنت الثالث بغزو القسطنطينية والاستيلاء عليها والقضاء على الحكم البيزنطي فيها بشكل واضح بعيداً عن الاشتباه، فنوايا البابوية وأهدافها واضحة ضمن السطور التي خطها البابا أنوسنت الثالث في الرسائل السالفة ذكرها، ومتشابهة مع الرسائل التي سطرها للإمبراطور ألكسيوس الثالث عام (595هـ/1198م) المليئة بالتهديد والوعيد باستخدام القوة لإخضاع كنيسة القسطنطينية وإعادتها للعقيدة الصحيحة وإنقاذها من ظلالها بحال لم يتم التدخل من السلطات البيزنطية والمسؤولين عن هذا الخطأ وفي هذا

¹ - رمضان. (2008م): بيزنطة والحروب الصليبية، ص 66.

² - عبيد. (1970م): روما وبيزنطة، ص 348.

³ - عبيد. (1970م): روما وبيزنطة، ص 350.

دليل قاطع على دور أنوسنت الثالث في الحملة الصليبية الرابعة التي انتهت بهجوم الصليبيين على القسطنطينية والاستيلاء عليها عام (601هـ/1204م)⁽¹⁾ وكان البيزنطيون على علم تام بتورط البابوية ودورها في توجيه الحملة الرابعة نحو عاصمتهم والقضاء عليها، لأن الصليبيين خرجوا من الغرب اللاتيني بدعوة ودعم ومساندة من البابوية بالتالي الصليبيون هم جنود كنيسة روما ويتبعون للبابا أنوسنت، ويأخذون أوامرهم منه⁽²⁾، بالتالي كانت هناك مؤامرة لاتينية صليبية محاكة من قبل كل الأطراف المشاركة في الحملة الصليبية الرابعة وكل طرف حاول تحقيق أهدافه، وعلى راسهم البابوية التي رسمت خططها بشكل محكم لتوجيه الحملة الرابعة نحو القسطنطينية للقضاء عليها وعلى كنيستها وبسط سيطرتها الدينية والسياسية، وبالتالي تحقق أهدافها الكنسية التي كانت تحلم بتحقيقها⁽³⁾، ويتضح مما سلف أن انحراف الحملة الصليبية الرابعة والاستيلاء على القسطنطينية المسيحية الارثوذكسية لم يكن الحدث الذي وقع بفعل المصادفة، ولا متأثر بظروف سياسية داخلية للإمبراطورية البيزنطية، وإنما كان حدثاً مخططاً له ومرسوماً بشكل جيد وذكي من قبل البابا أنوسنت الثالث الذي سعى لتحقيق حلم البابوية الحاقدة على البيزنطيين الأرثوذكس المهرطقين والوثنيين المنشقين -في نظر البابوية واللاتين- والتي طالما كان حلمها السيطرة على كنيسة القسطنطينية وبذلك يكون أثر الشقاق الديني واضحاً من ضمن الدوافع التي أدت إلى توجيه الحملة الصليبية الرابعة نحو القسطنطينية والاستيلاء عليها.

¹ - عبد الهادي. (2011م): الاستيلاء الصليبي على القسطنطينية، ص130.

² - زيتون. (1980م): العلاقات السياسية والكنسية، ص294.

³ - عبد الهادي. (2011م): الاستيلاء الصليبي على القسطنطينية، ص130.

6- موقف حكومة نيقية البيزنطية من اللاتين.

بعد سقوط القسطنطينية بيد اللاتين وفرض كنيسة روما سلطتها ونفوذها على كنيسة القسطنطينية، وجد البيزنطيون صعوبة في التأقلم مع المحتلين الجدد، ولاسيما بعد ما لاقوه على أيديهم من ذبح وقتل وسلب، وبعد هذه الكوارث التي عاناها البيزنطيون من اللاتين، تبلورت عندهم فكرة المقاومة، لذلك هاجر عدد كبير من البيزنطيين من بينهم علماء ومتقنين ورجال دين وتجار أغنياء إلى أماكن بعيدة عن تواجد الصليبيين اللاتين لتشكيل مقاومة سياسية وعسكرية تواجه الاحتلال اللاتيني لبلادهم⁽¹⁾، ولاسيما بعد عجز الصليبيين بعد سقوط القسطنطينية عن مد سلطانهم على كافة الأقاليم في الإمبراطورية البيزنطية، فقد ظل جزءاً من آسيا الصغرى تابعاً للإغريق، وتم تأسيس عدة إمبراطوريات بيزنطية في المنفى قررت مواجهة اللاتين واستعادة القسطنطينية منها إمبراطورية⁽²⁾ طرابزون Tarabzon⁽³⁾ في آسيا الصغرى، وتم تأسيسها من قبل الأخويين ألكسيوس Alexius⁽⁴⁾ ودافيد كومنينوس Deved Comnenus (579-581هـ/1183-1185م) الطموحين اللذين تسنى لهما الفرار من القسطنطينية على أثر مقتل والدهما بعد ثورة عام (581هـ/1185م)، وتوجها إلى جورجيا Georgia ليطلبا الحماية من ملكتها التي تربطهم بها صلة قرابة فقد كانت ملكة جورجيا عمة ألكسيوس ودافيد، التي استقبلتهم بحفاوة ودعمتهم في تأسيس إمبراطورية طرابزون بعد سقوط القسطنطينية بيد اللاتين بشكل مباشر قامت ملكة جورجيا بتحريض ألكسيوس وأخيه في السيطرة على الحدود الشرقية للإمبراطورية البيزنطية، بما فيه المناطق الساحلية التي تحاذي طرابزون، ولكن دافيد مات في مدينة بثنيا Bathenia في أثناء محاولته للاستيلاء عليها، بينما ألكسيوس استطاع التوجه إلى طرابزون وتأسيس إمبراطورية مستقلة له هناك⁽⁵⁾، ومن الإمبراطورية البيزنطية التي تأسست في المنفى إمارة

¹ - عبد الهادي.(2011م): الاستيلاء الصليبي على القسطنطينية، ص245.

² - علي.(2002م): موقف بيزنطة من الغزو الصليبي، ص190.

³ - طرابزون: طرابزون: تقع على البحر الأسود ما بين أرمينيا، والأناضول، وتعد ميناء هام ومركز تجاري متميز، وكانت مكان لتجمع التجار الذين لهم تعامل تجاري مع الإمبراطورية البيزنطية. شهاب الدين، أحمد بن يحيى بن فضل الله القرشي العدوي ت749هـ/1348م.(د.ت): مسالك الأبحار في ممالك الأمصار، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ط1، ج3، ص394-395.

⁴ - ألكسيوس: أسس إمبراطورية طرابزون، وهو في عمر الثانية والعشرين، وعُين إمبراطور عليها عام (601هـ/1204م)، وأسس حكم لأسرته في طرابزون دام قرنين ونصف من الزمن، حتى عام (866هـ/1461م). عبد الهادي.(2011م): الاستيلاء الصليبي على القسطنطينية، ص245.

⁵ - Ostrogorsky.(1998.A.D): History Of The Byzantine State, pp424-428. Vasiliev.(1971.A.D): History Of The Byzantine Empire, vol II, pp.503-510

عبد الهادي.(2011م): الاستيلاء الصليبي على القسطنطينية، ص247.

إيبروس Epirus في شمال اليونان، التي تم تأسيسها على يد ميخائيل دوкас Michael Docas والذي يعود بأصله لأسرة أنجيلوس⁽¹⁾، وكانت أشهر هذه الإمبراطوريات البيزنطية هي إمبراطورية نيقية في الشمال الغربي من آسيا الصغرى وقد شكلت هذه الإمبراطوريات قوة حقيقية مواجهة للآتين ووجودهم في القسطنطينية، صحيح أن هذه الإمبراطوريات حاولت مواجهة الوجود اللاتيني لكنها كانت على تنافس شديد على اللقب الإمبراطوري لذلك لم يكن هناك أي نوع من التعاون فيما بينها فكان كل إمبراطورية يشكل جبهة مقاومة للوجود اللاتيني، ليحصل على شرف الفوز باللقب الإمبراطوري⁽²⁾، وكان لثيودور الأول لاسكاريس دوراً كبيراً في تأسيس إمبراطورية نيقية، حيث قام بجمع خيرة رجال القسطنطينية ومحاربيها ومتقفيها، وبما فيهم رجال الدين والبطريرك البيزنطي، وبذهب فيهم إلى نيقية ليشكل هناك مركز مواجهة عنيف ضد اللاتين؛ لذلك قامت إمبراطورية نيقية بزعامة إمبراطورها ثيودور لاسكاريس بدور بطولي وكبير ويفوق الدور الذي شغلته كل من إمبراطورية طرابزون وإيبروس وقام بدور كبير في مواجهة اللاتين وتحرير القسطنطينية عام (633هـ/1235م)⁽³⁾.

وقد أثبتت إمبراطورية نيقية وجودها السياسي الذي غطى على وجود باقي الإمبراطوريات البيزنطية التي تشكلت بالمنفى، فقد حصل نوع من العلاقات السياسية والتواصل مع الإمبراطورية اللاتينية بالقسطنطينية⁽⁴⁾ ففي عام (611هـ/1214م)، جمع الإمبراطور ثيودور والإمبراطورية اللاتينية في القسطنطينية علاقة مصاهرة أدت إلى نشوء جو من الوئام، وهذه المصاهرة خلقت جواً مناسباً من التقارب بين اللاتين والبيزنطيين في نيقية، وأدت إلى اعتراف الإمبراطورية اللاتينية بالقسطنطينية بـثيودور لاسكاريس إمبراطوراً في اتفاقية جمعت الطرفين عام (616هـ/1219م)⁽⁵⁾، وهذا النجاح السياسي والمكانة السياسية التي حصلت عليها إمبراطورية نيقية كانت بفضل

1 - رنسيان.(د.ت): تاريخ الحروب الصليبية، ج3، ص222.

2 - رنسيان.(د.ت): تاريخ الحروب الصليبية، ج3، ص282؛ هسي.(1984م): العالم البيزنطي، ص211.

3 - عمران.(2002م): الإمبراطورية البيزنطية وحضارتها، ص294؛ غنيم، اسمت.(1991م): دراسات في تاريخ إمبراطورية نيقية البيزنطية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ص163؛ يوسف، جوزيف نسيم.(1971م): العدوان الصليبي على بلاد الشام، مطبعة رويان، ط3، القاهرة، ص317.

4 - عمران.(2002م): الإمبراطورية البيزنطية وحضارتها، ص294؛ غنيم.(1991م): دراسات في تاريخ إمبراطورية نيقية البيزنطية، ص163؛ يوسف.(1971م): العدوان الصليبي على بلاد الشام، ص317.

5 - روبرت دي كلاري.(1995م): سقوط القسطنطينية بيد الصليبيين، من خلال الموسوعة الشامية، ج10 ص299؛ عبده.(2019م): علاقة البايبا أنوسنت الثالث بالإمبراطورية اللاتينية في القسطنطينية، ص283.

Longnon.(1949.A.D): Le Empire laten de Constantinople, pp.179-180.

جهود ثيودور وذكائه، وقوة مقاومته التي شكلت نوعاً من الرهبة في قلوب اللاتين، وتهدد وجودهم وانتصارهم في القسطنطينية، هذه الانتصارات التي حاولت جاهدة الحفاظ عليها ولاسيما بعد حث البابا أنوسنت الثالث الصليبيين في القسطنطينية بالحفاظ على وجودهم وعلى سلطة البابوية في القسطنطينية، ولذلك سعى الصليبيون للتودد والتقرب من ثيودور⁽¹⁾، كما قامت جمهورية البندقية بعقد معاهدة تجارية مع ثيودور لاسكاريس إمبراطور إمبراطورية نيقية البيزنطية، وبذلك استطاعت البندقية من حماية تجارتها من المقاومة العنيفة التي شكلتها إمبراطورية نيقية⁽²⁾ وبوجود البطريرك البيزنطي في إمبراطورية نيقية البيزنطية التي تم تأسيسها بالمنفى أخفقت مساعي البابا أنوسنت الثالث وأهدافه في توحيد الكنيستين الشرقية والغربية، فصحيح أن البابا قد فرض سلطته ونفوذه على كنيسة القسطنطينية إلا أنه في نيقية تم تشكيل كنيسة أرثوذكسية بيزنطية مستقلة، وتم تعيين بطريرك بيزنطي أرثوذكسي عليها، بالتالي سعى البابا أنوسنت الثالث لإخضاع كل الإمبراطوريات البيزنطية التي تشكلت في المنفى لسلطته ونفوذه وعلى راسهم إمبراطورية نيقية وكنيستها⁽³⁾

بعد سقوط القسطنطينية بيد اللاتين وفرض سلطة كنيسة روما على كنيسة القسطنطينية، فر عدد كبير من رجال الدين والرهبان والأساقفة، إلى الإمبراطوريات البيزنطية التي أسست بالمنفى، ولم يبقَ إلا نسبة قليلة جداً من رجال الدين البيزنطيين ضمن القسطنطينية؛ لذلك سعى البابا لانتهاج سياسة ودية ومعتدلة لكسب ما تبقى من رجال الدين البيزنطيين لصفه⁽⁴⁾، لذا أصدر قراراً بمنع نفي أو طرد أي رجل دين بيزنطي من منصبه في الأبرشيات الدينية في القسطنطينية بحال تم اعترافه بسلطة ونفوذ كنيسة روما والبابوية عليه⁽⁵⁾

¹ - رنسيما. (د.ت): تاريخ الحروب الصليبية، ج3، ص229؛ علي. (2002م): موقف بيزنطة من الغزو الصليبي، ص195

² - علي. (2002م): موقف بيزنطة من الغزو الصليبي، ص194-195.

³ - Vasiliev.(1971.A.D): History Of The Byzantine Empire, vol II, pp.217-218.

⁴ - مؤرخ المجهول. (1995م): تاريخ المورة، من خلال الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية، ج10، ص305؛ عبده. (2019م): علاقة البابا أنوسنت الثالث بالإمبراطورية اللاتينية في القسطنطينية، ص281.

Longnon.(1949.A.D): Le, Empire Latin Constantinople, p.65.

⁵ - Longnon.(1949.A.D): Le, Empire Latin Constantinople, p.65.

لكن إلى أي مدى كانت سياسة أنوسنت معتدلة وهو يطلب من رجال الدين البيزنطيين - الذي ينعتههم بالهرطقة والانحراف - أن يعترفوا بسيادته؟.

ولكي يتأكد من ولاء رجال الدين البيزنطيين لمكانته وسلطانه بعث مندوباً عنه إلى القسطنطينية ليتفاوض مع رجال الدين البيزنطيين بمنحهم إذنًا بالبقاء في مناصبهم بحال قدموا له قبولهم واعترافهم بسلطة البابا وكنيسة روما عليهم لكن تصدى لهذا المندوب رجل دين بيزنطي ويدعى⁽¹⁾ حنا ميساريتيس Jean Mesrites⁽²⁾، ورد على المندوب نيابةً عن رجال الدين البيزنطيين والأساقفة جميعاً الموجودين في القسطنطينية، أن البيزنطيين لديهم بطريرك يعترفون بسلطانه، لذلك لا حاجة للبيزنطيين للخضوع لغيره، وقد أثار رد حنا ميساريتيس غضب واستنكار مندوب البابا، وبدأ يشتم ويهدد رجال الدين البيزنطيين بالطرد، لكن رجال الدين البيزنطيين لم يكملوا نقاشهم وتفاوضهم مع المندوب البابوية، وانسحبوا من المفاوضات، وتدارك الإمبراطور اللاتيني بلدوين الأمر، وراسل البابا طالباً منه إرسال مندوب بابوي جديد ليتفاوض مع رجال الدين البيزنطيين، ويحسم المسائل الكنسية ما بين رجال الدين البيزنطيين واللاتين، وكما طرح بلدوين على البابا مسألة اتحاد الكنيستين المسيحيتين الشرقية والغربية بزعامة كنيسة روما، وتحت سلطة البابوية، وكان هذا الطرح مقبولاً ومرحباً به من قبل البابا أنوسنت الثالث، وسارع بإرسال مندوبٍ عنه إلى القسطنطينية ليقوم بالتفاوض مع رجال الدين البيزنطيين بشأن الوحدة الكنسية بزعامة كنيسة روما⁽³⁾، ويتضح من قبول البابا لعرض الإمبراطور اللاتيني في القسطنطينية بلدوين أف فلاندر، أن البابا أنوسنت الثالث على علم تام بإخفاق البابوية والإمبراطورية اللاتينية في القسطنطينية من كتلكة البيزنطيين، وعشية تعيين أساقفة كاثوليك داخل كتلة شعبية أرثوذكسية عنيدة وتمسكة بطقوسها وأعرافها.

¹ - زيتون. (1980م): العلاقات السياسية والكنسية، ص393؛ عبده. (2019م): علاقة البابا أنوسنت الثالث بالإمبراطورية اللاتينية في القسطنطينية، ص281.

² - حنا ميساريتيس: ولد عام (558هـ/1162م) وكان مدرساً للبلاغة في مدينة القسطنطينية، وهرب إلى دير القديس جورج مانجانيس Sant Georges Manganese، بعد سقوط القسطنطينية على يد اللاتين، مات عام (604هـ/1207م). عبده. (2019م): علاقة البابا أنوسنت الثالث بالإمبراطورية اللاتينية في القسطنطينية، ص305؛ نيكول. (2003م): معجم التراجم البيزنطية، ص204.

³ - عبده. (2019م): علاقة البابا أنوسنت الثالث بالإمبراطورية اللاتينية في القسطنطينية، ص284.

ولكي يتجاوز العوائق ويحقق أهدافه عيّن مندوباً عنه يرسله إلى القسطنطينية، يتصف باللباقة والثقافة اللاهوتية الشرقية الواسعة وبسياسة العادلة والغير متطرفة ضد البيزنطيين، وهو الكاردينال بينوا سانت سوزان Beno Sant Suzan، اتسم بالحكمة والهدوء، ووجد فيه البابا أنوسنت الثالث أفضل شخص يمكنه الوصول إلى نقطة مرضية للبابا بشأن مسألة وحدة الكنائس، كما قام البابا بأرسال مترجم للغة الإغريقية وعلى علم واسع بالمصطلحات اللاهوتية لكي يساعد المندوب البابوي، في تنفيذ مهمته بنجاح⁽¹⁾

وكانت وجهة المندوب الأولى مدينة أثينا لكي يقابل مطرانها البيزنطي، ويتناقش معه بمسائل لاهوتية، التي تشكل محور الصراع بين البيزنطيين واللاتين، ولكن المطران البيزنطي رفض النقاش مع المندوب وكانت ردوده قاسية وحادة حيث أكد للمندوب على أفضلية عيشه بالمنفى على قبول سلطة كنيسة روما عليه، واستتكر بشدة فكرة وحدة الكنائس تحت سلطة البابوية وكنيسة روما⁽²⁾

ويتبين مما سلف أن أثر الشقاق الديني قد انعكس على موقف البيزنطيين من الاحتلال اللاتيني وخاصة أن البيزنطيين على قناعة تامة أن البابوية هي المسؤولة عن احتلال عاصمتهم والجيش الحملة الصليبية الرابعة هي جيوش البابا، فبالتالي أثر الشقاق الديني قد سيطر على قناعاتهم من الغزو اللاتيني وعلى طريقة تعاملهم مع مندوب البابا ومفاوضاته.

ولعل ذلك يدل أن البابا بالفعل حقق حلمه واخضع كنيسة القسطنطينية لنفوذه، لكنه لم ينجح في إخضاع رجال الدين البيزنطيين الذين تمردوا بعنف رافضين بسط البابوية وكنيسة روما سلطتهم على بيزنطة وأهلها وكنيستها، وتوجهوا للعيش بالمنفى الذي وجدوه أرحم لنفوسهم على العيش تحت سلطة البابوية وكنيسة روما⁽³⁾

يتبين مما سلف أن نجاح البابوية في تحقيق حلمها كان غير مكتمل، صحيح أنها أخضعت كنيسة القسطنطينية لسلطتها بالقوة، وأخمدت نار حقدّها وكرهها الكبير ضد البيزنطيين من خلال الأعمال العدوانية

¹ - عبده. (2019م): علاقة البابا أنوسنت الثالث بالإمبراطورية اللاتينية في القسطنطينية، ص282-283.

² - Longnon. (1949.A.D): **Le, Empire Latin De Constantinople**, pp.93-96. Setton. (1969.A.D): **A History Of The Crusade**, vol II, p.196.

³ - عبده. (2019م): علاقة البابا أنوسنت الثالث بالإمبراطورية اللاتينية في القسطنطينية، ص282.

والكوارث التي فعلها اللاتين بحق البيزنطيين وكنائسهم ورجال دينهم، لكنها أخفقت بشكل كامل في كبت الشعب البيزنطي من جهة، وفي إخضاع رجال الدين البيزنطيين من جهة أخرى فواجهت مقاومة عنيفة من الشعب البيزنطي بكافة طبقاتهم، ولاسيما رجال الدين وهذه المقاومة ستؤدي إلى إخفاق مسألة توحيد الكنيستين، وتدمير حلم البابوي فيما بعد في بقائها مهيمنة على اللاتين على القسطنطينية، لذلك كان حلم البابوية في السيطرة على البيزنطيين سياسياً ودينياً منقوصاً وغير دائم.

ومن الطبيعي أن يرفض البيزنطيون مسألة توحيد الكنيسة الشرقية والغربية تحت سلطة البابوية وكنيسة روما والبطريرك اللاتيني التابع للبابا يتبع مع البيزنطيين سياسة عدائية فضه، فوجه مورسيني سياسته العدوانية في البداية نحو رجال الدين البيزنطيين، وفرض على البيزنطيين الاعتراف بطاعته وسلطته عليهم، من خلال إدخال اسمه في طقوسهم وقداستهم الكنسية، وكانت ردة فعله على استنكار البيزنطيين لأوامره بمنع إقامة أي قداس بيزنطي في الكنائس البيزنطية بالقوة⁽¹⁾، وهذه الحادثة توضح مدى تأثير البعد الديني في سياسة مورسيني العدائية لكل ما هو بيزنطي، كما توضح أثر الشقاق الديني في استنكار البيزنطيين العلمانيين منهم ورجال الدين في قبول خضوعهم لكنيسة روما، واستنكارهم مسألة وحدة الكنائس، ولعل الكوارث التي لاقوها على يد اللاتين المحتلين لبلادهم جعل كرههم الديني للاتين أعمق، وجعل العلاقات الكنسية تصل إلى طريق مسدود.

في الواقع أدرك مورسيني أن سياسته المتطرفة ضد رجال الدين البيزنطيين لن تحقق حلم البابوية في توحيد الكنيسة الشرقية والغربية تحت سلطان كنيسة روما، لذلك قرر التقرب من رجال الدين البيزنطيين، وقام بعقد اجتماع ديني في مدينة القسطنطينية عام (602 هـ / 1206م)، ودعا إليه رجال الدين البيزنطيين في كافة مراتبهم الدينية، وفتح معهم نقاشاً عن أسباب رفضهم له بطريركاً عليهم واستنكارهم لفكرة الاعتراف بسلطانه ومركزه في القسطنطينية، فردوا على تساؤلاته بطريقة مليئة بالكره أن تباين الأعراف والطقوس الكنسية بين اللاتين والبيزنطيين تفرض عليهم

¹ - عبده. (2019م): علاقة البابا أنوسنت الثالث بالإمبراطورية اللاتينية في القسطنطينية، ص283.

Longnon.(1949.A.D): Le, Empire Latin De Constantinople, p.96.

وجود بطريرك لكل شعب من بني جنسه أما البيزنطيون فيجب تعيين بطريركاً بيزنطياً عليهم، وليس لاتينياً⁽¹⁾، وتابع رجال الدين ردودهم بإثباتهم لمورسيني ومن معه أن سلطة القديس بطرس لم تكن يوماً مفروضة على البيزنطيين وكنائسهم، وكانت سلطته فقط على كنيسة روما، التي تتساوى في الحقوق والوجود والمركز مع باقي الكنائس المسيحية التي تم تأسيسها من قبل قديسين مثل القديس بطرس الذي يعد الأخ الأكبر للقديسين السالفين، لذلك تتساوى الكنائس المسيحية مع كنيسة روما بالمكانة والحقوق، ولا يحق لكنيسة روما والبابوية فرض سلطتها على باقي الكنائس المسيحية⁽²⁾، وكانت هذه المفاوضات الحادة بين مورسيني ورجال الدين تعيق وتؤكد على عدم خضوع رجال الدين البيزنطيين لسلطة كنيسة روما، واستنكارهم وتمردهم لوجود مورسيني ومركزه في القسطنطينية، بالتالي شكل استنكار رجال الدين على مورسيني واللاتين وتمردهم بشكل عام عائناً حاداً ضد حلم البابوية في توحيد الكنائس الشرقية والغربية تحت سلطانه، وبالتالي لم تؤد هذه المناقشات إلى نتائج علمية، وظل تقديم الطاعة للبابوية، كما شكل عائناً أمام قبول البيزنطيين بمنصب مورسيني وسلطته عليهم⁽³⁾، وبعد هذه النقاشات اللاهوتية الحادة ما بين الطرفين فضل رجال الدين البيزنطيين، العيش بالمنفى، خوفاً من سياسة مورسيني الظالمة ضدهم، وهرباً من فرض عليهم قبول الطاعة لللاتين وكنيستهم، وأقاموا في إمبراطورية نيقية في كنف وترحاب كبير من قبل ثيودور لاسكاريس، والبطريرك البيزنطي، واستطاعوا بالتعاون فيما بينهم تأسيس حكومة قوية مستقلة في نيقية، وتأسيس وجود سياسي وديني فيها، مما فرض على البابوية توجيه المفاوضات والنقاشات بشأن توحيد الكنائس الشرقية والغربية تحت سلطانه نحو إمبراطورية نيقية⁽⁴⁾

قوبل عرض البابا بالموافقة من قبل الإمبراطور البيزنطي لإمبراطورية نيقية ثيودور لاسكاريس، وشكل وفداً بيزنطياً من العلمانيين والمتقنين ورجال الدين، وأرسله للقسطنطينية للتفاوض مع اللاتين فيما يتعلق بوحدة الكنائس،

¹ – Longnon.(1949.A.D): **Le' Empire Latin De Constantinople**, p.96. Setton.(1969.A.D): **A History Of The Crusades**, vol II, 197.

² – عبده.(2019م): علاقة البابا أنوسنت الثالث بالإمبراطورية اللاتينية في القسطنطينية، ص285.

³ Longnon.(1949.A.D): **Le' Empire Latin De Constantinople**, p.96. Setton.(1969.A.D): **A History Of The Crusades**, vol II, 197.

⁴ – عبده.(2019م): علاقة البابا أنوسنت الثالث بالإمبراطورية اللاتينية في القسطنطينية، ص293.

لكن كالعادة وقع نزاع حاد بين الطرفين بسبب فتح مواضيع لاهوتية تتعلق بتباين الأعراف والطقوس بين الطرفين، أدت إلى إخفاق المفاوضات في مسألة وحدة الكنائس، واستنكر البيزنطيون وبشدة مسألة خضوعهم لسلطة البابا أنوسنت الثالث، وكان موقف ثيودور أكثر شدة ولاسيما بعد رفض البابا أنوسنت الثالث الاعتراف بثيودور إمبراطوراً على إمبراطورية نيقية، وكانت مخاطبته لثيودور خالية من اللقب الإمبراطوري⁽¹⁾، هكذا كان أثر الشقاق الديني العظيم والكره الديني واضحاً لدى الطرفين، وهو الذي يشكل عائقاً في الوصول لنقطة تفاهم واضحة.

وهناك سؤال يطرح نفسه لماذا قبل ثيودور التفاوض مع اللاتين وهو الذي يشكل مقاومة لمواجهتهم وطردهم من الأراضي البيزنطية؟ في الحقيقة كانت مشاعر ثيودور لا تختلف عن مشاعر البيزنطيين حيال اللاتين، فقد كان الكره والرفض للوجود اللاتيني وسلطتهم الدينية والسياسية واضحة عند ثيودور، لكن قبوله التفاوض مع اللاتين في قضية وحدة الكنائس تحت سلطة البابا لا تدل على خضوعه وقبوله التام لجوهر الموضوع، بل كانت حيلة سياسية قام بها ثيودور ليكسب بعض الوقت لينظم أموره العسكرية والسياسية، ولتجنب أي هجوم أو اعتداء من جانب اللاتين على إمبراطوريته، لذلك حاول التودد المؤقت لللاتين حتى يوحد قوته ومقاومته ليحقق حلمه في طرد اللاتين من القسطنطينية⁽²⁾، وكانت فكرة وحدة الكنائس بعد الحملة الصليبية الرابعة مرفوضة تماماً عند البيزنطيين سواء ضمن الدوائر الدينية أو السياسية، فاحتلال القسطنطينية من قبل اللاتين وتشكيل حكومة لاتينية فيها وسياسة النهب والقتل والتدمير وتدنيس الكنائس التي قام بها اللاتين إبان الحملة الصليبية الرابعة وبعد دخولهم للقسطنطينية قضت على أي أمل أو فرصة في مسألة توحيد الكنائس، وعمقت فكرة النزاع الكنسي بين الطرفين، وأجبت من مشاعر الكره والحقد الديني في قلب البيزنطيين، بالتالي شكلت انشاقاً فعلياً بين كنيسة روما وكنيسة القسطنطينية أكثر حدة وعمقاً من شقاق عام (446هـ/1054م)⁽³⁾ وقامت إمبراطورية نيقية بزعامة إمبراطورها ثيودور لاسكاريس بدور بطولي وكبير ويفوق الدور الذي شغلته كل من إمبراطورية طرابزون وإبيروس، فقد حملت على عاتقها مسؤولية تحرير القسطنطينية من يد اللاتين، فقد هاجموا القسطنطينية بدعم عسكري وحربي من البلغار عام

¹ - Longnon.(1949.A.D): **Le' Empire Latin De Constantinople**, pp.146-148.

² - عبده.(2019م): علاقة البابا أنوسنت الثالث بالإمبراطورية اللاتينية في القسطنطينية، ص292.

³ - زيتون.(1980م): العلاقات السياسية والكنسية، ص395.

(633هـ/1235م) حاصروا القسطنطينية من البر والبحر، لكن أسطول البندقية وقف عائناً أمام تحقيق إمبراطورية نيقية هدفها ودافع عن القسطنطينية، وكان السبب في إخفاق محاولة إمبراطورية نيقية من دخول القسطنطينية، لكن المقاومة البيزنطية في إمبراطورية نيقية لم تستسلم، وحاولت التقدم نحو القسطنطينية عام (660هـ/1261م) وهاجمها واستطاعوا دخول العاصمة البيزنطية، وأشعلوا النيران في أحياء اللاتين ومنازلهم، وبذلك استعادت أرضها وعاصمة الإمبراطورية البيزنطية من المحتلين اللاتين⁽¹⁾

ويتضح مما سلف أن أثر الخلاف الكنسي لازال موجوداً بين البيزنطيين واللاتين حتى بعد سقوط القسطنطينية، وأن حدة النزاع بسبب تباين الطقوس والأعراف الدينية بين الطرفين لم تنطفئ ولم تحل، بل زادت تعقيداً وتشابكاً، حتى شكلت عائناً كبيراً في وجه اتحاد الكنيستين، ولم يمح الوجود اللاتيني في القسطنطينية وسيطرته على كنيستها الحقد الديني الموجود في قلوب اللاتين، بل عمقه في قلوب الطرفين. بالتالي لم تحقق الحملة الصليبية الرابعة في جوهرها ما كانت تسعى إليه البابوية فقد سيطرت بالقوة على القسطنطينية وكنيستها من الناحية المكانية، لكنها لم تستطيع فرض سلطتها على البيزنطيين ورجال الدين من الناحية الفعلية، فكان إخفاق البابوية ورجالها اللاتين ومساعدتها في كتلكة البيزنطيين أكبر بكثير من نجاحها في إخضاع القسطنطينية وتعيين في كنيستها بطريكاً لاتينياً يتبع لها، بالتالي لم تنطفئ الحملة الصليبية الرابعة سوى بشكل مؤقت نار الكراهية التي في قلب البابوية واللاتين حيال البيزنطيين، ولم تنتهِ الحملة الصليبية الرابعة الصراع الديني بين اللاتين والبيزنطيين بل أجمته وزادت من حدته

¹ - رنسيومان.(د.ت): تاريخ الحروب الصليبية، ج3، ص282.

Longnon.(1949.A.D): **Le Empire Laten De Constantinople**, p.171.Ostrogorsky.(1998.A.D): **History Of The Byzantine State**, p.425. Vasiliev.(1971.A.D): **History Of The Byzantine Empire**, vol II, p.506.

الخاتمة:

شملت هذه الدراسة الخلاف الكنسي بين كنيسة روما وكنيسة القسطنطينية، وأثره على العلاقات السياسية والعسكرية بين بيزنطة والصليبيين بين عامي (474_601هـ/1081_1204م) أي خلال الحملات الصليبية الأربعة الأولى، في الحقيقة لا يغيب عن البال وقبل سرد النتائج وتوضيح الأفكار التي تدل على تأثير البيزنطيين والصليبيين بالخلاف الكنسي، خلال احتكاكهم إبان الحروب الصليبية، واجب التنويه إلى إن عدة عوامل أسهمت في قيام الحروب الصليبية ومنها العامل الاقتصادي الذي يعد من العوامل الأساسية لخروج الصليبيين من الغرب اللاتيني نحو الشرق العربي الإسلامي والمسيحي، وسعوا لاحتكار المراكز التجارية المهمة كما سعوا للسيطرة على موارد الشرق الإسلامي والمسيحي على حدٍ سواء، فقد استغلت الحركة الصليبية الشعارات الدينية الزائفة التي تغنت بها وهي تحرير الأراضي المقدسة من المسلمين والمسيحيين تحت ما يسمى الحرب المقدسة نحو الشرق، لتحقيق أهدافها الاقتصادية والسياسية، والاستعمارية والتوسعية، وكان للعامل الاقتصادي دور كبير وفعال في توجه الصليبيين للسلب والنهب والسيطرة على مواقع تجارية هامة في الشرق، وهذا اتضح في أطماع البندقية الاقتصادية في سعيها لحرف الحملة الصليبية الرابعة نحو القسطنطينية من أجل الحصول على مكاسب اقتصادية ونهب ثرواتها والسيطرة على الطرق التجارية بدليل أنها أخذت حصة الأسد من ممتلكات القسطنطينية بعد سقوطها. وكان إخضاع كنيسة القسطنطينية وسيطرة كنيسة روما على البيزنطيين وكنائسهم من ضمن أهداف الحركة الصليبية ومن هذا المنطلق تم تسليط الضوء في هذه الدراسة بشكل مطلق على أثر الخلاف الكنسي بين كنيسة روما وكنيسة القسطنطينية لفهم طبيعة العلاقات بين البيزنطيين والصليبيين من خلال هذا العامل.

وقد توصلت الدراسة إلى النتائج التالية: إنّ تباين الممارسات والطقوس بين كنيسة روما وكنيسة القسطنطينية في اختلاف التنظيمات الكنسية بين الكنيستين، أدى إلى خلافات مذهبية حتى وصلت هذه الخلافات إلى حد الصراع هذا الصراع حاولت فيه كنيسة روما فرض سيادتها على الكنيسة البيزنطية، مما أدى إلى أحداث كنسية خطيرة أبرزها حدوث الشقاق الديني العظيم عام (446هـ/1054م) الذي انتهى بحرمان كنسي ضد كنيسة القسطنطينية، بالإضافة إلى ألفاظ الذم التي تبادلها كل من الطرفين، كل ما سلف أدى إلى ظهور مشاعر حق وكراهية متبادل والذي

سيؤثر على طبيعة العلاقات السياسية والعسكرية بين البيزنطيين والصليبيين خلال احتكاكهم المباشر مع بعض خلال الحملات الصليبية الأربعة الأولى، فبالتالي من الطبيعي أن البابوية تدخل طرفاً في الصراع بين القوى الغربية اللاتينية والإمبراطورية البيزنطية، ويكون لها الدور المؤثر في العلاقات السياسية والعسكرية بين البيزنطيين والصليبيين.

وقد برزت خلال الحملة الصليبية الأولى أزمة ثقة بين الإمبراطور البيزنطي ألكسيوس كومنين وقادة الحملة الصليبية الأولى، مدفوعة بأثر الخلاف الديني فالإمبراطور البيزنطي ألكسيوس كومنين طلب من الغرب الأوروبي بعض المرتزقة، لتعمل تحت إمرته لحماية إمبراطوريته من هجمات السلاجقة، وتفاجأ بعدد ضخم من الصليبيين يدعون للحرب المقدسة وتحرير فلسطين لكن الإمبراطور البيزنطي كان يشك في نوايا القادة الصليبيين بأن هدفهم هو القسطنطينية وليس فلسطين وذلك مرجعه إلى طمع اللاتين باحتكار مواقع تجارية وموارد اقتصادية تشبع جشعهم، بالإضافة إلى أثر الشقاق الديني الكبير بين الكنيستين الشرقية والغربية وكيف لا واللاتين ينعنون الإمبراطور البيزنطي وشعبه بالوثنية بشكل دائم وصريح.

لذلك حاول ألكسيوس الاستفادة من الصليبيين من جهة وحماية إمبراطوريته من كرههم الدفين المشبع بالحقن الديني وعدوانهم وطمعهم ببلاده من جهة أخرى؛ لذلك عقد مع الصليبيين اتفاقية القسطنطينية نصت على حلف الصليبيين الولاء والطاعة للإمبراطور البيزنطي، كما تعهد الصليبيون لإعادة كل الأراضي البيزنطية من السلاجقة مقابل تقديم ألكسيوس العون والمؤمن اللازمة للصليبيين، وتصرف الإمبراطور البيزنطي مدفوع بتفكير سياسي لا علاقة له بأثر الخلاف الديني، فهو يحاول حماية بلاده وعاصمته من شرهم، لكن أثر الشقاق الديني أثر على ألكسيوس كومنين من خلال ارتياحه من نوايا الصليبيين التي تشبعت بالحقن الديني الذي يعلمه ألكسيوس كومنين بشكل جيد.

كان أثر الخلاف الديني واضحاً في الحملة الصليبية الأولى من خلال تصرفات الجيوش الصليبية العدوانية ضد البيزنطيين، ولا سيما عندما قام الصليبيون بتخريب الكنائس وانتزاعهم القصدير عنها، ومن ثم جاءت مسألة أنطاكية وأطماع بوهمند في الممتلكات البيزنطية، ومن ثم حملة بوهمند ضد القسطنطينية عام (501هـ/1107م) لتثبت أن الإمبراطور البيزنطي ألكسيوس كومنين كان على حق عندما شكك بنوايا الصليبيين الاقتصادية والدينية،

ولتؤكد أن أثر الخلاف الكنسي بالإضافة لأطماع الصليبيين بممتلكات الإمبراطورية البيزنطية هو الذي حرك الصليبيين للقيام بأعمال عدوانية ضد الإمبراطورية البيزنطية وشعبها وكنائسها.

بروز دور البابوية بشكل واضح في حملة بوهمند ضد القسطنطينية عام (501هـ/1107م) فتأييد البابوية لهذه الحملة أعطاها صفة الحرب المقدسة وخاصة بعد صدور أوامر البابوية بشكل رسمي للتبشير بحملة صليبية بكافة أرجاء الغرب اللاتيني ضد القسطنطينية هذا يؤكد أن الشقاق الديني العظيم جعل البابوية طرفاً في الصراع بين القوى الغربية اللاتينية والإمبراطورية البيزنطية، ويكون لها دوراً بارزاً في التأثير على العلاقات السياسية والعسكرية بين البيزنطيين والصليبيين.

في الواقع اتسمت علاقة بيزنطة مع الإمارات الصليبية في الشرق بالشد والجذب على المستوى العسكري والسياسي، فتارةً تقوم بيزنطة بحملات عسكرية ضد أنطاكية وتارةً أخرى تقوم بالمصاهرة السياسية مع الأمراء الصليبيين في الشرق، فكانت بيزنطة مستفيدة من وجود الإمارات الصليبية في الشرق كونها حاجزاً بينها وبين المسلمين، وقد قامت علاقات مصاهرة فيما بينهم، وقد أثر الخلاف الكنسي في مسألة تقاربها مع صليبي الشرق؛ لكي تعيد سلطتها السياسية والدينية على إمارة أنطاكية التي حولها الصليبيون إلى إمارة لاتينية، وفرضوا عليها وعلى كنائسها طقوسهم الدينية، لذا حاول الأباطرة البيزنطيون توقيف مشروع الكثلكة في أنطاكية وتحويلها إلى إمارة أرثوذكسية تحت الحكم المباشر للإمبراطورية البيزنطية وسيطرة رجال الدين الأرثوذكس من خلال مشروعات المصاهرة السياسية والتودد والتقرب من أميرات أنطاكية؛ لذلك سعى الإمبراطور يوحنا كومنين وابنه مانويل كومنين للزواج السياسي من أميرات أنطاكية ليحققوا السيطرة المباشرة على أنطاكية من خلال تعيين رجال دين بيزنطيين في كنيستها، وهذا يوضح البعد الديني في سياسة بيزنطة حيال الإمارات الصليبية وعلاقة بيزنطة بهذه الإمارات.

تم طرح قضية وحدة الكنائس بين الأباطرة البيزنطيين والبابوية، وكان كل من الطرفين يسعى لتحقيق مصالحه سواء السياسية أو الدينية من هذه الوحدة فالأباطرة البيزنطيون كانوا يسعون للحصول على التاج الروماني من الأباطرة الألمان لأنهم أحق به كما يدعون في حين كانت البابوية تسعى لبسط سيطرتها ونفوذها على كنيسة القسطنطينية؛ حيث كانت تسعى لتوحيد الكنيستين الشرقية والغربية تحت سلطانها، وهذا ما لا يقبله رجال الدين

البيزنطيون وحتى الشعب البيزنطي، لكن كانت هذه المفاوضات تنتهي بالإخفاق بسبب الخلاف الكنسي الذي ولد الكره والحقد في نفوس البيزنطيين الرافضين زعامة كنيسة روما عليها وعلى اللاتين الذين يسعون للسيطرة على كنيسة القسطنطينية المهترقة في نظرهم.

كانت علاقة بيزنطة بالصليبيين خلال الحملة الصليبية الثانية تختلف عما ترتبت عليه الحملة الصليبية الأولى، فأظهرت الإمبراطورية البيزنطية القلق والضيق من الصليبية الثانية متأثرة بالخلفية الدينية للشقاق العظيم، لذلك تعاملت بيزنطة مع الحملة الصليبية الثانية بكل حذر وأن ردة فعل مانويل الغاضبة من مشاركة كونراد بالحملة الصليبية الثانية تحمل بعداً دينياً لإدراكه التام أن أي نجاح يحققه كونراد هو نجاح للبابوية وللكتوليك بشكل عام على حساب الإمبراطورية البيزنطية والمسيحيين الشرقيين الذي نفسه المسؤول عن الدفاع عنهم وحمايتهم. بالمقابل كان للخلاف الديني أثر كبير في سياسة مانويل تجاه كونراد، لكنه يستتر خلف حرب الألقاب والصراع على المنزلة الإمبراطورية، فإن مانويل كان يدرك تماماً أن كونراد يعد نفسه السيد الأعلى للإمارات الصليبية، قدم من الغرب، وحمل على عاتقه مهمة الدفاع عن المسيحيين الشرقيين - التي هي وثنية في نظرهم - وبالتالي السيطرة عليها، وتنفيذ سياسة الكتلكة على حساب كنيسة القسطنطينية، ولعل هذه السياسة تؤكد لمانويل أن أي نجاح يحققه كونراد في الشرق، هو نجاح للبابوية وللكتوليك على حساب كنيسة القسطنطينية وسيادتها ومكانتها.

أرهقت الحملة الصليبية الثانية الإمبراطورية البيزنطية وذلك من خلال اعتداء الصليبيين على أراضيها في أثناء مرور جيوشهم فيها، ونجم عن ذلك عدة مشاكل أدت إلى تأزم الوضع بين الطرفين وقام الجيش الألماني والفرنسي بأعمال عدوانية ضد المدن البيزنطية التي مروا منها وكل ما سلف يؤكد أن فكرة الشقاق الديني مازالت ماثلة أمام أعين اللاتين على كافة طبقاتهم، وترجم الكره والحقد بعدوان على مدينة القسطنطينية الأرثوذكسية، وبدل على أثر الخلاف الديني على زيادة الكره الصليبي تجاه اليونان الأرثوذكس.

ولا يغيب عن البال بروز جناح متطرف من رجال الدين اللاتين في الحملة الصليبية الثانية ووقوع قادة الحملة الصليبية تحت تأثير رجال الدين المتطرفين ضد البيزنطيين، وتجلّى ذلك بوضوح من موقف رجال الدين والرهبان الفرنسيين المشاركين في الحملة الصليبية الثانية الذين أكدوا على وجوب قتل البيزنطيين، لأن هذا من واجبات الجندي الصليبي، وطرحهم مشروع غزو القسطنطينية، والاستيلاء عليها مستندين بذلك إلى اتهاماتهم للبيزنطيين أنهم ليسوا مسيحيين حقيقيين، وعاصمتهم ليست بلداً مسيحياً سوى بالاسم والظاهر، وهذا يدل على مثل أثر الشقاق الديني العظيم أمام أعين الصليبيين في الحملة الصليبية الثانية، ويحركهم للانتقام من البيزنطيين الوثنيين في نظر اللاتين.

لقد عمقت الحملة الصليبية الثانية الخلافات، وزادت من الكره بين البيزنطيين والصليبيين فكانت وجهة النظر الصليبية أن البيزنطيين خانوا قضية الصليب عندما عقد إمبراطورها مانويل كومنين معاهدة مع سلطان قونية السلجوقي، فبالتالي هذه الاتهامات زادت من الكره اللاتيني.

والجدير بالذكر إنّ بروز اعتقاد بين اللاتين في غرب أوروبا وخاصة كبار رجال الكنيسة اللاتينية وأكثرهم نفوذاً أن الكارثة التي حلت بالصليبية الثانية من تدبير البيزنطيين وأن البيزنطيين مسؤولون عن هزائم الصليبيين في الشرق بسبب موالاتهم للمسلمين، بالإضافة لكتابات الراهب الفرنسي أودو أوف المليئة باتهام الإمبراطورية البيزنطية بالخيانة والهرطقة والضلال، وكانت سياسة مانويل كومنين حيال كل هذا الاعتداء والكره الصليبي تركيز على حماية عاصمته من عدوانهم، وبالتالي تم تشكيل حلف أوروبي غربي كاثوليكي ضد البيزنطيين، وكان بموافقة البابوية كل هذه الأحداث كانت تخلق العداء والكرهية بين الشعبين اللاتيني والإغريقي، متأثرة بالشقاق الديني، وكان هذا العداء الشعبي يتصاعد باستمرار، ليعكس طبيعة العلاقات السياسية والعسكرية بين البيزنطيين والصليبيين، وكان كل من البابا في روما والبطريرك البيزنطي في القسطنطينية مدركين تماماً حجم الكره في قلب كل من الطرفين.

لم يكن الصراع بين مانويل وبربروسا ومن قبله كونراد الثالث في أثناء عبوره الأراضي البيزنطية- في المقام الأول صراعاً على اللقب الإمبراطوري، وعلى السلطات والحقوق التي يمنحها هذا

اللقب فحسب، وإنما كان مستتراً خلف هذا الصراع أثر الخلاف الكنسي الذي ولد مشاعر الكره والحقد في قلب اللاتين ضد كل ما هو بيزنطي.

صعقت البابوية - والغرب الأوروبي عامة - لما حل بالإيطاليين واللاتين من أحداث مذابح اللاتين في القسطنطينية التي كانت موجهة أصلاً وفي بدايتها ضد التجار الإيطاليين، ومن ثم تحولت ضد اللاتين القاطنين في العاصمة جميعاً، فهذه المذابح جاءت نتيجة طبيعية للانقسام الديني بين اللاتين والإغريق ونتيجة كره الإغريق لللاتين لأن اللاتين يختلفون عن بيزنطة في عقائدها وطقوسها وأعرافها الدينية.

جاءت الحملة الصليبية الثالثة لتوجه طعنة للكنيسة البيزنطية وذلك بإقامة دولة لاتينية في جزيرة قبرص وإخضاع رجال الدين الإغريق في هذه الجزيرة للسادة اللاتين، وأصبح الصراع في قبرص مصدراً من مصادر الحنق والغضب والكرهية المتبادلة بين الكنيستين الرومانية والبيزنطية بالإضافة إلى اعتداء فردريك بربروسا على الأراضي البيزنطية وتهديد بيزنطة بحملة ضدها، وكل ما سلف مدفوعاً بالكره العميق المدفون في نفوس الصليبيين الذي ولده أثر الشقاق الديني العظيم.

وتتجلى مظاهر الخلاف الديني في القيام الإمبراطور البيزنطي إسحق الثاني أنجيلوس بعقد اتفاقية مع المسلمين تنص على عدم السماح للصليبيين بالمرور في أراضيهم وعدم تزويدهم بالمؤن، لكن نتيجة اعتداء بربروسا والضغط على الإمبراطورية البيزنطية سمح الإمبراطور البيزنطي إسحق الثاني أنجيلوس للصليبيين بقيادة فردريك بربروسا بالعبور إلى قونية وبعد غرق بربروسا وموته تنفس إسحق الثاني أنجيلوس الصعداء وراسل المسلمين، وتودد لهم ثانية، فكانت سياسة إسحق تجاه المسلمين يحركها الكره الكبير لللاتين وخلافه الديني معهم.

وأخيراً جاءت الحملة الصليبية الرابعة لتفجر الموقف نهائياً بين الكنيستين، وتكون النتيجة المعقولة لتفاقم العداء الديني بين اللاتين والبيزنطيين الذي بدأ بتصاعد قبل قرن من الزمن تقريباً فسقوط القسطنطينية كشف بوضوح عن هوية الحركة الصليبية وأهدافها التوسعية المعادية للمسلمين والمسيحيين الأرثوذكس

على حدٍ سواء، وكان أثر الخلافات المذهبية واضحاً بشكل جلي في نوايا البابا أنوسنت الثالث وأهدافه وسياسته في صربيا وبلغاريا، وكانت واضحة أيضاً في الأسلوب العدائي والتهديدات المباشرة التي هددها البابا للإمبراطور البيزنطي ألكسيوس الثالث والبطريرك البيزنطي كمناتيروس، ومن ثم تجلت في خطة البابا المزدوجة التي رسمها لتوجيه الحملة الصليبية الرابعة نحو القسطنطينية، مع استغلال ظروف الحملة لإبعاد مسؤولية توجيهها إلى بلد مسيحي عن كاهل البابوية ورميها على أي طرف مشارك بالحملة، وكما تجلّى أثر الشقاق الديني بشكل واضح في أفعال اللاتين العدائية بحق البيزنطيين وكنيستهم بعد سقوط القسطنطينية، وفي كمية السعادة والنشوة التي ملأت سطور رسائل البابا الموجهة لبلدوين الإمبراطور اللاتيني الأول للإمبراطورية اللاتينية في القسطنطينية، والتي تؤكد أن الاستيلاء على القسطنطينية تخضع لإرادة الرب ورغبته، وهذه الكلمات توضح أن الهدف الجوهرى الذي حرك البابوية لدعوة حملات صليبية توجه إلى الشرق هو للقضاء على الإمبراطورية البيزنطية وكنيستها أولاً، ثم التوجه نحو بيت المقدس وإخضاعه للبابوية والغرب اللاتيني، وهذا وإن دل على شيء فإنما يدل على أن البابوية جعلت من شعار الديني مسوغاً ضد معارضيها من حكام وأباطرة وهراطقة وإن تسترت وراءها لتحقيق أغراض الكنيسة اللاتينية في بسط نفوذها وسلطانها على كنيسة القسطنطينية المنحرفة عن العقيدة القويمة في نظر كنيسة روما.

ومما لا شك فيه أن ماحل بالقسطنطينية عام (601هـ/1204م) كان انعكاساً لادعاءات البابوية المتكررة والدائمة بوجود إخضاع كنيسة القسطنطينية لسلطة الكنيسة الأم كنيسة روما، لتصحيح اعوجاجها وضلالها، كل ما سلف كان للبابا أنوسنت الثالث وفلسفته ونظرياته التي شرحها يوم تتويجه التي كانت موجهة ضد مصالح كنيسة القسطنطينية بالدرجة الأولى. ففي البداية اتبع البابا أنوسنت سياسة معادية لكنيسة بيزنطة في منطقة البلغار والصرب، ثم وجه تهديداً واضحاً وصريحاً لبطريرك القسطنطينية: أنه سيستخدم القوة ليصلح اعوجاج كنيسة القسطنطينية المنحرفة، ونفذ هذا التهديد عندما خطط لتوجيه الحملة

الرابعة منذ البداية نحو القسطنطينية مستغلاً كل ظروف الحملة لصالحه، وكل ذلك لتحقيق حلم لطالما راود البابوية وهو السيطرة على كنيسة القسطنطينية المنشقة وتوحيد الكنيستين تحت نفوذ كنيسة روما.

أثر الخلاف الكنسي لازال موجوداً بين البيزنطيين واللاتين حتى بعد سقوط القسطنطينية، وأن حدة النزاع بسبب تباين الطقوس والأعراف الدينية بين الطرفين لم تتطفى ولم تحل، بل زادت تعقيداً وتشابكاً، حتى شكلت عائقاً كبيراً في وجه اتحاد الكنيستين، ولم يخفف الوجود اللاتيني في القسطنطينية وسيطرته على كنيستها الحقد الديني الموجود في قلوب اللاتين، بل عمقه في قلوب الطرفين. بالتالي لم تحقق الحملة الصليبية الرابعة في جوهرها ما كانت تسعى إليه البابوية، فهي سيطرت بالقوة على القسطنطينية وكنيستها من الناحية المكانية، لكنها لم تستطع فرض سلطتها على البيزنطيين ورجال الدين من الناحية الفعلية، فكان إخفاق البابوية ورجالها اللاتين ومساعدتها في كتلة البيزنطيين أكبر بكثير من نجاحها في إخضاع القسطنطينية وتعيين بطريركاً لاتينياً في كنيستها تابعاً لها، بالتالي لم تطفئ الحملة الصليبية الرابعة سوى بشكل مؤقت نار الكراهية التي في قلب البابوية واللاتين حيال البيزنطيين، ولم تنتهِ الحملة الصليبية الرابعة الصراع الديني بين اللاتين والبيزنطيين، بل أجمته وزادت من حدته، كل ما سلف يؤكد دور البابا أنوسنت الثالث ومسؤوليته في تحويل الحملة الصليبية الرابعة نحو القسطنطينية والاستيلاء عليها وتشكيل حكم لاتيني فيها.

المقترحات:

تأتي توصيات الدراسة بعد مرور ستة قرون تقريباً على انتهاء الحروب الصليبية، فقد كانت الدراسة مدخلاً هاماً لفهم حركة الحروب الصليبية وأهدافها وارتباطها بالنواحي الدينية والاقتصادية والسياسية وغيرها من النواحي، فقد كشفت الدراسة الهوية الحقيقية للحركة الصليبية وحروبها، ووضحت أهدافها التوسعية والاستعمارية ضد المسلمين والمسيحيين على حدٍ سواء، ولا سيما الحملة الصليبية الرابعة التي توجهت نحو القسطنطينية البلد المسيحي، وقامت

بالاستيلاء عليه وعلى خيراته ونهبها وتدميرها وقتل أهلها، وتطبيق الأنظمة الدينية والسياسية الغربية الأوروبية اللاتينية عليها، مما يؤكد الفكرة الاستعمارية المتأصلة في عقول الغرب الأوروبي ضد الشرق المسيحي والإسلامي على حدٍ سواء، ومن أهم تلك التوصيات:

1- أن الأوان لإدراك أنّ الأطماع الأوروبية في الشرق ليست فكرة حديثة الولادة ظهرت في العصر الحديث، وإنما هي فكرة متأصلة منذ القديم، وتبلورت بشكلها الفعلي في الحركة الصليبية وحروبها على الشرق تحت مسمى الحرب المقدسة، فالحركة الاستعمارية في التاريخ الحديث هو امتداد للفكر الصليبي والحروب الصليبية.

2- استغلت الحركة الصليبية الشعارات الدينية الزائفة التي تغنت بها وهي تحرير الأراضي المقدسة من المسلمين والمسيحيين تحت ما يسمى الحرب المقدسة نحو الشرق، لتحقيق أهدافها الاستعمارية والتوسعية، ولا شك بأن الشرق الإسلامي والمسيحي قد أدرك ذلك تماماً، وإنه قد آن الأوان لإدراك مخاطر هذه الأهداف في العصر الحديث.

3- وضحت الدراسة بشكل جلي الدعاية التي تتم في الجانب الأوروبي لقضية معينة هي دعاية زائفة تخفي خلفها أفكارها الاستعمارية وأطماعها التوسعية تحت مسميات دينية وطائفية زائفة لتقسيم الشرق وتسهيل السيطرة عليه، وهذا ما يجب إدراكه من جانب الأنظمة العربية الحالية.

4- ألقت الدراسة الضوء على فكرة المقارنة ما بين الماضي والحاضر، فالغرب الأوروبي اليوم يستغل الشرق بشكل عام سواء المسلمين والمسيحيين تحت مسميات حديثة مثل الوصاية، والحماية والمساعدات والمنظمات، على غرار ما تم إبان الحروب الصليبية التي دعت الغرب اللاتيني برمته للخروج نحو الشرق تحت مسميات الحروب المقدسة وتحرير الأراضي المقدسة للحصول على حج آمن لهم في الشرق وأن الأوان لإدراك هذه المخاطر والتزييف ومواجهة كل هذه المسميات الزائفة التي تمنح الغرب فرصة ذهبية للتدخل في شؤون الشرق.

قائمة ملاحق البحث

- 1- ملحق الرسائل والخطابات والاتفاقات
- 2- ملحق الصور
- 3- ملحق الخرائط

1- ملحق الرسائل والخطابات والاتفاقات: ملحق(1)

رسائل البطريرك البيزنطي كريلولاريوس مع البابوية والوفد البابوي الذي تسبب

بشقاق الكنسي عام(446هـ/1054م)(1)

751 MICHAELIS CERULARII CP. PATRIARCHÆ 752

MICHAELIS CERULARII

CP. PATRIARCHÆ

DOMINICI GRADENSIS ET PETRI ANTIOCHENI

EPISCOPORUM

EPISTOLÆ MUTUÆ.

(Ex Joan. Bapt. Cotelieri Monumentis Ecclesie Græcæ, t. II.)

L. A. A'.
Epistola Dominici patriarche Venetiarum ad Antiochiam patriarcham.
 Excelisima sancte sedis, Ecclesie Antiochen-
 alium: presidi, eminenti patriarchæ, magno et apo-
 stolico viro, Dominicus Dei gratia Gradensis et
 Aquileiensis Ecclesie patriarcha.
 1. Admonemus, omnis desiderii ac reverentis
 voto, cum proposito fidelissimi obsequii, nostram
 reverentia et amicitia honorari et coli Ecclesiam
 tuam; quæ nostræ matris Romanæ Ecclesie soror
 esse cognoscitur, atque fundatoris sui meritis,
 Petri videlicet apostolorum principis, post secun-
 dam prædicatorem. His igitur omnia, tanta pietatis
 tum, fide ac opere plene. Ipsum de ubique procla-
 mantes, cogit nos humiliter tibi reverentiam reddere,
 necnon te per viam Domini incedente, vestigia tua
 a-quæ.
 ἡμεῖς χθαμαλὴν σοὶ ἐλλείπειν ἀποδοῦναι· καὶ ἀνὰ τὴν ἑξῆς τοῦ Κυρίου σου [an σοι] βαλίζοντι, τοῖς
 ἱεροῖν ἐπισκοποῦμεν.
 2. Nos ergo in septentrionali zona longissimis
 terræ marisque intervallis divisi, animi tamen
 amore conjuncti, vestræ sanctitatis notitiam agula-
 tari cupimus, mutui amoris nobis participationem
 rependunt. Quapropter indicamus, nostram Eccle-
 siam a beati Marci evangelicæ præconio sumpsisse
 originem; item beato Petro constituisse, honorem
 patriarchie nominis intra Italiam demeruisse ha-
 bere.
 3. Ἡμεῖς οὖν ἐν τῇ ἀρχαίᾳ ζῶντι ἐκκλησίᾳ σου
 τῇ καὶ βασιλικῇ διακρίσει διακρίμενοι, τοῦ ὁ
 ἡμῶν ἱεροῦ συνελκόμενοι, τῇ τῆς ἡμετέρας ἀγα-
 πῆς χάριτι ἐκκαλεσθέντες ἀγαπᾶμενοι, ἀποκα-
 τοῦ, σπουδῇ ἡμῖν ἀναμοίριον ἄντισ ἀποδοῦναι. Διὸ
 ὅτι μενόμεν τὴν ἡμετέραν Ἐκκλησίαν τῇ τοῦ πα-
 τριάρχου Μάρκου τοῦ εὐαγγελιστοῦ κληρονομίᾳ εὐα-
 γελιστῶν ἀρχιεπισκόπων (2)· καὶ τοῦ μακαρίου ἱε-
 ράρχου.
 4. Ἡμεῖς οὖν ἐν τῇ ἀρχαίᾳ ζῶντι ἐκκλησίᾳ σου
 τῇ καὶ βασιλικῇ διακρίσει διακρίμενοι, τοῦ ὁ
 ἡμῶν ἱεροῦ συνελκόμενοι, τῇ τῆς ἡμετέρας ἀγα-
 πῆς χάριτι ἐκκαλεσθέντες ἀγαπᾶμενοι, ἀποκα-
 τοῦ, σπουδῇ ἡμῖν ἀναμοίριον ἄντισ ἀποδοῦναι. Διὸ
 ὅτι μενόμεν τὴν ἡμετέραν Ἐκκλησίαν τῇ τοῦ πα-
 τριάρχου Μάρκου τοῦ εὐαγγελιστοῦ κληρονομίᾳ εὐα-
 γελιστῶν ἀρχιεπισκόπων (2)· καὶ τοῦ μακαρίου ἱε-
 ράρχου.
 5. Ἡμεῖς οὖν ἐν τῇ ἀρχαίᾳ ζῶντι ἐκκλησίᾳ σου
 τῇ καὶ βασιλικῇ διακρίσει διακρίμενοι, τοῦ ὁ
 ἡμῶν ἱεροῦ συνελκόμενοι, τῇ τῆς ἡμετέρας ἀγα-
 πῆς χάριτι ἐκκαλεσθέντες ἀγαπᾶμενοι, ἀποκα-
 τοῦ, σπουδῇ ἡμῖν ἀναμοίριον ἄντισ ἀποδοῦναι. Διὸ
 ὅτι μενόμεν τὴν ἡμετέραν Ἐκκλησίαν τῇ τοῦ πα-
 τριάρχου Μάρκου τοῦ εὐαγγελιστοῦ κληρονομίᾳ εὐα-
 γελιστῶν ἀρχιεπισκόπων (2)· καὶ τοῦ μακαρίου ἱε-
 ράρχου.

1- J.P.Migene.(1897.A.D): Patrologiae, Gursus, vol.CXX, pp. 736-748

MICHAELIS CERULARII

CP. PATRIARCHÆ

DOMINICI GRADENSIS ET PETRI ANTIOCHENI

EPISCOPORUM

EPISTOLÆ MUTUÆ.

(Ex Joan. Bapt. Cotelieri Monumentis Ecclesie Græcæ, t. II.)

I.

Epistola Dominici patriarchæ Venetiarum ad Antiochiæ patriarcham.

Excelsissimæ sanctæ sedis, Ecclesiæ Antiocheni præsidii, eminenti patriarchæ, magno et apostolico viro, Dominicus Dei gratia Gradensis et Aquileiensis Ecclesiæ patriarcha.

1. Admonemus, omnis desiderii ac reverentiæ voto, cum proposito fidelissimi obsequii, nostræ reverentia et amicitia honorari et coli Ecclesiam tuam; quæ nostræ matris Romanæ Ecclesiæ soror esse cognoscitur, atque fundatoris sui meritis, Petri videlicet apostolorum principis, post secundam prædicatur. His igitur omissis, tanta pietatis tuæ, fide ac opere plene ipsam se ubique proclamans, cogit nos humilem tibi reverentiam reddere, necnon te per viam Domini incedente, vestigia tua sequi.

ἡμεῖς χθοναλὴν σοι εὐλάβειαν ἀποδύοντες· καὶ ἀνὰ τὴν ὁδὸν τοῦ Κυρίου σου [αὐτῇ] βαδίζοντες, τοῖς ἡγουμένοις ἐπακολουθεῖν.

2. Nos ergo in septentrionali zona, longissimis terræ marisque intervallis divisi, animi tamen amore conjuncti, vestræ sanctitatis notitiæ agglutinari cupimus, mutui amoris nobis participationem rependunt. Quapropter indicamus, nostram Ecclesiam a beati Marci evangelistæ præconio sumpsisse originem; item beato Petro constituto, honorem patriarchici nominis intra Italiam duntaxat ha-

A

A'.

Γράμμα Δομνίκου (1) πατριάρχου Βενετίας, πρὸς τὸν Ἀντιοχείας πατριάρχην.

Τῷ τῆς ὑψηλοτάτης ἀγίας καθέδρας τῆς Ἀντιοχείας Ἐκκλησίας προεδρεύοντι, ὑπερόχῳ πατριάρχῃ, μεγάλῳ καὶ ἀποστολικῷ ἀνδρὶ, Δομνίκῳ χάριτι Θεοῦ τῆς Γραδένσης [Ἀ. Γραδένσης] καὶ Ἀκυλλίας Ἐκκλησίας πατριάρχῃ.

α'. Ἀπάσης ἐφέσεως καὶ εὐλαβείας εὐχὴν [f. εὐχῇ], μετὰ προσήματος πιστοτάτης λατρείας, τὴν σὴν [f. inser. Ἐκκλησίαν] αἰδεῖσθαι καὶ σιδᾶσθαι, τῇ τῆς ὑμετέρας [f. ἡμετέρας] εὐλαβείᾳ καὶ φιλῇ παραινόμεθα· ἥτις τῆς ἡμετέρας μητρὸς Ῥωμαϊκῆς Ἐκκλησίας ἀδελφὴ γνωρίζεται, καὶ ταῖς τοῦ θεμελιωτοῦ αὐτῆς ἀρισταίαις, τοῦ τῶν ἀποστόλων δηλαδὴ κορυφαίου Πέτρου, μετὰ τὴν δευτέραν κηρύττεται. Τούτων τοίνυν ὑπεξαίρεθέντων, ἡ φήμη τῆς θρησκείας σου, πίστις καὶ ἐργασίαι, πλῆρες ἐαυτὴν πανταχοῦ διαδομένη, βιάζεται

β'. Ἡμεῖς οὖν ἐν τῇ ἀρκύᾳ ζῶνῃ ἐπιμηκεστάτοις γῆς καὶ θαλάττης διαστήμασι διεγρημένοι, νοῦ δ' ὁμοῦ ἐρωτῇ συνεζευγμένοι, τῇ τῆς ὑμετέρας ἀγιοσύνης γνώσει ἐγκακοληθῆναι ὀρεγόμενοι, ἀμοιβᾶς στοργῆς ἡμῖν ἀναμοιβῆν ἀντισταθμίζοντες. Διὸ δὲ μνησόμεν τὴν ἡμετέραν Ἐκκλησίαν τῷ τοῦ μακαρίου Μάρκου τοῦ εὐαγγελιστοῦ κληρονομίᾳ εἰληγεῖν τὴν ἀρχαιογονίαν (2)· καὶ τοῦ μακαρίου Πέ-

Joan. Bapt. Cotelieri notæ.

(1) Γράμμα Δομνίκου. Dominici Gradensis Epistolam et Petri Antiocheni Responsum vidit in ms. Regio magnus antiquitatis ecclesiasticæ indagator Petrus de Marca, egrotque de iis in Dissertatione de Primatibus num. 21, 26. Fuerunt autem Petrus et Dominicus viri celebres sæculo xi medio. An de patriarchatu Gradensi seu Aquileiensi et Veneto multi fuisse disseruerunt; nosque diligentia sua ab onere notam hic conficiendi liberare. Unde superest ut inspicimus titulum epistolæ Dominici. Is codice Regio Scorialensi ita concipitur: Δομνίκου πατριάρχου Γραδένσης καὶ Ἀκυλλίας ἐπιστολὴ πρὸς τὸν Ἀντιοχείας πατριάρχην περὶ τοῦ οὐνοῦ Ἰησοῦ. Sed forte legendum, Γραδένσης· Dominici patriarchæ Gradensis. Nostra lectio τῆς Γραδέν-

σης, videtur orta ex imperitia Græculi scriptoris, qui putavit nomen esse substantivum, idcircoque adiecit articulum. Scribi ergo debet, χάριτι Θεοῦ Γραδένσης καὶ Ἀκυλλίας Ἐκκλησίας πατριάρχῃ. Nisi si relatum adjectivum Gradensis ad nomen Ecclesiæ, Græce conversum est in ἡ Γραδένσης. Sicque retinebitur τῆς Γραδένσης. Aut Γραδένσης, si quidem in Notitiis antiquis Gradensis et Gradensis exaratum invenitur.

(2) Ἀρχαιογονία. Hesychius Hierosolym. De laudibus Mariæ, statim post initium: Τίς εἶδε, τίς ἤκουσεν ἐξ ὀρχονογίας τὸ πρότερον ἀρουραν ἀγεωργητὸν ἐξανθήσαντα ἀπαχυν; Ἀν, ἀρχονογίας pro ἀρχαιογονίας; Quis evisit, quis audiret ad antiquitatem, quod antea niger incultus produxerat siccam?

4. Porro attende ad id quod dico. Hominis corpus ab uno regitur capite : in eo autem membra sunt multa ; quæ omnia a solis quinque gubernantur sensibus ; sunt vero sensus : visus, odoratus, auditus, gustus et tactus. Iterum et corpus Christi, fidelium, inquam, Ecclesiæ, in diversis gentibus, velut membris, coaptatum, atque tanquam a quinque sensibus, a dictis magnis sedibus administratum, per unum regitur caput, ipsum Christum. Et quemadmodum præter quinque sensus, alius sensus non exstat : ita nec præter quinque patriarchas, alium patriarcham esse quisquam concedet. Itaque ab istis quinque sedibus, quæ vicem gerunt sensuum in Christi corpore, cuncta membra, seu omnes patriæ gentium *, ac per loca dispersi episcopatus disponuntur, et Deo decenter diriguntur, velut in uno capite, Christo vero Deo nostro, per rectam unamque fidem apte coagmentati, et ab illo ducti.

Ἰνῷ· Θεῷ ἡμῶν, δι' ὁρκοῦ σου καὶ μιᾶς πίστεως ἀποσπῶ.

5. Si vero ex eo quod sedes ad dexteram beatissimi papæ, confirmas te, sicut scripsisti, vocari patriarcham, hoc quoque admittimus. Sed audi quo pacto. Episcopus et pontifex, appellare Patres fidelis novit sermo; in unaquaque autem synodo eos qui primum locum tenent, exarchos et protothronos ac proedros consuevit nominare. Juxta quam utique rationem, convenit te patriarcham vocari, ut qui primas Romanæ synodi partes feras: quemadmodum et apud nos primus diaconorum nuncupatur archidiaconus. Quo enim alio modo sextum introducere poterimus patriarcham, non existente, juxta quod jam dictum est, sexto sensu in corpore? Idque cum multæ magnæque in mundo sint, diœcesim tuam superantes, provinciæ ac regiones, a metropolitanis et archiepiscopis temperatæ et ad cultum Dei deductæ. Reputa namque, quanto regione tua major sit Bulgaria; quanto iterum hac amplior Babylon magna, et

Α δ'. Καὶ πρόσθετι δὲ λέγω (11). Τὸ σῶμα τοῦ ἀνθρώπου ὑπὸ μιᾶς ἄγεται κεφαλῆς · ἐν αὐτῇ δὲ μέλη πολλά · καὶ πάντα ὑπὸ πάντεσσι μέλεσιν οἰκονομεῖται αἰσθησέων · αἱ δὲ εἰσιν, ὁραταί, ὁσφηταί, ἀκοαί, γεῦσαι, καὶ ἀφῆ. Καὶ τὸ σῶμα δὲ πάλιν τοῦ Χριστοῦ · ἡ τῶν πιστῶν λέγω Ἐκκλησία · ἐν διαφόροις ὡςπερ μέλεσιν συναρμολογοῦμενον [All. συναρμολογουμένη] ἔθνεσι, καὶ ὑπὸ [All. ὡς ἐν καὶ ὡς] πάντεσσι αἰσθησέων οἰκονομοῦμενον [All. οἰκονομουμένη], τῶν εἰρημένων μεγάλων θρόνων, ὑπὸ μιᾶς ἄγεται κεφαλῆς · αὐτοῦ φημι τοῦ Χριστοῦ. Καὶ ὡςπερ ὑπὲρ τῆς πάντεσσι αἰσθηταίς, ἑτέρα τις αἰσθηταίς οὐκ ἔστιν · οὕτως οὐδὲ ὑπὲρ τοῦς πάντεσσι πατριάρχας, ἑτέρον πατριάρχην δώσει τις εἶναι. Ὑπὸ γοῦν τῶν πάντεσσι τοῦτων θρόνων, τῶν ὡςπερ αἰσθησέων ὄντων ἐν τῷ σώματι τοῦ Χριστοῦ, πάντα τὰ μέλη, ἡγοῦν πᾶσαι αἱ πατριαὶ τῶν ἐθνῶν, καὶ αἱ κατὰ τὸν τόπον ἐπισκοπαὶ οἰκονομοῦνται, καὶ θεωρεῖται πῶς διεξάγονται · ὡςπερ ἐν μιᾷ κεφαλῇ, Χριστῷ τῇ ἀληθινῇ συναρμολογοῦμεναι καὶ ἀγόμεναι ὑπ' αὐτῆς [All.

α. Εἰ δὲ ἐκ τοῦ καθήσθαι σε ἐκ θεζῶν τοῦ μακαρι-
 τήτου [All. μακαρίτου] πάπα, δικαιοῖς σεαυτὸν, ὡς
 ἔγραψας, πατριάρχην καλεῖσθαι, δεχόμεθα καὶ τοῦτο.
 Ἄλλ' ἀκούον πῶς τοῦ ἐπισκόπου· καὶ ἀρχιερεῖς,
 Πατέρας ὁ πιστὸς οἶδε λόγος· καλεῖν τοὺς δὲ πρωτεύον-
 τας ἐν ἐκάστῃ συνόδῳ, ἐξάρχους· καὶ πρωτοθρόνους καὶ
 προδρόμους· εἰσθὲν ὀνομάζειν. Καθ' ὅν θη λόγον εἰκός
 καὶ σε πατριάρχην καλεῖσθαι, ἅτε τὰ πρῶτα τῇ·
 Ῥωμαϊκῇ φέροντα συνόδου· καθὼς καὶ παρ' ἡμῖν ὁ
 C πρῶτος· τῶν διακόνων καλεῖται ἀρχιεπίσκοπος. Ἐπει-
 πῶς ἂν ἄλλως ἔκτον ἐπεισάγειν βυθισόμεθα πατρι-
 ἀρχην, μὴ εὐσης ἔκτης, ὡς εἴρηται, αἰσθήσῃ· ἐν
 τῷ σώματι; Καὶ ταῦτα πολλῶν καὶ μεγάλων ἐν τῷ
 κόσμῳ οὐτῶν ὑπὲρ τὴν σὴν ἰννορίαν ἐπαρχῶν καὶ
 χωρῶν, ὑπὸ μητροπολιτῶν καὶ ἀρχιεπισκόπων
 βυθμιζομένων καὶ μεταγομένων πρὸς θεοσεβίαν.
 Ἀναλόγησι γὰρ ὅσον μεζῶν τῆς κατὰ σὲ χώρας ἡ
 Βουλγαρία· ὅσον δὲ ταύτης πάλιν Βαβυλὼν ἡ με-
 γάλη, καὶ Ῥωμαῖνοι· (12) ἥτοι τὸ Χορσάν (13), καὶ

* Psal. xcvi, 7.

Ioan. Bapt. Cotelerii notæ.

(11) *Kal xpoθwv* δ *Αβω*. Georgius Trapezuntinus. Epistola ad Cretenses, n. 13, tom. 1 *Græcæ orthodoxæ*. affirmat Romanam Ecclesiam esse intactus tactus, Constantinopolitanam gustus, Alexandrinam visus, Antiochenam auditus, et Hierosolymitanam oloratus. At ex Anastasio Bibliothecario Prefatione in octavam synodum, *Romana sedes visui comparatur*. Per Nilum autem Iosapatrium. in Allatio, *De consensione Eccl. Occid. et Orient.*, cap. 246. ita tangitur, non explicatur.

(12) Ῥωμαῖοι-*Ῥωμαῖοι, Ἀλλιάτι, Ῥωμανί, Ῥωμανί, Romanis*; *cul. Reg. 912. Ῥωμογοῦρ; 1612. Ῥωμογοῦρ; 2473. Ῥωμόγγορ; 1622. Ῥωμοζοῦρ.* Nilus Noxapatrius tractatu De quinque thronis patriarchalibus, apud Allatium, De Occid. et Or. Eccl. perp. cons. lib. i, cap. 9. n. 1: 'Ὁ Ἀντισοῦλας καταγεν ἅπαντα τὴν Ἀσίαν, καὶ Ἀντισοῦλιν, αὐτὴν τε τὴν Ἰνδοίαν, ὅπου καὶ ἕως τοῦ νῦν καθολικὸν γερουσιῶν στέλλει καταζόμενον Ῥωμοζοῦρ, καὶ αὐτὴν τὴν Περσίαν, ἐπὶ καὶ αὐτὴν τὴν Βαβυλώνα.

D tήν νῦν καλουμένην Βαγδά. Κάκει γάρ ἐσταίεν
ὁ Ἀντιόχειας καθολικὸν εἰς Εἰρηνοῦπολιν, τὸν λαγόν
ἐκ τῶν Εἰρηνοῦπολιτῶν· *Antiochenus obtinuit omnem
Asiam, et Orientem, ipsamque Indiam; ubi ad
præsentem usque tempus, catholicum ordinans mittit,
vocatū Romogregem; ipsam quoque Persiam, adhuc-
que ipsam Babylonem, quæ nunc appellatur Bagda.
Nam et illic mittebat Antiochenus catholicum ad
Irenopolim, Irenopolitanum dictum.*

(13) Το Χοροδόν. In codd. Reg. 696, 912, 2473, Χωροδόν. In 1652, Χωροδόν. At edd. 1996, Χωροδόν 2622, Χωροδόν. Antiquae Notitiae, ubi de patriarchatu Antiocheno: Μόνη της ἑσπερίας ἐρχομὸς τοῦ Χωροδόν. In Cedreno, Anna Comnena, aliiqve, Χωροδόν, Χοροδόν, et Χοροδόν. Apud Theophanem Χωροδόν vel Χοροδόν. Codice Czaereo 202, in observatione anonymi de Moscho, fit mentio ejusdam urbis τοῦ Χοροδόν, dicitur Tapat, ubi f. leg. Χοροδόν. Alii vocatur Chorazan, Chorasan, Chorozin, Chorosana, Chorasae, Corosa-

21. Et alii quidem evangeliste, qui prius vita A
excesserunt, non pertigerunt ad evangelicam præ-
dicationem Joannis Theologi. Hic vero cum admo-
dum longævus existeret, illorum vidit volumina, et
sub vitæ finem, in Patmo insula divinitus motus,
sanctum Evangelium suum Domitiano imperante
conscriptit; multa quæ illi aut obscurius retine-
rant, aut omiserant penitus, veluti miraculum La-
zari, tempus Cennæ, aliaque nonnulla, explanans,
manifestans, magna voce prolocutus. Desinite, per
Deum oro, adversus adeo manifestam veritatem re-
pugnare; quodque nos Ecclesiæ alumni faciendum
accepimus, hoc vos etiam facite, quatuor sacros
patriarchas secuti: quoniam plurimum suffragium
prævalet; unus vero, nullus: Boni autem duo super
unum²⁶. At ubi quatuor una voce ac sententia
idem sectantur, quis ambigit quin Deus inter ipsos
assistat? quemadmodum ait Christus: *Ubi sunt duo
vel tres congregati in nomine meo, ibi sum in medio
eorum*²⁷.

22. Quapropter obsecro, conveniamus invicem
spiritualiter; malmusque fratrum quam nostri
amanes esse. Non enim per Christum aut apostolos
azyma comedere, vel offerre edocui fulmus: quando
neque Christus ipse tempore passionis suæ, ut di-
cere occupavimus, pervenerit ad manducationem
azymorum, nondum scilicet a Judæis paratorum,
prout dictum est; neque rursus apostoli hoc tradi-
derunt quod non acceperant. Postquam enim cœ-
nasset, inquit evangelistæ, per panem tradidit
sacramentum Novi Testamenti, et dixit: *Desiderio*

²⁶ Eccle. iv, 9. ²⁷ Matth. xviii, 20.

Joan. Bapt. Cotelarii notæ.

(26) Τὸ θαῦμα τοῦ Λαζάρου. Quod Lazari mi-
raculum dum enarrat Origenes, ad Joan. xi, 43,
utilitur verbo ignorabili, κηρύσαντι, si fides libris
editis. Verum ego illis nequaquam credo: quem
debere ἀκούσαντι, persuadet quod præcedit, ὡς
οὐδέπω γενομένην δέσχησιν, ut ei qui nondum acu-
mine prædicationis esset audiendi. Itaque velim, ἵνα μὲν
αὐτῷ Χριστὸς φωνῇ μεγάλη εἴπῃ κρουγῶσας τῇ
μετὰ τὸ ἀποθανεῖν ἀκούσαντι μὲν, οὐκ ὀξέως δὲ, καὶ
διὰ τοῦτο θεομένῃ τῆς Ἰησοῦ κρουγῆς, τὸ, Ἀδελφε, *D*
θεῦρο ἔξω. Ὅτι Christus ipsi, post mortem quidem
audienti, non tamen acute, ideoque opus habenti
Jesu clamore, clamans dicat magna voce, « Lazare,
veni foras. » Legito, p. 349, et iudicio tuo utere.
Supposititius Chrysostomus In quatragesimum
Lazarum, t. VII Anglicanæ edit. p. 531, l. viii, 9 :
Τετραήμερον σῶμα μετὰ τῆς ἐνταφίου τοῖς ζῶσι
συγχορεύον αἰσθητός. Eimend. τοῦτο; deleta
conjectura marginali omnino improbabili: Qua-
triduanum corpus, cum teste sepulchrali una cum vi-
ventibus choros celebrans.

(27) Ὅτι τῶν πλειόνων ἡ ψῆφος κρατεῖ. Sum-
ptum ex canonibus, Nicæno vi, et Antiocheno xix,
ubi consulendi interpretes. Atque ad illa Decreta
respiciebat Imperator Constantius, cum ad Libe-
rium papam his verbis uteretur: Τῶν γὰρ πλειόνων
ἐπισκόπων ἡ ψῆφος ἰσχύει δεῖλαι. *Histor. Eccles.*
Theodoretus, lib. i, cap. 16. Errato autem memoriæ
evenit, ut ab Anastasio, in *Hodægo*, cap. 13, p. 273,

κα'. Καὶ οἱ μὲν ἄλλοι εὐαγγελισταὶ προαπαλθόν-
τες, οὐκ ἐβασσαν ἐντυχεῖν τῷ εὐαγγελικῷ κηρύ-
γματι τοῦ Θεολόγου Ἰωάννου. Οὗτος δὲ μακροβί-
ωτος γεγονώς ἐνέτυχε τοῖς ἐκείνων συντάγμασι,
καὶ πρὸς τῷ τέλει τῆς ἑαυτοῦ βιοτῆς, ἐν Πάτμῳ τῇ
νῆσῳ θεόθεν κινήθει, ἐπὶ Δομετιανοῦ βασιλέως· τὴ
κατ' αὐτὸν ἁγίον Εὐαγγέλιον συνεγράφατο· πολλὰ
τῶν παρ' ἐκείνοις ἀσαφῶς εἰρημένων, καὶ παραλε-
λειμένων, ὅσον τὸ θαῦμα τοῦ Λαζάρου (26), τὴν
καιρὸν τοῦ δειπνοῦ, καὶ τινα ἄλλα, τρανώσας καὶ
σαφηνίσας καὶ μεγαλοφῶνως ἀναφθεγγάμενος. Καὶ
κλύσασθε διὰ τὸν Θεόν, πρὸς οὕτω φανεράν ἀλήθειαν
ἀντιβαίνοντες· καὶ ὁ ποιεῖν οἱ τῆς Ἐκκλησίας τρέ-
φιμοι παραλάβομεν, τοῦτο καὶ ὑμεῖς ποιεῖτε, τοῖς
τέσσαρσιν ἱεροῖς πατριάρχεις ἐπόμενοι· ὅτι τῶν
πλειόνων ἡ ψῆφος κρατεῖ (27), εἰς δὲ, οὐδεὶς· Ἀγα-
θοὶ δὲ οἱ δύο ὑπὲρ τὸν ἕνα. Ἐνθα δὲ τέσσαρες
ὁμοφρονούντες (38) τῷ αὐτῷ στοιχοῦσι, τίς ἀμφι-
βάλλει μὴ καὶ θεὸν ἐν αὐτοῖς παρίναι; καθὼς φησὶν
ὁ Χριστὸς· Ὅπου εἰσὶ δύο ἢ τρεῖς συνηγμένοι ἐν
τῷ ἐμῷ ὀνόματι [All. ἐπὶ τῷ ὀνόματί μου], ἐκεῖ εἰμὶ
ἐν μέσῳ αὐτῶν.

κβ'. Καὶ διὰ τοῦτο παρακαλῶ [All. inser. ἵνα] συμ-
βῶμεν ἀλλήλοις πνευματικῶς, καὶ γυνώμεθα φι-
λάδελφοι μᾶλλον ἢ φιλαυτοὶ. Οὐ γὰρ πρὸς Χριστῷ,
ἢ τῶν ἀποστόλων, τὰ δέσυμα ἐσθίειν ἢ προσκομίζειν
ἐδιδάχθημεν· ἐπεὶ οὐδὲ Χριστὸς αὐτὸς κατὰ τὸν
καιρὸν τοῦ πάθους αὐτοῦ, ὡς ἤδη προλαβόντες εἴπο-
μεν, ἐβασσε φαγεῖν τὰ δέσματα, μήπω παρὰ τῶν
Ἰουδαίων ἐτοιμασθέντα, ὡς εἴρηται· οὕτε οἱ ἀπό-
στολοι πάλιν παρέδωκαν ὃ οὐ παρέλαβον. Μετὰ γὰρ
τὸ δειπνήσαι, φασὶν οἱ εὐαγγελισταὶ, Παρέδωκε διὰ
τοῦ ἁγίου μυστήριον τῆς Καινῆς Διαθήκης, εἰπὼν·

et in fine Operis, canonibus apostolicis imputetur
sententia. Ait priori loco: Νόμος γὰρ ἔστιν ἐξ
ἀποστολικῶν κανόνων, ὃ ἐπιτρέπων τῆς (i. vacat,
vel aliquid deest) τῶν πλειόνων μαρτυριῶν ἢ
χρησίων εἶναι τὴν ψῆφον ἐπὶ παντὶ ζητήματι, καὶ
δόγματι συντείνοντι εἰς Χριστόν. Posteriori autem:
Τῶν πλειόνων γὰρ ἰσχύει ἡ ψῆφος ἐπὶ παντὶ πρά-
γματι· καθὼς οἱ κανόνες τῶν ἁγίων ἀποστόλων
Χριστοῦ διατάξαντο. Michael Glycas, *De proces-
sione Spiritus sancti*, citatus per Allatium, *De*
utriusque Ecclesiæ consensione, c. 917: Ἐπὶ πᾶσι
τῶν πλειόνων ἡ ψῆφος κρατεῖν εἰώθεν. In Discrepa-
tione Joannis Mustadeni pro concilio Florentino,
t. I *Græciæ orthodoxæ*, p. 619: Εἰς οὐδεὶς τῶν
πλειόνων ἡ ψῆφος νικά. Praefatio Theodoriti ad
Psalmos, κρατεῖται δὲ ὁμῶς τῶν πλειόνων ἡ ψῆφος.

(28) Ὁμοφρονούντες. Alias ὁμοφρονούντες mar-
ginis. Varietas frequens in codicibus manu exara-
tis: interdum absque dispendio sensus, ut hic et
s. n. 8, 12; et in Theodorito, t. IV, p. 157 A,
magno interdum cum errore. Pachymere Para-
phrasis ad cap. 4 Dionysii *De divinis nominibus*,
n. 31: Συμφωνία, πολυμυγίων καὶ διχα φρονούντων
ἑνωσις λέγεται. Imo vero, φωνιόντων. *Consensantia*,
multorum variae mixtorum et seorsim sonantium
unio dicitur. Chrysostomus, oral. 1, *De incompre-
hensibili Dei natura*, p. 332, t. I: Καὶ φρονεῖ μὲν,
οὐδὲν δὲ διγερῶμεν. Haud dubie φωνεῖ. Puer vo-
cem quidem edit, sed nullatenus articulatam.

4. Porro attende ad id quod dico. Hominis corpus ab uno regitur capite : in eo autem membra sunt multa : quæ omnia a solis quique gubernantur sensibus ; sunt vero sensus : visus, odoratus, auditus, gustus et tactus. Iterum et corpus Christi, fidelium, inquam, Ecclesiarum, in diversis gentibus, velut membris, coaptatum, atque tanquam a quinque sensibus, a dictis magnis sedibus administratum, per unum regitur caput, ipsum Christum. Et quemadmodum præter quinque sensus, alius sensus non exstat : ita nec præter quinque patriarchas, alium patriarcham esse quisquam concedet. Itaque ab istis quinque sedibus, quæ vicem gerunt sensuum in Christi corpore, cuncta membra, seu omnes patriæ gentium *, ac per loca dispersi episcopatus disponuntur, et Deo decenter diriguntur, velut in uno capite, Christo vero Deo nostro, per rectam unamque fidem apte coagmentati, et ab illo ducti.

Ὡς ὁ Θεὸς ἡμῶν, δι' ὁρθοδόξου καὶ μιᾶς πίστεως αὐτοῦ.

5. Si vero ex eo quod sedes ad dexteram beatissimi patris, confirmas te, sicut scripsisti, vocari patriarcham, hoc quoque admittimus. Sed audi quo pacto. Episcopos et pontifices, appellare Patres fidelis novit sermo ; in unaquaque autem synodo eos qui primum locum tenent, exarchos et protothronos ac proedros consuevit nominare. Juxta quam utique rationem, convenit te patriarcham vocari, ut qui primas Romanæ synodi partes feras : quemadmodum et apud nos primus diaconorum nuncupatur archidiaconus. Quo enim alio modo sextum introducere poterimus patriarcham, non existente, juxta quod jam dictum est, sexto sensu in corpore ? Idque cum multæ magnæque in mundo sint, dioceses tuam superantes, provincie ac regiones, a metropolitani et archiepiscopis temperatæ et ad cultum Dei deductæ. Reputa namque, quanto regione tua major sit Bulgaria ; quanto iterum hac amplior Babylon magna, et

δ'. Καὶ πρόσχες δὲ λέγω (11). Τὸ σῶμα τοῦ ἀνθρώπου ὑπὸ μιᾶς ἄγεται κεφαλῆς · ἐν αὐτῇ δὲ μέλη πολλά · καὶ πάντα ὑπὸ πάντα μόνον αἰκονομεῖται αἰσθήσεων · αἱ δὲ εἰσιν, ὄρασις, ὁσφρησις, ἀκοή, γεῦσις, καὶ ἀφή. Καὶ τὸ σῶμα δὲ πάλιν τοῦ Χριστοῦ · ἡ τῶν πιστῶν λέγω Ἐκκλησία · ἐν διαφόροις ὡς περ μέλεσι συναρμολογούμενον [All. συναρμολογούμενη] ἔθνεσι, καὶ ὑπὸ [All. ὡς ἐκ καὶ ὡς] πάντα αἰσθήσεων οἰκονομούμενον [All. οἰκονομούμενη], τῶν εἰρημένων μεγάλων θρόνων, ὑπὸ μιᾶς ἄγεται κεφαλῆς · αὐτοῦ φημι τοῦ Χριστοῦ. Καὶ ὡς περ ὑπὲρ τὰς πάντα αἰσθήσεις, ἑτέρα τις αἰσθησις οὐκ ἔστιν · οὕτως οὐδὲ ὑπὲρ τοὺς πάντες πατριάρχας, ἑτέρον πατριάρχην δώσει τις εἶναι. Ὑπὸ γοῦν τῶν πάντων τούτων θρόνων, τῶν ὡς περ αἰσθήσεων ὄντων ἐν τῷ σώματι τοῦ Χριστοῦ, πάντα τὰ μέλη, ἡγουν πᾶσαι αἱ πατριαὶ τῶν ἐθνῶν, καὶ αἱ κατὰ τὸν τόπον ἐπισκοπαὶ οἰκονομοῦνται, καὶ θεοπροπῶς διαβιάνονται · ὡς περ ἐν μιᾷ κεφαλῇ, Χριστῷ τῷ ἀληθινῷ συναρμολογούμεναι καὶ ἀγόμεναι ὑπ' αὐτῆς [All.

ε'. Εἰ δὲ ἐκ τοῦ καθῆσθαι σε ἐκ δεξιῶν τοῦ μακαριωτάτου [All. μακαρίτου] πάπα, δικαιοῦς σεαυτὸν, ὡς ἔγραψας, πατριάρχην καλεῖσθαι, δεχόμεθα καὶ τοῦτο. Ἄλλ' ἀκουστον πῶς τοῦ ἐκτελέτου καὶ ἀρχιερεῖς, Πατέρας ὁ πιστὸς οἶδε λόγος καλεῖν τοὺς δὲ πρωτεύοντας ἐν ἐκδότῃ συνόδῳ, ἐξάρχους καὶ πρωτοθρόνους καὶ προέδρους εἰσθεὶν ὀνομάζειν. Καθ' ὃν δὲ λόγον εἰκότως καὶ σε πατριάρχην καλεῖσθαι, ἅτε τὰ πρῶτα τῆς Ῥωμαϊκῆς φέροντα συνόδου · καθὼς καὶ παρ' ἡμῖν ὁ πρῶτος τῶν διακόνων καλεῖται ἀρχιδιάκονος. Ἐπεὶ πῶς ἂν ἄλλως ἔκτον ἐπεισάγειν δυνηθῶμεθα πατριάρχην, μὴ οὖσης ἑκτῆς, ὡς εἴρηται, αἰσθήσεως ἐν τῷ σώματι ; Καὶ ταῦτα πολλῶν καὶ μεγάλων ἐν τῷ κόσμῳ οὐσῶν ὑπὲρ τὴν σὴν ἐνορίαν ἐπαρχιῶν καὶ χωρῶν, ὑπὸ μητροπολιτῶν καὶ ἀρχιεπισκόπων βυθμιζομένων καὶ μεταγομένων πρὸς θεοσέβειαν. Ἀναλόγισαι γὰρ ὅσον μέζων τῆς κατὰ σὲ χώρας ἡ Βουλγαρία · ὅσον δὲ ταύτης πάλιν Βαβυλῶν ἡ μεγάλη, καὶ Ῥωμάγουρις (12) ἦτοι τὸ Χωροσάν (13), καὶ

* Psal. xcvi, 7.

Ioan. Bapt. Cotelierii notæ.

(11) Καὶ πρόσχες δὲ λέγω. Georgius Trapezuntinus. Epistola ad Cretenses, n. 13, tom. I Græciæ orthodoxæ, affirmat Romanam Ecclesiam esse instar tactus, Constantinopolitanam gustus, Alexandrinam visus, Antiochenam auditus, et Hierosolymitanam oloratus. At ex Anastasio Bibliothecario Præfatione in octavam synodum, Romana sedes visui comparatur. Per Nilum autem Bosapatrium, in Allatio, De consensione Eccl. Occid. et Orient., cap. 240, res tangitur, non explicatur.

(12) Ῥωμάγουρις. Romaguris, Allatius. Ῥωμανίς, Romanis ; eod. Reg. 912. Ῥωμογούρις · 1652, Ῥωμόγουρις · 2473, Ῥωμόγυρις · 2622, Ῥωμογούρις. Nilus Bosapatrius tractatu De quinque thronis patriarchalibus, apud Allatium, De Occid. et Or. Eccl. perp. cons. lib. I, cap. 9, n. 1 : Ὁ Ἀντιοχείας καταλεγειν ἄπιστον τὴν Ἀσίαν, καὶ Ἀντιόχην, αὐτὴν τε τὴν Ἰνδίαν, ὅπου καὶ ἔως τοῦ νῦν καθολικὸν γιγροτονῶν ἐτέλλει καλούμενον Ῥωμογούριον, καὶ αὐτὴν τὴν Περσίαν, εἰ καὶ αὐτὴν τὴν Βαβυλῶνα,

τὴν νῦν καλούμενην Βαγδὰ. Κάκει γὰρ ἔσταλλεν ὁ Ἀντιοχείας καθολικὸν εἰς Εἰρηνοῦπολιν, τὸν λεγόμενον Εἰρηνοπόλεως · Antiochenus obtinuit omnem Asiam, et Orientem, ipsamque Indiam ; ubi ad præsens usque tempus, catholicum ordinem mittit, vocatum Romogireos ; ipsam quoque Persiam, adhucque ipsam Babylonem, quæ nunc appellatur Bagda. Nam et illic mittebat Antiochenus catholicum ad Irenopolim, Irenopolitanum dictum.

(13) Τὸ Χωροσάν. In codd. Reg. 696, 912, 2473, Χωροσάν. In 1652, Χωροσάν. At eod. 1996, Χωροσά · 2622, Χωροσά. Antiquæ Notitiæ, ubi de patriarchatu Antiocheno : Μέχρι τῆς ἑσπερίας ἐρήμου τοῦ Χωροσάν. In Cedreno, Anna Comnena, aliaque, Χωροσάν, Χωροσάν, et Χωροσάν. Apud Theophanem Χωροσάν vel Χωροσάν. Codice Casareo 202, in observatione anonymi de Moscho, fit mentio cujusdam urbis τοῦ Χωροσάν, dictæ Ταρά, ubi f. leg. Χωροσάν. Aliibi vocatur Chorazan, Chorasau, Chorosan, Chorosana, Chorasse, Corosa-

εὐάρεστον θεῷ τε καὶ ἡμῖν ἔργον ἐκτελείσκειν. Ἰσως γὰρ θεοῦ ἐκινύσαντος πρεσβυτέρους τῶν ἀγίων κορυφαίων ἀποστόλων, προσδέχεται τὰ ἀναγεγραμμένα, καὶ ἀποδέχεται, καὶ συνέλθοι τοῖς περιποθοῦσι τὴν αὐτοῦ σεβασμιότητα τιμίους ἀδελφοῖς καὶ Πατρῷ καὶ κοινῇ πάντες ὁμοθυμαδὸν, τῷ τὰ πάντα εἰρηνικοῦντι Χριστῷ τῷ ἀληθινῷ θεῷ ἡμῶν εὐχαριστήσομεν, καὶ συλλειτουργήσομεν, τὸ αὐτὸ φρονούντας, τὴν αὐτὴν ἀναφορὰν ἱερουργούντας καὶ προσκυμίζοντας.

κη'. Ὡς ἡμεῖς ἡμῶν προσεῖπαι τὴν κατὰ θεὸν ἱερὰν καὶ ἀγίαν [All. ἱεράς, ἀγίας] σου σύνοδον. Ἀσπάζεται δὲ καὶ ἡ καθ' ἡμᾶς ἐν φιλήματι ἀγίῳ τὴν ἀγιοσύνην σου, ἐκικαλουμένη σὺν ἡμῖν τὰς σὰς εὐχὰς [Deest in All.]. Καὶ χαῖρε, καὶ ἔρρωτο, εὐφραυνόμενος ἐν Κυρίῳ πάντοτε, καὶ τῆς ἡμετέρας εὐτελείας ἐν ταῖς αὐταῖς ἱεραῖς τελεταῖς μετεῖν ποιούμενος.

Γ.

Μιχαήλ (56) τοῦ ἀγιοτάτου ἀρχιεπισκόπου Κωνσταντινουπόλεως νέας Ῥώμης καὶ οἰκουμένης πατριάρχου τοῦ Κηρουλάριου πρὸς Πέτρον τὸν ἀγιοτάτον πατριάρχην Θεουπόλεως μεγάλης Ἀντιοχείας.

α'. Τὰ γράμματα τῆς μακαριότητός σου ἀνέγνω ἡ μαριότης ἡμῶν, καὶ ἀναμαθεύσα διὰ τοῦ ταῦτα διακομίσαντος, ὡς καλῶς, θεοῦ χάριτι τὰ κατ' αὐτὴν διελέγεται, τῇ αὐτοῦ ἡγάρετι, ὡς εἰκὸς ἀγαθότητι. Ζῶν σοι μακαρίων καὶ ἀλυπῶν ἐπιυχόμενοι. Οἱ, δὲ καὶ περιερίχτο περὶ τοῦ ἐλάδοος ἐκκλήτου καὶ βασιλικοῦ κληρικοῦ Πέτρου, ὅτι τε κατὰ τὰς ἡμετέρας πρὸς τὴν σὴν ἀγιοτητα εἰσηγήσεις συγγίλιον αὐτῆς ταύτῃ πεπρόρισται ἐπὶ τῷ φιλοτιμηθέντι αὐτῷ παρὰ τοῦ πρώτου [All. πρὸς] σου πατριάρχου κληρικοτάτου [All. κληροτοπίῳ]· καὶ ὅτι ἐτίρας ὡς ἐπὶ προτυχῶν ἐνεργεσίας παρὰ σοῦ [All. τῆς σῆς] τελειότητος, ἡγωνιόμενος, μετὰ γρηγορίας αὐτοῦ καταζώσας αὐτήν.

β'. Καὶ ἡ μαριότης ἡμῶν εἰδοῖα εἶαν οὐ νῦν, οὐδ' ἐκ νῦν, ἀλλ' ἀρχὴθεν εἶχα [All. εἶχε] πρὸς σὺν [All. αὐτὴν] διάπυρον στοργὴν καὶ διάθεσιν, καὶ ὡς οὐ παρὰ φαῦλον λογίζῃ τὰς ὀπέρ τινων παρ' αὐτῆς πεμπομένης σοι γραφάς [All. συλλαβὰς]· τοῦτου χάριν καὶ γράφει, καὶ ἀξιόθ' ἔμα μὲν εὐεργετισθαι διὰ σοῦ τοῦς ἀξιούντας· ἰθαλῶσα, πρὸς ἐπαινον καὶ ἀνακήρυξιν τῆς μεγαλοδωροῦ καὶ φιλοτίμου ψυχῆς σου· ἔμα δὲ καὶ μισθῶν οὐκ ὀλίγων

A gratum Deo nobisque opus peractura est. Forsam enim, Deo annuente intercessionibus sanctorum inter apostolos principum, suscipiet admittetque quæ in ea perscripta sunt; necnon conveniet cum honorandis fratribus Patribusque qui desiderio venerandæ religionis ejus flagrant: tum communiter omnes eadem mente, cunctorum reconciliatori Christo vero Deo nostro gratias agemus, et communicabimus, idem sentientes, eandem oblati onem consecrantes atque celebrantes.

28. Nomine nostro saluta divinam, sacram, sanctamque congregationem tuam. Quæ apud nos est sanctitatem tuam salutat in osculo sancto, et nobiscum preces tuas imploret. Vale, iustus in Domino semper, ac tenuitatis nostræ in sanctis sacrificiis tuis memor.

III.

Michaelis sanctissimi archiepiscopi Constantinopolis novæ Romæ, et œcumenici patriarchæ, Cerularii, ad Petrum sanctissimum patriarcham Theopoliæ magnæ Antiochiæ.

1. Benignitatis tuæ litteras legi mediocritas nostra, et comperiens ex allatore eorum, bene per Dei gratiam te agere, divinæ, ut par fuit, gratias egimus benignitati, vitam tibi longævam et tristitia carentem deprecari. Continebant autem litteræ tuæ de religioso diacono imperatorique clerico Petro, quod iuxta nostras ad sanctitatem tuam orationes, sigillum tuum obtinuerit pro clericatus loco quo donatus fuerat a patriarcha prædecessore tuo; quodque idem alia antea a perfectione tua beneficia consecutus, ingratus existerit, ac ne quidem literis suis dignum te arbitratus.

2. At mediocritas nostra quia novit qualem quamque ardentem amorem et affectum, non nunc, neque recens, sed jam olim habeamus erga nos, utique non in malam partem accipias quas pro nonnullis ad te mittimus litteras, ideoque et scribit et postulat: tum quidem cupiens a te beneficio affici petitores, in laudem ac præconium magnificæ et generosæ animæ tuæ; tum vero etiam non exiguan mercedem nobis concilians, qua quidem ex parte

Joan. Bapt. Cotelerii notæ.

(56) Μιχαήλ. Celebris est in Historia, præsertim ecclesiastica, Michael Cerularius, Patriarcha CP. Græcorum Schismaticorum caput, et Ecclesiæ Latinæ hostis capitalis. Vulgo Μιχαήλ ὁ Κηρουλάριος. Μιχαήλ Κηρουλάριος. Cod. Reg. 2425. Μιχαήλ ὁ Κηρουλάριος, quemadmodum apud Glycon. A Balsamone ad cap. 1, tit. 8. Namocanonis ὁ Κηρουλάριος Μιχαήλ nuncupatur. Ὁ Κηρουλάριος simpliciter apud Allatum, dissertatione 2, De libris ecclesiasticis Græcorum, p. 157. Ejus, ut et Petri Antiocheni contra Latinos Epistolæ in multis bibliothecis reperiuntur, et a viris doctis solent citari: hæcque fere totam Annalibus suis inseruit Baronius anno 1054, sed Latine tantum. De Mi-

chaele suppleri debet pitiaculum legatorum Romanorum, in Allatio, De libris ecclesiasticis Græcorum, p. 167, per eundem libellum seu chartam excommunicationis, in conciliis post Leonis IX epistolæ; Græca nimirum per Latina: Μιχαήλ, inquit, γράμμασι τοῦ κυροῦ ἡμῶν Ἀδωντος τοῦ πάπα νοθετηθεὶς, καὶ . . . κατεφρόνησεν. Latine? Michael litteris domini nostri Leonis papæ admonitus, recipere contempsit. Repono παροφθαλμία. Nam ibidem apud Allatum, p. 168 B et C. Ἐν τῇ παροφθαλμίᾳ. In Conciliis est: Nisi resipiscerent. Et nisi forte resipiscerint. Cerularii decretum Jussu Græco-Romano addendum alias editi.

4. Porro attende ad id quod dico. Hominis corpus ab uno regitur capite : in ea autem membra sunt multa ; quæ omnia a solis quinque gubernantur sensibus ; sunt vero sensus : visus, odoratus, auditus, gustus et tactus. Iterum et corpus Christi, fidelium , inquam, Ecclesiæ, in diversis gentibus, velut membris, coaptatum, atque tanquam a quinque sensibus, a dictis magnis sedibus administratum, per unum regitur caput, ipsum Christum. Et quemadmodum præter quinque sensus, alius sensus non exstat : ita nec præter quinque patriarchas, alium patriarcham esse quisquam concedet. Itaque ab istis quinque sedibus, quæ vicem gerunt sensuum in Christi corpore, cuncta membra, seu omnes patris gentium *, ac per loca dispersi episcopatus disponuntur, et Deo decenter diriguntur, velut in uno capite, Christo vero Deo nostro, per rectam unamque fidem apte coagmentati, et ab illo ducti.

Ἐν ᾧ ὅτε ᾤ ἡμῶν, δι' ἐρεθισμοῦ καὶ μετὰ πιστῶν
ἀποστόλων.

5. Si vero ex eo quod sedes ad dexteram beatisimi papæ, confirmas te, sicut scripsisti, vocari patriarcham, hoc quoque admittimus. Sed audi quo pacto. Episcopos et pontifices, appellare Patres fidelis novit sermo; in unaquaque autem synodo eos qui primum locum tenent, exarchos et protothronos ad proedros consuevit nominare. Juxta quam utique rationem, convenit te patriarcham vocari, ut qui primas Romanæ synodi partes feras: quemadmodum et apud nos primus diaconorum nuncupatur archidiaconus. Quo enim alio modo sextum introducere poterimus patriarcham, non existente, juxta quod jam dictum est, sexto sensu in corpore? Idque cum multæ magnæque in mundo sint, dioceses tuam superantes, provinciæ ac regiones, a metropolitanis et archiepiscopis temperatæ et ad cultum Dei deductæ. Reputa namque, quanto regione tua major sit Bulgaria; quanto iterum hac amplior Babylon magna, et

A 8. Καὶ πρόσθετε δέ λεγω (11). Τὸ σῶμα τοῦ ἀνθρώπου ὑπὸ μιᾶς ἀγεται κεφαλῆς ἢ ἐν αὐτῇ δὲ μέλει πολλὰ ἡ καὶ πάντα ὑπὸ πέντε μόνον οἰκονομεῖται αἰσθηθεὶς ἡ αἰ δὲ εἰσιν, θρασυί, βεβρηγίς, ἀκοή, γένει, καὶ ἀφῆ. Καὶ τὸ σῶμα δὲ πάλιν τοῦ Χριστοῦ ἡ τῶν πιστῶν λέγω Ἐκκλησία ἢ ἐν διαφόροις ὡς περ μέλει συναρμολογοῦμενον [All. συναρμολογοῦμένη] ἔθνεσι, καὶ ὑπὸ [All. ὡς ἐκ καὶ ὡς] πέντε αἰσθηθεὶς οἰκονομοῦμενον [All. οἰκονομοῦμένη], τῶν εἰρημένων μεγάλων θρόνων, οὐκ αἰσθηθεὶς κεφαλῆς ἡ αὐτοῦ φημι τοῦ Χριστοῦ. Καὶ ὡς περ ὑπὸ τῶν πέντε αἰσθηθεὶς, ἑτέρα τις αἰσθηθεὶς οὐκ ἔστιν ἡ οὕτως οὐδὲ ὑπὸ τοῦ πέντε πατριάρχας, ἑτέρον πατριάρχην δώσει τίς εἶναι. Ὑπὸ γοῦν τῶν πέντε τούτων θρόνων, τῶν ὡς περ αἰσθηθεὶς θρόνων ἐν τῇ σῶματι τοῦ Χριστοῦ, πάντα τὰ μέλη, ἔχοντες πᾶσαι αἱ πατρίαι τῶν ἐθνῶν, καὶ αἱ κατὰ τὸν τόπον ἑκαστοὶ οἰκονομοῦνται, καὶ θεοκρεπῶς διεξάγονται ἡ ὡς περ ἐν μιᾇ κεφαλῇ. Χριστῷ τῇ ἀλῇ συναρμολογοῦμεναι καὶ ἀγόμεναι ὑπ' αὐτῆς [All.

α'. Εἰ δὲ ἐκ τοῦ καθέσθαι ὅτι ἐκ δεξιῶν τοῦ μακαριω-
τάτου [Αἱ. μακαρίτου] πάντα, δικαιοὺς σεαυτὸν, ὡς
ἐγραψας, πατριάρχην καλεῖσθαι, δεχόμεθα καὶ τοῦτο.
'Αλλ' ἀκούοντες πῶς τοὺς ἐπισκόπους καὶ ἀρχιερεῖς,
Πατέρας ὁ πιστὸς οὗτος λόγος· καλεῖν τοὺς δὲ πρωτεύον-
τας ἐν ἐκείτῃ συνόδῳ, ἐξάρχους καὶ πρωτοθρόνους καὶ
προέδρους εὐθὺς ὀνομάζειν. Καθ' ὃν δὲ λόγον εὐθεὺς
καὶ σε πατριάρχην καλεῖσθαι, αὐτὸ καὶ πρῶτα τῇ·
'Ρωμαϊκῇ φέρουντες συνόδῳ· καθὼς καὶ παρ' ἡμῖν ὁ
πρῶτος τῶν ἐκείνων καλεῖται ἀρχιεπίσκοπος. Ἐπεὶ
πῶς ἂν ἄλλως ἔκτον ἐπιστάγειν βυζυαίως πατρι-
άρχην, μὴ οὕτως ἔκτῃ, ὡς εἴρηται, αἰσθησώμε· ἐν
τῇ σώματι· Καὶ ταῦτα πολλῶν καὶ μεγάλων ἐν τῇ
κοίτῃ μου ὅσων ὅπου τὴν σὴν ἐνορίαν ἐπαρχίαν καὶ
χωρῶν, οὐκ ἢ μητροπολιτῶν καὶ ἀρχιεπισκόπων
βυθμιζομένων καὶ μεταγομμένων πρὸς θεοσεβίαν.
'Αναλγώσαιοι γὰρ ὅσον μείζων τῆς κατὰ ὁ χώρας ἡ
Βουλγαρία· ὅσον δὲ ταύτης· πάλιν Βασιλῶν ἡ με-
γάλη, καὶ Ῥωμανίου· (12) ἦτοι τὸ Χερσὸν (13), καὶ

* Psal. xciv. 7.

Ioan, Bart, Cotelecrii note.

(11) Καὶ πρόσθετος δὲ λέγει. Georgius Trapezuntinus. Epistola ad Cretenses, n. 13, tom. I *Græci orthodoxi*, affirmat Romanum Ecclesiam esse in-
 solutis tactus, Constantinopolitanam gustus. Alexan-
 drinam visus, Antiochenam auditus, et Hierosoly-
 mitanam o latus. At ex Anastasio Bibliothecario
 præfatione in octavam synodum, Romana sedes
 visus comparatur. Per Nilum autem Iosapatrum
 in Allatio. De consensu Eccl. Occid. et Orient.,
 cap. 240. res tangitur, non explicatur.

τὴν αὖν καλουμένην Βαυβλ. Καὶ γὰρ Ἰσακίαν
 δ' Ἀντοχίαν· καθολικὴν εἰς Ἐλληνιστοὺς, τὴν λεγόμε-
 νον Ἐλληνιστικῶς· Antiochenam obtinuit omnem
 Asiam, et Orientem, ipsamque Indiam; ubi ad
 præsens usque tempus, catholicum ordinans mittit,
 vocatum Romagregios; ipsam quoque Persiam, adhuc
 que ipsam Babylonem, quæ nunc appellatur Bagda.
 Nam et illuc mittebat Antiochenam catholicum ad
 Irenopolim, Irenopolitanum dictum.

(13) Τὸ Χορδάτ. In cod. Reg. 696, 912, 2475.

(12) *Ῥωμανία*. *Romania*. Allatius. Ῥωμανίς, *Romanis*; eod. Reg. 912. Ῥωμανός; 1612. Ῥωμανός; 2473. Ῥωμανός; 1622. Ῥωμανός. Nilus Doxapatris tractans *De quinque thronis patriarchalibus*, apud Allatium, *De Occid. et Or. Eccl. perp. cons.* lib. 1, cap. 9. n. 1: Ὁ Ἀντοχείας καταλείπων ἄπασιν τὴν Ἀσίαν, καὶ Ἀνατολήν, αὐτὴν τε τὴν Ἰνδίαν, ὅπου καὶ ἕως τοῦ νῦν καθολικὸν μαρτυροῦν στίλλει, καλεόμενον Ῥωμανοῦρεαν, καὶ αὐτὴν τὴν Περσίαν, καὶ καὶ αὐτὴν τὴν Βαβυλωνίαν,

runt illis ut nonnullas consuetudines suas retine-
rent: scilicet per paulatim factam omnimodam
subtractionem, sapienter immutando illos, ac tra-
ducendo ad Evangelium, jam ad obtemperacionem
exercitatos? Neque enim rarius obliquus ferro pos-
test subitam reflexionem vniuque manus ad recti-
tudinem ducentis; quemadmodum e nostris theo-
logis quidam pronuntiavit²⁶; citius quippe rumpe-
tur, quam rectus fiet. Ideo, ut dictum est, ad tem-
poris concessa fuere azyxia, quoniam ingens tunc
Hebræorum multitudo Romam incolebat; quod li-
ber Actuum apostolorum indicat. Postea autem, in
tempore, hæc etiam sublata sunt. Eandemque Dei
dispensationem in Moyse cernere est; qui Hebræis
interim quidem sacrificia permisit, quo Deum
mentibus illorum iudicaret; deinde vero cum hoc
quoque bene feliciterque peractum fuit, ea tunc
abolerit. Sufficiunt mihi hæc, ad hominem plenum
Spiritu sancto ac intelligentia spiritali. Da enim,
inquit, sapienti occasionem, et sapientior erit²⁷.

26. Cæterum antea, initio promissus mei, litte-
ras commendatitias dedi ad beatissimum papam
Romæ, easque per quemdam qui ex solempni voto
Hierosolymum proficerebatur misi ad clarissimum
magistrum et ducem Italix Argyrum, ut dirigeret
ad sanctitatem ejus. Quo ex tempore elapsa est
biennium: nec de illis quidquam potui comperire.
Et ecce iterum has describens, nisi ad tuam in
Deum dilectionem, ut propter amorem nostri, seu
potius propter Deum, ob quem et pro quo Epistola
est: *Pro Christo enim legatione fungimur*, inquit
divinus Apostolus²⁸, officias ut ad maxime vene-
randam illius beatitudinem perducatur; simulque
petas respondeat scripto, quod mittas ad nos.

27. Si vero presentem quoque epistolam, post-
quam legerit pietas tua, ad ipsum transmiserit,

²⁶ Greg. Naz. orat. 42. ²⁷ Prov. ix, 9. ²⁸ II Cor. v, 20.

Joan. Bapt. Cotelierii notæ.

(32) Συγχωρήσαντος. Nilus, Ad Magnam, c. 13:
Καὶ πρὸς εἰδωλοκρατεῖαν ὑπερὶν ἐκμανίνοι τοῖς
Ἐπιστολὰς ὕμιν αὐτῶν. Sic illic mea hinc ἐπιτρέ-
ψαι. Atque ad idolorum cultum deinde furentibus
posteris permisisse ut sibi sacrificium offerrent.
(33) Ἀρκὴ μοι ταῦτα. Metathesis litterarum vi-
tiosam induxit lectionem in Novellam tertiam
Mannelli Comment. Juris Græco Romani, p. 156:
Ἦτις (πρόσταξις) καταστρωθήσεται, καὶ τῇ ἱερῇ
χαριστοφυλακίᾳ ἀναποταθήσεται, ἀρδύκουσα τοῖς
ἀγωνισταῖς. Ἐκκλησίαις, καὶ ἰσόκυμα καὶ μόνα
ταύτης πεπιστωμένα, παρὰ τῶν μερῶν αὐτῶν
ἐμφανίζονται. Quis enim probam, ἀρδύκουσα, non
confestim agnoscat? cum sensu: Quia constitutio
expanditur, et in sacro chortophylacio reponetur,
infectura sanctissimis Ecclesiis, etiam si ejus exem-
plaria sola, competentī fide munita, ab ipsa puriti-
bus insinuantur.
(34) Σοφώτερος ἔσται. Libri Regii 1004, 1605,
subdunt: Ὁ δὲ τὰ πάντα εἰρηνοποιῶν Χριστὸς ὁ
ἀληθινὸς Θεὸς ἡμῶν, ἀξιῶσαι ἡμᾶς ὁμοθυμῶν ἐν-
γαριστεῖσθαι αὐτῷ, καὶ συλλειτουργῆσαι, ἐν αὐτῷ
προνοούντις, etc. Qui vero cuncta reconciliat Chri-

αὐτοῖς συνεχώρησαν τελειοῦνται ὑπὸ αὐτῶν τῇ κατὰ
μικρὸν πάντως ὑφαιρέσει σοφῶς ὑπαλλοττοντας
αὐτοῖς καὶ μετατόντας ἐπὶ τὸ Εὐαγγέλιον, ἥδη
γεγυμνασμένους πρὸς εὐκαίθειαν; Μὴ δὲ γὰρ ἂν
πτόρθον λοξὸν ἐνεγκαῖν ἄνθρωπον μετακλίσειν καὶ βίαν
χειρὸς ἀπειθυνοῦσης· ὥς τις τῶν καὶ ἡμεῖς ἔφη
θεολόγων· ὁ δὲ τὸν μὲν τ' ἂν [All. ins. τοῦτου] πλε-
γῆναι, τῇ ὁρθωθῆναι. Καὶ διὰ τοῦτο, ὡς εἰρηται, πρὸς
καιρὸν μὲν συναχωρήθη τὰ δόγμα· ὅτι μεγάλη τις
ἦν Ἑβραϊκὴ τότε εἰς Ῥώμην, καθὼς ἡ βίβλος τῶν
Πράξεων τῶν ἀποστόλων διασαφεί. Ἐπειτα δὲ
ἐνέκα καιρὸς, καταλύθη [All. καταλύθη] καὶ ταῦτα.
Ὅτι καὶ ἐπὶ Νωθελίως ὁράται παρὰ Θεοῦ εἰκono-
μοῦμενον· συγχωρήσαντος (32) μὲν τὰς θείας
τίμης τοῖς Ἑβραίοις, ἵνα ἐγκαταστήσῃ Θεὸν· Ἐπειτα
δὲ ἐνέκα καὶ τοῦτο καταρῶσθαι [All. καταρῶσθαι],
καταλύσαντος αὐτὰς ὑστερον. Ἀρκὴ μοι ταῦ-
τα (33), πρὸς ἄνδρα πλήρη τυγχάνοντα Πνεύμα-
τος ἁγίου καὶ συνέσεως πνευματικῆς. Δέξου γὰρ,
φησὶ, σοφῶς ἀφορμήν, καὶ σοφώτατος ἔσται (34).
κς'. Πρὸ καιροῦ δὲ, ἐν ἀρχῇ τῆς ἀρχιερατικῆς
μου, συστατικὴν ἔσταιλα γραφὴν πρὸς τὴν μακαριώ-
τατον πάπην Ῥώμης, πέμψας αὐτῇ διὰ τι.ο. τῶν
κατ' ἐσχὴν ἀπερχομένων εἰς Ἱερουσόλυμα, πρὸς τὸν
λαμπρότατον μάγιστρον καὶ δοῦκα τῆς Ἱταλίας τὸν
Ἀργυρὸν (35), ἵνα κατευθώσῃ αὐτῇ πρὸς τῇ
ἀγωνιστῇ σου [All. αὐτοῦ]. Ἐκτοτε δὲ διετέτα
ῆ· καὶ περὶ ταύτης οὐδὲν ἐδυνήθη μαθεῖν. Καὶ
ἰδοὺ πάλιν ταύτην μεταγρῶσας ἔσταιλα πρὸς τὴν
θεοφιλεῖαν σου· ἵνα διὰ τὴν τιμὴν ἀγάπης,
μᾶλλον δὲ διὰ Θεόν, δι' ὃν καὶ ὑπὲρ οὗ ἡ γραφὴ
Ἰησοῦ Χριστοῦ γὰρ προσθεύομεν, φησὶν ὁ θεὸς
ἀπόστολος· διευθετήσῃς αὐτῇ πρὸς τὴν ἐκείνου
σεβασμιωτάτην μακαριότητα, καὶ ζητήσῃς ἀντί-
γραφὴν καὶ ἀποστείλῃς πρὸς ἡμᾶς.

κς'. Εἰ δὲ καὶ τὴν παρούσαν γραφὴν ἀναγνοῦσα
ἡ σεβασμιότης σου, διαπορθεύσῃ πρὸς αὐτὸν,

stus verus Deus noster, dignos reddat nos qui uno
animo gratias agamus ei, et ministris nostris, idem
sentientes.
(35) Ἀργυρόν. De Argyro infra adhuc non semel,
et Edictum de Pittario legatorum Romanorum,
apud Allatium, dissertat. 2. De libris ecclesiasticis
Græcorum; Joannes Vocatus, orat. 2. Apologetica
et Antirhetica, n. 8; Georgius Meinhart, De
processione Spiritus sancti, lib. v. Quibus adde
Guillelmum Apulicensem, lib. i et ii. Rerum Nor-
mannicarum, ubi Argyronum vocat; et Nicephorum
Bryennium, aliosque historicos. Leo IX. Epistola
ad Constantinum Monomachum imperatorem:
Suffraganeus ergo comitatu, qualem temporis breuitas,
et imminens necessitas permisi, gloriosi ducis et
magistri Argyroi fidelissimū tui colloquium et con-
siliū expetendum censui. Quem locum referens
Wibertus archidiaconus in Vita Leonis page,
cap. 10. Argyrii exhibet in libris editis. Argyris-
mon quidam nuncupant, et Argyrizzum. Multa vir
diffusissimæ lectionis Carolus Freaninus in Familis
Angustis Byzantinis.

ملحق (2)

الوثيقة الحرمان التي كتبها الوفد البابوي عام (1054/هـ 446م)⁽¹⁾

تبدأ الوثيقة بذكر أسماء همبرت وبطرس من آمانى وفردريك اللورى على أنهم رسل البابا الشرعيون والأبناء المخلصون لكنيسة روما وبابويتها ، رأس الكنائس ورفيق قوامه الإيمان فى العالم أجمع .

وتمضى الوثيقة لتتهم كرىولارىوس بعدم استحقاق منصب البطريركية « بسبب سلوكه الوقح وتعاليمه المغلوطة التى أدت إلى ظهور آراء مهرطقة من قبيل السيمونية والخصى وإعادة عماد اللاتين والسماح للقسيسين بالزواج وتعميد النساء وهن فى وقت الحيض ، وتخريف القوانين الموسوية ، وحذف عبارة « الروح القدس منبثق من الابن أيضاً » من قانون الإيمان ، ثم استخدام الخبز المختمر فى تناول المقدس » . وتلى ذلك الشكرى من قيام كرىولارىوس بإغلاق الكنائس اللاتينية فى القسطنطينية ومن عجزه وتلقب نفسه بلقب « مسكونى » . وبعد ذلك نصب الوثيقة اللعنة والحرمان على كرىولارىوس وليو من أونريدا والمستشار البطريركى ، مدمغة عقيدتهم بالمهرطقة مثلهم فى هذا مثل الأريوسيين والمناوين وسائر البدع الأخرى^(٢٥) .

¹ عبيد. (1970م): روما وبيزنطة، ص33.

ملحق (3)

قرار البطريك كريلولاريوس على وثيقة الحرمان الذي أقرها الوفد البابوي

عام (446هـ/1054م) (1)

٣٤

أسرع البطريك ومعه ترجمة يونانية للوثيقة ليعرض الأمر على الإمبراطور مونوماخوس ، غير أن الأخير لم يصدق عينيه وهو يقرأ النص ، فقد أكرم وفادة المندوبين البابويين حتى لحظة رحيلهم عن العاصمة . والواقع أن الإمبراطور كان يساوره شك في هذه الترجمة ، ولهذا فقد أرسل مندوباً إمبراطورياً ليلحق بهمبرت وصحبه ويحصل منهم على نسخة أصلية للقرار . ولحق بهم الرسول عند سلمبريا وحصل على بغيته ، فعاد وسلمها إلى سيده ، ووجد الإمبراطور أن الترجمة التي قدمها كريلولاريوس مطابقة تماماً لما جاء في النص اللاتيني . أرسل الإمبراطور رسولا ثانياً يطلب من المندوبين البابويين العودة إلى القسطنطينية وتوضيح موقفهم أمام المجلس ، ولكن همبرت لم يعر هذا الكلام التفاتاً ، واستمر ورفاقه في طريقهم إلى الغرب .

في أثناء ذلك دبر أتباع كريلولاريوس مظاهرات صاخبة ضد اللاتين وضد سياسة اللين التي اتبعها الإمبراطور معهم . وخاف مونوماخوس فأصدر أمراً بإحراق الوثيقة اللاتينية وأمر بالقبض على أقارب إرجيروس وعلى الذين ساعدوا اللاتين في الترجمة من اللاتينية إلى اليونانية . وفي ٢٤ يوليو ١٠٥٤ اجتمع مجلس القسطنطينية واستمع المؤتمر إلى كلمة كريلولاريوس :

« إن عدو البشرية يقظ . فلم يكتف بأن أوقع بشراكه الإنسان في سقطته الأولى وإنما دأب على تعريضه للهلاك والضلال آلاف المرات قبل مجيء الكلمة . وبعد هذا بذر الهزيمة تلو الأخرى لبنان من صلب الإيمان . غير أن الله قد شاء لتلك الفتن أن تزهد ، واستراح الناس ظناً أن العدو لن يعود لإدخال خطاة آخرين في التجربة . ولكن نفراً من أبناء الظلام — هم في الواقع من الغرب — حلوا في مدينتنا بقصد لإفساد العقيدة الأرثوذكسية . ومضوا في ضلالهم وبغيهم فوضعوا على مذبح الكنيسة الكبرى نصوص الحرمان ضد شخصنا وضد كافة الأرثوذكسيين ، لأننا لا نخلق لحانا ، ولأننا نتقبل شركة التناول من قسيسين متزوجين ،

1 - عبيد (1970م): روما وبيزنطة، ص34.

٣٥

ولأننا لا نقول بانبثاق الروح القدس من الابن .

إن الكاب المقدس يطالب رجل الدين بإطلاق لحيته ، ولقد أقر مجلس آنسيرا ومجلس تروللو زواج القساوسة ، أما انبثاق الروح القدس من الابن فهذا عصف صارخ بتعاليم وتراث المجالس المسكونية .

لقد تردى أهل الغرب في هرطقة ماسيدونيوس بأن أعطوا الصفات الخاصة بالابن لكافة أقانيم الثالوث . على هذا المنوال من الفظاظلة والتجديف بات هؤلاء المستهترون يشيعرون الضلال في العاصمة . لقد قدموا على الإمبراطور زاعمين بأنهم رسل البابا ، ولكنهم في حقيقة الأمر عملاء لأرجيوس

ويقيناً منا أن ضلال هذه الطغمة وفسادها لا بد وأن يسحق ، فقد كتبنا إلى الإمبراطور ، الذي بادر فأرسل رسولا ليلحق بهم . ولكنهم مضوا في طريقهم لا يبالون . وعليه فقد أوفد إلينا الإمبراطور الراهب ستيفن ، أمين خزان الكنيسة الكبرى ، ويوحنا الماغيستروس ، وقسطنطين قنصل الفلاسفة ليسلموا إلينا رسالة تبين الخطوات التي يجب اتخاذها ضد الذين كتبوا تلك الوثيقة وضد الذين شاركوهم في المؤامرة ، وكذا أوامر بأن تصدر ضدهم قرار اللعنة وبأن نشعل وثيقتهم بالنار . ولقد سجلت اللعنة عليهم في الميغاسكريتون في حضور رسل الإمبراطور وأعيد تسجيلها يوم الأحد الرابع والعشرين من الشهر عندما تليت نصوص قرارات المجلس المسكوني الخامس . واحتفظ بوثيقة اللعن هذه في أرشيفات الشارتوفيلاكس لتبقى دليلاً دامغاً على حرمانهم أبد الأبد . ولقد شارك في صب اللعنة عليهم سائر رؤساء الأساقفة والأساقفة الحاضرون في الرابع والعشرين من يوليو السابق الذكر ، وهم : ليو من أثينا ، ميخائيل من سياليا ، نيقولا من إيواينا ، ديمتريوس من كاريا وآخرون » (٢٦) .

ملحق (4)

مراسلات البابا هادريان الرابع مع البطريرك ورجال الدين البيزنطيين⁽¹⁾

يبدو أن الرسائل التي أرسلها البابا هادريان الرابع إلى البطريرك في القسطنطينية في عام ١١٥٥ كتبها البابا هادريان الرابع إلى بازل رئيس أساقفة تسالونيكيا بخطبه حبه لكنيسة روما - رأس الكنائس - ويرغبه في مشروع الوحدة الكنسية . على أن البابا ذكر في رسالته أن الشقاق الذي وقع بين بيزنطة وروما يرجع إلى عناد وعجرفة البطارقة البيزنطيين الذين شاءوا لكنيستهم أن تنسلخ عن الجسد الواحد . مثلها في ذلك مثل « القطيع الضال » الذي انفصل عن أمير الرعاة بطرس الرسول^(٣) .

جاء رد بازل على البابا مليئاً بالمرارة والسخرية ؛ محتجاً على انزلاق لسان البابا وعلى اتهامه كنيسة بيزنطة المسكونية بالزيف والضلال في تشبيه إياها « بالخراف الضالة » . ثم راح صاحب الرسالة يعدد أفضال بطريركية القسطنطينية على العالم المسيحي أجمع شرقيه وغربيه^(٤) . لا شك في أن البابا هادريان الرابع كان يدرك تماماً استحالة الوحدة بين الكنيستين ، ولكنه برغم ذلك رحب بمبادأة عمانوئيل كومنين ما دام هذا سيخدم حلفه مع الجيوش البيزنطية في الانتقام من النورمان الذين سطوا على الممتلكات البابوية في الجنوب الإيطالي . وجاءت تحديات فردريك بربروسا المتتابة للبابا لتوثيق العلاقة بين البلاطين البابوي والكمينيني . وبعد وفاة هادريان

¹ - عبيد (1970م): روما وبيزنطة، ص 215.

ملحق (5)

رسائل بوهمند إلى جودفري (1)

رسالة بوهمند إلى جودفري دوق لورين ومن معه من قادة الحملة الصليبية الأولى بالقسطنطينية يحرضهم فيها على الإمبراطور البيزنطي الكسيوس ورد جودفري على تلك الرسالة

رسالة بوهمند

جاء فيها ما يلي : « أعلم ياخير الرجال ان عليك ان تتعامل مع اسوء انواع البهائم مع رجل شرير جدا هدفه الخداع دوما ، وهمه ان يطارد - بكل وسيلة ممكنا - جميع الشعوب اللاتينية حتى الموت ، وسيثبت حكمك صحة احساسى هذه تجاهه فلقد عرفت ان حقد وكراهية الاغريق امران متاصلان للاسم اللاتيني ، لذلك اترك المدينة [القسطنطينية] اذ كان ذلك يسرك ، واذهب الى المناطق المحيطة بادرنة او فيليبوبولس ، ودع هناك الجند الذين عهد اليك الرب لقيادتهم ليجنوا قواهم بالراحة والطعام في اراضى خصبة ، وساحضر حالا مع بداية الربيع بمشيئة الرب ، لاقدم لك يامولاي مساعدتى ومشورتى بحب اخوي ، ضد ملك الاغريق الشرير » .

رد جودفري على رسالة بوهمند :

« انتنى اعرف ايها الاخ الحبيب ، كما جاء في الاخبار منذ زمن طويل ان شعب الاغريق الماكر والمشبع بالكراهية لشعبنا ، على استعداد دائم لاضطهاده ، واذا كنت قد افقرت في ما مضى الى أي جزء من تلك المعرفة فقد اكتسبتها بالتجربة يوما بعد يوم ، وان لا ارتاب في انك تثر ضدّهم بغير محقة ، وان احاسيسك الغريزية حول مكرهم صحيحة ، لكن بما ان امامى الخوف من الرب ، وهدف حملنى فانتنى امتنع عن توجيه السلاح ضدّ شعب مسيحي وهو سلاح موقف على مقارعة الكفرة ، ومع ذلك ، ان الجيش - حبيب الله الذي معنا ينتظر قدومك بتلهف زائد ، كما انه ينتظر قدوم الامراء الآخرين المكرسين للرب » .

ملحق (6)

معاهدة ديفول ١١٠٨م المفاوضات بين بوهمند والكسيوس كومنين

بعد مناقشات ومفاوضات مشحونة بغليان المشاعر تم الاتفاق بين الطرفين على توقيع معاهدة تعرف بمعاهدة ديابولس ١١٠٨ م. وضمت تفاصيل هذه الاتفاقية في وثيقتين احدهما من توقيع بوهمند والثانية صادرة من الكسيوس لتبادلتهما ولقد احتفظت لنا انا كومنينا في مؤلفاتها الالكسيات بوثيقة بوهمند في حين ان وثيقة والدها المعطاة لبوهمند قد فقدت غير انه في الامكان تلمس ما ورد فيها على ضوء ما جاء في رواية انا وايضا في كتابات المصادر الغربية المعاصرة .

اعلن بوهمند بطلان مفعول معاهدة القسطنطينية التي اضريت بين الصليبيين وبيزنطة في عام ١٠٩٧م وتعهد بان يقيم من ذاته رجلا مخلصا لا لكسيوس اذ طلب منه ذلك ان لا يحتفظ باراض تخص الامبراطورية الا ما يمنحه الامبراطور منها كما وافق على الاحتفاظ بالاراضي التي قام بالاستيلاء عليها ولم تكن ملكا لبيزنطة ، كاقطاع امبراطوري له . تعهد القائد النورماندي كذلك بضمان تادية سائر اقصاله في الحملة بمين الولاء والتبعية للامبراطور الكسيوس قبل السماح لهم بالعودة الى الغرب . وطلب منه ايضا تطبيق نفس القاعدة على اقصاله في الشرق اللاتيني . صار لزاما على بوهمند ان يعمل ابن اخيه تانكرد كعدو له حتى يرد لبيزنطة كل ما يخصها من املك في سوريا وقليقيا وتعهد بوهمند ايضا ان لا يتعرض للمسلمين الذين يقطنون الاراضي الامبراطورية باي تهديد او مضايقة ام عن كرسي البطريركية في انطاكية فهو من حق كنيسة بيزنطة ، ولذا وجب تنحية اللاتين عنه كليا ليعين الامبراطور له واحدا من اكليروس اياصوفيا .

وفي مقابل هذا منح الامبراطور لرجله بوهمند المدائن والاراضي الاتية : انطاكية وما حولها ، ميناء سانت سيميرن ، دوكس واعمالها ، لولوس ، فيريزيا واعمالها ، سانت ايلياس وما جاورها ، المناطق المتاخمة .

(1)

لشيزار ، ارته ، جرماتيكايا ومداننها ، جبل ماوروس وقلاعه والسهل المجاور عدا الاراضي التابعة للاميرين الارميين ليو وتيودور . وكان على بوهمند ان يملك هذه الاراضي طيلة حياته للاستفادة بدخولها ، ولكن عند وفاته تؤول هذه الاراضي الى الامبراطورية البيزنطية . كذلك نص على استبعاد بعض المدائن والمناطق من امارة انطاكية وهي : يونداندنم ، طرسوسه ، ادنة ، مامسترا ، وعينزريا ، اللانقية ، جبلة ، فالانبا ، وماراقلبا .

على ان الملاحق التي اضيفت الى هذه الوثيقة نتيجة لتوسلات بوهمند وبعض النبلاء من اتباعه نصت على تعويض بوهمند باقليم كازلوتس الذي يشمل حلب واراضيها ، اقليم لاپارا ومداننه ، قونيوس ، رومانيا ، اراميزوس ، عاميره ، سارياتوس ، وعدة مناطق اخرى . بالاضافة الى هذه الاقطاعات وعد الكسيوس بنفع (٢٠٠) رطل من عملة Michaels له . كذلك عدل النص الخاص باقطاع هذه الاراضي لبوهمند لمدة الحياة فاعطى حق تعيين خليفته عليها .

وتختتم الوثيقة بقسم بوهمند على خشبة الصليب واكيل الشوك والمسامير المقدسة والحرية الالهية على انه سوف يوفي كافة التزاماته للامبراطورية . وكان ذلك في حضور وشهادة موروس اسقف امالفي ، الذي ارسله البابا نيابة عن الحضور هذه المناقشات ، ورينارد اسقف تارانتو وبعض كبار رجال الدين المرافقين للحملة . كذلك كان شاهدا على هذه الحملة الخان بطرس والخان سمعان اللذان كان قد قدما نيابة عن ملك المجر الذي كانت ابنته قد زفت من قبل الى يوحنا ابن الكسيوس كومتين .

اما عن الوثيقة التي سلمها الكسيوس الى بوهمند فتعدد الاقطاعات من الاراضي التي منحها الامبراطور الى الزعيم النورماني . وفيها ايضا ضمان وعهد من جانب الكسيوس لضمان امن وحرية الصليبيين والحجاج الذين يعبرون الاراضي البيزنطية .

(1)

الملحق(7)

نص رسالة الملك الألماني فيليب دو سوابيا إلى زعماء الحملة الصليبية المجتمعين في زارا تشرين الثاني(600هـ-1203م)⁽¹⁾

وصل إلى زارا في بداية تشرين الثاني(600هـ-1303م) الأمير ألكسيوس ورسل فيليب دو سوابيا، مصحوبين بالمبعوثين الصليبيين وهنا سلموا لزعماء الحملة رسالة الملك فيليب إليهم، وتتضمن الشروط المعروضة عليهم، وقد جاء المؤرخ فيلهاردين بنص الرسالة كامله وهي كالتالي:

"سادتي إني مرسل إليكم أخ زوجتي الذي أضعه بين يدي الرب فليحفظه من الموت، كما أضعه بين أيديكم، وحيث إنكم على الطريق لخدمة الرب ومن أجل الحق والعدل، ومن واجبكم إلى الحد الذي تستطيعونه أن تعيدوا الملكية لمن جردوه منها ظلماً، وسيعرض الأمير ألكسيوس عليكم أفضل الشروط التي قدمت على الإطلاق لأي شعب، وسيعطيكم أقوى دعم في فتح بلاد ما وراء البحار: أولاً إذا أراد الرب لكم أن تستردوا ميراثه له فإنه سيضع كامل إمبراطوريته تحت سلطه روما التي اقصيت عنها زماناً طويلاً. ثانياً طالما أنه يعرف انكم قد انفقتم كل أموالكم وليس لديكم شيء منها الآن إنه سيعطيكم 20,000 مارك فضي ومؤناً لكل رجل في جيشكم من القادة والرجال على السواء، علاوة على ذلك أنه هو نفسه سيذهب في صحبتكم إلى مصر، مع عشرة آلاف رجل، أو إذا فضلتكم أن يرسل العدد نفسه من الرجال معكم، علاوة على ذلك فإنه طوال حياته سيحتفظ على نفقته بخمسمائة من الفرسان للمرابطة في أراضي ما وراء البحار"

ملحق(8)

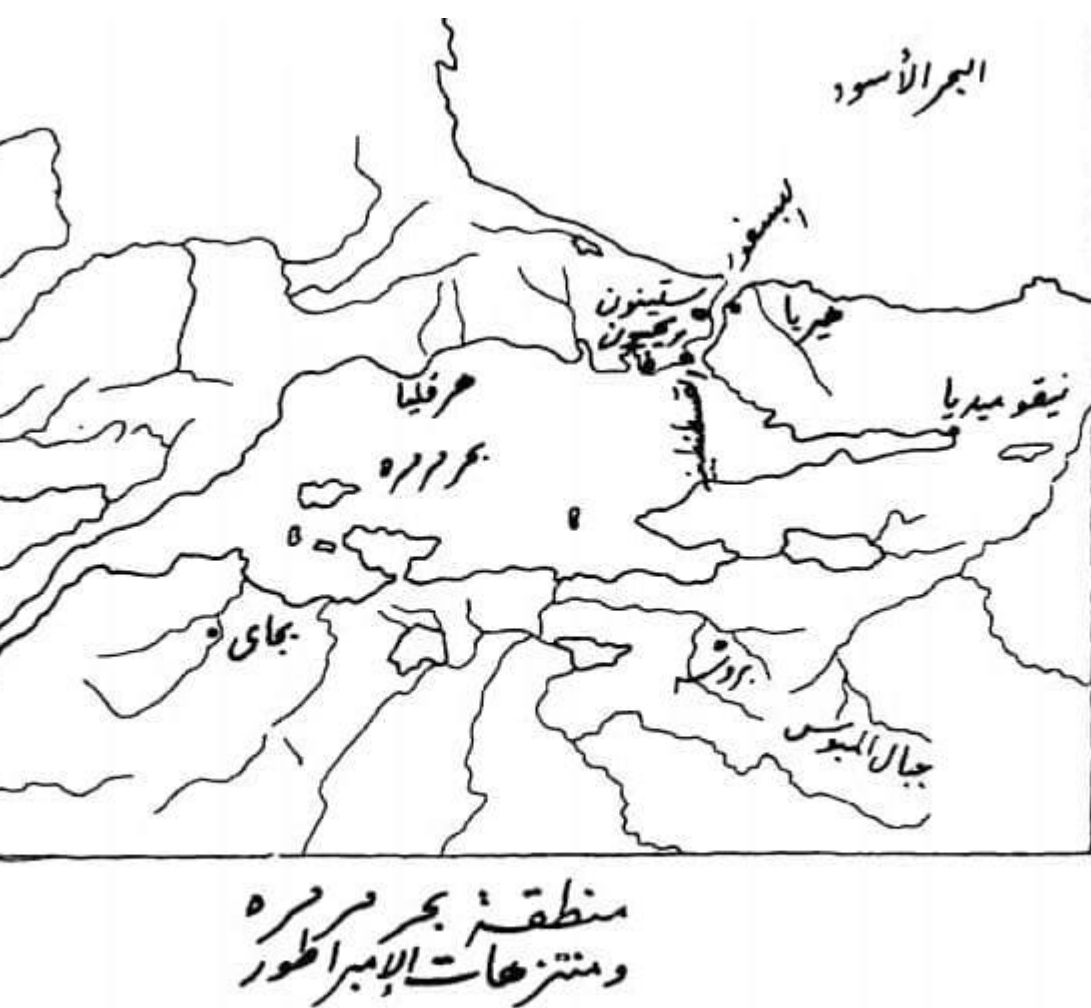
نص ميثاق آذار(601هـ - 1204م) كما أورده فيلهاردين:⁽²⁾

إذا تمكنوا بفضل الرب من شق طريقهم بالقوة إلى داخل المدينة فإنهم سيجمعون الغنائم في مكان واحد، ويقسمونها بشكل صحيح وعادل بين القوات، وإذا أحرزوا بالإضافة إلى ذلك سيطرة تامه على المدينة فإنهم

1 - عبد الهادي.(2011م): الاستيلاء الصليبي على القسطنطينية، ص336
2 - فيلهاردين.(1995م): الاستيلاء على القسطنطينية، من خلال الموسوعة الشامية، ج10، ص113

سيختارون ستة رجال من الجيش الفرنسي وستة من البنادقة، وسيطلب من كل منهم أن يقسم على الإنجيل المقدس بأنهم سينتخبون كإمبراطور لهم الرجل الذي يعدونه أكثر صلاحاً للحكم الأفضل مصالح الدولة، وأياً كان من سينتخب هكذا إمبراطوراً ستكون حصته ربع الغنائم سواء مع المدينة أو دونها، وسيملك أيضاً قصر بوكليون وبلاشيرين، أما الأرباع الثلاثة الباقية من الغنيمة فستقسم إلى قسمين متساوون يخصص أحدهما للبنادقة والثاني للفرنسيين، وبعد ذلك سينتخبون اثني عشر من احكم واقدر الرجال في الجيش الفرنسي، وأثني عشر بالقدر نفسه والمكانة والأهلية من البنادقة ليكونوا مسؤولين عن تخصيص الإقطاعات والمناصب، وتحديد اي خدمات يجب أن تقدم الإمبراطور من أجل هذه الامتيازات والتشريعات.

ملحق (10)



(1)

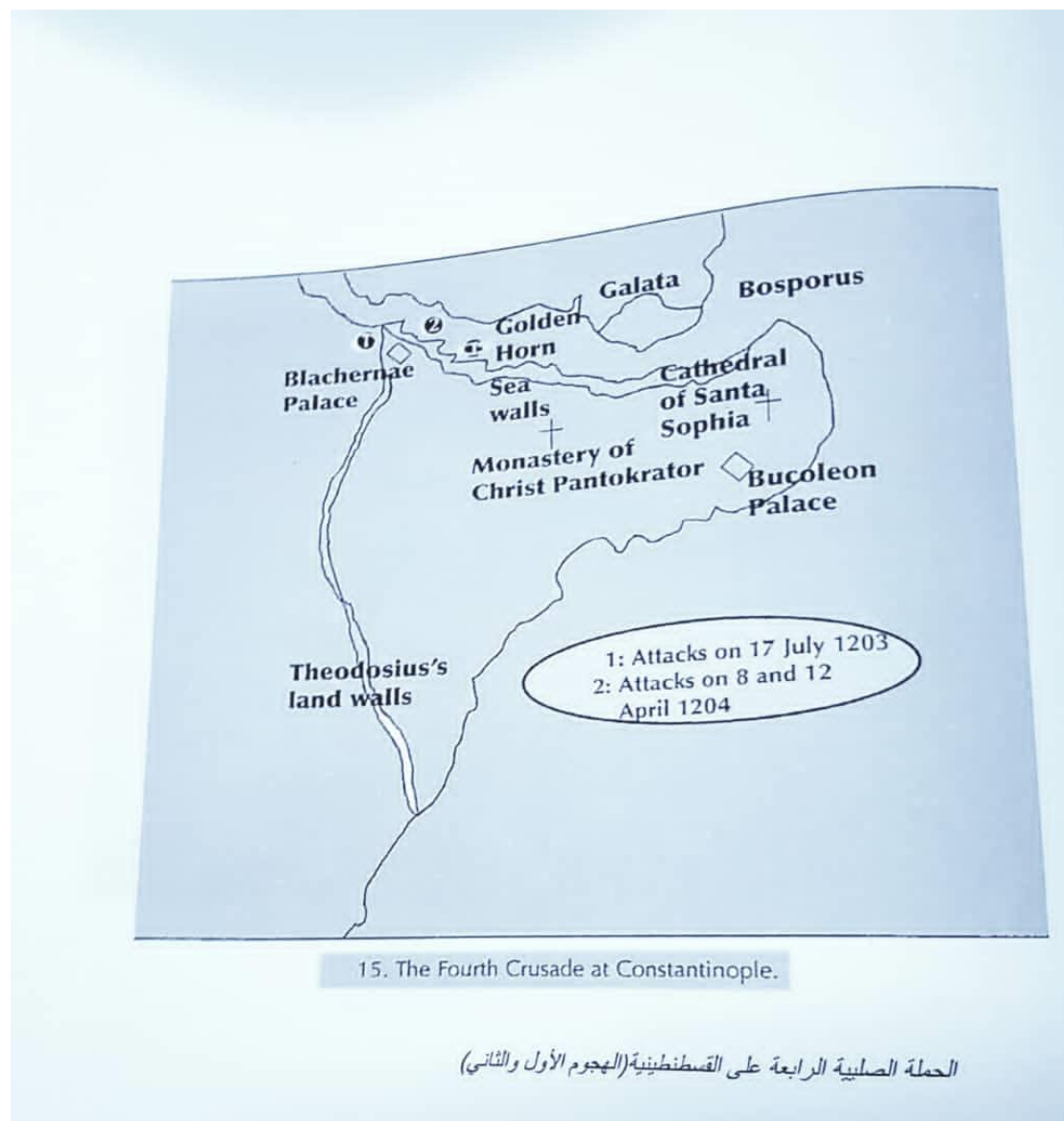
¹ - عمران (2002م): الإمبراطورية البيزنطية وحضارتها، ص 387.



(1)

¹ - زكار، جوني، إسماعيل. (2011م): حروب الفرنجة، ص 416

ملحق (12)

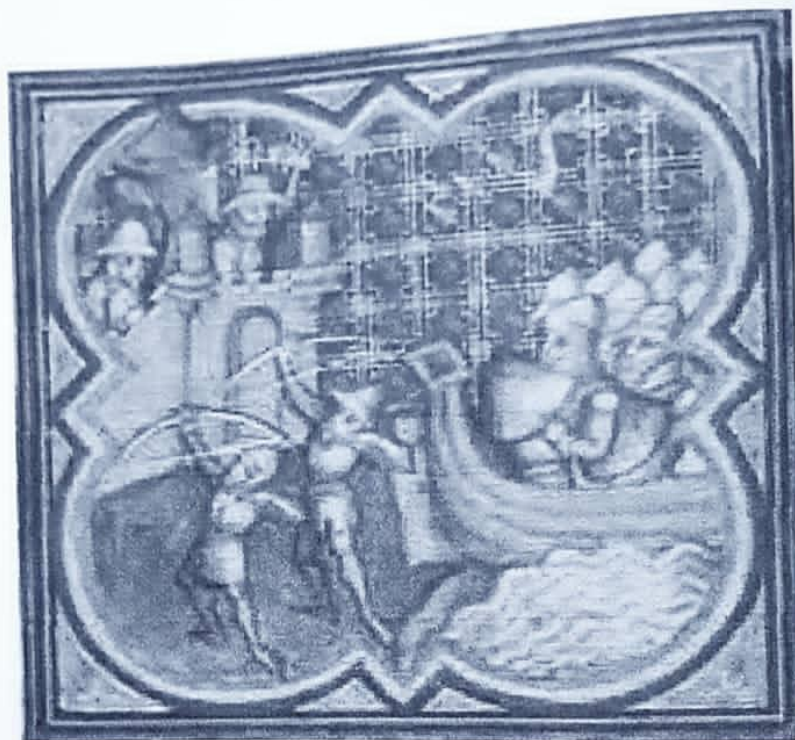


(1)

¹ - عبد الهادي. (2011م): الاستيلاء الصليبي على القسطنطينية، ص 359

3- ملحق الصور: ملحق (13)

4-



١. الصليبيون يحاصرون القسطنطينية ١٢٠٤م

(1)

1 - عبد الهادي. (2011م): الاستيلاء الصليبي على القسطنطينية، ص 350

ملحق (14)



١- لوحة تمثل الصليبيون وهم يدخلون القسطنطينية ١٢٠٤م، وما ارتكبوه
من أعمال قتل وترهيب للأهالي. رسمها أوجين دو لاكروا في القرن ١٩م.

(١)

ملحق (15)

الدوق هنري داندلو



(⁴)

¹ - عبد الهادي. (2011م): الاستيلاء الصليبي على القسطنطينية، ص 356

ملحق (16)



(1)

¹ - عبد الهادي. (2011م): الاستيلاء الصليبي على القسطنطينية، ص 357

المصادر والمراجع:

1- المصادر

أولاً: المصادر العربية:

- ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم عز الدين ابن الأثير ت 630هـ/1232م:
- 1- (1997م). الكامل في التاريخ، تح: عمر عبد السلام التدمري، دار الكتابة العربي، بيروت، ط1.
- 2- (1963م). التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية بالموصل، دار الكتب الحادثة، د.ط.
- الإدريسي، محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس ت 560هـ/1164م:
- 3- (د.ت). نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، عالم الكتب، بيروت، د.ط.
- الإصطخري، أبو إسحاق إبراهيم بن عمر ت 346هـ/975م:
- 4- (1839م). صور الأقاليم، د.ن، د.ط.
- لأصفهاني، أبي عبد الله محمد بن محمد بن حامد ت 597هـ/1201م:
- 5- (1971م). الفتح القسي في الفتح القدسي، تح: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ط.
- الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد ت 502هـ/1109م:
- 6- (1997م). محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، شركة دار الأرقم، بيروت، ط1.
- الألوسي، أبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي ت 1270 هـ/1854م:
- 7- (1917م). روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، صححه: علي عبد الباري عطيه، دار الكتب العلمية، بيروت.
- الأنطاكي، يحيى بن سعيد بن يحيى ت 451هـ/1067م:
- 8- (1990م). تاريخ الأنطاكي، تح: عمر عبد السلام الترمذي، جروس برس، لبنان.
- ابن أبيك الدواداري، أبو بكر بن عبد الله ت 709هـ/1309م:

- 9- (1972م). الدرر المطلوب في أخبار بني أيوب، تح سعيد بد الفتاح عاشور، د.ط، القاهرة.
- أبي البقاء، بن الحسين الجعفري الهاشمي أبي البقاء تقي الدين صالح ت 668 هـ/1270م:
- 10- (د.ت). البيان الواضح للمشهود من فضائح النصارى واليهود، تح: حمزة العاش، لبنان، بيروت، د.ط.
- 11- (1968م). تخجيل من حرف التوراة والإنجيل، تح: محمود عبد الرحمن، مكتبة الكعبيان، ط1.
- البلاذري، أبي الحسن أحمد ابن يحيى بن جابر ت 279 هـ/892م:
- 12- (د.ت). فتوح بلدان، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت.
- بنيامين التطلي، الراي بنيامين ابن الراي يونة التطلي:
- 13- (2002م). رحلة بنيامين، مجمع الثقافى، أبوظبي، ط1.
- الحموي، ياقوت بن عبدالله ت 626 هـ/1228م:
- 14- (1995م). معجم البلدان، دار الصادر، بيروت، ط2.
- ابن حوقل، محمد البغدادي الموصلى، أبو القاسم ت 367 هـ/977م:
- 15- (1938م). صورة الأرض، دار صادر، أفست ليدن، بيروت.
- ابن خردذابة، القاسم عبيد بن عبد الله بن خردذابة ت 280 هـ/893م:
- 16- (د.ت). المسالك والممالك، دار صادر، أفيت ليدن، بيروت.
- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد ت 808 هـ/1406م:
- 17- (1988م). العبر وديوان المبتدأ والخير، ضبطه خليل شحادة مراجعة سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، ط2.
- ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان ت 681 هـ/1282م:
- 18- (1927م). وفيات الاعيان وأنباء الزمان، تح: إحسان عباس، دار الصادر، بيروت، ط1.
- الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ت 748 هـ/1347م:
- 19- (1992م). تاريخ الاسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تح: عمر عبد السلام التدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط2.

- 20- (2006م). التراجم والطبقات، دار الحديث، القاهرة، د.ط.
- 21- (1985م). سير أعلام النبلاء، تح: شعيب الأرناؤوط، دار الرسالة، بيروت، ط3.
- 22- (د.ت). العبر في خبر من غير، تح: أبو هاجر محمد العيد، دار الكتب العلمية، بيروت.
- ابن رسته، أحمد بن عمر بن يعقوب 300هـ/912م:
- 23- (1891م). الأعلاق النفيسة، دار الصادر، د.ط، د.ت.
- الزمخشري، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر ت 538هـ/1144م:
- 24- (د.ت). ربيع الأبرار ونصوص الأخبار، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ج1، ط1.
- أبو سهل الهروي، محمد بن علي بن محمد ت 422هـ/1031م:
- 25- (د.ت). أسفار الفصيح، تح: أحمد بن سعيد خشاش، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ط1.
- أبو شامة، أبو قاسم شهاب الجدين عبد الحمن بن سماعيل المقدسي ت 665هـ/1267م:
- 26- (2004م). الروضتين في أخبار الدولتين، تح: إبراهيم شمس الدين، د.ط.
- ابن شداد، بهاء الدين يوسف رافع ت 632هـ/1235م:
- 27- (1964م). النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، تح: جمال الدين الشيال، دار مصر للتأليف، د.ط.
- الصفدي، صلاح الدين خليل ابن آيبك الصفدي ت 764هـ/1362م:
- 28- (1971م). الوافي بالوفيات، تح: أبو عبدالله جلال الأسيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ط.
- ابن عبد الحكم، عبد الرحمن ابن عبدالله ت 275هـ/889م:
- 29- (د.ت). فتوح مصر وأخبارها، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ط.
- ابن العديم، عمر بن أحمد بن هبة الله ت 660هـ/1261م:
- 30- (1997م). زبدة حلب في تاريخ حلب، تح سهيل زكار، الكتاب العربي، دمشق.
- ابن العماد، عبد الحي بن أحمد بن محمد بن العماد ت 1089هـ/1678م:

- 31- (1916م). شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تح: محمود الارناؤوط، دار ابن الكثير، دمشق، ط1.
- ابن العمراني، محمد بن علي ت 580هـ/1184م:
- 32- (2001م). الأنباء في تاريخ الخلفاء، تح: قاسم السامرائي، دار الافاق العربية، القاهرة، ط1.
- العيني، أبو محمد بدر الدين ت 855هـ/1451م:
- 33- (1995م). عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، من خلال الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية، تح سهيل زكار، دمشق، ج 24.
- أبو الفداء، عماد الدين اسماعيل بن علي بن محمد بن محمد ت 732هـ/1331م:
- 34- (د.ت). المختصر في أخبار البشر، المطبعة الحسينية المصرية، ط1.
- ابن الفرات، ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم ت 807هـ/1309م:
- 35- (1967م). تاريخ ابن الفرات، دار الطباعة الحديثة، د.ط.
- ابن قاضي شهبة، أبو بكر بن أحمد بن محمد بن عمر ت 851هـ/1448م:
- 36- (1971م). الكواكب الدرية في السيرة النورية، دار الكتاب الجديد، د.ط.
- القرمانلي، أحمد بن يوسف العباس ت 1019هـ/1611م:
- 37- (د.ت). أخبار الدول وأثار الدول في التاريخ، تح: أحمد حطيط، عالم الكتب، بيروت، د.ط.
- ابن القلانسي، حمزة بن أسد بن علي ت 555هـ/1160م:
- 38- (1983م). تاريخ دمشق، تح: سهيل زكار، دار حسان، دمشق، ط1.
- القلقشندي، الشيخ أبي العباس أحمد القلقشندي ت 821هـ/1418م:
- 39- (1951م). صبح الأعشى، دار الكتب الخديوية، مطبعة الأميرية، القاهرة.
- ابن الكثير، اسماعيل بن عمر دمشقي ت 774هـ/1283م:
- 40- (د.ت). البداية والنهاية، د.ط.
- أبو المحاسن، يوسف بن تغري بردى بن عبد الله ت 874هـ/1469م:

- 41- (د.ت). النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، دار الكتب، مصر، د.ط.
- ابن المستوفي، المبارك بن أحمد بن المبارك بن موهوب ت 637هـ/1240:
- 42- (1980م). تاريخ أريط، تح: سامي بن سيد، وزارة الثقافة والإعلام، دار الرشيد، العراق.
- المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي ت 346هـ/957م:
- 43- (د.ت). مروج الذهب ومعادن الجوهر، دار الاندلس، بيروت، ط8.
- المقدسي، أبو عبد الله محمد بن أحمد البشاري ت 482هـ/1090م:
- 44- (1991م). أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، دار صادر، بيروت، ط3.
- المقرئ، أحمد بن علي المقرئ تقي الدين أبو العباس ت 845هـ/1442م:
- 45- (د.ت). تاريخ الأقباط، تح: عبد المجيد نياض، دار الفضيحة، د.ط.
- 46- (1997م). التراجم والطبقات، تح: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1.
- ابن منظور، أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ت 711هـ/1311م
- 47- (د.ت): لسان العرب، دار صادر، بيروت، مج الأول.
- ابن منقذ، أسامة بن مرشد الكناشي الشيرازي ت 584هـ/1188م:
- 48- (د.ت). الاعتبار، تح: فليب حتى، مكتبة الثقافة الدينية، د.ط.
- مؤرخ مجهول:
- 49- (1939م). الاجتهاد في سبيل الاتحاد، جامعة ميشيغان، الكتب ذات التنسيق الرقمي، 22 آذار "مارس"، 2006م، الموقع <https://books.google.com>
- النعمي الدمشقي، عبد القادر بن محمد ت 978هـ/1571م:
- 50- (1999م). الدارس في تاريخ المدارس، تح: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج2، ط1.
- النويري، أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم ت 722هـ/1331م:
- 51- (د.ت). نهاية الأرب في فنون الأدب، دار النشر الوثائقية، القاهرة، ط1.

- ابن واصل، محمد بن سالم بن نصر ت 697هـ/1292م:

52- (1953م). مفرج الكروب في تاريخ بني أيوب، تح: جمال الدين الشيال، القاهرة، د.ط.

- ابن الوردي، عمر بن محمد بن أبي الفوارس ت 749هـ/1348م:

53- (1996م). تتمة المختصر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1.

54- (1996م). تاريخ ابن الوردي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1.

ثانياً: المصادر السريانية المعربة:

- ابن العبري، أبي فرج جمال الدين يوحنا بن هارون ت 685هـ/1286م:

1- (د.ت). تاريخ مختصر الدول، تح: أنطوان اليسوعي، دار الشرق، بيروت، ط3.

2- (1991م). تاريخ الزمان، دار المشرق العربي، د.ط.

- الرهاوي، متى:

3- (2009م). تاريخ متى الرهاوي الفرنج الصليبيين والمسلمون والأرمن، تر: محمود الرويضي

وعبد الرحيم مصطفى، مؤسسة حمادة للدراسات، أربد.

ثالثاً: المصادر القبطية:

- ابن المقفع، ساويرس:

1- (1959م). تاريخ بطاركة الكنيسة المصرية، القاهرة.

2- (1983م). المجامع، القاهرة، د.ط.

رابعاً: المصادر الإغريقية المعربة:

- بروكوبيوسProcopius:

1- (2001م). التاريخ السري "حياة الإمبراطور جستنيان وثيودورا"، تر: عفاف سيد صبري، عين للدراسات

والبحوث الاجتماعية، ط1.

2- (د.ت). تاريخ الحروب "الحروب القوطية"، تر: عفاف سيد صبري، دار الكتاب الجامعي، د.ط.

- سوزومين Sozomen:

3- (1890م). التاريخ الكنسي، تر: تشتر هارترانفنت، تعريب بولاساوس، نقلاً عن NPNF، د.ط.

- كومنينيا، آنا Anna Commanena:

4- (2004م). ألكسياد، تر: حسن حبشي، المجلس الأعلى للثقافة، ط1.

- كيدرنيوس Cedrenios:

5- (د.ت). أثار القسطنطينية، تح: عمانوئيل بيكو، د.ط.

- كيناموس، يوحنا Kinnamos, John:

6- (1997م). أعمال يوحنا ومانويل كومنينوس، من خلال الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية

في، تأليف وتحقيق وترجمة: سهيل زكار، دمشق، د.ط.

- لايفاجريوس الخلقيدوني Lavgrius Alchalcedone:

7- (2017م). التاريخ الكنسي من 431-594م، تعريب بولساويرس، مشروع الكنوز القبطية، د.ط.

- يوسابيوس القيصري Eosubius Alkaisare:

8- (د.ت). تاريخ الكنيسة، تر: مرقس داود، القاهرة، د.ط.

خامساً: المصادر الإغريقية:

1. Acropolita(Georgius):(N.D).Annals Byzantine, P.G 140.
2. Attaliothae(Michaelis):(N.D).Historia, cshb, bonnai.
3. Bryennius(Nicephorus):(1836A.D).Histirium, csbh, bonnae, corpus, sbyz, vol.II
4. Cedreni(Georgii):(1838A.D).Compendium historiarum, cshb, bonnae, vol I.
5. Choniates (Niketas): (1984A.D). O city of Byzantium annals ،trans harry
6. Curoplatae(Ioannis): (1839.A.D). History, cshb, bonnae, vol.II.
7. Georgii(Cedreni):(1838.A.D).Compendium historiurim, cshb, bonnae, vol I.

8. J.P.Migene:(1897.A.D). **Patrologiae, Gursus.completus**, constantinus, porphyro, Gentus, Paris, Apudgarner frathes, editores.et, J.P. Migne, Tomus CXII.
9. Lydus(John): (1992.A.D). **The Roman past**, trans. Michael mass, London and New York.
10. Malalas(loannes):(1831.A.D). **Chronograpia**, cshb, bonne.
11. Mannssis(canstantini):(N.D).**Compendium chronicum**, p127.
12. Mansi(J):(N.D). **Sacrorum conciliorun**, transltion tomus Decimus, XII.
13. Nikephoros(patriarch of Constantinople):(1990.A.D). **Short history**, trans Cyril mango, Washington.
14. Psellus: (1899.A.D). **The history of the psellus**, digitized by the in ternetarchive 2007, byzantine texts, editedby, J.B, bury, London.
15. Simocatta(theophlact):(1988.A.D). **The history of the theophlact Simocatta**, translation Michal and Mary whit by, oxford university, press, oxford new York.
16. Skylitzes (john):(2010.A.D). **Asynopsis of Byzantine history 811– 1054**, translated by johnwl wortley,cambridge university press.
17. Theophanes: (1982.A.D). **The choronicle of the theophanes**, English translation of annimunch, compy are 1982.
18. Zonarae(loannis): (N.D). **Annalium**, libri XVII PG 135.

19. Zonarae(loannis):(1897.A.D). **Epitomae historiarum**, libri XIII–XVIII, cshb, bonnae.

سادساً: المصادر اللاتينية المعربة:

- ألبرت فون أخت Albert Von Aket:

- 1- (2007م). **تاريخ الحملة الصليبية الأولى**، من خلال الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب

الصليبية ، تأليف وتحرر سهيل زكار ، دمشق.

- تواريخ أسرة بلانتغنت Plantagent Family Histories:

- 2- (1998م). من خلال الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية، تأليف وتحقيق وتأليف

سهيل زكار، دمشق، د.ط.

- خطابات القديس جيروم:

- 3- (د.ت). تع: يوحنا عطا محروس، تر: من اللاتينية فرماس.

- روبرت دي كلاري Robert De Clari:

- 4- (1995م). **سقوط القسطنطينية بيد الصليبيين**، الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية، تأليف

وتقديم وترجمة: سهيل زكار، دمشق، د.ط.

- ريموندا جيل Raymonda, Gil:

- 5- (1990م). **تاريخ الفرنجة غزاه بيت المقدس**، تر: حسين عطية، كلية الآداب جامعة طنطا، دار

المعرفة الجامعية، ط1.

- الشارترى، فوشيه Charters, Fultcher:

- 6- (1990م). **تاريخ الحملة الى القدس 1095-1127م**، تر: زياد العسلي، تر من اللاتينية الى

الإنكليزية فرنسيس ريتا ريان، دار الشرق، عمان، الاردن، ط1.

- فريزنغ، أوت Out, Freezing:

- 7- (1977م). تاريخ أتو فريزنغ في الحروب الصليبية، من خلال الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية، تأليف وتحقيق وترجمة: سهيل زكار، دمشق، د.ط.
- فيتالي، أوردرريك Vitalis, Ordericus:
- 8- (2008م). التاريخ الكنسي، تر: سهيل زكار، دار التكوين، دمشق.
- فيلهاردن Villehardouin:
- 9- (1995م). الاستيلاء على القسطنطينية، الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية، تأليف وتقديم وتر سهيل زكار، دمشق.
- مؤرخ مجهول Anonymous Historian:
- 10- (د.ت). أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس، تر: حسن حبشي، جامعة عين شمس، د.ط.
- مؤرخ المجهول Anonymous Historian:
- 11- (1995م). تاريخ المورة، من خلال الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية، تأليف وتر وت سهيل زكار، دمشق.
- وليم الصوري Wiliam Of Tyre:
- 12- (2003م). تاريخ وليم الصوري وذيوله 1095-1261م ، من خلال الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية تأليف وتر سهيل زكار، دمشق.
- سابعاً: المصادر اللاتينية:

1- Anonymous historian:(1848.A.D). The crusade of the Retshard,

Andover, Harvard, Bohn, N.E.

2- Anonymous historiani:(N.D). The crusade of Freder Barbarossa,

trans Loud, N.E.

- 3- Deuil(odoo):(N.D). De profection ludovici VII in orientem, columbia university press, New York.
- 4- Migne. J.P:(N.D). Patrologia Latin, tomus. CXLIII, Paris, IIs.
- 5- Robert:(2005.A.D). The monk's historia of the first crusade, calol sweet ennamz,.
- 6- William of the Apulia:(N.D). The deeds of robert Guiscard, translated by GA, loud.

3- المراجع

أولاً: المراجع العربية:

- أبرص، ميشال. عرب، وأنطوان:
- 1- (1996م). مدخل إلى المجامع المسكونية، ط1.
- أبرص، ميشال:
- 2- (د.ت). المجمع المسكوني الثاني، المكتبة البوليسية، د.ط، د.ت.
- أبو الجدايل، عائشة سعيد:
- 3- (1995م). الإمبراطورية في القرن السابع ميلادي، دار المفردات، ط1.
- أسطفيان، نجيب:
- 4- (2001م). صراعات الكنيسة وسقوط القسطنطينية، دار التكوين، دمشق، ط1.
- الإنطوائي، لوقا:
- 5- (د.ت). المجامع المسكونية الثلاثة وأبطالها، دار الشرق، بيروت، د.ط.
- أيسوذوروس:
- 6- (د.ت). البرهان القاطع في الرد على القبطي التابع، د.ط، Ktab.NET.
- بايتي، عزيزة فوال:

- 7- (1971م). موسوعة الأعلام "العرب والمسلمين والعالمين"، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ط.
- برجاي، سعيد:
- 8- (1984م). الحروب الصليبية في المشرق، دار الإقامة الجديدة، بيروت، ط1.
- البهيجي، إيناس:
- 9- (د.ت) تاريخ الدولة الفاطمية، مركز الكتاب الأكاديمي، د.ط،
- البيشاوي، سعيد عبد الله:
- 10- (2006م). الممتلكات الكنسية في مملكة بيت المقدس الصليبية، دار الشيماء، رام الله، ط3.
- توفيق، عمر كمال:
- 11- (1967م). تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، دار المعارف ، د.ط.
- جراسيموس، مسرة:
- 12- (1894م). تاريخ الانشقاق، مطبعة الإبراهيمية، الإسكندرية.
- جعيان، فؤاد سلامي:
- 13- (2001م). مآثر العرب العلمية اساس حضارة الغرب، مؤسسة العربية للدراسات والنشر، د.ط، د.ت.
- الجنزوري، عليّة:
- 14- (د.ت). البابوية والإمبراطورية الرومانية، دار الفكر العربي، د.ط.
- حاطوم، نور الدين:
- 15- (1966م). تاريخ العصر الوسيط في أوروبا، دار الفكر الإسلامي الحديث.
- حبشي، حسن:
- 16- (1958م). الحروب الصليبية الأولى، دار الفكر العربي، د.ط.
- ابن حجر، أحمد بن علي:

- 17- (1971م). لسان الميزان، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ط2.
- الحريري، السيد علي:
- 18- (1965م). الأخبار السنوية في الحروب الصليبية، مطبعة النيل، مصر، ط2.
- حسين، محمود حمزة. عبد المجيد، لبنى رياض:
- 19- (2015م). تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، ط1.
- حسين، محمد توفيق. أمين، عبد الأمير محمد:
- 20- (د.ت). التاريخ الأوروبي في العصور الوسطى، جامعة بغداد، د.ط.
- الحمد، علي بن إبراهيم:
- 21- (د.ت). التنصير مفهومه وأهدافه ووسائله وسبل مواجهته، ط2.
- حمزة، عادل عبد الحافظ:
- 22- (2001م). العلاقات السياسية في الدولة والإمبراطورية الرومانية المقدسة زمن الحروب الصليبية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ط.
- خادم، سعيد:
- 23- (2010م). المسكوكات والإصلاح النقدي في صدر الإسلام، جمعية المسكوكات، العالم العربي، د.ط.
- خياطة، نهاد:
- 24- (د.ت). المذاهب والفرق المسيحية منذ البدايات حتى ظهور الإسلام، دار الأوائل، د.ط.
- الربيعي، عبدالله بن عبد الرحمن:
- 25- (د.ت). موقف الامبراطورية البيزنطية من قادة الحملات الصليبية الأولى والثانية والثالثة والرابعة، (490-600هـ/1095-1204م)، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، د.ط.
- رستم، أسد:

- 26- (1958م). الحرب في الكنائس، منشورات الجامعة اللبنانية، قسم الدراسات التاريخية، بيروت، 1958م.
- 27- (1988م). الروم في سياستهم وحضارتهم وبنهم وثقافتهم وصلاتهم بالعرب، المكتبة البوليسية، لبنان.
- 28- (1938م). كنيسة مدينة الله أنطاكية العظيمة، منشورات المكتبة البوليسية، بيروت، د.ط.
- رسلان، شبيب:
- 29- (د.ت). الحلل السندسية في الأخبار والآثار الاندلسية، د.ط.
- رمضان، عبد العزيز:
- 30- (2017م). بيزنطة والغرب الأوروبي 1143-1180م، القاهرة، د.ط.
- 31- (2008م). بيزنطة والحروب الصليبية، دار الفكر العربي، القاهرة، د.ط.
- زبيدة، عبلة المهدي:
- 32- (2000م). القدس تاريخ وحضارة، دار القمة للطباعة، د.ط.
- الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الزركلي ت 1296هـ/1879م.
- 33- (د.ت). الأعلام، دار العلم للملايين، ط5.
- زكار، سهيل. جوني، وفاء. إسماعيل، اكتمال:
- 34- (2011م). حروب الفرنجة (الصليبية)، جامعة دمشق، د.ط.
- زكار، سهيل:
- 35- (1995م). الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية، دمشق، د.ط.
- زيتون، عادل:
- 36- (1980م). العلاقات السياسية والكنسية بين الشرق البيزنطي والغرب اللاتيني في العصور الوسطى، دار دمشق، ط1.
- الزبيدي، مفيد:

- 37- (د.ت). موسوعة تاريخ أوروبا، دار أسامة، د.ط.
- 38- (2004م). موسوعة تاريخ الحروب الصليبية، دار أسامة، د.ط.
- لسويدان، طارق:
- 39- (2020م): أنبياء بني إسرائيل، الإبداع الفكري، ط1.
- سيداورس، فاضل:
- 40- (د.ت). يسوع المسيح في تقليد الكنيسة، دار المشرق، بيروت، د.ط.
- الشدياق، أحمد فارس:
- 41- (2005م). قراءة من صفائح المقاومة، دار الهداية، د.ط.
- 42- (د.ت). الساق على الساق في ما هو الفاريق، قسم الأدب والبلاغة، د.ط.
- الشيخ، محمد مرسي:
- 43- (1994م). تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية.
- صبوا، أمير:
- 44- (2004م). من البابا أوربان الثاني إلى جورج بوش الثاني، الينابيع، د.ط.
- الصلابي، علي محمد:
- 45- (د.ت). الأيوبيين بعد صلاح الدين، دار المعرفة، ط1.
- 46- (2001م). صلاح الدين الأيوبي وجهوده في القضاء على الدولة الفاطمية، دار المعرفة، بيروت.
- 47- (2006م). دولة السلاجقة ويزور مشروع إسلامي لمقاومة التغلغل الباطني، مؤسسة اقرأ، القاهرة، ط1.
- 48- (2007م). عصر الدولة الزنكية، مؤسسة اقرأ، القاهرة، مصر، ط1.
- طائي، الحسين بن سليمان:
- 49- (1994م). الروض الريان في أسئلة القرآن، مكتبة العلوم والحكم، دم، د.ط.

- طرخان، ابراهيم:
- 50- (1956م). الحركة اللايقونية من الدولة البيزنطية، القاهرة، د.ط.
- عاشور، سعيد عبد الفتاح:
- 51- (د.ت). الجهاد الإسلامي ضد الصليبيين في العصر الأيوبي، القاهرة، د.ط.
- 52- (1976م). تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب، دار النهضة، بيروت، ط1.
- 53- (1971م). الحركة الصليبية، مكتبة الأنجلو المصرية، د.ط.
- 54- (1976م). تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، دار النهضة العربية، بيروت، د.ط.
- عاصي، حسين:
- 55- (د.ت). المؤرخ أبو شامة وكتابه الروضتين في اخبار الدولتين النورية الاصلاحية، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ط.
- عاقل، نبيه:
- 56- (1976م). الإمبراطورية البيزنطية، منشورات جامعة دمشق.
- العبادي، مصطفى:
- 57- (1981م): الإمبراطورية الرومانية النظام الإمبراطوري ومصر الرومانية، دار النهضة العربية، د.ط.
- عبد الحميد، رأفت:
- 58- (1998م). قضايا في تاريخ الحروب الصليبية، عين للدراسات والبحوث الانسانية، الاسكندرية، ط1.
- عبد الرزاق، محمد:
- 59- (1983م). خطط الشام، مكتبة النوري، دمشق، ط3.
- عبد العزيز، شعبان:

- 60- (1998م). الكتب والمكتبات في العصور الوسطى، دار المصرية اللبنانية، د.ط.
- عبد العزيز أبو زيد، علا:
- 61- (1996م). الدولة العباسية من التخلي عن سياسات الفتح إلى السقوط، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، د.ط.
- عبد القادر، عبدالله:
- 62- (د.ت). مجمع القسطنطينية 381م، دار الكتاب، ktab.Net، د.ط.
- عبد الله، يسري عبد الغني:
- 63- (1991م). معجم المؤرخين المسلمين حتى القرن الثاني عشر الهجري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1.
- عبد المنعم، محمد:
- 64- (2005م): معجم الألفاظ العربية في اللغة الفارسية، الرياض، ج1.
- عبد الهادي، عبد الباقي السيد:
- 65- (د.ت). الأربوسية في مصر البيزنطية خلال القرنين الرابع والخامس الميلاديين، دار الأفاق العربية، القاهرة، ط1.
- عبيد، إسحاق تاوؤرس:
- 66- (1970م). روما وبيزنطة من قطيعة فوتيوس حتى الغزو اللاتيني للمدينة قسطنطين، دار المعارف، مصر، د.ط.
- 67- (2006). أوروبا في العصور الوسطى، دار الفكر العربي، القاهرة، د.ط.
- العدوي، إبراهيم أحمد:
- 68- (د.ت). الإمبراطورية البيزنطية والدول الإسلامية، مطبعة لجنة البيان العربي، د.ط.
- 69- (1989م). التاريخ الإسلامي، دار الفكر العربي.
- العريني، السيد باز:

- 70- (1993م). الشرق الأوسط والحروب الصليبية، القاهرة، د.ط.
- 71- (2000م). الدولة البيزنطية، دار المعرفة الجامعة، الإسكندرية، د.ط.
- عطا، زبيدة:
- 72- (د.ت). الشرق الإسلامي والدولة البيزنطية زمن الأيوبيين، دار الامين، القاهرة، د.ط.
- علوش، أحمد أحمد:
- 73- (2002م). السيرة النبوية والدعوة في العهد المكي، مؤسسة الرسالة، ط1.
- عمران، محمود سعيد:
- 74- (2002م). الإمبراطورية البيزنطية وحضارتها، دار النهضة العربية، لبنان، ط1.
- 75- (1985م). السياسة الشرقية للإمبراطورية البيزنطية في عهد مانويل كومنين 1143-
- 1180م، مؤسسة المعارف، د.ط.
- عوض، مؤنس:
- 76- (2007م). الإمبراطورية البيزنطية دراسة تاريخية في الأسرة الحاكمة، عين للدراسات والبحوث، ط1، 2007م.
- 77- (1999م). العلاقات بين الشرق والغرب في القرنين 12 و13 ميلادي، عين للدراسات والبحوث الإنسانية، د.ط.
- عويضة، الشيخ كامل محمد:
- 78- (د.ت). أوغسطين فيلسوف العصور الوسطى، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ط.
- 79- (د.ت). الفلسفة المسيحية في العصور الوسطى، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ط.
- عويص، إيهاب؛
- 80- (د.ت): كهولة قبل البلوغ، د.ط.
- عيوش، أحمد صلاح:

81- (1971م). قادة الإصلاح والتشريع في العالم عبر التاريخ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

- غنيم، أسمت:

82- (1977م). الإمبراطورية البيزنطية وكرت الإسلامية، دار المجمع العلمي، د.ط.

83- (2006م). تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، دار المجمع العلمي، د.ط.

84- (1989م). الحملة الصليبية الرابعة ومسؤولية انحرافها ضد القسطنطينية، دار المعرفة

الجامعية، الإسكندرية، د.ط.

85- (1991م). دراسات في تاريخ إمبراطورية نيقية البيزنطية، دار المعرفة الجامعية،

الإسكندرية، 1991م.

- فتحي، عبد الفتاح:

86- (2002م). معالم الثقافة الإسلامية في القرنين الأولين من الهجرة، دار الكتب العلمية، د.ط.

- فرج، وسام عبد العزيز:

87- (1982م). الإمبراطورية البيزنطية، المكتبة المهيدين، د.ط.

88- (د.ت). دراسات في تاريخ وحضارة الإمبراطورية البيزنطية من 324-1025، د.ط.

- فرج، نعيم:

89- (د.ت). تاريخ بيزنطة السياسي، منشورات جامعة دمشق، ط4.

90- (1992م). الحضارة البيزنطية، منشورات جامعة دمشق، ط6.

- قاسم، قاسم عبده:

91- (1987م). أثر الحروب الصليبية في العالم العربي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1.

92- (2001م). الحملة الصليبية الأولى، عين للدراسات والبحوث الإنسانية، ط1.

93- (1983م). الخلفية الإيديولوجية للحروب الصليبية دراسة عن الحملة الصليبية الأولى، دار

المعارف، د.ط.

94- (1990م). ماهية الحروب الصليبية، عالم المعرفة، د.ط.

- قرانجي، مفيد يوسف:

95- (2010م). أصول الثقافة السريانية في بلاد ما بين النهرين، دار دجلة. عمان، ط1،

2010م.

- الكرياسي، محمد الصادق:

96- (د.ت). معجم المشاريع الحسينية، المركز الحسيني للدراسات، لندن، د.ط.

- المسكين، متى:

97- (د.ت). أثناسيوس الرسولي سيرته ودفاعه عن الإيمان ضد الأريوسيين، دار القديس، أنبار

المقاري، د.ط.

- مصطفى، شاكِر:

98- (1987م). التاريخ العربي والمؤرخون العرب، دار العلم للملايين، بيروت، ط3.

- مصطفى، محمد:

99- (د.ت). خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم، دار الفكر العربي، القاهرة، د.ط.

100- (د.ت). زهرة التفاسير، دار الفكر العربي، القاهرة.

- المطوي، محمد العروسي:

101- (1982م). الحروب الصليبية في المشرق والمغرب، دار الكتب الغرب الإسلامي، تونس،

د.ط.

- مظلوم، مكسيموس:

102- (1862م). الكنز الثمين في أخبار القديسين، مطبعة الرسولييين اليسوعيين، بيروت، د.ط.

- معلوف، لويس اليسوعي:

103- (1931م). المنجد في اللغة والأعلام، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ط7.

- المقاري، أثناسيوس:

104- (د.ت). قوانين المجامع المسكونية، دار الحقيقة، د.ط، د.ت.

- المنجد، صلاح الدين:

105- (1978م). معجم المؤرخين الدمشقيين وأثارهم المخطوطة والمطبوعات، دار الكتاب الحديدة،

بيروت، د.ط.

- منصور، طارق:

106- (د.ت). القسطنطينية في الكتابات الصليبية 1096-1204م، جامعة عين شمس، مصر،

د.ط.

- منصور، محمد بن العزيز:

107- (2005م). عالم الحرب، جامعة ميتشغان.

- مهدي، الحسني:

108- (د.ت). صلاح الدين الأيوبي بطل الشرق وأسطورة الغرب، كنوز للنشر والتوزيع، د.ط.

- مؤرخ مجهول:

109- (د.ت). مجمع خلقيدونية يفرق أم يجمع نحو تقارب في المسيحية الأرثوذكسية، تحرير:

بوليس غريغوريوس.

110- مؤرخ مجهول:

111- (2003م). معالم التاريخ البيزنطي، دار المواسم.

112- الموسوعة المسيرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة: (د.ت). قسم العقيدة، دار الندوة

العالمية، ط4.

- موسى، ميشال:

113- (د.ت). عندما تموت الأساطير يظهر الحب العام والإسلام العالمي، دار الشرق، القاهرة،

ط1.

114- موقع الأنبا تكلاهيمانوت: سير وتراجم وشخصيات من التاريخ المسيحي.

115- . مركز الرعي للأبحاث والدراسات وتتبع الأزمنة(2005م): السريان نقلة حضارات، مركز الدطاسات والأبحاث المشرقية د.ط.

- الندوي، علي:

116- (د.ت). السيرة النبوية لأبو الحسن الندوي، دار ابن كثيرة، دمشق، ط2.

- نسيم، جوزيف نسيم:

117- (1982م). تاريخ العصور الوسطى الأوروبية وحضارتها، الإسكندرية، د.ط.

118- (1971م). العدوان الصليبي على بلاد الشام، مطبعة روبان، القاهرة، ط3.

119- (1989م). العرب والروم وللاتين، جامعة الاسكندرية، دار المعرفة الجامعية، د.ط.

- اليوسف، عبد القادر أحمد:

120- (1966م). الإمبراطورية البيزنطية، منشورات المكتبة المصرية، بيروت، د.ط، د.ت.

121- (1969م). علاقات بين الشرق والغرب بين القرنين الحادي عشر والخامس عشر

الميلاديين، المكتبة العصرية، د.ط.

- يوسف، يوسف حسن:

122- (د.ت). الاتفاقيات والمعاهدات في ضوء القانون الدولي، مركز الكتابة الأكاديمي، د.ط.

ثانياً: الرسائل الجامعية:

- خليفة، أحمد علي عطية:

1- (2018م). أحوال الإمبراطورية البيزنطية في ضوء حولية ثيوفانس المعترف، رسالة لنيل

درجة الماجستير في تاريخ وحضارة اوروبا بالعصور الوسطى، إشراف إبراهيم خميس إبراهيم، هبة إبراهيم عطية، الإسكندرية، 2018م.

- عبد الهادي، حليلة:

2- الاستيلاء الصليبي (الفرنجي) على القسطنطينية وإقامة الحكم اللاتيني فيها (2011م).

(601هـ-1204 م / 660هـ-1261م)، أطروحة أعدت لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ البيزنطي، إشراف سهيل

زكار، جامعة دمشق، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، دمشق.

- علي، ثورة خطاب:

3- موقف بيزنطة من الغزو الصليبي 489-601هـ/1095-1204م، رسالة ننيل

درجة الماجستير في التاريخ الاسلامي، أشراف طلب الجنابي، جامعة تكريت.

- مسيلي، أحمد:

4- دور البابوية في الحملات الصليبية على المشرق الإسلامي (488-

588هـ/1095-1192م)، رسالة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط، اشراف عبد العزيز بوكنة، جامعة

الجزائر، بوزريعة.

ثالثاً: المراجع المعربة:

- إديوري، بيتر:

1- (1997م). قبرص والحرب الصليبية، دار الملتقى، بيروت، د.ط.

- أستفانوس، قوميطا:

2- (1967م). الدرة النفيسة في شرح حال الكنيسة، تر: أثينا الكنايسي، مطبعة القبر المقدس، د.ط.

- أومان:

3- (1953م). الإمبراطورية البيزنطية، تر: مصطفى طه بيك، دار الفكر العربي، د.ط.

- باركر، أرنست:

4- (د.ت). الحروب الصليبية، تر: السيد الباز العريني، دار النهضة العربية، بيروت، د.ط.

- بارونيج:

- 5- (1953م). مختصر تواريخ الكنيسة المسيحية، نقله من اللاتينية الى العربية بيريتيوس، د.ط.
- بتلر، ألفريد:
- 6- (د.ت): فتح العرب لمصر، تع: محمد فريد، تح: نهلة مصطفى، دار المصرية اللبنانية، د.ط.
- جيون، ادوارد:
- 7- (1997م). اضمحلال الإمبراطورية الرومانية وسقوطها، تر: محمد سليم سالم وآخرون، القاهرة، د.ط.
- الخضر، حنايا:
- 8- (د.ت). تاريخ الفكر المسيحي، تر: يوحنا منصور وحنا الفاخوري، د.ط.
- داثيو، جوان:
- 9- (د.ت). معجم الباباوات، تر: إنطواني سعيد خاطر، دار المشرق، بيروت، د.ط.
- ديفز، كارلس:
- 10- (د.ت). شارلمان، تر: السيد الباز العريني، مكتبة النهضة المصرية، د.ط، د.ت.
- 11- دير القديس العظيم الأنبا أنطونيوس في البرية الشرقية: (د.ت). الخرستولوجي بعد مجمع خلقيدونية الرسائل بين القديس ساويرس الإعلامي وسيرجيو النحوي، تر: راهب من دير الأنبا أنطونيوس، تقديم يسطس، د.ط.
- رنسيما، ستيفن:
- 12- (د.ت). تاريخ الحروب الصليبية، تر: السيد الباز العريني، دار الثقافة، بيروت، لبنان، د.ط.
- 13- (د.ت). تاريخ الحضارة البيزنطية، تر: السيد الباز العريني، دار الثقافة، بيروت، د.ط.
- ريتشارد، لجين:
- 14- (د.ت). مملكة اللاتين في القدس، تر: أميرة مصطفى يوسف، كلية التربية، لبنان، د.ط.
- زابوروف، ميخائيل:

- 15- (1986م). الصليبيون في الشرق، تر: الياس الشاهين، دار التقدم، موسكو، د.ط.
- سمث، جوناثانيلي:
- 16- (1999م). الحملة الصليبية الأولى وفكر الحروب الصليبية، تر: محمد فتحي الشاعر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط2.
- شينيه، جان كلود:
- 17- (2008م). تاريخ بيزنطة، تر: جورج زينان، دار الكتاب الجديد، المتحدة، طرابلس، د.ط.
- صموئيل، في سي:
- 18- (د.ت). مجمع خلقيدونية "إعادة فحص"، تر: عماد موريس، د.ط.
- فشر، هريرت:
- 19- (1969م). تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، تر: محمد مصطفى زيادة والسيد الباز العريني، القاهرة، د.ط.
- كمبي، جان:
- 20- (د.ت). دليل قرأت تاريخ الكنيسة، تر: مجموعة من المختصين باللغة العربية، مكان الترجمة، فرنسا، دار المشرق، بيروت، د.ط.
- كواستن، جوهانس:
- 21- (د.ت). علم الأبائيات، "باترولوجي"، تر: جرجس كامل يوسف، مركز باناريون للتراث الأبائي.
- لورانس، يوحنا:
- 22- (2019م). تاريخ الكنيسة المسيحية القديمة والحديثة، د.ط.
- ماير، اتش:
- 23- (1999م). تاريخ الحملات الصليبية، تر: محمد فتحي الشاعر، دار الأمين، القاهرة، ط1.
- نيكول، دونالد:

24- (2003م). معجم التراجم البيزنطية، تر: خست حبشي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ط.

- هسي، ج:

25- (1984م). العالم البيزنطي، تر: رأفت عبد الحميد، القاهرة، ط3.

- هونرمان، دنتسفر:

26- (2001م). الكنيسة الكاثوليكية في وثائقها، تر: يوحنا منصور وحنا الفاخوري، ط1.

- ول ديورانت ، ويليام جيمس ديورانت:

27- (1981م). قصة الحضارة، تر: زكي محمود وآخرين، دار الجيل، د.ط.

- ويست، أنتوني:

28- (1997م). الحروب الصليبية، تر: شكري نديم، شركة النبراس، بغداد، د.ط.

رابعاً: المقالات:

- زيدان، عبد السلام:

1- (2016م). العلاقات البيزنطية في ضوء الحملة الصليبية الثانية، مجلة جامعة البعث، العدد 14.

- عبده، محمد عبد المنعم محمد:

2- (2019م). علاقة البابا أنوسنت الثالث بالإمبراطورية اللاتينية في القسطنطينية 1204-1216م، مركز البحوث والدراسات التاريخية، كلية الآداب، جامعة القاهرة، المقالة 6، العدد 31.

خامساً: المراجع الأجنبية:

- Angold(Michael):

1- (1995.A.D). Church And Society In Byzantium Under The comneni,1081-

1261,university Press, Cambridge, N.E.

- Brand(c):

2- (1988.A.D). **Byzantium Confronts The West 1180–1204**, harverd university press, Cambridge, N.E.

– Bucossi and Suarez (A.A):

3- (2016.A.D). **John II Komnenos Empire Of Byzantium In The Shadow Of Father And Son**, routledge ,N.E.

– Cantor(N.F):

4- (1997.A.D). **The Medieval World"300–1300"**, new York, N.E.

– Chaladon(f):

5- (1990.A.D). **Regne D'alexisi Comanen**, paris, N.E.

– Diehl(Ch):

6- (1934.A.D). **Histoire Del Empire Byzantin, Auguste**, Picard, editeure, Paris, N.E.

7- (1957.A.D). **Byzantium**, translation Greatness and decline, translation from the french by N, walford, N.E.

– Dvornik(f):

8- (1948.A.D). **The Photian Schism,History And Legend**,cam bridge,1948.

– Every(George.s.s.m):

9- (1947.A.D). **The Byzantine Patriarchate, 451'1204**, London, society for promoting Christian know pledge.

Gay (J):

10-(1964). **Italie Meridionale Et Empire Byzantin**, Paris, 1964.

– Hart Vauchan, Peter Hicks

11– (2006): **Palladio,s Rome**, yale university Press new Haven and landon.

– Julie.M.:

12–(1941.A.D). Let's Schism Byzantine, Paris.

Kellett(E.E):

13–(1948.A.D). **A Short History Of Reliqions, victor**, GollanczLtd, London,
1948.

lilie(R.J):

14–(1993.A.D). **Byzantium And The Crusader State 1096–1204**, trans morhis,
oxford.

Longnon(J):

15–(1949.A.D). **Le' Empire Latin De Constantinople**, et la principaute de morre
cavare devox cartes,payot, paris.

Magdalino(P):

16–(1993.A.D). **The Empire Of Manuel I Komnenos 1143–1180**, Cambridge
university press, w.e, 1993.

Nicole(D):

17–(1966.A.D). **The Fourth Crusade And Greek And Latin Empire 1204–
1266**, in C.M.H, ed, Hussey, Cambridge.

Ostrogorsky(George):

18–(1998.A.D). **History Of The Byzantine State**, translated by Joan hussey,
Basil plack well, oxford.

– Pears(Edwin):

19–(1987.A.D). **Fallof Constantinople "Story Of The Fourth Crusade"** Derf
publishers Itol, London, N.E,

– Phillips (j):

20–(2010.A.D). **The Second Crusade**, London, N.E.

– Roche and Jensen(j.j):

21–(2015.A.D). **The Second Crusade Holy Ware on the Periphery of Latin
Christ endow**, brepols, N.E.

– Setton Kenneth(M):

22– (1969.A.D). **A History Of The Crusades**, the university of Wisconsin
press,london.

23– (1976.A.D). **The Papacy and Levant 1204–1571**, the American
philosophical society, philade lphia.

– Tessier(jules):

24– (1884.A.D). **La Quatrieme Croisade, La Diversion Sur Zara And
Constantinople**, LA roux, Paris.

– Thelen. Daniel

25–(2015): **Sants In Rome And Beyond**. lulu Press, NE.

– Tout(J):

26-(1924.A.D). **The Empire And The Papacy 418-1273**,Eight edition,
Londonm n.d.

- Vasiliev(A.A):

27-(1071.A.D). **History Of The Byzantine Empire"324-1453"**, london, N.E.

- Ware(T):

28- (1964.A.D). **The Orthodox Church**, middlesex, N.E.

- Woodward, Christopher

29-(N.D): **The Buildings of Europe**, Manchester University Press.

Abstract

The fourth century AD witnessed the emergence of doctrinal disputes between the Latin Catholic West and the Greek Orthodox East. The dispute developed until it led to serious ecclesiastical events in the fifth AH / eleventh century AD, most notably the great religious rift between the Church of Rome and the Church of Constantinople. Consequently, the Church of Constantinople became completely independent of the Church of Rome and no longer The papal sultan in Rome has any authority or influence over the Church of Constantinople, whose sovereignty has become independent, and each of the two parties has labeled the other a heretic and sees the other as a deviant from the correct way of worship. The first, second and third crusade until it ended with the revenge of the Latins against the Byzantines and the occupation of the city of Constantinople and the appointment of a Latin patriarch in its church in the Fourth Crusade in (601 AH / 1204 AD). The papacy, however, Byzantium at that time held out thanks to the efforts of the emperors who sat on the throne Constantine the Great, until the time came for the Western Church to take revenge and take control of Byzantium and its ecumenical church in the year (601 AH / 1204 AD). Christian Constantinople in the second and third campaigns until its conquest and the establishment of a Latin rule there in the year (601 AH / 1204 AD) was affected by the great religious rift between the Church of Rome and the Church of Constantinople that occurred in the year 446 AH / 1054 AD. Therefore, the conquest of Constantinople by the Latins during the Fourth Crusade in (601 AH / 1204 AD) was not a coincidence, but rather the result of a scheme in which the papacy played a major role. Therefore, it was necessary to return to the roots of the doctrinal dispute in order to investigate the facts behind the nature of the political and military relations between the Crusaders and the Byzantines, which It ended with the fall of the city of Constantine the Great at the hands of the soldiers of Pope Innocent III, which illustrates the impact of the great religious discord he had.

A great role in understanding the political and military relations between the Crusaders and the Byzantines between the years (474_601 AH / 1081_1204 AD), hence the importance of the topic chosen for research and study,



Damascus University

Faculty of Literatures

And Human Sciences Department of History

**The Impact of the ecclesiastical dispute between Rome and
Constantinople on the political and military relations between Byzantium
and the crusaders between the year
(474-601H/12081-1204AD)**

A thesis submitted for obtaining a master's degree in the history of Arabs and Islam

Prepared By:

Wala Azaam

Spervision By:

Halema Abd Alhadi

1443H/2022A